



٤٨٥

رَضَا الشَّيْخِ الْكَلْبُكِيِّ

فِي تَرْجُومَةِ

سَيِّدِ السَّلَافِ بْنِ إِدْمَانَ سَعْدِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ

يَاقُوتَ

الْمَشْرِاقِ الْأَرَبِيِّ وَالْبَغْدَادِيِّ الْأَدِيبِ

السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ خَالِدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْكَافُورِ بْنِ إِسْرَافِيلَ بْنِ

أَبِي زَيْدٍ الْبَغْدَادِيِّ

مُضَوِّقِ

مَوْسَمَةِ الذِّكْرِ الْأَمْلَاقِيِّ

الْقَائِمَةِ بِحَسْبِ مَقَامِ الْمَلِكِ سَابِقِ يَوْمِ الْمَعَادِ



٤٨٥

رِيَاضُ السَّالِكِينَ

فِي

شَرْحِ صَحِيفَةِ سَيِّدِ السَّاجِدِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ

تَأْلِيفُ

الْعَلَّامَةِ الْأَرِيبِ وَالْفَاضِلِ الْأَدِيبِ

السَّيِّدِ عَلِيِّ خَانَ الْحُسَيْنِيِّ الْحَسَنِيِّ الْمَدِينِيِّ الشِيرَازِيِّ

قُدِّسَ سِرُّهُ

١٠٥٢ - ١١٢٠ هـ

الْجُزْءُ الْخَامِسُ

مَوْسَسَةُ النَّشْرِ الْإِسْلَامِي

الَّتَابِعَةُ لِمَجْمَاعَةِ الْمُدَرِّسِينَ بِمِيقَاتِ الْمَشْرِقَةِ

کتابخانه

مرکز تحقیقات کتاب و تری علوم اسلامی

شماره ثبت: ۰۰۳۱۵۷

تاریخ ثبت:



رياض السالكين (ج ٥)
في شرح
صحيفة سيد الساجدين (ع)

- العلامة الأديب السيد علي خان المدني الشيرازي
- فضيلة السيد محسن الحسيني الأميني
- معارف إلهية
- ٦ أجزاء
- ٦٠٠
- مؤسسة النشر الإسلامي
-
- ١٠٠٠ نسخة
-

- المؤلف:
- المحقق:
- الموضوع:
- عدد الأجزاء:
- عدد الصفحات:
- طبع ونشر:
- الطبعة:
- المطبوع:
- التاريخ:

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرقة

الروضة الثانية والثلاثون

مركز بحوث وتطوير علوم إندونيسيا



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ عَائِدَةٍ عَلَيْهِ سَلَامٌ بَعْدَ الْفِرَاقِ مِنْ صَلَوةٍ لِلنَّبِيِّ فِي الْإِعْمَارِ
 اللَّهُمَّ إِنَّا الْمُلُوكَ الْمُسَائِدِينَ بِالْخُلُودِ وَالشُّلْطَانَ الْمُسْتَعِجِينَ بِغَيْرِ جُودٍ وَلَا
 أَغْوَانٍ وَالْعِزَّ الْبَاقِيَ عَلَى مَرِّ الدَّهْرِ وَخَوَالِي الْأَعْوَامِ وَمَوَاضِي الْأَزْمَانِ
 وَالْأَيَّامِ عَزَّ سُلْطَانُكَ عِزًّا لَا حِدَ لَهُ بِأَوَّلِيَّةٍ وَلَا مَتْنَهِي لَهُ بِأَحْرَبَةٍ
 وَاسْتَعْلَى مُلْكُكَ عَلَواً سَقَطَتِ الْأَشْيَاءُ دُونَ بُلُوغِ أَمْدِهِ وَلَا يَبْلُغُ
 أَذْنَى مَا اسْتَأْثَرَتْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ أَهْضِي نَعْتِ النَّاعِينَ ضَلَّتْ فِيكَ
 الصِّفَاتُ وَتَقَشَّضَتْ دُونَكَ النُّفُوتُ وَحَارَتْ فِي كِبَرِيَاثِكَ
 لَطَائِفُ الْأَوْهَامِ كَذَلِكَ أَنْتَ اللَّهُ الْأَوَّلُ فِي أَوَّلِيَّتِكَ وَعَلَى ذَلِكَ أَنْتَ
 مَا تَزُولُ لَا تَزُولُ وَأَنَا الْعَبْدُ الضَّعِيفُ عَمَّا أَلْجِئُ أَمَّا أَخْرَجْتَ مِنْ يَدِي
 أَسْبَابَ الْوَصْلَاتِ إِلَّا مَا وَصَلَهُ رَحْمَتُكَ وَتَقَطَّعْتَ عَنِّي عَصَمَ الْأَمَانِ
 إِلَّا مَا أَمَّا مَعْصِيَهُ مِنْ عَفْوِكَ قَلَّ عِنْدِي مَا أَعْتَدْتُهُ مِنْ طَاعَتِكَ
 وَكَثُرَ عَلَيَّ مَا أَبَوْتُهُ مِنْ مَقْصِدَاتِكَ وَلَنْ يَضِيقَ عَلَيْكَ عَفْوُ عَجْبِكَ
 وَلَنَا سَاءَ مَا غَفَّ عَنَّا اللَّهُمَّ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى خَضَابِ الْأَعْمَالِ عَلَيْكَ وَ
 انْكَفَى كُلُّ مَسْئُورٍ دُونَ خَيْرِكَ وَلَا تَطْوِي عَنْكَ دَفَائِقُ الْأُمُورِ وَلَا
 تَقْرُبُ عَنْكَ غِيَابَاتُ السَّرَائِرِ وَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَى عَدُوِّكَ الَّذِي اسْتَظَرَكَ

لِعَوَائِي فَأَنْظِرْتَهُ وَأَسْتَمْلِكُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ لِأَضْلَالِي فَأَهْلِكَ مَا وَجَّهِي
وَمَدَّ مَرِيئِي لِيكَ مِنْ صَغَائِرِ ذُنُوبِي مُؤَيِّقُهُ وَكَأَنَّ أَعْمَالِي مُرَدِّدُهُ حَتَّى
إِذَا قَارَفْتُ مَعْصِيَتِكَ وَاسْتَوْجَبْتُ بِسُوءِ سَعْيِي شُحْطَتَكَ فَكُلَّ عَنِّي
عِذَارُ عَذْرِهِ وَتَلَقَّيْتُ بِكَلِمَةٍ كُفْرِهِ وَتَوَلَّى الْبِرَّ أَيْدِي مَنْبِي وَأَذْبَرُ مَوْلِيَا
عَنِّي فَاصْحَرَنِي لِفُضَيْتِكَ قَرِيبًا وَأَخْرَجَنِي إِلَى فِتْنَاءِ نَفْسِكَ مُرِيدًا لِاسْتِغْنِي
بِفِعْلي إِلَيْكَ وَلَا خَيْرَ يُؤْمِنِي عَلَيْكَ وَلَا حِصْنَ يَحْجِبُنِي عَنْكَ وَلَا
مَلَأَ أَجْمَالَي مِنْكَ فَهَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ وَتَحَلُّ الْمُتَعَرِّفِ لَكَ
فَلَا تَبْصِقْ عَنِّي فَضْلَكَ وَلَا يَقْصِرَنَّ دُونِي عَفْوُكَ وَلَا أَكُنْ أَخِيْبَ عِبَادِكَ
الْثَّانِينَ وَلَا أَقْطَعُ وَفُودَكَ الْإِمْلِينَ وَاعْفُ عَنِّي إِنَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ
اللَّهُمَّ إِنَّكَ مَزْنِي فَرَكْتُ وَخَشِيْتُ فَرَكْتُ وَسَوَّلَ لِي أَلْخَطَا أَمَّا خَطَرُ
النَّوْءِ فَفَرَطْتُ وَلَا أَسْتَشْهِدُ عَلَى صِيَامِي هَارًا وَلَا أَسْتَجِيرُ بِمُجْدَى لَيْلَا
وَلَا تُبْنِي عَلَيَّ بِأَخْيَاثِهَا سَنَةً حَاشَا فَرُوضِكَ الْإِنِّي مِنْ خَشِيْعَتِهَا هَلَكْتُ وَ
لَسْتُ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَضْلٍ نَافِلَةٍ مَعَ كَثْرَةِ مَا أَغْفَلْتُ مِنْ وَطَائِفِ مَعْرِفَتِكَ
وَتَعَدَّيْتُ عَنْ مَقَامَاتِ حُدُودِكَ إِلَى حُرْمَاتِ أَنْهَكُمُهَا وَكَثُرَتْ
ذُنُوبِي أَجْتَرَحُهَا كَأَنَّ عَافِيَتَكَ لِي مِنْ قَضَائِحِهَا سِرًّا وَهَذَا مَقَامُ

مِنْ اسْتَحْيَا لِنَفْسِهِ مِنْكَ وَسَخَطَ عَلَيْهَا وَرَضِيَ عَنْكَ فَلَقَا لِرَبِّهِمْ
 خَاشِعَةً وَرَقَبَةً خَاضِعَةً وَظَهَرَ مُثْقَلٍ مِنَ الْخَطَا يَا وَاقِفًا بَيْنَ الرَّقَبَةِ
 إِلَيْكَ وَالرَّقَبَةِ مِنْكَ وَأَنْتَ أَوْلَى مِنْ رَجَاءٍ وَأَحَقُّ مِنْ خَشْيَةٍ
 وَأَتَعَاهُ فَأَعْطِنِي يَا رَبِّ مَا رَجَوْتُ وَأَمْنِي مَا حَذَرْتُ وَعُدَّ عَلَيَّ بِعَاقِلِي
 رَحْمَتِكَ إِنَّكَ أَكْرَمُ الْمُسْتَوَلِينَ اللَّهُمَّ إِذْ سَرَّيْتَهُ بِعَفْوِكَ وَتَعَمَّدْتَهُ بِرَحْمَتِكَ
 بِفَضْلِكَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ بِمَحْضَرِهِ الْأَكْفَاءِ فَاجِرْنِي مِنْ ضَيَّاحِ دَارِ الْبَقَاءِ
 عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُعَزِّينَ وَالرُّسُلِ الْمَكْرُمِينَ
 وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ جَارِكُنْ أَكَاثِمِ سَيِّئَاتِي وَمِنْ ذِي بَحْمٍ
 كُنْتُ أَخَشِّمُ مِنْهُ فِي سَهَرٍ إِلَى كَرَاتِقٍ بِمَا مَرَّ رَّبِّ فِي السَّرْعِ عَلَى وَرَقَتِ
 بِكَ رَبِّ فِي الْغَفْرِ لِي وَأَنْتَ أَوْلَى مِنْ وَثْقٍ بِهِ وَأَعْطَى مِنْ رُغْبٍ إِلَيْهِ
 وَارْتَفَ مِنْ اسْتَرْحِمَ فَأَرْحَمِي اللَّهُمَّ وَأَنْتَ حَذَرْتَنِي مَاءَ مَهِينًا مِنْ
 مُسَلِّبِ مُصَافِي الْعِظَامِ حَرَجِ الْمَسَالِكِ إِلَى رَحِمِ ضَيْقَةٍ سَرَطَا بِالْمُحْجِبِ
 تُصَرِّفُنِي حَالًا عَنْ حَالٍ حَتَّى أَنْتَهَيْتَ بِي إِلَى تَمَامِ الصُّورَةِ وَأَثَبْتَ فِي
 أَمْجَارِ كَمَا نَسْتَ فِي كِتَابِكَ نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ عِظَامًا
 ثُمَّ كُنُوتَ الْعِظَامِ لِحَاثِ أَنْتَ أَنْشَأْتَنِي خُلُقًا أَسْرَ كَمَا شِئْتَ حَتَّى إِذَا اخْتَصَمْتُ

إِلَى رِزْقِكَ وَلَمْ أَسْتَغْنِ عَنْ غِيَاثِ فَضْلِكَ جَعَلْتَ لِي قَوْلًا مِنْ فَضْلِ
 كَلَامِكَ وَشَرَابًا جَرِيئًا لِأَمْنِكَ الَّتِي أَسْكَنْتَنِي جَوْفَهَا وَأَوْدَعْنِي قَرَارَ
 رَحِمِهَا وَلَوْ تَكَلَّفْتُ بِأَرْبِ فِي ذَلِكَ الْحَالَاتِ إِلَى حَوْلِي أَوْ تَضَطَّرُّنِي إِلَى قُوَّتِي
 لَكَانَ الْحَوْلُ عَنِّي مُعْزِلًا وَلَكَانَتِ الْقُوَّةُ مِنِّي بَعِيدَةً فَتَدَوَّنِي بِفَضْلِكَ
 غِذَاءَ الْبَرِّ اللَّطِيفِ تَفَعَّلْ ذَلِكَ لِي نَطْوًا عَلَى إِلَيَّ غَايَتِي هَذِهِ لَا أَعْدُمُ
 بَرِّكَ وَلَا يُبْطِئُ لِي حُسْنُ صَنِيعِكَ وَلَا تَأْكُدْ مَعَ ذَلِكَ ثِقَتِي فَأَنْتَرِغْ
 لِي مَا مَوَاطِنِي لِي عِنْدَكَ قَدْ مَلَكَ الشَّيْطَانُ عَيْنَانِي فِي سُوءِ الظَّنِّ وَتَضَعِيفِ
 الْيَمِينِ فَأَنَا أَشْكُو سُوءَ مُجَاوِدَتِهِ لِي وَطَاعَةَ نَفْسِي لَهُ وَأَسْتَعِصِمُكَ
 مِنْ مَلَكَتِهِ وَأَنْتَرِغُ إِلَيْكَ فِي أَنْ تُسَهِّلَ لِي رِزْقِي سَبِيلًا فَالْكَرَامَةُ
 عَلَى ابْنِ دَانِكَ بِالْتَعَمُّمِ الْجَسَامِ وَالْمَاهِيَةِ الشُّكْرِ عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْإِنْفَا
 فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَهِّلْ عَلَيَّ رِزْقِي وَأَنْ تُقْنِعَنِي بِمُقْدِيرِكَ لِي
 وَأَنْ تُرْضِيَنِي بِمَحْضِنِي فِيمَا قَمَمْتُ لِي وَأَنْ تُجْعَلَ مَا ذَهَبَ مِنْ جِئَمِي وَعَمْرِي
 فِي سَبِيلِ طَاعَتِكَ إِنَّكَ خَيْرُ الزَّالِقِينَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَارٍ
 سَلَطَتْ بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاكَ وَتَوَعَّدَتْ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ
 وَمِنْ نَارٍ نُورُهَا ظُلْمَةٌ وَهَبَتْهَا أَلِيمٌ وَبَعِيدٌ هَاقَرِيْبٌ وَمِنْ نَارٍ يَأْكُلُ

بَعْضُهَا بَعْضٌ وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَمِنْ نَارٍ تَذُرُ الْعِظَامَ رَمِيمًا
وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَيْمًا وَمِنْ نَارٍ لَا تُبْقَى عَلَى مَنْ تَضَرَّعَ إِلَيْهَا وَلَا تُرْحَمُ مَنْ
اسْتَغْفَرَهَا وَلَا تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَنْ خُتْعِهَا وَاسْتَسْلِمَ إِلَيْهَا تَلَقَّى
سُكَّانَهَا بِأَحْرَمٍ مَالِدِيهَا مِنْ أَيْمِ النُّكَالِ وَشَدِيدِ الْوَبَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
عَقَارِهَا الْفَافِرَةِ أَفْوَاهُهَا وَحَيَاتِهَا الضَّالِقَةِ بِأَنْبِيَائها وَشَرَاهَا الدِّمِ
بِقَطْعِ أَمْعَاءِ وَأَفْتَدَى سُكَّانَهَا وَبَرَّعَ قُلُوبَهُمْ وَاسْتَهْدَيْتَ بِمَا بَاعَدَ
مِنْهَا وَآخَرْتَهُمَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْزِ مِنْهَا بِفَضْلِ رَحْمَتِكَ
وَاقْلِبْ عَثْرَاتِي بِحُسْنِ إِفَالَتِكَ وَلَا تَخْذُلْنِي يَا خَيْرَ الْخَيْرِينَ إِنَّكَ تَعْلَمُ
الْكُرْهِيَّةَ وَتُعْطِي الْحَسَنَةَ وَتَقْعَلُ مَا رِيدُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ
صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ إِذَا ذَكَرَ الْأَبْرَارُ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ
وَالنَّهَارُ صَلَوةً لَا يَنْقُطِعُ مَدَدُهَا وَلَا يَنْصُصُ عِنْدُهَا صَلَوةٌ تُشْعِنُ أَهْلَ الْهَوَا
وَتَمَلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ صَلِّ اللَّهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَرْضَى وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَإِلَيْهِ بَعْدَ الرِّضَا صَلَوةً لِأَحَدِهَا

وَلَا مُنْتَهَى بِالْأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين (١)

الحمد لله غافر الذنب لمن اعترف له بذنبه، قابل التوب ممن تاب إليه قبل
الحسرة على التفريط في جنبه، والصلاة والسلام على نبيه الذي أرسله رحمة للعالمين،
كرماً منه وجوداً، المنزل عليه «وَمَنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ
رَبُّكَ مقاماً محموداً» (٢)، وعلى آله الذين جعلهم «بصائر للناس وهدى ورخصة لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ» (٣)، والذين «كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ» (٤).

وبعد: فهذه الروضة الثانية والثلاثون من رياض السالكين، تتضمن شرح
الدعاء الثاني والثلاثين، من صحيفة سيد العابدين، صلى الله عليه وعلى آبائه
وأبنائه الطاهرين، إملأء راجي فضل ربه السني، علي بن أحمد الحسيني الحسيني،
كان الله تعالى لها ولياً، وجعل لها لسان صدق علياً.

(١) «ألف» وبه ثقتي.

(٢) سورة الاسراء: الآية ٧٩.

(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٠.

(٤) سورة الذاريات: الآيات ١٧ و ١٨.

شرح الدعاء الثاني والثلاثين

وكان من دعائه عليه السّلام -بعد الفراغ من صلاة الليل- لنفسه في الاعتراف بذنبه.



صلاة الليل: تطلق في الأحاديث تارة على الركعات الثماني، وأخرى على الإحدى عشرة بإضافة الشفع والوتر، وأخرى على الثلاث عشرة بإضافة ركعتي الفجر. وعلى هذا فيُحتمل قراءة الدعاء بعد الثماني، وبعد الإحدى عشرة، وبعد الثلاث عشرة. فلو نذر قراءته، أو قراءة غيره بعد صلاة الليل، برئت ذمته بعد كل منها ما لم يقصد معيّنًا.

وقد أورده شيخنا البهائي رحمه الله بعد ركعتي الفجر في المفتاح، تبعاً لشيخ الطائفة في المصباح (١)، فقال: وينبغي أن تدعوبعد فراغك من صلاة الليل، أعني الثلاث عشرة ركعة، بما كان يدعوبه سيد العابدين عليه السّلام، وهو من أدعية الصحيفة، وأورد الدعاء (٢).

وذكره الكفعمي بعد صلاة الوتر (٣).

(١) مصباح المتهجد: ص ١٦٥.

(٢) مفتاح الفلاح: ص ٢٦٩.

(٣) مصباح الكفعمي: ص ٥٥.

قال صلوات الله وسلامه عليه:

اللَّهُمَّ يَا ذَا الْمُلْكِ الْمُتَابِدَ بِالْخُلُودِ وَالسُّلْطَانَ، الْمُمْتَنِعَ بِلا جُنُودٍ
وَلَا أَعْوَانٍ، وَالْعِزَّ الْبَاقِي عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ وَخَوَالِي الْأَعْوَامِ، وَمَوَاضِي
الْأَزْمَانِ وَالْأَيَّامِ.

وقد أجمع علماءنا رضوان الله عليهم على أنَّ أول وقت صلاة الليل انتصاف
الليل، وأنها كلما قربت من الفجر الثاني كانت أفضل. فإن طلع الفجر، وقد تلبس
بأربع منها أتمها مخففة بالحمد أداءً. والمشهور تجويز تقديمها على الانتصاف لذي
العدر، وقضاؤها أفضل من تقديمها.

واعترف بذنبه اعترافاً: أقرب، وقد تقدم الكلام على توجيه اعتراف المعصومين
عليهم السلام بالذنوب مستوفى، فليرجع إليه .

«الميم»: في «اللَّهُمَّ» عوض من «يا» ولذلك لا يجتمعان إلا شاذاً، قياساً
واستعمالاً، كأنهم لما أرادوا أن يكون نداؤه تعالى متميزاً عن نداء عباده بأسمائهم
حذفوا حرف النداء، وعوضوا منه الميم، وشددت لأنها عوض من حرفين، وقد مر
الكلام عليها مستوفى.

«وذا الملك»: صاحبه. لكن ذو تقتضي تعظيم ما اضيفت إليه والموصوف بها،
بخلاف صاحب فيها.

قال الخليل رحمه الله: وزن ذو «فعل» بالسكون (١).

والصحيح: أنَّ وزنه «فَعَل» بفتح الفاء والعين، بدليل مؤنثه وهو ذات،
وأصلها ذوات، كنواة لقولهم في مشتاتها ذواتا، فحذفت العين في ذات لكثرة
الاستعمال، ولو كانت ساكنة العين لكانت «ذيه» كطيء. واللام محذوفة في جميع
متصرفات «ذو» إلا في ذوات وذواتا، ولامه ياء (٢)، لأنَّ عينه واو، بدليل ذواتا

(٢) «ألف» تا.

(١) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٢٩٨.

وذوات، وباب طويت أكثر من باب القوة، والحمل على الأغلب أولى.

والمُلك : - بالضم - يطلق على الولاية العامة على الخلق - ويُعبر عنه بالسلطنة - وعلى المملكة. ومملكته تعالى عبارة عن الموجودات كلها، وهو صاحبها ومالكها.

قال الغزالي: الموجودات كلها مملكة واحدة له تعالى، وهو صاحبها ومالكها. وإنما كانت الموجودات كلها مملكة واحدة، لأنها مرتبطة بعضها ببعض، فإنها وإن كانت كثيرة من وجه فلها وحدة. ومثالها بدن الإنسان، فإنه مملكة حقيقة الإنسان، وهي أعضاء كثيرة مختلفة، ولكنها كالمتعاونة على تحقيق غرض مُدبر واحد. فذلك العالم كله كشخص واحد، وأجزاء العالم كأعضائه، وهي متعاونة على مقصود واحد، وهو إتمام غاية الخير الممكن وجوده على ما اقتضاه الجود الإلهي، ولأجل انتظامها على ترتيب منسق، وارتباطها رابطة واحدة كانت مملكة واحدة، والله تعالى صاحبها ومالكها (١). انتهى.

والتأبّد: اسم فاعل من تأبّد الشيء تأبّداً: بقي على الأبد، وهو استمرار الوجود في أزمنة مقدّرة، غير متناهية في المستقبل. وفي رواية «التأبّد» - بفتح الباء - كأنه اسم مفعول من تأبّده تأبّداً، بمعنى أبّده تأبيداً.

قال الفارابي: من وجوه باب تفعل ما يكون داخلاً على التفعيل، كالتقسّم بمعنى التقسيم، والتقطع بمعنى التقطيع، قال الله تعالى «فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ» (٢).

وفي الصحاح: تقسمهم الدهر فتقسموا: أي فرقهم ففرقوا، والتقسيم التفريق (٣). انتهى.

وما وقع في بعض الحواشي من أنه بالفتح، اسم مكان، أي موضع الأبد والأبدية، وموضوع الدوام والسرمدية، فلا يخفى ما فيه.

والخلود: دوام البقاء. يقال: خلد الشيء خلوداً - من باب قعد -.

(١) لا يوجد لدينا كتابه. (٢) ديوان الأدب: ج ٢: ص ٤٦٦. (٣) الصحاح: ج ٥ ص ٢٠١١.

قال الزمخشري: الخلد: الثبات الدائم، والبقاء اللازم الذي لا ينقطع. قال الله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ، أَلْإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ» (١) إنتهى.

وهذا المعنى هو المراد هنا. وقيل: هو في الأصل الثبات المديد دام أو لم يدم، وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى.

والباء للملابسة، أي ملتبساً بالخلود، وتسمى باء الحال، فتكون ظرفاً مستقراً، ويحتمل أن تكون متعلقة بالمتأبد، فتكون ظرفاً لغوياً.

قال صاحب اللباب: لا مانع عندي من جعل الباء لغوياً في نحو: اشترت الفرس بسرجه، فتعلق الباء فيه بـ «اشترت»، كما في كتبت بالقلم، فإن وجوه التعلق مختلفة (٢). إنتهى.

فإن قلت: ما المراد بالملك المتأبد بالخلود؟ أمعنى السلطنة أم معنى المملكة؟ قلت: كل من المعنيين محتمل. فإن حملناه على معنى السلطنة، فوجه اتصافها بالخلود أن سلطنته تعالى بعلمه وقدرته على الممكنات عند أصحاب العصمة عليهم السلام سواء أوجد الممكنات أم لا، فهي لم تزل ولا تزال. وإن حملناه على معنى المملكة، فخلودها باعتبار أنه تعالى لما لم يكن زماناً ولا زمانياً، ولا مكاناً ولا مكانياً، ولا امتداد فيه، كانت نسبته إلى ملكه - وهو الموجودات العينية قبل إنشائها، وحال إنشائها، وبعد فنائها - نسبة واحدة، لا تقدم ولا تأخر فيها، بل كلها حاضرة عنده، لا باعتبار أنها كانت في الأزل، أو تكون معه فيما لا يزال، لبطلان ذلك، بل باعتبار أنه لا يجري فيه زمان وأحكامه، وأن نسبته إلى الأزل والأبد والوسط واحدة. فالعقل الصحيح إذا تجرد عن شبهات الأوهام، ولو احق الزمان، ولاحظ أنه لا امتداد في قدس وجود الحق يحكم حكماً جازماً بأنه تعالى لا يخلو من الملك قبل إنشائه وبعد فنائه. هكذا قرره بعض المحققين من أصحابنا المتأخرين، في

بيان قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه في خطبته الطالوتية «ولا كان خلواً عن الملك قبل إنشائه، ولا يكون خلواً منه بعد ذهابه» (١).

ولبعض أرباب العرفان من أصحابنا تقرير آخر في بيان ذلك، فإنه قال: بيان ذلك وتحقيقه: أن المخلوقات - وإن لم تكن موجودة في الأزل لأنفسها، وبقياس بعضها إلى بعض على أن يكون الأزل ظرفاً لوجوداتها كذلك، إلا أنها - موجودة في الأزل لله سبحانه، وجوداً جمعياً وحدانياً غير متغير، بمعنى أن وجوداتها اللايزالية الحادثة ثابتة لله سبحانه في الأزل كذلك. وهذا كما أن الموجودات الذهنية موجودة في الخارج إذا قيدت بقيامها بالذهن، وإذا أطلقت من هذا القيد فلا وجود لها إلا في الذهن. فالأزل يسع القديم والحادث، والأزمنة، وما فيها وما خرج عنها، وليس الأزل كالزمان وأجزائه محصوراً مضيقاً، يغيب بعضه عن بعض، ويتقدم جزء ويتأخر آخر، فإن الحصر والضيق والعيبة من خواص الزمان والمكان، وما يتعلق بها.

والأزل: عبارة عن اللازمان السابق على الزمان سبقاً غير زماني، وليس بين الله سبحانه وبين العالم بُعد مقدر؛ لأنه إن كان موجوداً يكون من العالم، وإلا لم يكن شيئاً. ولا ينسب أحدهما إلى الآخر من حيث الزمان بقبليّة ولا بعديّة ولا معيّة، لانتفاء الزمان عن الحق، وعن ابتداء العالم. فسقط السؤال بمتي عن العالم، كما هو ساقط عن وجود الحق، لأن متى سؤال عن الزمان، ولا زمان قبل العالم. فليس إلا وجود بحث خالص ليس من العدم - وهو وجود الحق -، ووجود من العدم - وهو وجود العالم -، فالعالم حادث في غير زمان.

وإنما يتعسر فهم ذلك على الأكثرين، لتوهمهم الأزل جزءاً من الزمان بتقدم سائر الأجزاء، وإن لم يسموه بالزمان، فإنهم أثبتوا له معناه، وتوهموا أن الله سبحانه

فيه، ولا موجود فيه سواه، ثم أخذ يوجد الأشياء شيئاً فشيئاً في أجزاء أخر منه. وهذا توهم باطل، وأمرٌ محال، فإن الله عز وجل ليس في زمان، ولا في مكان، بل هو محيط بهما، وبما فيهما، وما معهما، وما تقدمهما. قال: وتحقيق المقام يقتضي بسطاً من الكلام لا تسعه العقول المشوبة بالأوهام، ونحن نشير إلى لمعة منه لمن كان من أهله، فنقول:

ليُعلم أن نسبة ذاته سبحانه إلى مخلوقاته تمتنع أن تختلف بالمعية واللامعية، وإلا فتكون بالفعل مع بعض، وبالقوة مع آخرين، فتتركب ذاته سبحانه من جهتي فعل وقوة، وتغير صفاته حسب تغير المتجددات المتعاقبات، تعالى عن ذلك. بل نسبة ذاته التي هي فعلية صرفة، وغناء محض من حيث الوجوه إلى الجميع - وإن كان من الحوادث الزمانية - نسبة واحدة، ومعية قيمية ثابتة، غير زمانية، ولا متغيرة أصلاً، والكل بغناؤه بقدر استعداداتها مستغنيات، كل في وقته ومحلّه، وعلى حسب طاقته، وإنما فقرها وفقدها ونقصها بالقياس إلى ذواتها، وقوابل ذواتها، وليس هناك إمكان وقوة البتة. فالمكان والمكانيات بأسرها بالنسبة إلى الله سبحانه كنقطة واحدة في معية الوجود «والسّموات مطويات بيمينه» (١)، والزمان والزمانيات بآزائها وآبادها كأن واحد عنده في ذلك، جف القلم بما هو كائن، ما من نسمة كائنة إلا هي كائنة، والموجودات كلّها، شهادياتها وغيبياتها، كموجود واحد في الفيضان عنه، «مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً» (٢).

وإنما التقدّم والتأخر، والتجدد والتصرّم، والحضور والغيبية، في هذه كلّها بقياس بعضها إلى بعض، وفي مدارك المحبوسين في مطمورة الزمان، المسجونين في سجن المكان ولاغير، وإن كان هذا ممّا تستغربه الأوهام، ويشمئز منه قاصر الأفهام.

وأما قوله تعالى: «كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» (١) فهو كما قاله بعض أهل العلم: إنها شؤون يبدئها، لا شؤون يبتدئها. ولعل من لم يفهم بعض هذه المعاني يضطرب فيصول، ويرجع فيقول: كيف يكون وجود الحادث في الأزل؟ أم كيف يكون المتغير في نفسه ثابتاً عند ربه؟ أم كيف يكون الأمر المتكرر المتفرق وحدائياً جمعياً؟ (٢)، أم كيف يكون الأمر الممتد - أعني الزمان - واقعاً في غير الممتد - أعني اللازمان - مع التقابل الظاهر بين هذه الأمور؟

فلنمثل له بمثال حبتي يكسر سورة استبعاده، فإن مثل هذا المعترض لم يتجاوز بُعد درجة الحس والمحسوس، فليأخذ شيئاً ممتداً كحبل أو خشب مختلف الأجزاء في اللون، ثم ليبرزه في محاذاة غملة أو نحوها مما تضيق حدقته عن الإحاطة بجميع ذلك الامتداد، فإن تلك الألوان المختلفة متعاقبة في الحضور لديها، تظهر لها شيئاً فشيئاً، واحداً بعد آخر، لضيق نظرها، ومتساوية في الحضور لديه، يراها كلها دفعة، لقوة إحاطة نظره، وسعة حدقته «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ» (٣). إنتهى كلامه.

ووقع في بعض النسخ «المتأبد» بالنصب على أنه نعت للمضاف، قال بعضهم: وعلى هذا فينبغي أن يكون قوله: «المتنع» بالنصب، وليس بلازم، بل جرّه على أنه صفة للسلطان المجرور بالعطف، على الملك المجرور بالإضافة.

والسلطان: كالمملك يطلق على الولاية، وعلى المملكة.

وفي القاموس: السلطان: قدرة الملك (٤).

والمتنع: القوي في نفسه. من امتنع إذا منع نفسه وحى جانبه.

والجنود: جمع جُند، وهو العسكر والأنصار.

والأعوان: جمع عون - بالفتح - وهو الظهير والمعين على الأمر.

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٩.

(٢) سورة يوسف: الآية ٧٦.

(٣) «الف» جمعاً.

(٤) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٣٦٥.

وفي محكم اللغة: الظهير الواحد والمثنى والجمع والمؤنث فيه سواء، وقد حُكي في تكسيره: أعوان (١).

وفي الأساس: هؤلاء عونك، وأعوانك، وهذه عونك (٢).

«ولا» من قوله: «ولا أعوان» لدفع توهم المعية، ويستونها زائدة.

قال ابن هشام: وليست بزائدة البتة، ألا ترى أنه إذا قيل: ماجاءني زيد وعمرو، احتمل أن يكون المراد نفي مجيء كل منهما على كل حال، وأن يراد نفي اجتماعهما في وقت المجيء. فإذا جيء بـ«لا» صار الكلام نصاً في المعنى الأول (٣).

ووصف سلطانه تعالى بالامتناع بـ«لا» أعوان، تنزيه له عن الاستعانة بالغير، إذ كان ذلك من لوازم الضعف والعجز والنقصان. وإنما يحتاج إلى الجنود والأعوان ذوو العجز والنقصان، في ملكه الذي لا يستطيع أن يمتنع بنفسه، دون الاستعانة بغيره. وهو سبحانه المنزه عن الضعف والعجز، والغني المطلق في كل شيء، عن كل شيء، والغرض تنزيهه تعالى عن صفات المخلوقين، وخواص المحدثين.

والعز: خلاف الذل والغلبة والرفعة والامتناع. ورجل عزيز: منيع لا يغلب ولا يقهر.

وبقي الشيء - من باب رضي - بقاء - بالمد - فهو باق لم ينفد، ولم يغن. و«على» بمعنى مع نحو: «وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ» أي: مع ظلمهم.

ومرّيم مروراً: ذهب أي الباقي مع ذهاب الدهور وانقضائها، وهي جمع دهر،

(١) محكم اللغة: ج ٢ ص ٢٦٤ وفيه: [الظهر].

(٢) أساس البلاغة: ص ٤٤٠.

(٣) مغني اللبيب: ص ٣٢٢.

بمعنى الزمان الطويل. وجمعه باعتبار أجزائه التي كل واحد منها زمان.
قال الفارسي: الدهر: زمان من ليل ونهار، وليس بينهما فرق، إلا أن في الدهر
أزمنة كثيرة.

وقال ابن السيد: الدهر مدة الأشياء الساكنة، والزمن مدة الأشياء
المتحركة (١).

ويقال: الزمن مدة الأشياء المحسوسة، والدهر مدة الأشياء المعقولة.
وخوالي الأعوام: مواضعها، جمع خالية، من خلى بمعنى مضى. ومنه قوله تعالى:
«بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» (٢)، وإضافتها إلى الأعوام من إضافة الصفة إلى
الموصوف.

والأعوام: السنون، جمع عام. وفرق بعضهم بين العام والسنة، وقد تقدم ذكره.
والأزمان: جمع زمن، كسبب وأستباب، وهو اسم لقليل الوقت وكثيره،
كالزمان.

وقال الحكماء: هو مقدار حركة الفلك الأعظم. وهو ينقسم إلى الأعوام والشهور
والأسابيع والأيام والساعات والدقائق.

والأيام: جمع يوم، أصله: أيوم، كعون وأعوان، قلبت الواو ياء، وأدغمت فيها
الياء. وهو جزء من الزمان، أوله طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

وبقاء عزه تعالى: عبارة عن بقاء قدرته وغلبته على الممكنات، وذلك عين ذاته
سبحانه، فاستحال أن يسبقه عدم، أو يلحقه انقطاع، بل هو باقي أزلاً وأبداً، وإن
مرت الدهور والأعوام، ومضت الأزمان والأيام؛ إذ لا غاية له من الزمان ينتهي إليها
ولامدة مضروبة منه يقف عليها، كما يكون للزمانيات من زمانها، لأن الدهور

(١) لا يوجد لدينا كتابه.

(٢) سورة الحاقة: الآية ٢٤.

والأزمان، والأعوام والأيام من جملة مخلوقاته. ووجوده تعالى وإن كان مساوياً لوجود الزمان، بمعنى أنه معه في الوجود، إذ كان تعالى هو موجدته وخالقه، إلا أن مساوكة الزمان لا تقتضي الكون في الزمان كالعالم فإنّه مع الخردلة، وليس في الخردلة. وإذا كان تعالى ليس في الزمان، لم تكن له غاية منه يقف عندها، فثبت أنّه تعالى باقٍ دائم على مرّ الدهور والأزمان.

ولما كان البقاء لغة أعم من الدوام، الذي هو استمرار الوجود بلا انقطاع، قيد عليه السلام الباقي بقوله: «على مرّ الدهور» إلى آخره نصّاً على أن المراد بالباقي في صفته تعالى هو بمعنى الدائم، ولذلك قال بعضهم: وصفه تعالى بالباقي معناه أنّه الذي لا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال إلى آخر. انتهى.

وتضمن مع ذلك الإشارة إلى تنزهه تعالى عما يلحق الزمانيات من التغير والبلى، كما قال جده سيّد الأوصياء عليه السلام: لا تبليه الليالي والأيام، ولا يغيّره الضياء والظلام (١)، وذلك لأنّه تعالى ليس بزمنيّ يدخل تحت تصرّف (٢) الزمان حتى يبليه أو يغيّره، بخلاف غيره من الممكنات الزمانيّة، التي مرّ الدهور والأزمان من الأسباب المعدّة لتغيّرها وبلاها، كما قال الشاعر:

إنّ الجديدين إذا ما استوليا على جديدي أدنياه لليلي (٣)
وقال الآخر:

أفنى الشباب الذي أبليت جدته كَرُّ الجديدين من آتٍ ومنطلق (٤)
وقال الآخر:

(١) نهج البلاغة: ص ٢٧٤ الخطب ١٨٦.

(٢) «ألف» تصرّف.

(٣) «ألف» أوتياه.

(٤) لم نعر عليه.

عَزَّ سُلْطَانُكَ عِزًّا لَّا حَدَّ لَهُ بِأَوَّلِيَّةٍ، وَلَا مُنْتَهَى لَهُ بِآخِرِيَّةٍ، وَاسْتَغْلَى

مَنْ عَاشَ أَخْلَقْتَ الْآيَامَ جَدَّتُهُ وَخَانَهُ ثِقَاتَهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ (١)
ونسبة ذلك إلى الزمان، وإسناده إليه إنما هو جري على ما في أوهام العرب،
وإن كان الفاعل هو الله تعالى وإنما للزمان الإعداد.

وقد ينسبون ذلك إلى الشمس، كما قال:

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تُمسي (٢)
وقد ينسب إلى القمرين كما وقع في خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام
«والشمس والقمر دائبان، يُبليان كلَّ جديد، ويُقرَّبان كلَّ بعيد» (٣).
وذلك لكون حركاتهما من الأسباب المعدَّة لحدوث الحوادث في هذا العالم
وتغيراته، والله أعلم.



مرکز تحقیق و تبصیر علوم اسلامی

قال جدنا العلامة أستاذ البشر السيد غياث الدين منصور قدس الله سره في
تذكرته: الواجب بالذات ممتنع العدم دائماً، لأنه واجب الوجود دائماً. وكلَّ واجب
الوجود دائماً ممتنع العدم دائماً، لأنَّ كلَّ ما كان واجب الوجود لذاته في وقت فهو
واجب الوجود في جميع الأوقات أزلاً وأبداً مادام الذات، لأنَّ الواجب بالذات
ما يكون مجرد ذاته كافياً في كونه واجب الوجود، وكلَّ ما كان مجرد ذاته كافياً في كونه
واجباً وجب وجوده في كلِّ وقت، إذ لو وجد في وقت دون وقتٍ آخر لزم الترجيح
بلا مُرجح، أو الوقوع بسبب. انتهى هـ.

العِزُّ: الرفعة والغلبة والإمتناع.

(١) لم نعر عليه.

(٢) شرح شذور الذهب: ص ٩٨، الشاهد: ٤١.

(٣) نهج البلاغة: ص ١٢٣، الخطب ٩٠.

مُلْكُكَ غُلُوءًا سَقَطَتْ الْأَشْيَاءُ دُونَ بُلُوغِ أَمْدِهِ، وَلَا يَبْلُغُ أَذْنَى مَا اسْتَأْثَرَتْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ أَقْصَى نَعْتِ النَّاعِيَتَيْنِ.

والحد: مصدر حد الشيء حداً، إذا ميزه بغاية ينتهي إليها.
والمراد بالأولية والآخرية: الابتداء والانهاء، فإن ياء النسبة إذا لحقت آخر الاسم، وبعدها تاء التأنيث أفادت معنى المصدر، نحو الانسانية.
الباء: للملابسة في الموضعين، أي: لا حد له ملتبساً بأولية، ولا منتهى له ملتبساً بآخرية.

والمعنى: أنه لا أول له، هو مبدؤه، ولا آخر له يقف عنده، وينتهي إليه، بل هو دائم سرمدي؛ لأنه ممتنع العدم دائماً كما عرفت. وكل ما امتنع عدمه كان سرمدياً ضرورة، أي لا أول له ولا آخر.
وعز سلطانه - جل شأنه - عبارة عن تمام قدرته الباهرة، وكمال غلبته القاهرة، وذلك عين ذاته المقدسة، ولذلك وصفه بالسرمديّة.

واستعلى الشيء علا، أي ارتفع. فالاستفعال هنا بمعنى الفعل.
وعلوا: مصدر جار على غير الفعل، فهو نائب عن «استعلاء»، نحو: «وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا» (١) و «تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» (٢).
واستعلاء ملكه تعالى: عبارة عن عظمته، باعتبار كمال اقتداره، وتمام استيلائه على مخلوقاته.

ولما كانت ذاته المقدسة هي مبدء كل موجود حسّي وعقلي، وعلته التامة المطلقة التي لا يتصور فيها نقصان بوجه، وكان أعلى مراتب الكمال العقلي هو مرتبة العلية كان المراد بعلوه تعالى العلو العقلي المطلق، بمعنى أنه لارتبة فوق رتبته. فكانت مرتبة ملكه واقتداره، الذي هو عين ذاته المقدسة، أعلى المراتب العقلية مطلقاً، ولها الفوق المطلق في الوجود العاري عن الإضافة إلى شيء، وعن إمكان أن

يكون في مرتبته أو فوقها شيء، وذلك معنى استعلاء ملكه علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمدّه، لتفردّه في العلو المطلق، وفواته لكل شيء غيره أن يلحقه فيه. فهو في أوج الكمال الأعلى وكل شيء سواه في حضيض النقصان الذاتي، بذلك الحاجة وخضوع الافتقار.

وسقط الشيء سقوطاً - من باب قعد - : وقع من أعلى إلى أسفل.

و«دون»: نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية. وقد سبق الكلام عليه مستوفى. والأمد: الغاية. وسقوط الأشياء دون بلوغ أمدّه، أي: قبل الوصول إلى غاية علو ملكه، عبارة عن عجزها وقصورها عن إدراك ما لقدرته من التمام والكمال الذي لانهاية له، حتى لو ارتفعت لتدرك مُنقطع علو قدرته لسقطت دونه، ووقعت قبل الوصول إليه. وهذا من باب نفي الشيء بنفي لازمه، أي: لا أمد له ولا منقطع، فلا بلوغ ولا إدراك، كقوله: «ولا ترى الضب بها ينحجر» (١) أي: لا ضب ولا انحجار. وقد مرّ نظير ذلك في الروضة الأولى، وبسطنا الكلام على بيانه هناك، فليرجع إليه.

قوله عليه السلام «ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين» أدنى: أفعل تفضيل من دنى يدنو دنواً، بمعنى: قرب. واستأثرت بالشيء استبذ به، وخصّ به نفسه. والأقصى: الأبعد.

ونعته نعتاً - من باب نفع - : وصفه.

قال في محكم اللغة: نعته: وصفه، ورجلٌ ناعت: واصلف، من قوم نعاة، قال: أنعتُها إني من نعاتها. والنعت: مانعت به، والجمع نعوت، لا يكسر على غير ذلك (٢).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ج ١ ص ١١٥.

(٢) محكم اللغة: ج ٢ ص ٣٩.

وفي النهاية لابن الأثير: النعت وصف الشيء بما هو فيه من حسن. ولا يقال: في القبيح إلا أن يتكلف متكلف فيقول: نعت سوء، والوصف يقال: في الحسن والقبيح (١). انتهى.

والإشارة بذلك إلى عزّ سلطانه، وعلوّ ملكه -جلّ شأنه- وما فيه من معنى البعد، مع قرب العهد بالمشار إليه؛ للإيذان ببعده في مراتب العلوّ، وكونه في الغاية القصوى من العظمة والجلال، تنزيلاً لبعد درجته، ورفعة محله منزلة بعد المسافة. والمعنى: أنّ غاية نعت جميع الناعتين -لأنّ الجمع المحلّى باللام يفيد الاستغراق- لا تدرك أدنى ماخصّ به نفسه تعالى من عزّ السلطان، وعلوّ الملك، لأنّ الناعتين إن بالغوا في النعت، وانتهوا به إلى أقصى غاياته، لم ينعته بما هو نعت، ولم يصفوه بما هو حقّه، ولم ينالوا حقيقة وصفه على الوجه اللائق به، لأنّ لسان النعت والتعبير إنّما يخبر عما في الضمير، وكلّ ما هو في الضمير مخلوق مثله، كما دلّ عليه قول الباقر عليه السّلام «كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مصنوع مثلكم، مردود اليكم» (٢).

فإن قلت: قوله عليه السّلام «أدنى ما استأثرت به من ذلك» يقتضي أنّ عزّ سلطانه، وعلوّ ملكه، ينقسم إلى أدنى وأعلى، فيلزم أن يتطرّق إليه الزيادة والنقصان، ولا شيء من كمال الواجب الأوّل سبحانه كذلك، لتنزّهه عن النقصان والتفاوت بوجه ما.

قلت: هو إمّا على حذف مضاف، أي أدنى نعت ما استأثرت به، وإمّا على أنّ الدنوّ والعلوّ والتفضيل فيها إنّما هو بالإضافة إلى نظر الناظرين، ومعقولهم بحسب متعلّقات القدرة وآثارها، وإلا فعزّ السلطان، وعلوّ الملك، اللذان هما عبارة عن تمام الاقتدار، وكمال القدرة لا تفاوت فيه رأساً، وعلى ذلك جرى قوله تعالى:

ضَلَّتْ فِيكَ الصِّفَاتُ، وَتَفَسَّخَتْ دُونَكَ النُّعُوتُ، وَحَارَتْ فِي

«وَهُوَ الَّذِي يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» (١)، أي بالإضافة إلى نظركم وقياسكم من أن الإعادة أهون من الإبداء، وإلا فهما عليه سواء، لا تفاوت في قدرته القاهرة عليها حتى يقع التفضيل على حده. ومثله قوله تعالى: «لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ» (٢) أي بالإضافة إلى عقول البشر، وإذعانها بأنها خلق عظيم، لا يقادر (٣) قدره، وخلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين، وإلا فالخلقان عند قدرته عز وجل على حدٍ سواء.

إذا عرفت ذلك، فالمراد بـ «أدنى ما استأثرت به من ذلك» قدرته المتعلقة بأدنى مقدوراته عند بديهة العقل، كالبعوضة مثلاً، فإن في خلقها من العجائب والغرائب والإعجاز ما تقصر عن معرفة الطريق إليه أرباب الألباب، وتتخير في كَيْفِيَّتِهِ حكمة الحكماء، وتتناهى دون علم ذلك عقول العقلاء، وترجع خاسئةً حسيرةً، مُعْتَرِفَةً بالعجز عن الاطلاع على كنه صنعه في إنشائها، مبقرةً بالقصور عن نعت حقيقة إيجادها وتكوينها. وإلى هذا المعنى يشير قول أمير المؤمنين عليه السلام، في خطبة له: «سبحانك ما أعظم مانرى من خلقتك، وما أصغر عظيمة في جنب قدرتك، وما أهول مانرى من ملكوتك، وما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك» (٤).

أي بالقياس إلى ماتعتبره العقول من مقدوراته تعالى، وما يمكن في كمال قدرته من الممكنات الغير المتناهية. والله أعلم.

ضلَّ الرجل يضلّ - من باب ضرب - ضلّالاً وضلالةً: عدل عن الطريق، فلم يهتد إليه. والضلّال في الدين: العدو عن الحق. ولم يعطف الجملة على ما قبلها لما بينها من كمال الاتصال لكونها مؤكدة للأولى، ويحتمل الاستيناف البياني. وتفسّخت الفأرة في الماء: تقطعت. وتفسّخ الفصيل تحت الحمل الثقيل:

(١) سورة الروم: الآية ٢٧.

(٢) «ألف»: بقادر.

(٢) سورة غافر: الآية ٥٧.

(٤) نهج البلاغة: ص ١٥٨ - ١٥٩، الخطبة: ١٠٩.

كِبْرِيَاكَ لَطَائِفُ الْأَوْهَامِ، كَذَلِكَ أَنْتَ اللَّهُ، الْأَوَّلُ فِي أَوَّلِيَّتِكَ، وَ
عَلَى ذَلِكَ أَنْتَ دَائِمٌ لَا تَزُولُ.

ضعف وعجز.

والمعنى: أن الصفات لم تهتدِ إلى طريق ما يجب له، ويليق بشأنه تعالى، من
مراتب الكمال، لأن ذلك موقوف على تعقلها كما هي، وهو بعيد عن مدارك العقل
الواهي.

وكذلك النعوت تقطعت أو ضعفت وعجزت قبل الوصول إلى ما يستحقه جل
شأنه من المدح والثناء. فهي وإن بولغ فيها بالتعظيم والتكريم، كان له - عز شأنه -
وراء ذلك أطوار من استحقاق المدح والثناء تقف دونها بمراحل، كما قال سيد
المرسلين عليه الصلاة والسلام:

لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ (١).

وحار في أمره يحار حيرة من باب تعجب: لم يدر وجه الصواب.

والكبرياء: الشرف والعظمة، والتجبر كالكبر، وصاحبها متكبر. وهي صفة
مدح لله تعالى، وذم لغيره. وذلك أن حقيقة الكبر هيئة نفسانية، تنشأ من تصور
الإنسان في نفسه أمرين أحدهما: كونه أكمل من غيره، والثاني: كونه أعلى رتبة
ممن سواه.

ولما كان هذان الاعتباران إنما يصدقان حقيقة على الله سبحانه، لعلمه بكمال
ذاته المقدسة، وشرفه وعلوه على مخلوقاته كان الكبر والكبرياء له صفة مدح، ولغيره
صفة ذم. ولذلك ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله يقول الله عز وجل:
«الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منها ألقيته في جهنم» (٢).

والأوهام: جمع وهم. وهو قوة جسمانية، محلها آخر التجويف الأوسط من
الدماغ، من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات، كشجاعة زيد،

(١) سنن أبي داود: ج ١ ص ٢٣٢ ح ٨٧٩.

(٢) المحجة البيضاء: ج ٦ ص ٢١٣.

وسخاوة عمرو. وهذه القوة هي التي تحكم في الشاة بأن الذئب مهروب عنه، وأن الولد معطوف عليه. وهي قوة حاكمة على القوى الجسمانية كلها، مستخدمة إياها استخدام العقل القوي العقلية بأسرها.

وإضافة اللطائف إلى الأوهام؛ إتما من باب إضافة النوع إلى الجنس مثل: أكابر الناس، أي مالطف ودق من الأوهام، أو من باب إضافة الفعل إلى الفاعل، أي مالطف ودق من ملاحظة الأوهام ومداركها. وعلى كل تقدير، فالغرض تنزيه ساحة كبريائه تعالى عن مدارك الأوهام، إذ كانت الأوهام إنما تتعلق بالمعاني الجزئية، المتعلقة بالمحسوسات ذات الصور والأحياز والحال الجسمانية. فالوهم وإن تلطّف في إرسال طرفه إلى قبلة وجوب الوجود، وتعمّق في قلب حدقته نحو حرم ذي الكبرياء والجود، فلن يرجع إلّا حيراناً خاسئاً حسيراً، إذ كان غايته أن يرجع بمعنى جزئيّ يتعلّق بمحسوس لا بذاته في إدراكه من بعث المتخيلة على تشبيهه بمثال من الصور الجسمانية ليشبته، حتى أنّ الوهم إنما يدرك نفسه في مثال من صورة وحجم ومقدار. فأتى له إدراك ما ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا في جهة، وليس بجسم، ولا عرض وهو لا يثبت موجوداً بهذه الصفة، ولا يتصوره بل ينكره، لأنّ من شأنه إنكار ما لا يتصوره، ومن هنا كان أكثر الناس يرى ربّه في جهة ويشير إليه، متحيّزاً ذا مقدار وصورة، ولذلك وردت الكتب الإلهية، والنواميس الشرعية مشحونة بصفات التجسّم كالعين واليد والإصبع. والاستواء على العرش ونحو ذلك خطاباً للخلق بما تدركه أوهامهم، وتوطئناً لهم، وإيناساً، حتى أنّ الشارع لو أخذ في مبدء الأمر، يبيّن لهم أنّ الصانع ليس بجسم ولا عرض، ولا هو في مكان ولا زمان إلى غير ذلك من صفاته جلّ شأنه لا شئت نفار أكثرهم عن قبوله، وعظم إنكارهم له، لما علمت من أنّ الوهم في طبيعته لا يثبت هذا القسم من الموجودات بل ينكره.

والخطابات الشرعية وإن وردت بصفات التجسّم، إلّا أنّ الألفاظ الموهمة

لذلك لما كانت قابلة للتأويل محتملة له، كانت وافية بالمقاصد، إذ العامي المغمور في ظلمات الجهل يحمله على ظاهره، ويحصل بذلك تقيده عن تشتت اعتقاده، وذو البصيرة المترقّي عن تلك الدرجة يحمله على ما يحتمله عقله من التأويل، وكذلك حال من هو أعلى منه، والناس في ذلك على مراتب، فكان إيرادها حسناً وحكمةً.

قال بعض أصحابنا المحققين: ويمكن أن يراد بالأوهام النفس وقواها، لأنّ النفس في معرفة الصانع-جلّ شأنه-كالوهم، في أنّ ما أحاطت به ليس هو الصانع سبحانه.

ويمكن أن يقال: إنّ التنزيه عن إدراك الأوهام يستلزم التنزيه عن إدراك سائر القوى الباطنة، لأنّ الوهم أعم إدراكاً منها، لأنّه يدرك كلّ ما يدركه غيره من القوى الباطنة من غير عكس. *مركز تحقيق كميتر علوم رمزي*

والأولى: أن يكون المراد بالوهم الإدراك المتعلق بالقوة العقلية المتعلقة بالمعقولات، والقوة الوهميّة المتعلقة بالمحسوسات جميعاً، وقد شاع ذلك في الاستعمال، ودلّ عليه مضامين الأخبار دون الأخير فقط، وقد أوضحنا ذلك في الروضة الأولى، فليرجع إليه.

قوله عليه السّلام «كذلك أنت الأوّل في أوّليتك» إلى آخره كلام مستأنف للثناء عليه سبحانه بثبوت ما ذكر من المادح له جلّ شأنه، أزلاً وأبداً، لأنّ صفة القديم لا تكون إلّا قديمة، لأنّ القديم لا يحدث له شيء، ولا يزول عنه شيء، كما عرف ذلك في محله، وذلك إشارة إلى جميع ما ذكره عليه السّلام من الصفات والنوع، وما فيه من معنى البعد، للإشعار ببعد مرتبته في الشرف والعلو. والجار والمجرور في محل رفع على أنّه خبر، و«أنت» مبتدأ، والتقديم لإفادة القصر.

و«الله الأوّل» بيان على جهة المدح، كالبيت الحرام من قوله تعالى: «جعل

الله الكعبة البَيْتَ الْحَرَامَ» (١).

و«في أوليتك» حال، أي على نحو هذه الصفة أنت كائناً في أوليتك قبل وجود الممكنات، وليس ذلك طارئاً عليك، وحادثاً لك بعد أن لم يكن.

والأولية: عدم المسبوقية بالغير مع السابقية على الكل. والتشبيه بـ«كذلك» من باب تشبيه الشيء بنفسه في حالين، لأن الغرض بيان ثبوت ذلك له سبحانه أزلاً، كثبوته له حالاً.

وقوله عليه السلام «وعلى ذلك أنت» بيان لثبوته له أبداً، فأنت مبتدأ، وعلى ذلك خبر.

و«دائم» عطف بيان أو بدلي كأحد من «قُلْ هو الله أحد» (٢).

وجملة «لا تزول» نعت لدائم، يقتضي توكيده، كنسخة واحدة، لدفع توهم كون المراد بالدوام طول البقاء لاشتهار ذلك عرفاً، نحو قولهم: أدام الله عزك.

فإن قلت: قد ورد في كثير من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام نفي الأولية والآخرة عنه تعالى، كقول أمير المؤمنين عليه السلام: سبحانه الذي ليس له أول مبتدأ، ولا غاية منتهى (٣)، وكقول سيد العابدين عليه السلام فيما تقدم من هذا الدعاء «عزّ سلطانك عزّاً لا حدّ له بأولية»، فكيف أثبت له الأولية هنا؟

قلت: المراد بالأولية والآخرة المنفيتين (٤) عنه عزّ شأنه هما الزمانيتان، المعبر عنها بالابتداء والانتهاء، والمراد بالأولية والآخرة اللتين تثبتان له كونه قبل وجود الممكنات، وبقاؤه بعد فنائها، أو أنّ أوليته عبارة عن قدمه، وآخريته عن استحالة عدمه، فلا منافاة في إثباتها له، ونفيها عنه تعالى.

ومن العجيب ما وقع لبعض المعاصرين في إعراب هذه الجملة من الدعاء

(١) سورة المائدة: الآية ٩٧.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٣٤ - ١٣٥، ح ١.

(٣) سورة الإخلاص: الآية ١.

(٤) «ألف» المنفيتين.

وَأَنَا الْعَبْدُ الضَّعِيفُ عَمَلًا، الْجَسِيمُ أَمَلًا، خَرَجْتُ مِنْ يَدَي
أَسْبَابِ الْوُضُلَاتِ، إِلَّا مَا وَصَلَهُ رَحْمَتُكَ، وَتَقَطَّعَتْ عَنِّي عِصْمُ
الْأَمَالِ، إِلَّا مَا أَنَا مُعْتَصِمٌ بِهِ مِنْ عَفْوِكَ .

وتفسيرها، وعبارته:

قوله عليه السلام: «وكذلك» خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: ذلك كذلك؛
ليكون تأكيداً لجميع الجمل السابقة و«أنت» مبتدأ، و«الله» الخبر، و«الأول»
نعت، أو خبر ثانٍ و«في أوليتك» حال منه، أي ليست الأوليّة بالإضافة إلى شيء
كأوليّة غيرك، بل أوليتك ذاتية، أي: منسوبة إلى ذلك «وعلى ذلك» حال من
المبتدأ وهو «أنت» و«دائم» الخبر، و«لا تزول» خبر ثانٍ إنتهى بنقصه.
فليُنظر إلى هذا الإعراب في المعنى والإعراب، والله يقول الحق، وهو يهدي
السبيل .

«الواو» للاستئناف، لا عاطفة، كما توهمه بعضهم.

و«عملاً، وأملاً» تمييزان رافعان إجمال نسبة، محوّلان عن الفاعل، والأصل:
الضعيف عمله، الجسيم أمله فحول الإسناد إلى الضمير، ونصباً على التمييز بمبالغة
وتوكيداً، لأن ذكر الشيء مبهماً، ثم مفسراً أوقع من ذكره من أول الأمر مفسراً.
والعمل لغة: فعل الجارحة، كما أن العلم فعل القلب، وشرعاً: هو الفعل
الإنساني سواء كان بالقلب أو بالقالب. ولذلك روي عن النبي صلى الله عليه
 وآله أنه فسّر قوله تعالى: «لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (١) بقوله: أيكم أحسن
 عقلاً، وأورع عن (٢) محارم الله، وأسرع في طاعة الله تعالى (٣).

وضعف العمل قد يكون من جهة الكمية كقلة الحسنات، وقد يكون من جهة
الكيفية كعدم خلوصه من الشوائب، وضعفه من هذه الجهة أشدّ ضرراً من ضعفه

(١) سورة هود: الآية ٧.

(٣) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ٣٨١.

(٢) في نسخة «ألف» لم تكن واضحة ما أثبتناه هو الظاهر.

من الجهة الأولى، كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: «لَتَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» قال: ليس يعني أكثركم عملاً، ولكن أصوبكم عملاً، وإنما الإصابة خشية الله، والنية الصادقة (١).

وعن النبي صلى الله عليه وآله: أتممكم عقلاً وأشدكم لله خوفاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله، وإن كان أقلكم تطوعاً (٢).

وجسم جسامته مثل ضخيم ضخامة: عظم، فهو جسيم. وأصله في الجسم وهو الجسد، ثم استعمل في المعاني مجازاً.

قال في الأساس: ومن المجاز أمر جسيم، وهو من أجسام الأمور وجسيمات الخطوب (٣).

والأمل: الطمع والرجاء. وعرف بأنه ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها، والمراد به هنا الأمل لرحمة الله تعالى وعفوه ورضوانه. وفي هاتين الفقرتين إشارة إلى أمور:

أحدها: الإقرار بالتقصير في العمل، وهو من أشرف مقامات العبودية؛ لشرف مبدأه وثمرته.

أمّا مبدأه: فهو استشعار عظمة الله سبحانه وعزّ جلاله، فإن من أشعر قلبه عظمة ربه، وجلال كبريائه علم أن ليس أحداً - وإن اشتد في طلب مرضاة الله حرصه، وطال في العمل إجهاده - يبالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له، حتى أن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام - مع إتيانهم بما هو المطلوب من الإنسان على نهاية ما يتصور من القدرة والإمكان - اعترفوا بالتقصير، ونظروا إلى أعمالهم بعين التحقير. وفي الصحيح أن الكاظم عليه السلام قال لبعض ولده: يا بُنيّ عليك

(٣) أساس البلاغة: ص ٩٤.

(١) تفسير نور الثقلين: ج ٢ ص ٣٤٠.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠ ص ٣٢٢.

بالجدة، لا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله عز وجل وطاعته، فإن الله لا يعبد حقَّ عبادته (١).

وأما ثمرته: فنفي العجب الذي هو من المهلكات، كما قال عليه السلام: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه (٢)، وإثبات الدل والانكسار. فإن من عرف تقصير نفسه، وضعف عمله، كان في مقام الدل والحاجة والانكسار، ولا عبودية أشرف منها.

الثاني: استضعاف العمل تفادياً عن الاتكال عليه، والإخلاد إليه في التجارة والفوز بنسب الدرجات، بل الرجاء لفضل الله ورحمته، والوثوق بكرمه ومنته، هو التسبب الأقوى، والذريعة العظمى، كما جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: قال الله تبارك وتعالى: «لا يَتَكَلُّ العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لشواني، فإنهم لو اجتهدوا واتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي، كانوا متصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي، فيما يطلبون عندي من كرامتي، والنعيم في جناتي، ورفيع الدرجات العلى في جواربي، ولكن برحمتي فليثقوا، وفضلي فليرجوا، وإلى حسن الظن بي فليطمثوا، فإن رحمتي عند ذلك تدركهم، ومتي يبلغهم رضواني، ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإنني أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت» (٣).

الثالث: كون ضعف العمل لا يوجب ضعف الأمل، بل ينبغي لمن ضعف عمله أن يعظم في الله سبحانه أمله، وهذا أمر يشهد بإثباته العقل، إذ كان العبد عند إنارة العناية الإلهية بصيرته، يعلم استناد جميع الموجودات كليتها وجزئيتها إلى مدبر حكيم ورب رؤوف رحيم، فيظهر له من ذلك أن إيجاده له وأخذ العهد عليه

(١) الكافي: ج ٢ ص ٧٢ ح ١.

(٣) الأمالي للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٢١٥.

(٢) المحجة البيضاء: ج ٦ ص ٢٧٢.

بالطاعة والعبادة، ليس إلّا لينجذب إلى موطنه الأصلي، ومبدئه الأول بالتوحيد المحقق، والحمد المطلق، عن نار أججت، وجمعيم سُعرت، فلا ييأس من روح الله تعالى عند وقوع تقصير منه في أسباب ذلك الانجذاب، بل يكون برجائه أوثق، وقلبه بشمول العناية له أعلق، فإنه لا ييأس من روح الله الآ الذين عميت أبصار بصائرهم عن أسرار الله، فهم في طغيانهم يعمهون، وأولئك هم الخاسرون، كما قال سبحانه «ومن يقنط من رحمة ربه إلّا الضالّون» (١).

تنبيه

إعلم: أنّ الأمر المحبوب الذي تتوقّعه النفس، وتنتظره في المستقبل لابد وأن يكون لسبب، فإن كان توقّعه لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء والأمل صادق عليه، وإن كان سببه غير معلوم الوجود والانتفاء فاسم التمنيّ أصدق على توقّعه، وإن كان سببه معلوم الانتفاء فاسم الغرور والحمق أصدق على انتظاره. إذا عرفت ذلك فاعلم: أنّ أرباب العرفان قد علموا أنّ الدنيا مزرعة الآخرة، فالنفس هي الأرض، وبذرها حبّ المعارف الإلهية، وسائر أنواع الطاعات جارية مجرى إصلاح هذه الأرض، من تغليتها وتنقيتها وإعدادها للزراعة، وسياقة الماء إليها. والنفس المستغرقة بحبّ الدنيا والميل إليها كالأرض السبخة التي لا تقبل الزرع والإنبات، لمخالطة الأجزاء الملحية، ويوم القيامة يوم الحصاد، فلا حصاد إلّا من زرع، ولا زرع (٢) إلّا من بذر، وكما لا ينفع الزرع في أرض سبخة كذلك لا ينفع عمل مع خبث النفس، وسوء الأخلاق المنافية للإيمان، فينبغي أن يقاس عمل العبد ورجاؤه لرضوان الله بأمل صاحب الزرع ورجائه، والناس في ذلك على ثلاث درجات، سابق، ولاحق، ومُقصر:

(١) سورة الحجر: الآية ٥٦.

(٢) «ألف»: يزرع.

فالأول: من طيب أرضاً، وبذرهما في وقت الزراعة بذراً غير متعفن ولا متآكل، ثم أمدّه بالماء العذب وسائر ما يحتاج إليه في أوقاته، ثم نقاه وصانه عمّا يمنع نباته ويفسده من النباتات الحبيثة، ثم انتظر من فضل الله تعالى منع الآفات المفسدة له إلى تمام زرع، وبلوغ غايته، فذلك أمله ورجاؤه في محله، إذ كان في مظنة أن يفوز مقصوده (١) من ذلك الزرع. وهكذا حال العبد إذا بذر المعارف الإلهية في أرض نفسه في وقته، وأبانه، وهو مقتبل العمر، ومبدء التكليف، ودام على سقيه بالطاعات، واجتهد في طهارة نفسه عن شوائب الأخلاق الرديّة التي تمنع نماء العلم وزيادة الإيمان، وتوقع من فضل الله تعالى وكرمه أن يشبته على ذلك إلى زمان وصوله، وحصاد عمله، فذلك التوقع هو الأمل المحمود والرجاء الممدوح، وهو درجة السابقين.

والثاني: من بذر في أرضٍ طيبة كذلك، إلا أنه بذر في أخريات الناس، ولم يبادر إليه في أول وقته، أو قصر في بعض أسبابه، ثم أخذ ينتظر ثمرة ذلك الزرع، ويرجو الله في سلامته له، فهو من جملة المؤملين والراجلين أيضاً. وكذلك العبد إذا ألقى بذر الإيمان في نفسه، لكنّه قصر في بعض أسبابه، إمّا ببطئه في البذر أو في السقي، إلى غير ذلك ممّا يوجب ضعفه، ثم أخذ ينتظر وقت الحصاد، ويتوقع من فضل الله تعالى أن يبارك له فيه، ويعتمد على أنه هو الرزاق ذو القوة المتين، فيصدق عليه أنه ذو أمل ورجاء أيضاً، إذ أكثر أسباب المطلوب التي من جهته حاصلة، وهذه درجة اللاحقين.

والثالث: من لم يحصل على بذر، أو بذر في أرض سبخة، أو ذات شاغل عن الإنبات، ثم أخذ يتوقع الحصاد، فتوقعه هو الحرق والغرور، ومثله حال العبد إذا لم يزرع من قواعد الإيمان في نفسه شيئاً أصلاً، أو زرع ولم يلتفت إلى سقيه بماء

الطاعة، ولا صيانته عن موجبات فساد، من شوك الأخلاق الرديّة، بل انهمك في طلب آفات الدنيا، ثمّ جعل ينتظر الفضل من الله، ويتوقع نيل الحُسنى لديه، فذلك الانتظار والتوقع غرورٌ وحمق، وليس بأمل في الحقيقة، وهذه درجة المقصرين.

فتبين: أنّ اسم الأمل والرجاء إنّما يصدق على توقّع ما حصل جميع أسبابه، أو أكثرها، الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلّا ما لا يدخل تحت اختياره، وهو فضل الله، بصرف القواطع والمفسدات.

فاحذر أن يغرّك الشيطان، ويثبّطك عن العمل، ويربك الحق والغرور في صورة الرجاء والأمل، فإنّ مَنْ هذه حاله، لا يأمن أن يكون من أهل الحسرة والندامة، في يوم القيامة يقول «يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي» ٥ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا ٥ (١)، وفي المعنى ما قيل من

إذا أنت لم تزرع وعايشت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر وعن النبي صلى الله عليه وآله (الأحقق من اتبع نفسه هواها، وتمتني على الله (٢)).

وعن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن قوم يعملون بالمعاصي ويقولون: نرجو، فقال: هؤلاء قوم يترجّحون في الأماني، كذبوا، ليسوا براجين، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه (٣).

وفي رواية أولئك قومٌ ترجّحت بهم الأماني، من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف من شيء هرب منه (٤).

وإلى الأقسام الثلاثة المذكورة أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ساعٍ سريعٍ

(١) سورة الفجر: الآية ٢٤ - ٢٦.

(٢) إحياء علوم الدين: ج ٤ ص ١٤٣.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٨ ح ٥.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٨ ح ٦.

نجا، وطالب بطيء رجا، ومقصر في النار (١).

وإنما خصّ عليه السلام القسم الثاني بالرجاء، إذ كان كما علمت، عمدته . ضعف عمله، وقلة الأسباب من جهته.

وإليها الإشارة أيضاً بقوله تعالى: «فَإِنَّهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذَنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» (٢).

قوله عليه السلام: «خرجت من يدي أسباب الوصلات» جملة مستأنفة. والأسباب: جمع سبب، وهو كل شيء يتوصل به إلى أمر من الأمور، وأصله الحبل.

والوصلات: جمع وُصلة - بالضم - على وزن غرقة، يقال: بينها وصلة، أي: اتصال. والوصلة أيضاً ما يتوصل به إلى الشيء، يقال: هذا وصلة إلى كذا.

وفي القاموس: الوُصلة - بالضم - الاتصال، وكل ما اتصل بشيء فـا بينها وصلة، والجمع كصرد (٣).

قال بعض المترجمين: الموجود في نسخ الصحيفة الشريفة ضبط الوصلات - بالضميتين -. والظاهر من عبارة القاموس المذكورة فتح الصاد. إنتهى.

وهذا جهل منه بعلم الصرف، فقد تصّ علماء العربيّة، أنّ الاسم الثلاثي المؤنث إذا كان مضموم الفاء، ساكن العين، غير معتلها، ولا مُدغمها، ولم تكن لامه ياء، جاز في عينه الفتح للخفة، والضمّ للإتباع، والسكون في لغة تميم، سواء في ذلك صحيح الفاء ومعتلها، كغرفة وظلمة ووصلة ووكنة، قال امرؤ القيس:

• وقد اعتدى والطير في وكناتها • (٤)

(١) نهج البلاغة: ص ٥٨، الخطب ١٦.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٣) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٦٤.

(٤) شرح المعلقات السبعة للزوزني: ص ٣٩ - ٤٠.

قال الشارح أبو عبدالله الزوزني: الـوكنات: مواقع الطير، واحـدتها وكنة -بالضـم- ثم تجمع الـوكنة على الـوكنات -بضم الفاء والعين-، وعلى الـوكنات -بضم الفاء وفتح العين-، وعلى الـوكنات -بضم الفاء وسكون العين، وتكسر على الـوكن، وهكذا حكم فُعلة نحو ظلمة وظلمات وظلم (١). إنتهى بنصه. ومثله في الصحاح للجوهري (٢).

والاستثناء من قوله عليه السلام: «إلا ما وصله رحمتك» يجوز أن يكون متصلاً وهو الظاهر، فالموصول في محل نصب على الاستثناء، أي: إلا السبب الذي وصله رحمتك، فإنه لم يخرج من يدي. ويجوز أن يكون منقطعاً على أن «ما» مبتدأ، حذف خبره، فتكون الجملة في محل نصب على الاستثناء أي لكن ما وصله رحمتك لم يخرج من يدي.

نبه على ذلك ابن مالك في شواهد التوضيح حيث قال: حقُّ المُستثنى بـ«إلا» من كلام تام موجب أن ينصب، ولا يعرف أكثر المتأخرين فيه إلا التصب، وقد أغفلوا وروده مرفوعاً بالابتداء، ثابت الخبر ومحدوفة فن الأول قول أبي قتادة: أحرّموا كلّهم إلا أبوقتادة لم يحرم، فالأ بمعنى لكن، وأبوقتادة مبتدأ، ولم يحرم خبره. ومن الثاني: قوله عليه السلام: «كلّ أمّي معافى إلا المجاهرون» أي المجاهرون بالمعاصي لا يعافون (٣). إنتهى.

وفي نسخة ابن إدريس «إلا وصله رحمتك» بالنصب على أنه مستثنى متصل، والمراد: أنه قد فاتتني الأسباب التي يتوصل بها إلى السعادات الأخروية إلا السبب الذي هو رحمتك، فإنه لا يفوت من أحد.

قوله عليه السلام: «وتقطعت عني عصم الآمال» العَصَم: جمع عصمة. قال

(١) شرح المعلقات السبعة المزوزني: ص ٣٩ - ٤٠.

(٢) الصحاح: ج ٦ ص ٢٢١٥.

(٣) لم نعر عليه.

قَلَّ عِنْدِي مَا أُعْتَدُّ بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ، وَكَثُرَ عَلَيَّ مَا أُبُوءُ بِهِ مِنْ مَعْصِيَتِكَ، وَلَنْ يَضِيقَ عَلَيْكَ عَفْوُ عَنْ عَبْدِكَ وَإِنْ أَسَاءَ، فَأَعْفُ عَنِّي.

الفارابي في ديوان الأدب: العصمة: الحبل، قال الله تعالى «وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ» (١).

وفي الكشف: العصمة: ما يعتصم به من عقد وسبب (٢). انتهى.
وأصله من العَصَم، وهو السَمْع، يقال: عصمه الله، أي: منعه ووقاه، واعتصم بالله: امتنع. وإنما سمي الحبل ونحوه عصمة، لأنَّ المتمسك به يعتصم به من السقوط ونحوه.

وقوله: «إِلَّا مَا أَنَا مَعْتَصِمٌ بِهِ مِنْ عَفْوِكَ» أي: من رجاء عفوكم.
والكلام في الفقرتين استعارة، والغرض التبري من جميع الوسائل التي يتوصل بها إلى الله سبحانه من الطاعات والأعمال الصالحة، والتمسك بمحض رجاء رحمة الله تعالى وعفوه، إيداناً بعدم اتكاله واعتماده عليه السلام على شيء من ذلك سوى رحمة ربه، ورجاء عفوه عملاً بمقتضى الحديث القدسي المقدم ذكره. والله أعلم بمقاصد أوليائه.

قد يكون المراد بالقلّة ضدّ الكثرة، وقد يكون المراد بها العدم، فإنّهم كثيراً ما يعتبرون بالقلّة عن العدم، ومنه حديث «كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ يَقْلُ اللُّغُو» (٣)، أي لا يلغو أصلاً، وعليه حمل قوله تعالى: «فَقَلِيلًا مِمَّا يُؤْمِنُونَ» (٤)، أي لا إيمان لهم أصلاً، وهو المراد هنا؛ لدلالة ما قبله وما بعده عليه.

واعتمدت بالشيء - على افتعلت -: أدخلته في العدّ والحساب، فهو معتدّ به، محسوب غير ساقط.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ١٠٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٨.

(١) ديوان الأدب: ج ١ ص ٢٠١.

(٢) تفسير الكشف: ج ٤ ص ٥١٨.

وإنما قال: «كثر عليّ» ولم يقل: «عندي» كما قال في الفقرة الأولى؛ لأنّ ما يؤول به (١) من المعصية أمر يكرهه ويستثقله، فجاء به «على» إيذاناً بأنّه قد علاه وهبطه ثقله.

قال ابن جنّي: تُستعمل «على» في الأفعال الشاقة المستثقلة، من حيث كانت كلفاً ومشاقّ تخفض الإنسان وتضعفه وتعلوه وتتقرّعه (٢)، تقول: قد سرنا عشرأ، وبقيت علينا ليلتان، وكذلك يقال في الاعتداد على الإنسان بذنوبه، وقبح أفعاله (٣). انتهى.

وباء بذنبه يوء بوءاً: أي احتمله، وقيل: اعترف به، وقيل: ثقل به، وقيل: رجع به.

وقال الفارابي في ديوان الأدب: باء بئائمه: أي احتمله، وباءوا بغضب: أي رجعوا، وباء بحقه: أي أقر.

فإن قلت: كيف فصل قوله: «قلّ عندي ما أعتدّ به من طاعتك» ولم يعطفه على ما قبله؟

قلت: يحتمل أن يكون فصله للاستئناف على وجه التعليل، كأنه سئل: كيف خرجت من يدك أسباب الوصلات، وتقطعت عنك عصم الآمال؟ فقال: لأنّه قلّ عندي ما أعتدّ به من طاعتك، وكثر عليّ ما أبوء به من معصيتك، ويحتمل أن يكون فصله لأنّه بصدد تعداد أحواله.

قوله عليه السّلام: «ولن يضيق عليك عفوّ عن عبدك». الواو: عاطفة، أو للاستئناف، ولايتوهم أنّها للحال، فإنّ الجملة الحالية لا تصدر بدليل استقبال. و«لن» لنفي المستقبل كـ«لا»، غير أنّ النفي بها أبلغ من النفي بـ«لا»، فهي لتأكيد

(١) «ألف»: ما يؤول به.

(٢) «ألف»: تتقرّعه.

(٣) لسان العرب: ج ١٥ ص ٨٨ نقلاً عن ابن جنّي مع تقديم وتأخير.

النفي كما ذكره الزمخشري (١) وابن الحبتاز (٢). حتى قال بعضهم: إنَّ منعه مكابرة. وادعى الزمخشري أيضاً: أنها لتأبيد النفي (٣)، كقوله تعالى: «لَنْ يَخْلُقُوا دُبَابًا» (٤) «وَلَنْ تَفْعَلُوا» (٥)، ووافقه على ذلك ابن عطية.

وضاق عليه الأمر: شقّ عليه، كآته لم يجد فيه مقراً تطمئن إليه نفسه كمن لا يسعه مكانه. ومنه قولهم: ضاقت عليه الحيلة، فهو استعارة بالكناية قصد فيه إلى تشبيه العفو بالمكان في عدم الاتساع، وجعل إثبات الضيق تنبيهاً على ذلك، ولك جعله استعارة تبعية وتمثيلية كما تقدّم بيانه في نظيره.

وقوله «عن عبدك وإن أساء»، أصله عني وإن أسأت، لكنّه وضع الظاهر موضع المضمّر للاستعطاف؛ فإنّ في ذكر عبدك من استحقاق الرحمة، وترقب الشفقة والعطف ما ليس في لفظ عني، كقوله: «إلهي عبدك العاصي أتاكا».

قال السيّد الشريف: هو على ترك الحكاية عن النفس إلى المظهر، ليكون أدخل في الاستعطاف، فإنّ لفظ «العبد» فيه أدخل من الضمير خصوصاً إذا أضيف إلى المخاطب، انتهى.

وفي لفظ «عبدك» في عبارة الدعاء مع ما ذكر إيماء إلى أنّه سبحانه لا يضيق عليه عفو عمّن اتّصف بعبوديته تعالى، كائناً من كان، هو أو غيره، إظهاراً لسعة عفوّه جلّ شأنه.

قوله عليه السّلام: «وإن أساء» وإنّ هذه هي التسميّة بالوصليّة، وهي إن الشرطيّة. وما تقدّم من الكلام كالعوض عن جزائها، لدلالته عليه.

والواو للعطف على جملة شرط حالّة مخدوفة، والأصل: إن لم يسيء وإن أساء، كما تقول: آتيك إن لم تهجرني وإن هجرتني.

(٤) سورة الحج: الآية ٧٣.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٤.

(١) تفسير الكشاف: ج ١ ص ١٠٢ وج ٣ ص ١٧١.

(٢) مع الهوامع: ج ٢ ص ٤.

(٣) لم نعر عليه.

ومجوز في الجملة الشرطية أن تقع حالاً إذا شرط فيه الشيء ونقيضه، نحو: لأضرته إن ذهب وإن مكث، وذلك لانسلاخ معنى الشرط، من جهة أن الشيء الواحد لا يكون مشروطاً بالشيء ونقيضه، فتعين كون الشرط غير مراد. والذي سوغ حذف الشرطية الأولى أن الثانية أبداً منافية لثبوت الحكم، والأولى مناسبة لثبوته، وبذا ثبت الحكم على تقدير وجود المنافي، ذلك على ثبوته على تقدير المناسب من باب الأولى، وذلك هذا على ذلك المقدّر، ومتى أسقطت الواو من مثل هذه العبارة فسد المعنى.

ولذلك قال بعض المحققين: كلمة «إن» في هذا المقام ليست لقصد التعليق والاستقبال، فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلاً على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية إلا عند القصد إلى بيان الإعراب على القواعد الصناعية، بل هي لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه، وأشدّها منافاة، ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية، لأن الشيء إذا تحقق مع المنافي القوي، فلأن يتحقق مع غيره أولى. ولهذا لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال، ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة على نظيرتها المقابلة لها، المتناولة لجميع الأحوال المغايرة لها، وهذا معنى قولهم: إنها لاستقصاء (١) الأحوال على وجه الإجمال.

وعلى هذا السريديور ما في «لو» و«إن» الوصليتين من المبالغة والتأكيد. ومآل الكلام: لن يضيق عليك عفوعن عبدك، حال عدم إساته، وحال إساته.

وقيل: الواو حالية، وليس بواضح.

وقيل: اعتراضية، وليس بسديد. والحق ما ذكرناه، وقد تقدّم الكلام على ذلك

في أوائل الروضة الثانية فليرجع إليه.

فإن قلت: عفو الله سبحانه: هو عفو السيئة، والتجاوز عنها، وترك العقوبة عليها، فلا يتحقق معنى العفو مع عدم الإساءة، فكيف تكون الإساءة منافية للعفو، وعدمها مناسباً لثبوته حتى يصح أنه إذا ثبت الحكم على تقدير وجود المنافي، دل ذلك على ثبوته، على تقدير المناسب من باب الأولى؟!

قلت: ليس المراد بالإساءة في قوله عليه السلام: «وإن أساء» الإساءة مطلقاً، بل التي يقارنها العفو، ويكون العبد ملتبساً (١) بها وقت حصول العفو عنه، وهي الإساءة مع الإصرار، وعدم التوبة كما تفيده الحال، لأن الغرض من الحال تخصيص وقوع مضمون عاملها بوقت حصول مضمون الحال. وهذا معنى المقارنة: ولا شك أن الإساءة مع الإصرار وعدم التوبة منافية للعفو، لاستحقاق العهد العقوبة معها، لا العفو، وفي هذا دليل على جواز العفو مع عدم التوبة.

وأما الإساءة قبل التوبة فالعفو عنها لا يكون مقارناً لها وليس العبد ملتبساً (٢) بها وقت حصول العفو عنه، فصح أن العفو عنه لم يكن في حال إساءته. وهذا تبين ما ذكرناه من أن مآل التقدير من قولنا: إن لم يسيء وإن أساء، حال عدم إساءته، وحال إساءته.

ونظير عبارة الدعاء قوله تعالى: «وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم» (٣). قال القاضي: التقييد بقوله: «على ظلمهم» دليل جواز العفو قبل التوبة، فإن التائب ليس على ظلمه (٤).

وقال السيد المرتضى: في هذا دلالة على جواز المغفرة للمذنبين من أهل القبلة؛ لأنه تعالى دلنا على أنه يغفر لهم مع كونهم ظالمين، ويجري مجرى قول القائل: أنا أود

(١) «ألف»: ملتبساً.

(٢) «ألف»: ملتبساً.

(٣) سورة الرعد: الآية ٦.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: ج ١ ص ٥١٤.

فلاناً على غدره، وأصله على هجره (١).

وقال صاحب الكشف: الأسلوب يدل على أنه تعالى بليغ المغفرة للناس مع استحقاقهم لخلافها، لتلبسهم بما العقاب أولى بهم عنده (٢). انتهى.

والدلالة المذكورة إنما جاءت من كون قوله: «على ظلمهم» حالاً مقارنة لعاملها، وهو المغفرة. كما أن قوله: «وإن أساء» في الدعاء حال مقارنة لعاملها، وهو العفو.

ومن هنا فُتِرت إحدى العبارتين بالأخرى، فقال العمادي في تفسيره: أي على ظلمهم أنفسهم بالذنوب والمعاصي، ومحملها النصب على الحالية، أي ظالمين، والعامل فيه المغفرة، والمعنى: وإن ريتك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وإن كانوا ظالمين (٣).

وقال الإمام الرزوقي في شرح الحماسة عند الكلام على قوله: سأشكرُ عمرأ إن تراخت منيتي أيادي لم تمنن، وإن هي جلت يعني أن آلائه ونعمه صافية من المن والأذى على جلالها وفخامتها (٤). انتهى.

فترى هذين الإمامين كيف فُتِرت كل منهما إحدى العبارتين بالأخرى، وما ذلك إلا للوجه الذي ذكرناه.

فإن قلت: قد قررت أن المراد بقوله عليه السلام: «عن عبدك وإن أساء» نفسه على ترك الحكاية إلى المظهر، فكيف يجوز أن يكون المراد بالإساءة من قوله «وإن أساء» الإساءة مع الإصرار، وعدم التوبة.

قلت: لما اعترف عليه السلام في الجملة السابقة بعدم ما يعتد به من الطاعة

(٤) لا يوجد لدينا الكتاب المذكور.

(١) لم نعر عليه.

(٢) لا يوجد لدينا الكتاب المذكور.

(٣) تفسير أبي السعود: ج ٥ ص ٧.

اللَّهُمَّ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى خَفَايَا الْأَعْمَالِ عِلْمُكَ ، وَأَنْكَشَفَتْ كُلُّ مَسْتُورٍ دُونَ خُبْرِكَ ، وَلَا تَنْطَوِي عَنْكَ دَقَائِقُ الْأُمُورِ ، وَلَا تَغْرُبُ عَنْكَ غَيِّبَاتُ السَّرَائِرِ .

لديه، وكثرة ما يسوء به من المعصية لديه، وكانت التوبة طاعة معتدّاً بها، داخله فيما اعترف بعدمه لديه، تعيّن أن المراد بالإساءة من قوله: «إن أساء» الإساءة المذكورة، وكان ذلك منه عليه السلام من باب عدم الالتفات إلى طاعته وتوبته، والانقطاع إلى محض عفواً لله ورحمته. والله أعلم بمقاصد أوليائه.

قوله عليه السلام «فاعفُ عني» «الفاء»: فصيحة - أي إذا كان لن يضيق عليك عفؤ عن عبدك ، وإن أساء فاعفُ عني - وعدل عن الغيبة إلى التكلم ولم يقل: فاعفُ عنه، إشاراً لما هو أدل على المقصود من طلب العفو لنفسه، وتنبيهاً على أنه هو المراد بذلك العبد المسمى في قوله: «عن عبدك وإن أساء». والله أعلم. أشرف على الشيء إشرافاً: إطلع عليه من فوق.

والخفايا: جمع خفية، كهدايا جمع هدية، من خفي الشيء يخفى - من باب عليم - خفاً - بالفتح والمد -: أي استتر فلم يظهر، فهو خافٍ وخفيّ. وكشفت الشيء كشفاً - من باب ضرب - فأنكشف: أظهرته فظهر. وأصله رفع شيء عما يواريه ويستتره، كرفع الثوب والغطاء.

ودون: بمعنى عند، أي عند خبرك ، ومنه الحديث «من قُتل دون ماله» (١) أي: عنده، وفي رواية ابن أبي الحديد: «عند خبرك».

والخبر - بالضم -: العلم، ومنه: صدق الخبر الخبر.

وطويت عنه الحديث: كتمته وأخفيته، وأصله من طي الثوب، وهو ضدّ

نشره.

ودقائق الأمور: غوامضها، من دقّ الشيء فهو دقيق إذا لم يتّضح. أو جمع دقيقة، بخلاف الجليّة، ومنه مادقّ وماجلّ.

والأمور: جمع أمر، بمعنى الشأن والحال.

وعزب الشيء - من باب قتل، وصرب - : غاب وخفي، ومنه: «لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ» (١)، أي: لا يغيب.

والغيبات: جمع غيبة، مؤنث غيب، على وزن فيعل - بكسر العين - بمعنى الغائب، كطيبات وطيبة.

والغيب - بالتخفيف - بمعنى الغائب مخفف منه، بحذف الياء الثانية أو الأولى؛ لاجتماع ياءين وكسرة.

قال الزمخشري وغيره من المفسرين في قوله تعالى: «يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ»: هو بمعنى الغائب، أمّا تسميته بالمصدر مبالغة، وإمّا أن يكون فيعلًا مخففًا كما قيل (٢). قيل: ومثت وهين، وأصلها قيل: ميثت وهين بالتشديد.

وقول العمادي: «لكن لم يستعمل فيه الأصل كما استعمل في نظائره» (٣) مردودٌ بعبارة الدعاء، وكفى بها شاهدًا.

وفي رواية «غائبات السرائر»، ورواية ابن أبي الحديد «خبايا السرائر».

وأما «غنبات» - بالنون قبل الباء الموحدة - على ما يوجد في هوامش كثير من النسخ، معزوة إلى نسخة ابن إدريس، وأنه كذا بخطه وضبطه، فلا أعرف له معنى يناسب المقام. وأغرب من فتره فقال: الغنّب - بالفتح - : الغنيمة الكثيرة.

والسرائر: جمع سريرة، وهي السرّ.

(١) سبأ: الآية ٣.

(٢) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٣٩.

(٣) تفسير أبي السعود: ج ١ ص ٣٠.

وَقَدْ اسْتَحُوذَ عَلَيَّ عَدُوُّكَ الَّذِي اسْتَنْظَرَكَ لِنِغَايَتِي فَأَنْظَرْتَهُ،
وَأَسْتَمْتَهُلَكَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ لِإِضْلَالِي فَأَمَهَلْتَهُ، فَأَوْقَعَنِي وَقَدْ هَرَبْتُ إِلَيْكَ
مِنْ صَغَائِرِ ذُنُوبٍ مُوبِقَةٍ، وَكِبَائِرِ أَعْمَالٍ مُرْدِيَةٍ.

وفي الكشف: السرائر ما أَسَرَّ في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أُخْفِيَ
من الأعمال (١).

وإضافة الغيبات إلى السرائر بيانية، أي الغائبات من السرائر، وهي التي
لا يحيط بها إلا علم اللطيف الخبير.

ومدار هذه الفقرات على الثناء عليه سبحانه بنفوذ علمه في كل خفي ومستتر،
وعدم خفاء شيء عليه من دقائق الأحوال وغوامضها، ومكنونات الأسرار وغوايبها،
بحيث لا يشذ شيء منها عن إحاطة علمه. إذ كان الخفاء والستر والغيب إنما تطلق
بالقياس إلى مخفي عنه، ومستور وغائب عنه، وهي القلوب المحجوبة بحجب الطبيعة
وأستار الهيئة البدنية، والأرواح المستولي عليها نقصان الإمكان، الحاكم عليها بجهل
ماخفي عليها، واستر وغاب عنها، وكل ذلك لما ينزهه قدس الحضرة الإلهية عنه.
وكرر عليه السلام بيان إحاطة علمه تعالى بذلك، دفعاً للأحكام الفاسدة
الوهمية، كما توهم بعض القاصرين أنه لا علم له سبحانه بالأشياء قبل وجودها،
وبعضهم أنه لا علم له بالجزئيات، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

استحوذ عليه الشيطان: غلبه، واستماله إلى ما يريد منه.

قال الجوهرية: وهذا جاء بالواو على أصله، كما جاء استروح، واستصوب.
وقال أبوزيد: هذا الباب كله يجوز أن يتكلم به على الأصل. تقول العرب:
إستصاب واستصوب، واستجاب واستجوب، وهو قياس مقرر عندهم. وقوله
تعالى: «أَلَمْ نَسْتَحُوذْ عَلَيْكُمْ»، أي: ألم تغلب على أموركم، ونستولي على مودتكم (٢).

(١) تفسير الكشف: ج ٤ ص ٧٣٦.

(٢) الصحاح: ج ٢ ص ٥٦٣.

إنتهى .

وفي اطراد ذلك خلاف . والصحيح الذي عليه الجمهور المنع من القياس مطلقاً . وفصل ابن مالك ، فقال في التسهيل : وربما صحَّح الإفعال والاستفعال وفروعهما ، ولا يُقاس على ذلك مطلقاً خلافاً لأبي زيد ، بل إذا اهل الثلاثي كاستنوق (١) . إنتهى . وهو قول ثالث في المسألة .

ونص سيبويه : على أن استحوز من الشواذ التي لم يسمع إعلالها (٢) .

وقال في شرح التسهيل : إنه من المصحح فقط (٣) .

والعدو : ضد الولي . قال تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» (٤) .

والمراد بعداوته تعالى : مخالفة أمره عناداً ، والخروج عن طاعته مكابرة ، أو عداوة

خواصه ومقربيه .

وفي إضافته إلى ضمير المخاطب هنا تحريض على قعه وإذلاله ، وتنبيه على السب ، كما تقول : عدوك بالياب ، وعدوك يمكربك . ومنه : «أهل الإسلام في الجنة ، وأهل الكفر في النار» .

وقوله : «الذي استنظرك» إلى آخره وصف للتوضيح ، أعني دفع الاحتمال .

واستنظرتة : طلبت إنظاره ، أي : تأخيره وإمهاله .

فأنظرنني : أي أمهلني ، والاسم منه النظرة على وزن كلمة ، ومنه «فَنَظَرَةٌ إِلَى

مَيْسَرَةٍ» (٥) ، أي فتأخير وإمهال .

والغواية - بالفتح - لم اسم من غوى - من باب ضَرَبَ - أي ضلّ وانهمك في

الجهل .

(٤) سورة الممتحنة : الآية ١ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٨٠ .

(١) لا يوجد لدينا كتابه .

(٢) كتاب سيبويه : ج ٢ ، ص ٤٣٧ .

(٣) لا يوجد لدينا كتابه .

وفي الصحاح: غَوَى - بالفتح - يغوي غَيًّا وَغَوَايَةً (١)، فهي على هذا مصدر.
وجعل صاحب القاموس: الغي مصدر غوى - من باب ضَرَبَ -، والغواية مصدر
غوي من باب علم، وعبارته: غوى يغوي غَيًّا، وَغَوَى غَوَايَةً، ولا يكسر (٢). إنتهى.
وعلى كل تقدير فالغواية - بالفتح - بمعنى الضلال لا الإضلال، فالمعنى:
استنظرك ليكون داعياً لضلالي.

واستمهله: طلبت إمهاله، فأمهلني.

و«اليوم» في العرف: عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان، وفي
الشرع: عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس.
والمراد هاهنا مطلق الوقت.

والدين: الجزاء، خيراً كان أو شراً. وإضافة اليوم إليه لأدنى ملازمة كإضافة
سائر الظروف الزمانية إلى ما وقع فيها من الحوادث، كيوم الأحزاب، وليلة القدر،
وعام الفتح. وتخصيصه هنا من بين سائر ما يقع فيه كالقيامة والجمع والحساب
لكونه أدخل في الدلالة على أنه إن أمهله فلن يهمله. وما ذكر من القيامة وغيرها
من مبادي الجزاء ومقدماته.

والفقرة الثانية تأكيد للأولى، ومضمونها تلميح إلى قوله تعالى في سورة الأعراف
حكاية عن إبليس: «قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ:
فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ» (٣). وفي سورة الحجر قال: رَبِّ
فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» قَالَ: فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ» إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» قَالَ:
رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
الْمُخْلِصِينَ» (٤)، وفي سورة ص: «قَالَ: رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» قَالَ: فَإِنَّكَ

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٤ - ١٦.

(٤) سورة الحجر: الآية ٣٦ - ٤٠.

(١) الصحاح: ج ٦ ص ٢٤٥٠.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٧٢.

مِنَ الْمُنْظَرِينَ • إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ • قَالَ: فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ • إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ» (١).

وإنما أورد سبحانه هذه الحكاية على أساليب متعددة مع أنَّ استنظار اللعين إنما صدر عنه مرة واحدة لا غير، وكذا جوابه لم يقع إلا دفعة، قصداً للتفتن الذي هو من مقتضيات البلاغة، على أنَّ كلَّ أسلوب من أساليب التظم الكريم لابد أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره.

تنبيهات

الأول: صريح عبارة الدعاء أنَّ إنظار اللعين وإمهاله كان إجابة لدعائه، وهو الذي دلَّت عليه الآثار، وعليه أكثر المفسرين:

قال العلامة الطبرسي: وأما الوجه في مسألة إبليس الإنظار مع علمه بأنَّه ملعون مطرود فعلمه بأنَّ الله سبحانه يظاهر على عباده النعم، ويعمُّهم بالفضل والكرم، فلم يصرفه ارتكابه المعصية عن مسألته والطمع في الإجابة، فأجابه الله (٢). انتهى.

ومن هنا قال سفيان بن عيينه: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإنَّ الله تعالى أجاب شر الخلق إبليس، إذ قال: أنظرني (٣).

وذهب جماعة: إلى أنَّ إجابة دعاء الكافر لا تجوز، لأنها كرامة، فقلوه تعالى: «إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ» بيان ماسبق به التقدير لا الإجابة.

قال العمادي في تفسيره: ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ماسأله الآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعاً لهم في ذلك، دليل على أنه إخبار

(١) سورة ص: الآية ٧٩ - ٨٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ - ٤ ص ٤٠٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ١٩٧.

بالإنظار المقدّر لهم أزلاً لا إنشاء لإنظار خاص به وقع إجابة لدعائه، أي إنك من جملة الذين أخرت آجالهم، أزلاً حسباً تقتضيه الحكمة التكوينية (١). انتهى.

وأجيب: بأن الإجابة لا يلزم أن تكون كرامة، بل هي كالنعمة في إحتمالها أن تكون ثواباً وتعظيماً، وأن تكون استصلاحاً وتفضيلاً في الدنيا.

الثاني: ظاهر قوله عليه السلام «إستمهلك إلى يوم الدين لإضلاي فأمهلت» أن الإمهال وقع حسب السؤال إلى يوم الدين، فيكون المراد بيوم الوقت المعلوم في الآيتين هو يوم الدين، وهو يؤيد قول صاحب الكشف: إن يوم الدين، ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد، ولكن خولف بين العبارات سلوكاً بالكلام طريق البلاغة (٢). انتهى.

وقال بعضهم: يجوز أن يكون المراد بالأيام الثلاثة يوم القيامة. والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات. فالتعبير بيوم البعث، لأن غرض اللعين به يتحقق، إذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف، واليأس من التضييل. ويوم الوقت المعلوم، لاستثارة تعالى بعلمه، أو للعلم بأنه يصعق فيه من في السماوات والأرض. ويوم الدين، للإيدان بتأخير عقابه وجزائه إليه.

ولا يلزم من ذلك أن لا يموت، فلعلّ كلاً من هلاك الخلق جميعاً وبعثهم وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين في أوله، ويبعث في أواسطه، ويعاقب في بقيته. وعن الصادق عليه السلام: «يوم الوقت المعلوم يوم يُنفخ في الصور نفخة واحدة، فيموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية» (٣).

وذهب بعض المعتزلة: إلى أن المراد بيوم الوقت المعلوم وقت موته وهلاكه في علم الله لا يوم القيامة، وكل مكلف من الجن والإنس منظر إلى وقت معلوم عند الله.

(١) تفسير أبي السعود: ج ٣ ص ٢١٧.

(٢) تفسير الكشف: ج ٢ ص ٥٧٨.

(٣) تفسير نور الثقلين: ج ٣ ص ١٤.

والدليل على ذلك : أن إبليس مكلف، والمكلف لا يجوز أن يعلم أجله لما فيه من الإغراء بالقبيح، لأنه إذا علم أجله أقدم على المعصية بقلب فارغ حتى إذا قرب أجله تاب فتقبل توبته.

وأجيب : بأن من علم الله تعالى من حاله أنه يموت على الطهارة والعصمة كالأنبياء، أو على الكفر والمعصية كإبليس، فإن إعلامه بوقت أجله لا يكون إغراء على القبيح؛ لأنه لا يتفاوت حاله بسبب ذلك التعريف والإعلام.

الثالث : قالت الأشاعرة : في إنظار إبليس وإمهاله دلالة على أنه لا يجب على الله سبحانه رعاية مصالح العبد في دينه ولا في دنياه، وإلا لم يمهل إبليس حين استمهله مع علمه بالمفاسد والغوائل المترتبة على ذلك . ومما يؤيد ذلك أنه بعث الأنبياء دعاء للخلق إلى الحق، وعلم من حال إبليس أنه لا يدعو إلا إلى الكفر والضلال . ثم أنه أمات الأنبياء وأبقى إبليس، ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه أن يفعل ذلك .

وهذه الشبهة هي الشبهة السابعة من شبهات إبليس اللعين التي ذكرناها في الروضة السابعة عشرة، وقد تقدم الجواب عنها هناك .

وأجابت المعتزلة عن ذلك : بأن الله تعالى خلق آدم وذريته قادرين على دفع إبليس عن أنفسهم، فهم الذين اختاروا الكفر والفساد . أقصى ما في الباب أن يقال : إن الاحتراز عن القبيح حال عدم إبليس أسهل منه حال وجوده، إلا أن على هذا التقدير تصوير وسوسته سبباً لزيادة المشقة في أداء الطاعات فيزداد المكلف بتكلفها ثوباً، كما قال عليه السلام «أفضل الأعمال أحزها» (١)، أي أشقها . وذلك لا يمنع الحكيم من فعله، كما أن إنزال المشاق والآلام، وإنزال التشابهات صار سبباً لزيادة الشبهات، ومع ذلك لم يمتنع فعلها من الله تعالى .

وهذا قريبٌ من قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه في خطبةٍ له «فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة، واستتماماً للسبئية، وإنجازاً للعدّة، فقال: إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ» إلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» (١).

قوله عليه السّلام: «فأوقعني وقد هربت» إلى آخره. الفاء: عاطفة للجملة على استحوذ.

ووقع وقوعاً: سقط، وأوقعه غيره إيقاعاً: أسقطه.

وفي الأساس: وقع الشيء على الأرض وقوعاً، وأوقعته إيقاعاً (٢).

وفي ديوان الأدب: أوقعه فوق (٣).

وجملة قوله «وقد هربت» حالّة، أي أوقعني والحال إنّي قد هربت، أي: حال هربي إليك.

والهرب إليه تعالى من الذنوب: عبارة عن الإقبال عليه تعالى، والإعراض عنها، والعزم على اجتنابها.

فالمراد بإيقاع الشيطان له حال هربه، إمّا معناه الحقيقي وهو الإسقاط على الأرض، فيكون الكلام استعارة تمثيلية، شبه صورة تعويق الشيطان له عن النجاة من الذنوب والمعاصي - بالإقبال على الله تعالى، والإعراض عنها - بصورة تعويق من أسقط هارباً من مخوف، وأوقعه على الأرض من (٤) النجاة ممّا يخافه بالهرب منه. فالمشبه به هيئة منتزعة من الهارب، وطرحه على الأرض وتعويقه عن النجاة ممّا هرب منه. والمشبّه هيئة منتزعة من نفسه، وفسخ الشيطان لعزمته من الفرار إلى الله تعالى من الذنوب، بتسويله وتعويقه عن اجتناب الذنوب والخلاص منها. فلا تكون كلمة «أوقعني» استعارة بل هي باقية على معناها الحقيقي، كما قرروه في قولهم

(١) نهج البلاغة: ص ٤٢ الخطب ١.

(٣) ديوان الأدب: ج ٣ ص ٢٦٨.

(٢) أساس البلاغة: ص ٦٨٦.

(٤) «ألف»: على الأرض وتعويقه عن النجاة.

حَتَّى إِذَا قَارَفْتُ مَعْصِيَتَكَ ، وَاسْتَوْجَبْتُ بِشُؤِّ سَعْيِي سَخَطَتَكَ ،

أراك تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى.

وإما معناه المجازي، فيكون مستعاراً لجعله إتياء متلبساً بما يكرهه، والجامع التلبس، وهي استعارة تصرّحية؛ لذكر المستعار منه دون المستعار له. وحذف التلبس به إما للتعميم والاختصار، أي: فألقاني في كلّ معصية، أو لمجرد الاختصار، أي فألقاني في حبائله ومصائبه، بقرينة قوله: «استحوذ عليّ».

وأما ما وقع لبعض المترجمين من أنّ صاحب القاموس لم يذكر «أوقع» متعدياً، ولكن قال: أوقع بهم: بالغ في قتالهم، ولعله ضمّن أوقعني معنى حاربني، فيكون معنى أوقعني بالغ في حربي، فهو خبط لا يلتفت إليه.

وقول بعضهم: إنّ جملة قوله: «وقد هربت إليك» استثنائية، بمغزل عن أسلوب نظم الكلام، كما لا يخفى على من له أدنى ذوق.

والمويقة: المهلكة، من الوبوق وهو الهلاك. يقال: وبق يبق - من باب وعد وورث - ووبق يوبق - من باب وجل، ووبقاً وموبقاً: أي: هلك.

ويتعدى بالهمزة فيقال: أوبقته، وهو يرتكب الموبقات، أي: المعاصي، لأنهن مهلكات.

والمردية: المهلكة. يقال: ردي (١) - من باب تعب - أي هلك، وأرداه غيره. والله أعلم.

«حتى» هنا ابتدائية دخلت على الجملة الشرطية، وهي مع ذلك غاية لما قبلها. وهو استحواذ الشيطان عليه، وإيقاعه له أي قد إستحوذ عليّ فأوقعني إلى أن قارفت معصيتك، هذا قول الجمهور، وقد سبق الكلام عليه مستوفى في الروضة الثانية عشرة.

وقارف الذنب: خالطه وقاربه.

(١) «ألف» ردي، يردى.

قَتَلَ عَنِّي عِذَارَ غَدْرِهِ، وَتَلَقَّانِي بِكَلِمَةٍ كُفِّرَ، وَتَوَلَّى الْبَرَاءَةَ مِنِّي، وَأَذْبَرَ
مُؤَلِّيَا عَنِّي، فَأُضْحَرَنِي لِغَضَبِكَ فَرِيداً، وَأَخْرَجَنِي إِلَى فِئَاءِ نِقْمَتِكَ
ظَرِيداً، لَا شَفِيعَ يَشْفَعُ لِي إِلَيْكَ، وَلَا خَفِيرٌ يُؤْمِنُنِي عَلَيْكَ، وَلَا حِصْنٌ
يَحْجُبُنِي عَنْكَ، وَلَا مَلَاذٌ أَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْكَ.

وقال الزمخشري في الفائق: قارف الذنب واقتربه؛ إذا التبس به، ويقال لقشر
كل شيء قرفه، لأنه ملتبس به (١). انتهى.
واستوجب الشيء: استحقه.
والسوء - بالضم -: القبيح.

والسعي: يكون بمعنى العدو والمضي، ويكون بمعنى التصرف والعمل، وهو
المراد هنا. ويعتد بالمعنى الأول بـ «إلى»، وبالمعنى الثاني باللام.

وفي محكم اللغة: السعي: الكسب. وكل عمل من خير أو شر سعي (٢).
وقال الفيومي في المصباح: أصل السعي التصرف في كل عمل، وعليه قوله
تعالى: «وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى». وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى» (٣).

والسخط: الغضب. وهو من الإنسان تغيير يحصل عند غليان دم القلب لشهوة
الانتقام، ومن الله تعالى سبحانه إرادة الانتقام وإنزال العقوبة المستحقة.

وفتله يفتله فتلاً - من باب ضرب لواه، يقال: قتل عني وجهه، أي لواه
وصرفه.

وفي الصحاح: فتله عن وجهه فانقتل. أي صرفه فانصرف، وهو قلب لفت (٤).
والعذار: العارض، وهو صفحة الخدة. ومنه عذر الغلام إذا نبت شعر عذاره،
يعني صفحة خده، ويسمى السير الذي على خدة الدابة من اللجام عذاراً، باسم
موضعه.

(٣) المصباح المنير: ص ٣٧٧.

(٤) الصحاح: ج ٥ ص ١٧٨٨.

(١) الفائق في غريب الحديث: ج ٣ ص ١٧٥.

(٢) محكم اللغة: ج ٢ ص ١٥٩.

والغدر: نقضُ العهد، وهو ضدُّ الوفاء. وقد يطلق على الخديعة، وهي كلُّ فعلٍ يقصد به فاعله خلاف ما يقتضيه ظاهره. ومنه الحديث «إن بين يدي الساعة سنين غدارة، يكثر فيها المطر، ويقلُّ فيها الثبات» (١).

قال الزمخشري في الفائق: أي: تطمعهم في الخصب بالمطر ثم تخلف، فجعل ذلك غدرًا منها وخديعة (٢). وهذا المعنى هو المراد هنا، لأنَّ معنى قتل عتي غدار غدره صرف عتي وجه غدره، أي: أعرض عن الغدر وتركه لحصول مطلوبه من الإغواء والإضلال عند مقارفة المعصية، واستيجاب السخطة، فلم يكن يحتاج إليه بعد ذلك. وهذا المعنى لا يناسبه إلَّا الغدر بمعنى الخديعة، لا الغدر بمعنى نقض العهد، كما لا يخفى.

ولو كان المراد بالغدر نقض العهد لكان مقتضى المقام أن يقول: أظهر لي غدره. ولما كان الغدر بمعنى نقض العهد مستلزماً للخديعة - بإظهار فاعله خلاف ما سيفعله في أول الأمر - أطلق عليها لفظ الغدر من باب إطلاق اسم الملزوم على اللازم.

قال شيخنا البهائي في المفتاح: المراد أنَّ الشيطان بعد حصول مراده، من إيقاعه لي في المعصية بالحيلة والغدر، صرف عتي عنان غدره، حيث حصل مثي مراده (٣). انتهى.

فحمل الغدر على معنى الحيلة، وهي الخديعة، وإنما فسّر العذار بالعنان، لأنَّه حمّله على ما يقع على خدّ الفرس من اللجام، وهو صحيح، فإنَّ من صرف عذار دابته، فقد صرف عنانها.

والكلام على كلِّ تقدير استعارة بالكناية مع الترشيح، شبه الغدر بالشخص أو

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٣٤٥ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ج ٣ ص ٥٥.

(٣) مفتاح الفلاح: ص ٢٧٨.

الدابة، بجامع قبول التصرف والانقياد، وأثبت له عذاراً، ورشح ذلك بالقتل للملائمة للعذار. يقال: قتل عذاره، ولوى عذاره، إذا أعرض وصد.

قال الزمخشري في الأساس: لوى عذاره عنه إذا عصاه (١).

قوله عليه السلام «وتلقاني بكلمة كفره» تلقاه: أي استقبله.

و«الباء» للملابسة، أي ملتبساً بكلمة كفره.

قال شيخنا البهائي: هو إشارة إلى ما حكاه سبحانه عنه بقوله تعالى: «إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ، فَلَمَّا كَفَرَ، قَالَ إِنِّي بَرِيٌّ بِكَ مِنْكَ» (٢). انتهى.

والأولى أن يكون إشارة إلى قوله تعالى حكاية عنه «إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ» (٣)، أي بإشراككم إيتاي مع الله في الطاعة، بمعنى تبرأت منه واستنكرته.

قال صاحب الكشف: معنى كفره بإشراكهم: تبرؤه منه، واستنكاره له، كقوله: «إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ» (٤).

وفي حديث أهل البيت عليهم السلام: الكفر في هذه الآية البراءة (٥).

وقوله: «وتولى البراءة مني» تولى الأمر: إذا تقلده: وقام به.

والبراءة: قطع العلة، يقال: برئ منه براءة - من باب تعب - أي: قطع علقته منه.

وقوله: «وأدبر مولياً»، أي: ذهب ورجع عني.

ومولياً: حال مؤكدة لعاملها، وهي التي يُستفاد معناها بدونها، ونحو قوله تعالى: «وَلَّى مُذْبِرًا» (٦).

ومدار هذه الفقرات على إنكار الشيطان ما كان يحث عليه، ويزينه للإنسان،

(١) أساس البلاغة: ص ٤١٢.

(٢) مفتاح الفلاح: ص ٢٧٨.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٢.

(٤) تفسير الكشف: ج ٢ ص ٥٥١.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٠ ح ١.

(٦) سورة النمل: الآية ١٠.

من سيئات الجرائم، وقبائح المعاصي عند استحقاقه للعقوبة، واستيجابه للعذاب. ونظير ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الغراء: «أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر، واحتج بما نهج، وحذركم عدواً نفذ في الصدور خفياً، ونفت في الأذان نجياً، فأفضل وأردى، ووعد فتى، وزين سيئات الجرائم، وهون موبقات العظام، حتى إذا استدرج قرينته، واستغلق رهينته أنكر مازين، واستعظم ماهون، وحذر ما أقرن» (١).

قال ابن أبي الحديد: القرينة هاهنا الإنسان الذي قارنه الشيطان، ويقال: غلق الرهن إذا لم يفتكه الراهن في الوقت المشروط، فاستحققه المرتهن، قال: وهذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى: «وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (٢).

تنبيه

في قوله عليه السلام: «واستوجب بسوء معيبي سخطتك» دلالة على أن الإنسان هو الذي يختار بسعيه الشقاوة، وليس من الشيطان إلا التسويل والتزيين، وهو مدلول الآية المذكورة. ولذلك قال: المحققون: الشيطان الأصلي هو النفس، وذلك أن الإنسان إذا أحس بشيء أو أدركه، ترتب عليه شعوره بكونه ملائماً له، أو منافراً له. ويتبع هذا الشعور الميل الجازم إلى الفعل أو إلى الترك. وكل هذه

(١) نهج البلاغة: ص ١١٢ الخطب ٨٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

الأشياء من شأن النفس، ولا مدخل للشيطان في شيء من هذه المقامات، إلا بأن يذكره شيئاً مثل: أن الإنسان كان غافلاً عن صورة امرأة فيُلقي الشيطان حديثها في خاطره.

قال العلامة الطهرسي: في الآية المذكورة دلالة على أن الشيطان لا يقدر على أكثر من الدعاء والاغواء، وأنه ليس عليه عقاب معاصيهم، وإنما عليه عقاب الدعوة فحسب (١).

قوله عليه السلام: «فأصحرني لغضبك فريداً»، «الفاء» عاطفة، وتفيد هنا ثلاثة أمور: الترتيب، والتعقيب والسببية.

وأصحر الرجل للصحراء إصحاراً برزخياً، وهو غير متعّد، لكنه وقع هنا متعدياً، كما وقع في حديث أم سلمة رضي الله عنها لعائشة: سَكَنَ اللهُ عَقِيرَكَ فَلَا تُصَحِّرُهَا (٢).

قال الزمخشري في الفائق: أصحر: أي خرج إلى الصحراء، وأصحربه غيره، وقد جاء هنا مُعَدًى على حذف الجار وإيصال الفعل (٣). انتهى.

وقال ابن الأثير في النهاية في حديث علي عليه السلام «فأصحر لعدوك، وامنض على بصيرتك» أي كن من أمره على أمر واضح منكشف، من أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء، ومنه حديث الدعاء «فأصحرني لغضبك فريداً»، وحديث أم سلمة لعائشة «فلا تصحرها» أي لا تبرزها إلى الصحراء، هكذا جاء في هذا الحديث، متعدياً على حذف الجار وإيصال الفعل، فإنه غير متعّد (٤). انتهى.

وظاهر كلامه؛ أنه في حديث الدعاء بالباء الموحدة لابن الوفاة، لكن اتفقت نسخ الصحيفة الشريفة على النون.

(٣) الفائق في غريب الحديث: ج ٢ ص ١٦٩.

(١) مجمع البيان: ج ٥ - ٦ ص ٣١١.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ١٢ - ١٣.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ١٢.

قال شيخنا البهائي قدس سره: والمراد هنا: جعلني تائهاً في بیداء الضلال، متصدياً لحلول غضبك عليّ (١). إنتهى.

قلت: وهو استعارة بالكناية، شبه نفسه بشخص أخرج إلى الصحراء في عدم تمكنه من الاستتار بشيء يقيه، وجعل إثبات الإصحار له تنبيهاً على ذلك، ويمكن حمله على الاستعارة التمثيلية والتبعية أيضاً، كما لا يخفى.

وقوله: «فريداً» حال من ضمير المتكلم، أي مؤاخذاً ومعاقباً بما قارفته دون غيري. وفيه دلالة على أنَّ الشيطان لا يؤاخذ بمعاصي العبد، كما تقدم. قوله عليه السلام: «وأخرجني إلى فناء نقيمتك طريداً».

الفناء - بالكسر والمذ - السعة أمام الدار، وقيل: ما امتد من جوانبها، ومنه فناء الكعبة.

والنقيمة: مثل كلمة، وتخفف مثلها: اسم من «نقيمت منه»، - من باب ضرب - وانتقيمت: أي عاقبت.

والطرْد: الإبعاد، طرده طرداً - من باب قتل - فهو طريد ومطرود. ونصبه على الحال، والظاهر أنها مبنية، وتحتمل التأكيد.

قوله عليه السلام: «لا شفيع يشفع لي إليك» جملة خالية، أو مستأنفة استئنافاً نحوياً، ولا لنفي الجنس.

وروي فيما بعدها في الفقرات الأربع الرفع - على جواز الإلغاء عند التكرار، وعلى الأعمال كليس -، والفتح على الأصل من جعلها في المواضع كلها لنفي الجنس فيكون مبنياً.

وجملة «يشفع لي» خبر «لا».

والخفير: فعيل، من خفرت الرجل - من باب ضرب - أي حميته وأجرته من

فَهَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ ، وَمَحَلُّ الْمُعْتَرِفِ لَكَ ، فَلَا يَضِيقَنَّ عَنِّي

طالب، والاسم الخُفارة - بالضم والكسر -.

وَأَمَنْتُ الْخَائِفَ - بِالْمَدِّ - سَلَمْتَهُ مِمَّا يَخَافُ ، وَالْأَسِيرَ أَعْطَيْتَهُ الْأَمَانَ . وَتَعَدَّيْتُهُ بِـ «عَلَى» لِتَضَمِينِهِ مَعْنَى النِّصْرَةِ ، أَيُ : يُؤْمِنُنِي ، نَاصِرًا لِي عَلَيْكَ ، وَنَظِيرُهُ تَعْدِيَةُ الْإِجَارَةِ بِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : «وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ» (١) ، أَيُ : يَمْنَعُ مَا يَشَاءُ ، وَلَا يَمْنَعُ أَحَدٌ بِالنَّصْرِ عَلَيْهِ .

وَالْحِصْنَ - بِالْكَسْرِ - : الْمَكَانَ الَّذِي لَا يُقْدَرُ عَلَيْهِ لارتفاعه .

وَفِي الْقَامُوسِ : كُلُّ مَوْضِعٍ حَصِينٍ لَا يُوَصَّلُ إِلَى جُوفِهِ (٢) .

وَحِجْبُهُ حِجَابٌ - مِنْ بَابِ قَتَلَ - : مَنَعُهُ . وَمِنْهُ قِيلَ لِلْسِتْرِ : حِجَابٌ ؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ مِنَ الْمَشَاهِدَةِ .

وَالْمَلَاذُ : الْمُلْجَأُ . مِنْ لَاذَ بِهِ ، يَلُودُ ، يُوَادُّ ، مِثْلُهُ ، أَيُ التَّجَاؤُ إِلَى اللَّهِ ، وَاعْتَصَمَ بِهِ . يُقَالُ : لَجَأَ إِلَى الْحِصْنِ وَغَيْرِهِ لُجْأً - مَهْمُوزَتَيْنِ مِنْ بَابِي نَفَعٌ وَتَعَبٌ - ، وَالتَّجَاؤُ إِلَى اللَّهِ ، أَيُ اسْتَنْدَ إِلَى اللَّهِ وَاعْتَصَمَ بِهِ .

وَمَفَادُ هَذِهِ الْفَقَرَاتِ تَأْكِيدُ نَفْيِ الْإِسْطَاعَةِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَبَيَانُ عَجْزِهِ ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنْ أَرَادَ عَذَابَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَفِيعٌ يَدْرَأُ عَنْهُ الْعَذَابَ ، وَلَا يَجِيرُ بِحِيرِهِ مِنْهُ ، وَلَا يَصْخَرُ أَنْ يَكُونَ لَهُ حِصْنٌ يَمْنَعُهُ عَنْهُ ، وَلَا مَلَاذٌ يَعْتَصِمُ بِهِ مِنْهُ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : «قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا» (٣) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

«الْفَاءُ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَرْتِيبِ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلُهَا . وَالْقَوْلُ بِأَنَّهَا لِلْإِسْتِثْنَاءِ وَهُمْ .

وَعَاذَ بِهِ يَعُودُ عَوْدًا وَعِيَاذًا ، وَمَعَاذًا : اعْتَصَمَ .

وَاعْتَرَفَ بِالشَّيْءِ اعْتِرَافًا : أَقْرَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ . وَحَذَفَ الْمُعْتَرِفُ بِهِ لِلتَّعْمِيمِ

(١) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ : الْآيَةُ ٨٨ . (٢) الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ : ج ٤ ص ٢١٤ . (٣) سُورَةُ الْجِنِّ : الْآيَةُ ٢٢ .

فَضْلُكَ ، وَلَا يَقْصُرَنَّ دُونِي عَفْوُكَ ، وَلَا أَكُنْ أَخْيَبَ عِبَادِكَ التَّائِبِينَ ،
وَلَا أَقْنَطَ وَفُودِكَ الْآمِلِينَ ، وَاعْفِرْ لِي ، إِنَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ .

والاختصار.

و «الفاء» من قوله: «فلا يضيقن» فصيحة، ولا دعائية، وأصلها النهي.
وضاق الشيء: خلاف اتسع.
والفضل: الإحسان.

وقصر السهم عن الهدف قصوراً - من باب قعد - : لم يبلغه.
ودون: نقيض فوق، وهي تقصير عن الغاية.

وقوله: «ولا أكن» فيه استعمال «لا» في فعل المتكلم، وهو وإن كان نادراً
لكنه ثابت في الفصح، كقوله:

• لَا أَعْرِقَنَّ رَبِّيَا خُوراً مَدَامَعَهَا •

مركز تحقيق التراث

وقول آخر:

• إِذَا مَا خَرَجْنَا مِنْ دِمَشْقَ فَلَا نُعَدُ •

وهي في هذا تحتل النهي (١) والدعاء، نص عليه ابن هشام في المغني (٢).
والكلام في هذه الفقرات من باب توجيه النهي إلى المسبب والمراد النهي عن
السبب، بأبلغ وجه، على أسلوب الكناية.

والأصل: لا تمنعني واسع فضلك فيضيق عتي، ولا عفوك فيقصردوني، ولا
تردني وتجهني فأكون أخيب عبادك التائبين، ولا تحرمي رفدك فأكون أقنط
وفودك الآملين، فعدل عن ذلك إلى توجيه الدعاء إلى الفضل في عدم الضيق، وإلى
العفو في عدم القصور، وإلى نفسه في عدم كونه الأخيب والأقنط على طريقة: «فلا
يكن في صدرك حرج» وقولهم: لأرينك هاهنا، أي: لا تشك فيكون في صدرك

حرج، ولا تكن هاهنا فأراك، فعدل عن ذلك إلى توجيه النهي إلى الحرج عن أن يكون في صدره، وإلى نفسه عن أن يراه.

قال النيسابوري: توجيه النهي إلى الحرج كقولهم: لا أريتك هاهنا، والمراد نهي عن كونه بحضوره فإن ذلك سبب رؤيته (١).

قال الزمخشري: فإن قلت: النهي في قوله «فلا يكن» متوجه إلى الحرج فما وجهه.

قلت: هو من قولهم: لا أريتك هاهنا (٢).

قال صاحب الكشف: ظاهره أن المتكلم ينهى نفسه، والمراد نهي المخاطب بأبلغ وجه على أسلوب الكناية (٣).

وقال التفتازاني: يعني ليس الحرج ممّا يؤمر وينهى بالكون في الصدر، أو اللاكون. كيف وقد فسروا النهي بطلب الكف عن الفعل أو الترك!! فجعله من باب ذكر اللازم وإرادة الملزوم. فالنهي عدم كون المخاطب في حرج، وقد عبر عنه بعدم كون الحرج في صدره، كما عبر في «لا أريتك» هاهنا عن عدم كون المخاطب في هذا المكان بعدم رؤية المتكلم إياه. ومثله في الأمر قوله تعالى: «وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً» (٤) عبر عن أمر المؤمنين بأن يغلظوا على الكفار بأمر الكفار أن يجدوا في المؤمنين غلظة؛ لأن هذا لازمه (٥). انتهى.

وقال ابن هشام في المغني: قولهم «لا أريتك»، هاهنا ممّا أقيم فيه المسبب مقام السبب، والأصل: لا تكن هاهنا فأراك. ومثله في الأمر «وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً»، أي واغلظوا عليهم ليجدوا ذلك. وإنما عدل إلى الأمر بالوجدان تنبيهاً على أنه

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٢ ص ١١٩.

(٢) تفسير الكشف: ج ٢ ص ٨٦.

(٣) الكشف: لا يوجد لدينا الكتاب المذكور.

(٥) لم نعر عليه.

(٤) سورة التوبة: الآية ١٢٣.

المقصود لذاته، وأما الإغلاظ فلم يقصد لذاته بل ليجدوه (١). إنتهى.
وإنما لم يكن الإغلاظ مقصوداً لذاته، لأنه ليس من الأخلاق الحسنة، فلا يكون مأموراً به إلا لعارضٍ كإرهاب العدو. والله أعلم.
قوله عليه السلام: «أخيب عبادك التائبين، ولا أقنط وفودك الآملين» خاب
يخيب خيبة: لم يظفر بما طلب.

وقنط يقنط - من بابي ضرب وتعب - مقنوطاً: يش.
والوفود: جمع وفد، وهو جمع وافد، كصحب وصاحب. يقال: وفد عليه يفد
وفوداً، أي ورد وقدم.

وقال ابن الأثير: الوفد: القوم يجتمعون ويردون البلاد، واحدهم وافد، وكذلك
الذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك (٢). إنتهى.
وأفعل التفخيل هنا مقصود به أصل الفعل لا الزيادة، إذ ليس في عباده
التائبين خائب، ولا في وفوده الآملين قانط. فهو كقولهم: نصيبُ أشعر الحبيشة،
أي: شاعرهم، إذ لا شاعر فيهم غيره، وقولهم: الناقص والأشج أعدلا بني مروان،
أي عادلاهم، لأنه لم يشاركهما أحدٌ من بني مروان في العدل. فأفعل هنا بمعنى اسم
الفاعل في انفراده بالوصف من غير مشاركة فيه.

قوله عليه السلام: «واغفر لي إنك خير الغافرين» غفر الله له: ستر خطيئته
وصفح عن عقوبته.

وجملة «إنك خير الغافرين» تعليل، ومزيد استدعاء للإجابة، أي: خير
الساترين على عباده، والمتجاوزين لهم عن ذنوبهم لأن غفرانك غير متوقف على
جلب منفعة، أو دفع مضرة، بل لمحض الفضل والكرم.

(١) المغني: ص ٣٢٤.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٢٠٩.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَتَرَكْتُ، وَنَهَيْتَنِي فَرَكَبْتُ، وَسَوَّلَ لِي الْخَطَاءَ
خَاطِرُ السُّوءِ فَفَرَّطْتُ.

تأكيد الجملة لغرض كمال قوة اعترافه بمضمونها، ولم يتعرض لمعلق الأمر
والترك ولا النهي والركوب، إِمَّا لظهور أن المراد: أَمَرْتَنِي بِالْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ فَتَرَكْتُ
مَا أَمَرْتَنِي بِهِ، وَنَهَيْتَنِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، فَرَكَبْتُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ؛ بِدَلِيلِ «إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ» (١).

وإِمَّا لِأَنَّ الْمُرَادَ: وَجَدَ مِنْكَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ، فَوُجِدَ مِنِّي التَّرْكُ وَالرُّكُوبُ،
كَقَوْلِهِمْ: أَمَرْتَهُ فَعَصَانِي.

قال الزمخشري: المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه، ولا منوي، لأن من
يتكلم بهذا الكلام فإنه لا ينوي لأمره ما مأموراً به وكأنه يقول: كان متي أمر، فلم
تكن منه طاعة، كما أن من يقول: فلان يعطي ويمنع، ويأمر وينهى، غير قاصد إلى
مفعول (٢). إنتهى. وهذا الوجه أولى.

وركب الأمر، وارتكبه: باشره، ومنه ركب ذنباً، ولا يستعمل إلا في مافيه
صعوبة أو قبح.

والتسويل: تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله.

وفي القاموس: سَوَّلَ لَهُ نَفْسَهُ كَذَا: زَيَّنَتْ، وَسَوَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ: أَغْوَاهُ (٣).

والخطاء: بفتحين، ضد الصواب، ويحتمل أن يراد به هنا الإثم، والذنب لغة
في الخطأ - بالكسر والسكون - وقد قرئ قوله تعالى: «إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا»
بالوجهين (٤).

قال المفسرون: الْخِطْأُ - بالكسر والسكون - الإثم، يقال: خِطْأٌ خِطْأً كَأَثَمٍ إِثْمًا،

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٣) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٩٩.

(٢) لم نعر عليه.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣١.

وَلَا أَسْتَشْهَدُ عَلَى صِيَامِي نَهَاراً، وَلَا أَسْتَجِيرُ بِتَهْجُدِي لَيْلاً، وَلَا

وَزناً ومعنى.

وقرىء بفتحيتين بمعناه، كالمَثَل والمِثْل، والحَذَر والحِذْر.

وقيل: ضد الصواب.

والخاطر: ما يرد على القلب، ويمرّ بالبال، وهو أقسام:

رحماني: وهو ما كان باعثاً على مافيه صلاح وقرينة، ويُسمى إلهاماً

ونفساني: وهو مافيه حظ للنفس، ويسمى هاجساً.

وشيطاني: وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق، ويسمى وسواساً.

وقد تقدّم الكلام على ذلك بأبسط من هذا.

ولما كان ينقسم إلى حسنٍ وقبيحٍ قيده عليه السلام بالإضافة إلى السوء، وهو

في النسخة المقابلة على نسخة الشهيد بخطه بفتح السين، وفي غيرها بالضم، وقرئ

قوله تعالى: «عَلَيْهِمْ ذَاكِرَةُ السُّوءِ» (١) بالوجهين.

قيل: هما لغتان من «ساء، يسوء» إذا قبح. غير أنّ المفتوح غلب في أن يضاف

إليه ما يراد ذمّه، والمضموم جرى مجرى الشر، وكلاهما في الأصل مصدر. وقيل: هو

بالفتح مصدر، وبالضم اسم منه.

وقيل: المفتوح: الرذاعة والفساد، والمضموم: الشر والضرر.

وفرط في الأمر تفريطاً: قصر فيه وضيّعه وعدم التعرّض للمفرط فيه، لأنّ المراد

وجد متي التفريط، كما يقال: فلان يعطي ويمنع.

وتقديم المفعول، أعني الخطاء على الفاعل، وهو خاطر السوء؛ للاهتمام به من

حيث إنّ نصب عينيه، وإنّ التفات خاطره إليه أشدّ. والله أعلم.

الواو عاطفة. وجعلها للاستئناف كما زعم بعضهم لاداعي إليه، لعدم انقطاع

الجملة ممّا قبلها.

تُثْنِي عَلَيَّ بِأَحْيَائِهَا سُنَّةٌ حَاشَا فُرُوضِكَ الَّتِي مَن ضَيَّعَهَا هَلَكَ .

وأستشهد به : طلبت منه أن يشهد .

والنهار : من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وهو مرادف لليوم .

واستجارة : طلبت منه أن يحيره ، أي يؤمنه ، ويمنعه .

والليل : من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق .

والتهجد : تفعل من الهجود ، قال أبو عبيدة وابن الإعرابي والفارابي والجوهرى :

هجد وتهجد . أي نام ليلاً ، وهجد وتهجد . أي : سهر ، وهو من الأضداد ، ومنه قيل :

لصلاة الليل التهجد (١) .

وقال الأزهري وجماعة : الهجود في الأصل هو النوم بالليل ، ولكن تاء التفعّل

فيه لأجل التجنب . ومنه تأثم وتخرج إذا ألقى الإثم والخرج عن نفسه ، فكأنَّ

التهجد يدفع الهجود عن نفسه (٢) .

وفي الأساس : تهجد الرجل : ترك الهجود للصلاة (٣) .

وقال المبرّد : التهجد : السهر للصلاة ، أو لذكر الله (٤) .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ» (٥) أي فصل بالقرآن (٦) .

وقال عليّ بن إبراهيم : التّهجد : صلاة الليل (٧) .

وأكثر المفسرين على أنّ التهجد لا يكون إلّا بعد النوم (٨) ، وقال بعضهم :

ما تنفّلت به في كلّ الليل يُسمّى تهجّداً (٩) .

قال بعضُ المحّشين : قوله عليه السّلام «نهاراً» إمّا مفعول أستشهد ، وإمّا متعلّق

بصيامي ، والمفعول مقدّر ، والتقدير : ولا صمت نهاراً صياماً مبروراً ، فأستشهد

(٥) سورة الأمراء : الآية ٧٩ .

(١) الصحاح : ج ٢ ص ٥٥٥ .

(٦) مجمع البيان : ج ٥ - ٦ ص ٤٣٤ .

(٢) التهذيب للأزهري : ج ٦ ص ٣٦ نقلاً بالمعنى .

(٧) تفسير عليّ بن إبراهيم : ج ٢ ص ٢٥ .

(٣) أساس البلاغة : ص ٦٩٤ .

(٨) و (٩) تفسير روح المعاني : ج ١٥ ص ١٣٨ .

(٤) مجمع البيان : ج ٥ - ٦ ص ٤٣٣ .

النهار، أو الله، أو الملائكة على ذلك . وكذلك قوله «ليلاً» متعلق بـ «تهجدني»، أي: ولا تهجدت ليلاً تهجداً مقبولاً فاستجير به (١). إنتهى .

وقال آخرون: كل من النهار والليل مفعول به، لا ظرف، والتقدير: لا أستشهد نهاراً على صيامي، ولا أستجير ليلاً بتهجدي، أي لا أطلب من نهار أن يشهد لي على صيامي فيه، ولا أطلب من الليل (٢) أن يحيرني بسبب تهجدي فيه.

أقول: والعبارة تحتل معنى آخر لم يتعرض له أحد، ولعله أنسب مما ذكر (٣)، وهو أن يكون المراد بقوله عليه السلام «لا أستشهد ولا أستجير» لا يكون مني استشهاد ولا استجارة، تنزيلاً للمتعدّي منزلة اللازم، من غير اعتبار تعلقه بمشاهدة ومستجار عام أو خاص، على حد قولهم: من يسمع يخل، أي يكن منه خيلة، أي ظن. ونهاراً وليلاً منصوبان على الظرفية للصيام والتهجد، والمعنى لا يكون مني استشهاد على صيامي في نهار، ولا يكون مني استجارة بسبب تهجدي في ليل. وغرضه نفي الصيام والتهجد مطلقاً، من باب نفي الشيء بنفي لازمه، أي: لا صيام لي في نهار فاستشهد عليه، ولا تهجدي بليل فاستجير بسببه، كقوله: ولا ترى الضب بها ينحجر (٤)، أي لا ضب ولا انحجار.

فإن قلت: الصيام لا يكون إلا نهاراً، والتهجد لا يكون إلا ليلاً، فما فائدة حملها على الظرفية؟

قلت: فائدته الدلالة على البعضية من حيث الأفراد بما فيها من التنكير الدال على البعضية، فإن قولك: ركبت نهاراً وسرت ليلاً يفيد بعضية زمان سيرك من الأيام والليالي، ألا ترى: أن المحققين من المفسرين قالوا في قوله تعالى: «سُبْحَانَ

(١) تفسير روح المعاني: ج ١٥ ص ١٣٨.

(٢) «ألف» من ليل.

(٣) «ألف»: مما يذكر.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ج ١ ص ١١٥.

الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا» (١)، إِنَّ قَوْلَهُ: «لَيْلًا» مع أَنَّ الإسراء إنما يكون لَيْلًا؛ لإفادة قلة زمان الإسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الأجزاء، دلالته على البعضية من حيث الأفراد (٢).

فإنَّ قولك سرتُ لَيْلًا، كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها، بخلاف ما إذا قلت: سرت الليل، فإنه يفيد استيعاب السير له جميعاً فيكون معياراً للسير لا ظرفاً له، والله أعلم.

قوله عليه السلام «وَلَا تُثْنِي عَلَيَّ بِإِحْيَائِهَا سُنَّةً» أثبت على زيد: ذكرته بالجميل أو أثبت بما يشعر بتعظيمه مطلقاً، والاسم الثناء - بالفتح والمدة -.

وأما ما ذكره ابن القطاع وغيره من أَنَّ الثناء يُستعمل في الجميل والقيح، فقال الإمام البطليوسي: هو مردود، بأنَّ المستعمل فيها إنما هو الثناء بتقديم النون على الثاء المثناة، وأما الثناء بتقديم الثاء على النون فاستعماله في القبيح إنما هو على ضرب من التأويل كالمشكلة والاستعارة التهكمية.

والضمير في إحْيَائِهَا راجع إلى السُّنَّة، وجاز إعادة الضمير إلى المتأخر لتقدمه في الرتبة، إذ هو فاعل. والأصل فيه أَنَّ يتصل بفعله.

والسُّنَّة في الأصل: الطريقة والسيرة، وفي الشرع: ما رغب فيه الشارع ولم يوجبه. قال بعضهم: السُّنَّة والمندوب والتطوع والنفل والمرغَّب فيه والمستحب كلها بمعنى واحد، وهو ما كان فعله راجحاً على تركه، ولا إثم في تركه، سواء دلَّ عليه كتاب أو سنة. وقد يراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلًا ممَّا لم يأت به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسُّنَّة، أي القرآن والحديث.

وقد يراد بها مطلق الطريقة النبوية، والشرعة المحمدية، الشاملة لما ورد به

(١) سورة الإسراء: الآية ١.

(٢) روح المعاني: ج ١٥ ص ٤ - ٥ نقلاً بالمعنى..

الكتاب والحديث، فرضاً كان أو مستحباً، وعليه قول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه) الستة: ستتان، ستة في فريضة؛ الأخذ بها هدى، وتركها ضلالة، وستة في غير فريضة؛ الأخذ بها فضيلة، وتركها إلى غير خطيئة (١).

والمراد بإحيائها إقامتها والاعتناء بها، والمواظبة عليها، والمحافظة على حدودها. و«الباء»: للسببية، أي بسبب إحيائها.

وتقديمه على الفاعل للعناية والاهتمام. وقول بعضهم: يمكن أن يكون الضمير من «إحيائها» عائد إلى الليل، والمعنى لا تثني على ستة بإحياء ليل، لا يخفى بعده. وإسناد الثناء إلى الستة مجاز عقلي، من باب إسناد الشيء إلى سببه، أو استعارة بالكناية، يجعل الستة استعارة عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه، وجعل نسبة الثناء إليها قرينة للاستعارة، وهو مذهب صاحب المفتاح (٢). قوله عليه السلام «حاشا فروضك التي من ضيعتها هلك».

«حاشا» هنا استثنائية، فذهب سيبويه وأكثر البصريين إلى أنها حرف دائماً بمنزلة «إلا»، وأنكروا النصب بعدها (٣).

وذهب المبرد والزجاج والأخفش وآخرون إلى أنها تستعمل كثيراً حرفاً جاراً، وقليلاً فعلاً متعدياً جامداً؛ لتضمنه معنى «إلا». فتنصب ما بعدها. وفاعلها ضمير مستتر وجوباً، وسمع: اللهم اغفر لي ولمن يسمع، حاشا الشيطان وأبا الأصبغ (٤). والرواية في الدعاء واردة بالوجهين، فالجر على أنها حرف، والنصب على أنها فعل بمعنى جانب. وفاعلها مستتر عائد إما إلى مصدر متصية من الكلام الذي قبلها، والمعنى جانب اعترافي بعدم قيامي بالطاعات المذكورة - فروضك، أو إلى اسم فاعل مفهوم منه، أي جانب المعترف متي فروضك.

وهذان قولان في مرجع الضمير الأول للكوفيين، والثاني لسيبويه، وذهب

الفراء إلى أنها فعل لافاعل له (١)، كقلها، لما أشربته من معنى «إلا».

وإنما استثنى عليه السلام بحاشا، لما فيها من معنى التنزيه، تنزيهاً لفروضه تعالى من تضييعها.

ولذلك قال ابن الحاجب: إنما يستثنى بـ «حاشا» حيث يتعلق الاستثناء بما فيه تنزيه، كقولك: ضربت القوم حاشا زيد، ولا يحسن: صلى الناس حاشا زيد؛ لفوات معنى التنزيه (٢).

والاستثناء هنا متصل، لأنه من مضمون الكلام السابق، وهو الاعتراف بالتفريط في الطاعات والعبادات، أو من السنة الشاملة للفرض والندب، وإن كان العطف محتوياً على ثلاثة أشياء، كقوله عليه السلام «ألا إن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية، فهي تحت قدمي هاتين إلا سدانة الكعبة، وسقاية الحاج (٣)». قال الزمخشري: هذا استثناء عن المأثرة، وإن احتوى العطف على ثلاثة أشياء، ونظيره قولك: جاءني بنو ضبة وبنو الحرث وبنو عبس إلا قيس بن زهير، وذلك لأن المعنى يدعوه إلى متعلقه (٤). انتهى.

يعني أن قيساً من بني عبس، فلا يتعلق إلا به. إذا عرفت ذلك، فقول بعضهم: الاستثناء بحاشا هنا منقطع، ليس كما ينبغي.

والفروض: جمع فرض، وهو لغة: التقدير، وشرعاً: ما أمر الله تعالى عباده ليفعلوه، كالصلاة والزكاة والصوم والحج، وجمعه باعتبار أفرادها.

وتضييع الفروض عبارة عن تركها وعدم القيام بها. يقال: ضييعه تضييعاً، وأضاعه إضاعة، قال تعالى: «فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ» (٥).

(١) مع الموامع للسيوطي: ص ٢٣٣.

(٢) تحفة الغريب بهامش النصف من الكلام: ج ١ ص ٢٥٢.

(٣) مسند احمد: ج ٢ ص ١٠٣ والفائق في غريب الحديث: ج ١ ص ٢٢.

(٤) الفائق في غريب الحديث: ج ١ ص ٢٢. (٥) سورة مريم: الآية ٥٩.

وَلَسْتُ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَضْلِ نَافِلَةٍ مَعَ كَثِيرٍ مَا أَغْفَلْتُ مِنْ وُظَائِفِ
فُرُوضِكَ، وَتَعَدَّيْتُ عَنْ مَقَامَاتِ حُدُودِكَ إِلَى حُرْمَاتِ انْتِهَكَتِهَا، وَكِبَائِرِ
ذُنُوبِ اجْتِرَاحَتِهَا، كَانَتْ عَافِيَتُكَ لِي مِنْ فَضَائِحِهَا سِتْرًا.

والمراد بالهلاك هنا إستيجاب العذاب واستحقاق السخط من الله تعالى نعوذ
بالله من ذلك .

ومدار هذه الفقرات على اعترافه عليه السلام بعدم قيامه بالطاعات سوى
الفرائض باعتبار عدم الاعتداد به، وإلى هذا المعنى أشار صاحب البردة بقوله:
وما تزودت قبل الموت نافلة ولم أصل سوى فرض، ولم أصم (١)
ومن العجيب ما قاله بعضهم هنا: إن الاستثناء في قوله عليه السلام «حاشا
فروضك» نظير قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
فيكون المعنى خصوصاً فروضك .

ولو كان الاستثناء على حقيقته لكان المعنى ما أحييت من السنن إلا الفروض،
ومقام الاعتراف بالتقصير، غير مناسب لذلك . انتهى .

ومثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن ذهن مؤوف، نسأل الله العافية .

توسل إلى ربه بعمل: تقرب إليه به، ويقال: وسل، يسأل أيضاً - من باب
وعد-، ومنه اشتقاق الوسيلة، وهي ما يتقرب به إلى الشيء .

والفضل: الزيادة، وهو خلاف النقص. يقال: فضل فضلاً - من باب قتل - أي
زاد، و«خذ الفضل» أي الزيادة ويطلق على الكمال والشرف والدرجة الرفيعة، كالفضيلة
والنافلة: من النفل، وهولغة: الزيادة، وشرعاً: اسم لما شرع زيادة في
العبادات على المفروضات. ويسمى مندوباً، ومستحباً وتطوعاً، وتنوياً للتفخيم،
أي نافلة يعتد بها.

و«مع» في الأصل: ظرف، وهي اسم لمكان الاجتماع، أو وقته، تقول: زيد مع عمرو، وجئت مع العصر. وهل هو معرب أو مبني؟ خلاف. وقد يراد بها مجرد الاجتماع من غير ملاحظة الزمان والمكان، وهي هنا كذلك. ولما كان أصلها الظرفية فلا بد لها من متعلق، ومتعلقها هنا قوله: «أتوسل». وأغفلت الشيء إغفالاً: تركته من غير نسيان، والمفعول محذوف، أي أغفلته. و«من»: بيانية.

والوظائف: جمع وظيفة، وهي ما يقدر من عمل ورزق ونحو ذلك. وتطلق على الشرط كما في القاموس (١)، ولعل المراد هنا بقرينة استثناء الفروض سابقاً، فيكون المراد بها شرائط الفروض للقبول دون الأجزاء كمحض الإخلاص، وحضور القلب وغير ذلك، ففي الصحيح «إنما لك من صلاتك ما أقبلت عليه» (٢). وفيه عن أبي جعفر عليه السلام: إن العبد ليرفع له من صلاته نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها، فما يرفع له إلا ما أقبل عليه بقلبه، وإنما امرنا بالنافلة ليتم لهم بها مانقصوا من الفريضة (٣).

أو المراد بها الآداب الموظفة التي يكون بها المفروض على أكمل الوجوه كما ورد في الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: للصلاة أربعة آلاف حد (٤)، وفي رواية أخرى للصلاة أربعة آلاف باب (٥). وعلى كل تقدير ففرضه من ذلك أن لا يخرج نفسه من حد التقصير في فرض ولا ندب.

وتعديت الشيء: تجاوزته إلى غيره. وإنما عداه بـ«عن» لتضمينه معنى الإعراض والصد.

(١) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٢٠٥.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٣٦٣ ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٣٦٣ ح ٤.

(٤) و (٥) الكافي: ج ٣ ص ٢٧٢ ح ٦.

وفي القاموس (١) والمحكم: عذَى عن الأمر جازه إلى غيره فلا حاجة إلى التضمن (٢).

والمقامات: جمع مقامة، وهي - بالفتح - : القيام وموضعه، و- بالضم - الإقامة وموضعها، والرواية في الدعاء بالوجهين.

والحد في الأصل: المنع والفصل بين الشيئين، وحد الدار ما يمنع غيرها أن يدخل فيها.

فحدود الله: ما منع من مخالفتها بعد أن قدرها بتقادير مخصوصة، وصفات مضبوطة، قال تعالى: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (٣) أي أحكامه وفرائضه، وعن الحسن: حرمانه (٤)، وبالجملة ما أمر به ونهى عن مخالفته.

وإضافة المقامات إليها، إما بمعنى المصدر من قام بالأمر، وأقامه: إذا حفظه ولم يضيّعه، أو بمعنى الموضع، أي مواضع قيامها أو إقامتها، والمراد بها المواضع التي نيّطت بها حدوده وأحكامه تعالى، من الأفعال والتروك.

وقوله عليه السلام: «إلى حرمان انتهكتها» متعلق بـ «تعديت»، يقال: تعديت هذا الأمر إلى غيره: أي جاوزته إليه.

والحرمان: جمع حرمة - بالضم - وبالضمتين - وهي ما لا يحل انتهاكه.

وحرمان الله: قيل: فروضه، وقيل: ماوجب القيام به، وحرم التفريط فيه، وقيل: ما حرّمه، وأمر باجتنابه. من حرّم الشيء - بالضم - إذا امتنع فعله. وهي في الأصل اسم من الاحترام، كالفرقة من الافتراق.

وانتهك الحرمة: تناولها بما لا يحلّ، وأصله من النهك، وهو المبالغة في كل شيء،

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٩٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

(٢) محكم اللغة: ج ٢ ص ٢٢٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ج ٣ ص ١٣٨.

وَهَذَا مَقَامٌ مَنْ اسْتَحْيَى لِنَفْسِهِ مِنْكَ، وَسَخَطَ عَلَيْهَا، وَرَضِيَ عَنْكَ، فَتَلَقَّاكَ بِنَفْسٍ خَاشِعَةٍ، وَرَقَبَةٍ خَاضِعَةٍ، وَظَهْرٍ مُثْقَلٍ مِنَ الْخَطَايَا،

فَكَأَنَّ الْمُنْتَهِكَ لِلْحَرَمَةِ بِالْغَى فِي خَرَقِ مَحَارِمِ الشَّرْعِ، وَإِتْيَانِهَا.

واجترح الذنب: اكتسبه، أخذاً من الجوارح، أي أعضاء الإنسان التي يكتسب بها، لأنه يعمل بجوارحه.

وقوله: «كانت عافيتك لي من فضائلكها» جملة في محل خفض؛ نعت للحرمت والكبائر.

والعافية: المعافاة، مصدرٌ جاء على فاعله، من عافاه الله، أي سلّمه من المكروه، كالحاتمة بمعنى الختم والكاذبة بمعنى الكذب.

والفضائح: جمع فضيحة، وهي اسم من فضحه، كمنعه، أي كشف مساوئه وعيوبه.

والظرف من قوله: «لي» متعلق بالعافية.

و«من فضائلكها»: يحتمل تعلّقه بها أيضاً، وهو الظاهر، ويحتمل أن يكون متعلقاً بقوله: «سترأ»، وهو وإن كان اسماً لما يستتر به إلا أنه يصحّ التعلّق به؛ لتأوله بـ«سائر» المشبه للفعل، ونظير ذلك قول الشاعر:

وإنّ لساني شهدةٌ يشفّى بها وهو على من صبّه الله علقمُ (١)
قال ابن هشام: أصله: علقم على من صبه الله عليه، فعلى المحذوفة متعلّقة بـ«صبّ»، والمذكورة متعلّقة بـ«علق» لتأوله بـ«صعب، أو شاق، أو شديد» (٢) والله أعلم.

الاستحياء: استفعال من الحياء، وهو تغيّر النفس، وانقباضها ممّا تعاب به، أو تذلّم عليه، يقال: استحييته، واستحييت منه، فيعذّي بنفسه، ويحرف الجرّ، وفيه لغتان: إحداهما بيائين، وهي لغة أهل الحجاز، وبها جاء القرآن، وعليها عبارة الدعاء.

(١) مغني اللبيب: ص ٥٦٧.

(٢) مغني اللبيب: ص ٥٦٧ - ٥٦٨.

وَأَقِفًا بَيْنَ الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَجَاءُ ، وَأَحَقُّ مَنْ خَشِيَهُ وَاتَّقَاهُ ، فَأَعْظِيَنِي يَا رَبِّ مَا رَجَوْتُ ، وَأَمْنِي مَا حَذَرْتُ ، وَعُدُّ عَلَيَّ بِعَائِدَةِ رَحْمَتِكَ ، إِنَّكَ أَكْرَمُ الْمَسْئُولِينَ .

والثانية: بياء واحدة، وهي لغة تميم، ومنها قوله:

« أَلَا تَسْتَحْيِي مِنَّا الْمُلُوكَ وَتَتَّقِي ٥ »

والمراد بالاستحياء منه تعالى ترك ما يكرهه، ويستقبحه، ويؤاخذ عليه، فاستحيأوه لنفسه منه سبحانه عبارة عن زجره لها، وكفها عن ارتكاب ما لا يرضاه. وسخط عليه سخطاً - من باب تعب - : غضب، والسُّخْط - بالضم - اسم منه. والرضا عن الله سبحانه عبارة عن الابتهاج بقضائه، وأحكامه وإحسانه وإنعامه، وحمله عن تعجيل المؤاخذة والانتقام، وفتح باب التوبة والعفو عن الآثام. وتلقيت الرجل: استقبلته. والتلقي هنا استعارة تبعية لتوجهه بكلية إليه تعالى، والإنابة إلى باب كرمه وعفوه.

والباء من قوله: «(بنفس)» للملابسة، أي: ملتبساً بنفسٍ خاشعة.

قال الرضي: ولا تكون بهذا المعنى إلا مستقراً (١).

وقال الشمني: الظاهر أنه لا منع من كونها لغواً (٢).

وخشع خشوعاً: ذلّ واستكان وسكن، فهو خاشع، وخشع في صلاته ودعائه: أقبل بقلبه على ذلك، وهو مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنت.

وعن مجاهد: الخشوع: الخوف الدائم في القلب (٣).

وخضع خضوعاً: تطامن وتواضع.

وفي القاموس: الخشوع، الخضوع، أو قريب من الخضوع، أو هو في البدن

(١) و (٢) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٢٧.

(٣) لم نعر عليه بل وجدناه عن الحسن في تفسير التبيان: ج ٣ ص ٩٤ مع اختلاف يسير.

والخشوع في الصوت والبصر (١).

وقال الفيتومي: الخضوع قريب من الخشوع، إلا أن الخشوع أكثر ما يستعمل في الصوت، والخضوع في الأعناق (٢).

وأثقله الشيء، بالألف، إثقالاً: أجهده. شبه الخطايا في ثقلها عليه، وصعوبة احتمالها بالأحمال التي تثقل الحامل وتقده (٣)، وتنقض ظهره، فرشحها بذكر الظهر والأثقال، ولك جعله من باب التمثيل.

ونصب «واقفاً» على الحال.

و «بين» هنا ظرف مستعار لما بين الحديثين مكاناً.

قال الرضي: «بين» إن أضيف إلى الأمكنة أو جثث غيرها فهو للمكان نحو بين الدار وبين زيد وعمرو، وإن أضيف إلى الأزمنة فهو للزمان نحو بين يوم الجمعة ويوم الأحد، وكذا إن أضيف إلى الأحداث نحو بين قيام زيد وقعوده، إلا أن يراد به مجازاً المكان نحو قولك: زيد بين الخوف والرجاء، أستعيرت لما بين الحديثين مكاناً، فلهذا وقع «بين» خبراً عن الجثة (٤). انتهى.

ورغب إليه في كذا: طلبه منه، وسأله إياه، وقيل: أمله ورجاه.

ورهبته ورهبت منه: خفته، أي واقفاً بين الرغبة إليك في رحمتك وعفوك، والرغبة من عقابك وسخطك، والمراد بالوقوف بينهما تساويها عنده، واتصافه بهما على حد سواء قال بعضهم: اجتماع الرغبة والرغبة والخوف والرجاء على تضادهما في حالة واحدة من قبل توارد أسبابهما عليه، وهو كما يجتمع الإخبات والطمأنينة مع الوجل الذي هو ضد هما، كما قال الله عز وجل «وبشر الْمُخْبِتِينَ» الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم (٥).

(١) القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٨.

(٤) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ١١٣ - ١١٤.

(٢) المصباح المنير: ص ٢٣٦.

(٥) سورة الحج: الآية ٣٤ و ٣٥.

(٣) «ألف»: تفدحه.

وقال بعض العارفين: الرجاء والخوف كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطائر، فتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما كان جاذباً له، فيسقط على رأسه، وإذا ذهب هلك الطائر (١).

وقال أبو عثمان المغربي: من حمل نفسه على الرجاء تعطل، ومن حمل نفسه على الخوف قنط، ولكن ينبغي أن يخاف العبد راجياً، ويرجو خائفاً (٢).

وفي الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي يقول: ليس من عبدي مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا (٣).

قال بعض الأصحاب: وذلك لأن المؤمن لا يخلو من قصور أسباب الخوف والرجاء، وتجويز وقوع مقتضى كل واحد منها بدلاً من الآخر بحيث لا يرجح أحدهما على الآخر، إذ لو رجح الرجاء لزم الأمن في غير موضعه «أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون» (٤)، ولو رجح الخوف لزم اليأس الموجب للهلاك «إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون» (٥)، ومنه ظهر أن الخوف غير القنوط، وأنه والرجاء ينبغي أن يكونا متساويين مطلقاً (٦).

قوله عليه السلام «وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَجَاهُ». أولى: أفعل تفضيل، وأصله من الولي، بمعنى القرب والدنو، فهو في الأصل بمعنى أقرب، ثم استعمل بمعنى أحق مطلقاً، يقال: زيدٌ أولى بهذا من عمرو، أي أحق وأحرى وأجدر.

وكان سبحانه وتعالى أولى من رجاء معرفته بسعة رحمته وفضله ولطفه ورأفته وإحسانه على عباده، وإجراء نعمه عليهم، ظاهرة وباطنة، جليلة وخفية، ضرورة وغير ضرورة، حين كونهم أجنة في بطون أمهاتهم، بلا سبق استحقاق، ولا تقدم

(٤) سورة الأعراف: الآية ٩٩.

(١) و (٢) آداب النفس: ج ٢ ص ٩.

(٥) سورة يوسف: الآية ٨٧.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٧ ح ١ ص ٧١ ح ١٣.

(٦) شرح الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج ٨ ص ٢٠٦.

اللَّهُمَّ وَإِذْ سَتَرْتَنِي بِعَفْوِكَ ، وَتَغَمَّدْتَنِي بِفَضْلِكَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ
بِحَضْرَةِ الْأَكْفَاءِ ، فَأَجِرْنِي مِنْ فُضَيْحَاتِ دَارِ الْبَقَاءِ عِنْدَ مَوَاقِفِ
الْأَشْهَادِ ،

استيجاب، وللعلم بغنائه عن طاعتهم وعبادتهم، وتعذيبهم مع عجزهم ومسكنتهم
وضعفهم وفقرهم بين يديه، فمن كان بهذه الصفات كان أولى من رجاه راج، وأمله
محتاج.

وإنما كان أحق من خشية واثقاه لمعرفته بجلاله وعظمته وكبريائه وغنائه عن
خلقه، وشدة غضبه وقهره، وكمال قدرته على الخلق، وعدم مبالاة به بتعذيبهم
وإهلاكهم متى أراد، فهو سبحانه أحق من خشية الخاشون، واثقاه المتقون.
والفاء من قوله: «فأعطني» سببية، أي إذا كنت بهذه الصفة فأعطني.
وحذرته أحذره حذراً من باب تعب: خفته.
وعاد عليه بمعروفه يعود عوداً من باب قال: أفضل. والعائدة: المعروف
والصلة والمنفعة.

والجملة من قوله عليه السلام: «إنك أكرم المسؤولين» تعليل للدعاء، ومزيد
استدعاء للإجابة. والله أعلم (هـ)

«إذ»: للتعليل، كقوله تعالى: «وَإِذْ اغْتَرَبْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأُؤْوَا
إِلَى الْكَهْفِ» (١).

وهل هي حرف بمنزلة لام العلة، أو ظرف، والتعليل مستفاد من قوة الكلام،
لأمن اللفظ؟ قولان: الأول: منسوب إلى سيبويه (٢).

واستشكل الثاني: بأن «إذ» لما مضى من الزمان، وقوله: «فأجرني» في عبارة
الدعاء، وقوله: «فأؤوا» في الآية مستقبل، والماضي والاستقبال متناحيان.

وَالصَّالِحِينَ، مِنْ جَمَارِ كُنْتُ أَكَاتِمُهُ سَيِّئَاتِي، وَمِنْ ذِي رَحِمٍ كُنْتُ أَحْتَشِمُ مِنْهُ فِي سَرِيرَاتِي، لَمْ أَثِقْ بِهِمْ رَبِّ فِي السَّيِّئَاتِي، وَوَقَّعْتُ بِكَ رَبِّ فِي الْمَغْفِرَةِ لِي، وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ وَثِقَ بِهِ، وَأَعْطَى مَنْ رَغِبَ إِلَيْهِ، وَأَرْأَفُ مَنْ اسْتُرَحِمَ فَأَرْحَمِي.

وحمل الرضي ذلك على إجراء الظرف مجرى كلمة الشرط، قال: وأما قوله تعالى: «وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسْكُونُونَ» وقوله: «وَإِذْ اغْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ» وقوله: «فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» فإجراء الظرف مجرى حكمة الشرط، كما ذكره سيبويه في نحو: زيد حين لقيته فأنا أكرمه، وهو في «إذا» مطرد، قال: ويجوز أن يكون من باب «والرجز فأهجر» أي: مما أضمر فيه أمّا، وإنما جاز إعمال المستقبل - الذي هو «فسيقولون، وأووا وأقيموا» - في الظروف الماضية - التي هي «إذ لم يهتدوا، وإذ اعتزلتموهم وإذ لم تفعلوا» - وإن كان وقوع المستقبل في الزمن الماضي محالاً لما ذكرنا في نحو: أمّا زيد فنطلق، من أن الغرض المعنوي هو قصد الملازمة حتى كأن هذه الأفعال المستقبلية وقعت في الأزمنة الماضية، وصارت لازمة لها، كل ذلك لقصد المبالغة (١). انتهى.

وقال أبو البقاء في إعراب قوله تعالى: «فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ»: قيل: إذ بمعنى إن الشرطية، وقيل: على بابها، ماضية، والمعنى إنكم تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه بإقامة الصلاة (٢). انتهى.

والباء من قوله: «بعضوك» تحتل الاستعانة والسببية والملابسة.

وتغمده الله برحمته: غمره بها، وتغمدت فلاناً: سترت ما كان منه وغطيته، كذا في الصحاح (٣).

(١) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

(٢) تفسير التبيان في إعراب القرآن: ذيل الآية ١٤ من سورة المجادلة.

(٣) الصحاح: ج ٢ ص ٥١٧.

فإن حملته على الأول فالباء للاستعانة، وإن حملته على الثاني فهي للسببية.
وفي الأساس: تغمده الله برحمته: ستره (١).

وقال ابن الأثير في النهاية: فيه إلا أن يتغمدني الله برحمته، أي يلبسنيها،
ويسترني بها، مأخوذ من غمد السيف، وهو غلافه، يقال: غمدت السيف واغمدته (٢).
ودار الفناء: عبارة عن الدنيا، سميت بذلك لأن كل ما فيها صائر إلى الفناء،
وهو العدم بعد الوجود.

والباء من قوله: «بحضرة الأكفاء» ظرفية.
والأكفاء: جمع كُفُو، مثل قُفْل، وهو المثل والنظير والمساوي.
والحضرة: بمعنى الحضور، يقال: كلمته بحضرة فلان، أي بحضوره.
والفاء من قوله: «فأجرتني» إن جعلت إذ للتعليل فهي عاطفة على محذوف،
أي لأجل سترك في دار الفناء بحضرة الأكفاء استرني فأجرتني، كما تقدم في حكاية
سيبويه: كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه.

وإن جعلت ظرفاً أجري مجرى كلمة الشرط، فهي رابطة لشبه الجواب بشبه الشرط.
وقول بعضهم: إنها للسببية، خبط.

وأجاره إجارة: آمنه مما يخاف.
والفضيحة: اسم من فضحه، كمنعه، إذا كشف مساوئه، وأظهر عيوبه،
وإضافة الفضيحة إلى دار البقاء بمعنى «في» كشهد الدار.
و«عند» تحتل الظرفية الزمانية والمكانية.

والمواقف: جمع موقف، وهو إما اسم مكان الوقوف أو مصدر ميمي.
والأشهاد: جمع شهيد، كشریف وأشراف، وهو فاعل بمعنى فاعل، من شهدت
على الشيء، أي اطلعت عليه وعاينته، أو من شهدت المجلس، أي حضرته، فأنا شاهد وشهيد

مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَالرُّسُلِ الْمَكْرَمِينَ، وَالشَّهَدَاءِ

و«من الملائكة» بيانٌ للأشهاد.

والمقربون: إما صفة لمجرد المدح، على أن المراد بالملائكة مطلقهم، لأنهم جميعهم مقربون؛ إذ كانوا أسبق السابقين في كل العبادات «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» أولئك المقربون^(١)؛ ولأنهم أعلم خلق الله تعالى به، وأكثرهم طاعة له، وخوفاً منه، وخشية له، ومن كان بهذه الصفات كان مقرباً عند الله.

وإما للتوضيح على أن المراد بالملائكة نوع خاص.

قال بعض العلماء: الملائكة على أنواع كثيرة، ومراتب متفاوتة، أولها الملائكة المقربون، كما قال تعالى: «لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ»^(٢)، وهم الذوات المقدسة عن الجسمية والجهة، وعن حاجتها إلى القيام بها وعن تدبيرها. والله أعلم.

وكرمه تكريماً، وأكرمه إكراماً؛ وعظمه، وخصه بفضيلة دون غيره.

والشهداء: جمع شهيد، وهو من قتله الكفار في الحرب، فعيل بمعنى مفعول؛ لأن الله تعالى شهد له بالجنة، أو شهدت الملائكة نقل روحه إلى الجنة، أو بمعنى فاعل؛ لأنه يشهد ملكوت الله وملكه، أو لأنه ممن يشهد يوم القيامة على الأمم الخالية، وقيل: غير ذلك. وقد تقدم.

والصالحين: جمع صالح.

قال الزجاج في قوله تعالى في صفة يحيى عليه السلام «وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ»، الصالح: هو الذي يؤدي إلى الله ما افترض عليه، ويؤدي إلى الناس حقوقهم^(٣). وقال صاحب مطالع الأنوار: الرجل الصالح هو المقيم بما يلزمه من حقوق الله

(١) سورة الواقعة: الآية ١٠ و ١١.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧٢.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الأول من القسم الثاني ص ١٧٩ نقلاً عن معاني القرآن

سبحانه وحقوق الناس (١).

قوله عليه السلام: «من جارٍ كنتُ أكايمه سيئاتي».

قال بعضهم: هو وما بعده بيان للأكفاء، وكونه للصالحين، غير مناسب؛ لمقام عموم الصالحين وما قبله. وتعلقه بفضيحات بمعنى: أجرني من فضيحاتي من الجار وما بعده محتمل على بعد. إنتهى.

وقول بعضهم: إنَّ «من» للتعليل أبعد، والظاهر تعلقها بـ «فضيحات» لاستلزامها معنى الاستحياء والاحتشام، كما قالوا: وافضيحتي منك، لما دخله معنى واحيائي منك. ومن قواعدهم أنهم يعطون الشيء حكم ما أشبهه في معناه كقوله:

«سودُّ المحاجر لا يقرآن بالسور» (٢).

قال السهيلي: عدَّى يقرآن بالباء؛ لما دخله معنى يتبركن (٣).

وفي نسخة «وكم من جارٍ كنتُ أكايمه سيئاتي» وكتبتُ زيدا الحديث كتماً - من باب قتل - وكتماناً - بالكسر -: أخفيته عنه، يتعدى إلى مفعولين. وفاعل هنا للتكثير لا للمشاركة، أي كثرت كتمي لسيئاتي عنده.

قال الرضي: بمعنى فعل أي يكون للتكثير، كفعل، نحو ضاعفت الشيء، أي: كثرت أضعافه كضعفه، وناعمه الله كنعمه، أي كثر نعمته بفتح النون (٤). إنتهى. وذي رحم، أي ذي قرابة، سميت القرابة رحماً، باسم الرحم التي هي موضع تكوين الولد من الأم.

واحتشمتُ منه احتشاماً: استحييتُ.

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: بعد الجزء الأول من القسم الثاني ص ١٧٩ نقلاً من صاحب مطالع الأنوار.

(٢) معني اللبيب: ص ٤٥.

(٣) لم نعر عليه.

(٤) شرح الشافية: ج ١ ص ٩٩.

قال الزمخشري في الأساس: أنا أحتشمك وأحتشم منك: استحي (١).
والسرائر: جمع سريرة، بمعنى السر، وهو ما يكتمه الإنسان ويخفيه، يقال: أفشى
سره وسريته وأسراره وسرائره.

ووثقت به أثق ثقة: اعتمدت على وفائه.

وستر عليه: أخفى مساوئه وعيوبه.

والضمير من «بهم» عائد إلى المعنى؛ لأن المراد بالجواز ذي الرحم الجنس، ولو
أعيد إلى الملفوظ به لثناه.

وتوسيط النداء في الفقرتين والتعرض لعنوان الربوبية للمبالغة في التضرع
والاستعطاف.

وما أحسن قوله عليه السلام: «في المغفرة لي»، إذ كان أصل الغفر الست،
وحدة المغفرة ستر الخطيئة برفع العقوبة.

قوله عليه السلام: «وأنت أولى من وثق به»، أي أحق من اعتمد على وفائه، إذ
كان الوفاء من كل أحد لمن اعتمد عليه من صفات الكمال بقضية العقل والكمال
لِلواجب تعالى أولى وأحق، وأقدم وأتم من غيره.

وقوله: «وأعطى من رغب إليه»، أي أكثر من سئل ورجي العطاء.

وفيه شاهد لجواز بناء أفعل التفضيل من «أفعل» مع كونه ذا زيادة، وهو قياس
عند سيبويه (٢).

قال الرضي: ويؤيده كثرة الاستعمال كقولهم: هو أعطاهم للدينار، وأولاهم
للمعروف، وأنت أكرم لي من فلان، وهو عند غير سيبويه سماعي مع كثرة (٣).
والرأفة: أشد الرحمة. وقيل: هي مبالغة في رحمة (٤) خاصة، هي دفع المكروه،

(١) أساس البلاغة: ص ١٢٧.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٣) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢١٣.

(٤) «ألف»: رحمته.

اللَّهُمَّ وَأَنْتَ حَذَرْتَنِي مَاءَ مَهِينًا مِنْ صُلْبٍ مُتَضَائِقٍ الْعِظَامِ، حَرَجَ الْمَسَالِكِ إِلَى رَحِمٍ ضَيِّقَةٍ، سَتَرْتَهَا بِالْحُجُبِ، تُصَرِّفُنِي حَالًا عَنْ حَالٍ حَتَّى أَنْتَهَيْتَ بِي إِلَى تَمَامِ الصُّورَةِ، وَأَثَبْتَ فِيَّ الْجَوَارِحَ، كَمَا نَعَتْ فِي كِتَابِكَ، نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ عِظَامًا، ثُمَّ كَسَوْتَ الْعِظَامَ لَحْمًا، ثُمَّ أَنْشَأْتَنِي خَلْقًا آخَرَ كَمَا شِئْتَ.

وإزالة الضرر، والرحمة اسم جامع. وقيل: الرحمة أكثر من الرأفة، والرأفة أقوى منها في الكيفية، لأنها عبارة عن إيصال النعم صافية عن ألم والرحمة إيصال النعم مطلقاً، وكان سبحانه أرفأ من استرحم؛ لأن رأفته بلا غاية، ورحمته بلا نهاية.

والفاء من قوله: «فارحمي» للسببية، أي إذا كنت كذلك فارحمي.

حذرت الشيء حذراً وحذوراً من باب قعد: أنزلته إلى موضع منحدر، أي منخفض. وفي الصحاح: حذرت السفينة أحدها حذراً أرسلتها إلى أسفل، ولا يقال: أحذرتها (١).

و «ماء» نصب على الحال.

والمهين: فعيل من مهن الشيء - بالضم - مهانة: أي حقر وضعف، وفيه تلميح إلى قوله تعالى في السجدة: «ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ» (٢) وفي المرسلات «أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ» (٣).

قال الطبرسي: أي ضعيف، عن قتادة. وقيل: حقير مهان، إشارة إلى أنه من شيء حقير، لا قيمة له، وإنما يصير ذا قيمة بالعلم والعمل (٤). انتهى.

والصلب - بالضم -: عظم يستدني من حدّ عظم الرأس المؤخر، وينتهي إلى عظم العصعص.

قال صاحب الكامل: وعظم الصلب ينقسم إلى أربعة أجزاء: أحدها: العنق،

(١) الصحاح: ج ٢ ص ٦٢٥.

(٣) سورة المرسلات: الآية ٢٠.

(٢) سورة السجدة: الآية ٨.

(٤) مجمع البيان: ج ٧ - ٨ ص ٣٢٧.

وهو الرقبة، والثاني: الظهر، والثالث: الحقو، ويقال له: القطن، والرابع، العجز، وهو العظم العريض.

أما العنق فمركب من سبع فقرات، وأما الظهر فمركب من اثنتي عشرة فقرة، وأما الحقو فمركب من خمس فقرات، وأما العجز فمركب من جزأين: أحدهما يسمى خاصة عظم العجز، وهو عظم عريض يتصل بالفقرة الآخرة من فقار الحقو، والثاني: يقال له العصعص، وهو مؤلف من ثلاثة عظام شبيهة بالفضروف (١). انتهى مُلخصاً.

وسمي الصلب صلباً؛ لصلابته.

قال الرئيس في القانون: إن الصلب خلق ليكون مبنى لجميع عظام البدن، مثل الخشبة التي تُهَيَّأ في نجر السفينة أولاً، ثم يركز فيها، ويربط بها سائر الخشب ثانياً، ولذلك خلق الصلب صلباً (٢). انتهى.

والتضائق: تفاعل من الضيق، وهو خلاف السعة.

قال الجوهري: تضائق القوم إذا لم يتسعوا في خلق أو مكان (٣).

والمراد بتضائق العظام من الصلب اتصال فقراته كل منها بالأخرى اتصالاً مفصلياً، ودخول كل واحدة منها في حفرة معمولية في الأخرى كما شرح في علم التشريح، فكأن العظام ضائق بعضها بعضاً لتلاصقها وانتظامها، حتى كأنها عظم واحد.

وحرج المكان حرجاً - من باب تعب - : ضاق، فهو حرج، ككتف.

والمسالك: جمع مسلك، وهو الطريق. من سلك الطريق سلوكاً - من باب

قعد - : ذهب فيه.

(٣) الصحاح: ج ٤ ص ١٥١١.

(١) كامل الصناعة: ص ٥٥ - ٥٧.

(٢) القانون في الطب: ج ١ ص ٢٨.

والمراد بخرج مسالكه: ضيق تجاويف فقراته وثقبها، فإن الفقرة عظم، مستدير، مجوف، في وسطه ثقب ينفذ فيه النخاع.

وإسناد الحدر إلى الله تعالى من باب إسناد الفعل إلى سببه الأول، إذ كان تعالى هو الأول في وجوده، ووجود سائر أسبابه.

وكون الماء من الصلب، إقما باعتبار أن مبدء ماء الرجل من صلبه، لأن مادته من النخاع الآتي من الدماغ، وينحدر في فقرات الصلب إلى العصعص، كما ذهب إليه جَم غفير، وإقما باعتبار كون الدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليد المني، وممره على الصلب.

قال الرئيس في القانون: أبقرط يقول مامعناه: إن جمهور مادة المني هو من الدماغ، وإنه ينزل في العرقين اللذين خلف الأذنين، ولذلك يقطع فصد هما النسل، ويورث العقر، ويكون دمه كيتياً، ووصلاً بالنخاع لئلا يبعدا عن الدماغ وما يشبهه مسافة طويلة، فيستغير مزاج ذلك الدم، بل يصبان إلى النخاع، ثم إلى الكلية، ثم إلى العروق التي تأتي الأنثيين (١). انتهى.

فيكون الصلب ممراً للمني لا مبدءاً له، وتخصيصه بالذكر، على هذا؛ لكونه عمود البدن، كما تقدم. والله أعلم.

قوله عليه السلام: «إلى رحم ضيقة» متعلق بحدرتني.

والرحم: على وزن كتف - ويخفف بسكون الحاء، فتح الراء ومع كسرهما أيضاً في لغة بني كلاب، وفي لغة لهم بكسر الحاء إتباعاً لكسرة الراء: آلة التوليد للإناث، وهي مؤنثة. وقد تذكر إذا استعملت بمعنى القرابة، وهو الأكثر.

ووصفها بالضيق لأن مقدارها على ما قاله جماعة من أرباب التشريح أقل ما يكون ست أصابع، وأكثر ما يكون أحد عشر إصبعاً.

قال الشيخ في القانون: طولها المعتدل في النساء ما بين ست أصابع إلى أحد عشر إصبعاً، وما بين ذلك، وقد يقصر ويطول باستعمال الجماع وتركه (١). إنتهى.
والحجب: جمع حجاب، ككتب وكتاب، وهو الجسم الساتر، والمراد بها الأغشية المحيطة بها، وما يليها من الأعضاء من كل الجهات، فإنها حجب ساترة لها. والجملة في محل خفض نعت ثانٍ للرحم.

قوله عليه السلام: «تصرفني حالاً عن حال». صرفت الشيء تصرفاً: قلبته من حالة إلى حالة. والجملة في محل نصب على الحال.

والحال: التغير، وصفة الشيء تذكر وتؤنث، فيقال: حالٌ حسنة، وهو الأفصح، وقد يؤنث لفظها، فيقال: حالة. وفي القاموس: الحال كنية الإنسان، وما هو عليه كالحالة (٢).

و«حالاً» نصب على المصدر النوعي لقيامه مقامه، والأصل تصرف حال عن حال، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كما قال بعضهم في نحو: بعته يداً بيد، وقبلته فماً بفم هو على حذف مضاف، أي بيع يد بيد، وتقيل فم بفم. قال ابن هشام: وهذا تقدير حسن سهل (٣).

ويجوز أن يحمل على أنه حال من مصدر الفعل المفهوم منه، والتقدير: تصرفني حال كون التصريف حالاً عن حال، كما ذهب إليه سيبويه في نحو: «وَكَلَّا مِنْهَا رَغَدًا» (٤) على أن الحال بمعنى التغير (٥) أو حال نائبة مناب جاعلاً كما ذهب إليه الفارسي في نحو: كلمته فاه إلى في، من أن فاه حال نائبة مناب جاعل ثم حذف، وصار العامل كلمته (٦).

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٥) لم نعر عليه.

(٦) لا يوجد لدينا الكتاب المذكور.

(١) القانون في الطب: ج ٢ ص ٥٥٦.

(٢) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٦٤.

(٣) لم نعر عليه.

و «عن» من قوله عليه السلام: «عن حال» بمعنى بعد، أي بعد حال، كقوله تعالى: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» (١)، أي حالة بعد حالة (٢).

وقال شارح اللباب: والأولى أن نقول: إن «عن» باقية على معناها من المجاوزة، ويكون المعنى: طبقاً متجاوزاً في الشدة عن طبق آخر دونه (٣). والمراد بقوله عليه السلام: «حالا عن حال» وقوله تعالى: «طبقاً عن طبق»، التكرير والتكرير، لا حالان وطبقان فقط، كما يدل عليه تمام عبارة الدعاء.

وقال الرضوي: قوله: «عن طبق» صفة طبقاً، وليس المقصود طبقين فقط، بل المراد أطباق كل واحد منها أعظم من الآخر، فهو مثل التثنية في لبيتك وكرتين، في أن المراد التكرير والتكرير، فاقصر على أقل مراتب التكرير، وهو الاثنان تخفيفاً. وكذا قولهم: ورث السيادة كابراً عن كابر، أي متجاوزاً في الفضل عن كابر آخر، وقال بعضهم: أي بعد كابر، والأولى إبقاء الحروف على معناها ما أمكن (٤). انتهى.

وقد فُسر قوله تعالى: «طبقاً عن طبق» بمعنى قوله عليه السلام: «حالا عن حال» قال الطبرسي: قيل: معناه حالا بعد حال، نطفة ثم علقه، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم خلقاً آخر. وقيل: شدة بعد شدة، حياة ثم موتاً ثم بعثاً، ثم جزاء، وقيل: أمراً بعد أمر، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وفقراً بعد غنى، وغنى بعد فقر، وصحة بعد سقم، وسقماً بعد صحة، وقيل: غير ذلك. والله أعلم (٥).

قوله عليه السلام: «حتى انتهيت بي إلى تمام الصورة» متعلق بـ «تصرفني». و «حتى» لانتهاى الغاية كـ «إلى»، لكن «حتى» موضوع لإفادة تقضي الفعل قبلها شيئاً فشيئاً، و «إلى» ليست كذلك.

(١) سورة الانشقاق: الآية ١٩. (٤) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٤٢. ما ١٣-١٤.

(٢) مغني اللبيب: ص ١٩٧. (٥) مجمع البيان: ج ٩-١٠ ص ٤٦٢.

(٣) النصف من الكلام: ج ١ ص ٢٩٥.

والباء من قوله «بي» للتعدية، وتسمى باء النقل أيضاً. وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولاً.

والصورة: هيئة حاصلة للشيء عند إيقاع التأليف بين أجزائه، ويقال: صورة الشيء ما به يحصل الشيء بالفعل.

و«أل» في «الصورة» للعهد، أي تمام الصورة المعهودة للإنسان.

وأثبت الشيء اثباتاً: جعله ثابتاً، مستقراً في مكانه.

والجوارح: الأعضاء، جمع جارحة.

والواو من قوله عليه السلام: «وأثبت في الجوارح» عاطفة، من باب عطف الشيء على لاحقه نحو: «كذلك يُوحى إليك وإلى الذين من قبلك» (١)؛ لأن الانتهاء إلى تمام الصورة لا يكون إلا بعد إثبات الجوارح، وكأن تخصيصها بالذكر لمزيد الانتفاع بها، وشدة الافتقار إليها، فهو من قبيل ذكر الشيء اهتماماً بشأنه.

قوله عليه السلام «كما نعت في كتابك» الظرف في محل نصب على أنه نعت لقوله عليه السلام: «حالا عن حال»، أو نعت لمصدر محذوف، أي تصرفاً مماثلاً لنعتك. فامصدرية، أو كافة كما في «ربما» فإنها تكف الحرف عن العمل، وتصحح دخولها على الجملة، وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين، كما ذهب إليه الزمخشري وابن عطية وغيرهما (٢).

قال ابن هشام: وفيه إخراج الكاف عما ثبت لها من عمل الجر لغير مقتضى (٣)، وهو في محله.

قوله عليه السلام: «نُظْفَةٌ ثُمَّ عَلَقَةٌ»، قال شيخنا البهائي قدس سره: نصب النظفة والمعطوفات عليها إقما على حكاية ما وقع في القرآن المجيد، أو على إضمار

(٣) معنى اللبيب: ص ٢٣٤.

(١) سورة الشورى: الآية ٢.

(٢) معنى اللبيب: ص ٢٣٤.

عامل كخلفتني ونحوه (١). إنتهى.

وعلى الأول: فهي وما عُطف عليها في محل نصب على المفعولية إما بنعتٍ لمرادفته قلت، وإما بقول محذوف وقع حالاً، أي قائلاً. والحال كثيراً ما تحذف إذا كانت قولاً أغنى عنه المقول نحو: «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ» سَلَامٌ عَلَيْكُمْ (٢)، أي: قائلين ذلك.

والنُطْفَة - بالضم - : المني، قيل: من النطف الذي هو الصب، يقال: نطفت الماء، أي صببته، ونطف الماء: إذا سال سيلاً تاماً، وقيل: من نطف الماء إذا قطر قليلاً قليلاً.

قال في النهاية: سقي المني نطفةً لقلته (٣).

قال الشيخ الرئيس في القانون، المني: هو فضلة الهضم الرابع الذي يكون عند توزع الغذاء في الأعضاء راسخاً عن العروق وقد استوفى الهضم، الثالث. وهو من جملة الرطوبة الغريزية القربة العهد بالانعقاد (٤).

والعلقة: القطعة الجامدة من الدم.

قال الأزهري: العَلَقَة الدم الجامد الغليظ، ومنه قيل: لهذه الدابة التي تكون في الماء علقه، لأنها حمراء، وكل دم غليظ علق (٥).

وقال الماوردي في تفسيره: العلقه قطعة من دم رطب سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه، فإذا جفت لم تكن علقه (٦).

(١) مفتاح الفلاح: ص ٢٧٩.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٣ - ٢٤.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٧٥.

(٤) القانون في الطب: ج ٢ ص ٥٣٣.

(٥) تهذيب اللغة: ج ١ ص ٢٤٣.

(٦) تفسير الماوردي: لم يطبع كما في «أدب الدنيا والدين» للماوردي في مقدمة الكتاب، ص ٥.

وقال صاحب المحكم: العلق: الدم ما كان، وقيل: هو الجامد قبل أن يبس، وقيل: هو ما اشتدت حرته، والقطعة منه علقه (١). إنتهى.

والمراد بها هنا المني المستحيل دماً غليظاً منجمداً.

والمضغة - بالضم -: في الأصل مقدار ما يمتصغ، والمراد بها هنا قطعة من اللحم مستحيلة من العلقه.

والعظم: جسم جامد صلب بسيط، كائن من تصلب الأخلاط. والمراد بالبسيط ما ساوى بعضه كله في الاسم والحذ والصفة، ويسمى متشابه الأجزاء.

واللحم: كذلك، إلا أنه جسم جامد رخوه (٢).

والمشهور في الرواية إفراد العظم أولاً، ثم جمعه، وهي قراءة زيد عن يعقوب في الآية الشريفة، وروي بالإفراد فيها وهي قراءة ابن عامر وأبي بكر، وبالجمع فيها وهي قراءة الحرمين وأبي عمر وحفص وحزرة والكسائي، وروى القطعي عن أبي زيد الجمع أولاً ثم الإفراد، عكس الأول.

ووجه الجمع اختلاف العظام في الهيئة والصلابة، والإفراد اكتفاء بالجنس.

تنبيه

قوله عليه السلام «كما نعت في كتابك نطفة ثم علقه» إشارة إلى قوله تعالى في سورة المؤمنون: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» (٣).

قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل: المراد بالإنسان آدم عليه السلام، لأنه

(١) محكم اللغة: ج ١ ص ١٢٣.

(٢) «ألف»: رخو.

(٣) سورة المؤمنون: ١٢ - ١٣ - ١٤.

استلّ من الطين (١).

والضمير في «جعلناه» عائد إلى الإنسان الذي هو ولده، إمّا على حذف مضاف، أي نسله، أو على طريقة الاستخدام.

وقال الآخرون: الإنسان هاهنا هو ولد آدم، أي الجنس والطين آدم. والسلالة: هي الأجزاء الكلية المبتوتة في أعضائه التي تجتمع منياً في أوعيته. قال النيسابوري: ويحتمل أن يقال: كل نسل آدم حاله كذلك، لأنّ غذاه ينتهي إلى النبات المتولد من صفو الأرض والماء المسقى بالسلالة، ثم إنّ تلك السلالة تصير منياً (٢).

وفي تفسير القميّ قال: السلالة الصفوة من الطعام، والشراب الذي يصير نطفة، والنطفة أصلها من السلالة، والسلالة هي من صفو الطعام والشراب، والطعام من أصل الطين فهذا معنى قوله: «من سلالة من طين» (٣). إنتهي. وعلى هذا فكلتا لفظتي «من» للابتداء.

وقال الزمخشري: الأولى للابتداء، والثانية للبيان (٤). وهو مبني على التفسير الأول فقط.

وقال العمادي: المراد بالإنسان: الجنس، أي خلقنا جنس الإنسان في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقاً إجمالياً (٥). فإنّ كلّ فرد من أفراد البشر له حظّ من خلقه عليه السلام، إذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه، بل كانت أنموذجاً منظوياً على فطرة سائر أفراد الجنس، انطواء إجمالياً مستتبعا لجريان آثارها على

(١) مجمع البيان: ج ٧ - ٨ ص ١٠١ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) غرائب القرآن ورجائب الفرقان: ج ٣ في ذيل الآية ١٢ من سورة المؤمنون.

(٣) تفسير القميّ: ج ٢ ص ٨٩.

(٤) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ١٧٨.

(٥) تفسير أبي السعود: ج ٦ ص ١٢٦.

الكل، فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقاً للكل منه (١)، وقوله تعالى «ثُمَّ جَعَلْنَاهُ» أي: الجنس باعتبار أفرادهِ المغايرة لآدم عليه السلام (٢). إنتهى. وهو تحقيق نفيس.

وقوله: «نطفة» أي بأن خلقناه منها، أو ثم جعلنا السلالة نطفة، والتذكير بتأويل الجوهر، أو السلوك أو الماء.

وقوله: «في قرار» أي في مستقر، وهو الرحم، عبر عنها بالقرار الذي هو المصدر مبالغة.

وقوله تعالى: «مكين» وصف لها بصفة ما استقر فيها، مثل طريق سالك، أو لمكانتها في نفسها؛ فإنها مكنت بحيث هي.

وقوله تعالى: «ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً» أي دماً جامداً، قابلاً للتمدد والتخلق بالزوجة والتماسك بحيث أحلنا النطفة البيضاء علقه حرام.

وقوله: «فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً» أي قطعة لحم، بأن أحلناها جسماً صلباً قابلاً للتفصيل والتخطيط والتصوير والحفظ.

وقوله: «فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً» أي صلبناها حتى اشتدت، وقبليت الربط، والتوثيق والإحكام والضبط.

وقوله: «فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا»، أي من بقية النطفة أو مما أنبتنا عليها بقدرتنا مما يصل إليها من الدم الغاذي، أي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم، على مقدار لائق به، وهيئة مناسبة له.

وقوله تعالى: «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ»، أي خلقاً آخر مبائناً للأول، بنفخ الروح، حيث جعله حيواناً، وكان جماداً.

وفي الآية دقائق:

(١) تفسير أبي السعود: ج ٦ ص ٩٣.

(٢) تفسير أبي السعود: ج ٦ ص ١٢٦.

الأولى: عبّر في الأول بخلقنا لصدقه على الاختراع والإيجاد؛ لعدم سبق المادة الأصلية، وفي الثاني بجعلنا، لصدقه على تحويل المادة. ثم عبّر في الثالثة وما بعدها كالأول، لأنه أيضاً إيجاد ما لم يسبق.

الثانية: أشار بقوله: «سلالة» - وهي الخلاصة المختارة من الكيفيات الأصلية بعد الامتزاج - إلى أنّ المواليد كلّها أصول للإنسان وأنّه المقصود بالذات، الجامع لأصولها.

الثالثة: قوله: «فكسونا» فيه إشارة إلى أنّ اللحم ليس من أصل الحلقة الملازمة للصورة، بل كالثياب المتخذة للزينة والجمال، وأنّ الاعتماد على الأعضاء والنفس خاصّة.

الرابعة: قوله: «ثمّ أنشأناه» سبّاه بعد نفخ الروح إنشاء، لأنّه حينئذٍ قد تحقّق بالصورة الجامعة.

الخامسة: قوله: «خلقاً آخر» ولم يقل: إنساناً، ولا آدمياً، ولا بشراً لأنّ النظر فيه حينئذٍ لما سيفاض عليه من خلع الأسرار الإلهية فقدان خروجه من السجن، والباس المواهب فقد يتخلّق بالأخلاق الملكية فيكون خلقاً ملكياً قدسياً، أو بالبهيمية فيكون كذلك، أو بالحجرية، إلى غير ذلك، فلذلك أهتم الأمر، وأحاله على مشيئته واختياره، كما صرّح به عليه السلام بقوله: «كما شئت».

السادسة: عطف جعل النطفة على الطينة بشم؛ لبعده الزمان بينها لتوليد الأغذية أولاً، ثمّ التنمية، ثمّ فصل النطفة، ثمّ وضعها في القرار.

وعطف جعل العلقّة على النطفة؛ كذلك لبعده الزمان أيضاً لأنّ اكتناف النطفة حتّى تأخذ في التخلّق أمرٌ دقيق، يستدعي زمناً، ثمّ إحاطة الأغشية بها، ثمّ تسليط الحرارة، ثمّ انفتاح فوهات العروق للتغذية النباتية.

وعطف الباقي بالفاء التي لا تقتضي المهلة؛ لسهولة الانتقال في هذه المراتب؛ إذ تحوّل العلقّة إلى المضغة ليس إلّا بالتصلّب، وهي إلى العظام بزيادته، واكتساء

العظام اللحم موقوف على الغذاء، وهو متيسر، فجاء بالفاء نظراً إلى تيسر الانتقال وسهولته، وإن كان صيرورة العلقه مضغة، والمضغة عظماً يستدعي زمناً. ثم أشار إلى المرتبة السابعة التي هي «النشأة خلقاً جديداً» عاطفاً لها بالعاطف الأول - أعني ثم - لأنها نفخ الأرواح الصادر على جهة الاختراع. فهلة الزمان هنا مهلة صعوبة وتهويل على سوى الحكيم الأول، وحكمته التزام النفوس الإقرار بعظمته القاهرة وقدرته الباهرة، فتنقاد خاضعة، بخلاف العطف الأول، فإنه مع ما ذكر يستدعي طول الزمان.

والحاصل أن ثم هنا لترتب الإنشاء وتراخيه في الإعجاب وظهور القدرة، لالترتب الزمان وتراخيه، بخلافه في الأول. وإنما وقع العطف كله بضم في عبارة الدعاء، لأن الفاء في الآية الشريفة بمعنى ثم، لحصول المهلة والتراخي في معطوفها، نظراً إلى حصوله بتمامه، فإنه يستدعي مدة، وإن تفاوتت مدة التراخي في السرعة والبطء.

وقد نصّ على ذلك ابن هشام في المغني، فقال: الفاءات في «فخلقنا العلقه» وفي «فخلقنا المضغة» وفي «فكسونا» بمعنى ثم لتراخي معطوفاتها (١).

وفي جمع الجوامع وشرحه: تقع الفاء موقع ثم في إفادته الترتيب بمهلة كقوله تعالى «ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا» فالفاء في الثلاثة بمعنى ثم (٢). إنتهى.

ولا ينافي ذلك ما قرّرناه من أن اختلاف العواطف في الآية الشريفة للتنبيه على تفاوت الاستحالات، فإن التفاوت فيها بالنظر إلى السرعة والبطء والسهولة وعدمها، لا لحصول التراخي وعدمه مطلقاً.

(١) مغني اللبيب: ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) مع الجوامع شرح جمع الجوامع: ج ٢ ص ١٣١.

حَتَّى إِذَا اخْتَجْتُ إِلَى رِزْقِكَ وَلَمْ أَسْتَغْنِ عَنْ غِيَاثِ فَضْلِكَ جَعَلْتَ لِي قُوَّةً مِنْ فَضْلِ طَعَامٍ وَشَرَابٍ أَجْرِيَّتُهُ لَأَمَّتِكَ الَّتِي أَشْكُتُنِي بِجَوْفِهَا، وَأَوْدَعْتُنِي قَرَارَ رَحِمِهَا.

قال البدر الدماميني في تحفة الغريب: الذي يظهر من كلام الجماعة أن استعمال الفاء فيما تراخى زمان وقوعه عن الأول، سواء استقصر في العرف أولا إنما هو بطريق المجاز (١). انتهى.

وللرضي رحمه الله في ذلك تقرير آخر، فإنه قال: إعلم أن إفادة الفاء للترتيب بلا مهلة لا ينافيها كون الثاني المترتب يحصل بتمامه في زمان طويل، إذا كان أول أجزائه متعقباً لما تقدم، كقوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً»، فإن اخضرار الأرض يستدئ بعد نزول المطر، لكن يتم في مدة ومهلة فجيء بالفاء. وقال: فتصبح، نظراً إلى أنه لا فصل بين نزول المطر، وابتداء الاخضرار، ولو قيل: مثلاً ثم تصبح الأرض مخضرة؛ نظراً إلى تمام الاخضرار، جاز.

وكذا قوله تعالى: «ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً عُلْقَةً»، نظراً إلى تمام صيرورتها علقه، ثم قال: «فَخَلَقْنَا الْعُلْقَةَ مُضْغَةً، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا» نظراً إلى ابتداء كل طور. ثم قال: «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ»، إقماً نظراً إلى تمام الطور الأخير، وإقماً استبعاداً لمرتبة هذا الطور الذي فيه كمال الإنسانية من الأطوار المتقدمة (٢). انتهى كلامه.

وما قرّناه أولاً أولى كما لا يخفى. والله أعلم.

حتى: حرف ابتداء داخل على الجملة بأسرها، ولا عمل له عند الجمهور. و«إذا»: ظرفية كما مرّ مراراً.

(١) تحفة الغريب بهامش كتاب المنصف من الكلام ج ١ ص ٣١٧.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٦٧.

والغياث - بالكسر -: اسم من أغاثه الله برحمته: إذا كشف شدته.
والفضل هنا بمعنى الإفضال والإحسان.
والقوت - بالضم -: ما يقوم به بدن الإنسان من الغذاء.
وفضل فضلاً - من باب قتل -: زاد، و«خذ الفضل»، أي الزيادة، أي زيادة
طعام وشراب.
وأجريت له نفقة: جعلتها جارية، أي دارة متصلة.
والأمة: المملوكة، وهي محذوفة الآلام، ولامها واو، والأصل أموة، ولهذا ترد في
التصغير فيقال: أمية، والأصل أميوه.
والجوف من كل شيء: باطنه وداخله، وجوف الإنسان بطنه.
وأودعت زيدا مالاً: جعلته عنده، ليكون وديعة.
والقرار ما قر فيه الشيء، أي ثبت وسكن، كالقرار.
وفي القاموس: مقر الرحم: آخرها، ومستقر الحمل منه (١)، والإشارة بذلك إلى
ما هيأه الله تعالى للجنين من الغذاء والقوت في بطن أمه.
قال ابقرط: غذاء الجنين من غذاء أمه، وإنما يغتذي بسرته (٢).
وقال شارح الأسباب: الجنين في بطن أمه يغتذي بدم الطمث، وبعد الخروج
باللبن، وهو دم الطمث بعينه. وهذا الدم فضل من فضول بدن الأم يغتذي بأجود
ما فيه (٣).
وقال الشيخ الرئيس في القانون: واعلم: أن دم الطمث في الحامل ينقسم
ثلاثة أقسام، قسم ينصرف في الغذاء، وقسم يصعد إلى الثدي، وقسم هو فضل،
يتوقف إلى أن يأتي وقت النفاس (٤).

(٣) لا يوجد لدينا كتابه.

(١) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١١٥.

(٤) القانون في الطب: ج ٢ ص ٥٥٩.

(٢) لم نعث عليه.

وَلَوْ تَكَلَّمْتُ بِإِلَهِ يَارَبِّ فِي تِلْكَ الْحَالَاتِ إِلَى حَوْلِي، أَوْ تَظْطَرُّنِي إِلَى قُوَّتِي، لَكَانَ الْحَوْلُ عَنِّي مُعْتَزِلاً، وَلَكَانَتِ الْقُوَّةُ مِنِّي بَعِيدَةً.
فَعَزَّوْتَنِي بِفَضْلِكَ غِذَاءَ الْبَرِّ اللَّطِيفِ، تَفْعَلُ ذَلِكَ بِي تَطَوُّلاً عَلَيَّ

وقال البصير الأنطاكي: ومبدأ (١) غذاء الجنين من الدم في اليوم الخامس والستين من وقوع المني في الرحم، وذلك في ذكر معتدل فتكون (٢) منه الدمويات كاللحم. والله أعلم.

وكلت الأمر إليه وكلاً من باب وعد - ووكولاً: فوضته إليه، وتركته يقوم به.
والحول هنا: بمعنى الاحتيال وهو قلب الفكر حتى يهتدي إلى المقصود، والقدرة على التصرف في الأمور.
واضطره إلى كذا: بمعنى ألجأه إليه، وليس له منه بد.
واعتزل عنه، واعتزله: تنحى عنه جائباً، من عزلت الشيء عن غيره - من باب ضرب - : نحيته عنه.

ويُعد القوة: عبارة عن عدم تأنيها له، وقدرته عليها، فجعلها بمنزلة من بُعد مكانه عنه.

ومفاد هذا الفصل من الدعاء الاذعان له تعالى، والاعتراف بلطفه به، واعتناؤه بأمره، إذ قام له بما يحتاج إليه في تلك الحالات والأطوار، التي لا يتمكّن فيها من حول ولا قوة، ولا يقتدر فيها على جلب منفعة ودفع مضرة، فسبحانه من خالق حكيم لطيف.

غذوت الصبي أغذوه: أطعمته الغذاء، وهو ما يغتذى به من طعام وشراب.
و«الفاء» لترتيب الذكري، ومفادها كون ما بعدها كلاماً مرتباً على

(١) «ألف»: يبدأ.

(٢) «ألف»: فتتكون.

إِلَى غَايَتِي هَذِهِ، لَا أَعْدَمُ بَرِّكَ ، وَلَا يُبْطِلُ بِي حُسْنُ صَنِيْعِكَ ، وَلَا تَتَأَكَّدُ
مَعَ ذَلِكَ ثِقَتِي ، فَأَتَفَرَّغَ لِمَا هُوَ أَحْظَى لِي عِنْدَكَ ، قَدْ مَلَكَ الشَّيْطَانُ
عَيْنَانِي فِي سُوءِ الظَّنِّ، وَضَعَفَ الْيَقِينَ، فَأَنَا أَشْكُو سُوءَ مُجَاوَرَتِهِ لِي،
وَطَاعَةَ نَفْسِي لَهُ، وَأَسْتَغِصُمُكَ مِنْ مَلَكَتِهِ.

ما (١) قبلها، إلا (٢) أن مضمون ما بعدها عقيب مضمون ما قبلها في الزمان.
وغذاء منصوب على المصدر النوعي كقوله تعالى: «فَأَخَذْنَا هُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ
مُقْتَدِرٍ» (٣).

وقال العلامة سنان الجلبلي: الظاهر أنه منصوب على المصدر، لا على نزع
الخافض، إذ لا ضرورة يصارها إلى التشبيه (٤).
والبر - بالفتح -: هو العطوف على العباد ببره ولطفه.
واللطيف: هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل، والعلم بدقائق المصالح،
وإيصالها إلى من قدرها له. وهو فاعل، من لطف به - من باب طلب - إذا رفق به،
وأما لطف - بالضم - فبمعنى صغر ودق.

وجملة قوله عليه السلام: «تفعل ذلك بي تطولاً» مستأنفة مبينة (٥) لوجه جعل
القوة له في تلك الحالة، وغذاؤه إياه غذاء البر اللطيف.
والتطول: الإفضال والإحسان، بلا غرض سابق ولا حق.
ونصبه يحتمل المصدرية والحالية والمفعول لإجله، أي فعل تطول، أو متطولاً، أو
للتطول.

والظرف من قوله عليه السلام: «إلى عنايتي هذه» لغو متعلق بـ «تفعل» أو

(٤) لم نعر عليه.
(٥) «ألف» مبينة.

(١) «ألف»: عليها.
(٢) «ألف»: لا.
(٣) سورة القمر: الآية ٤٢.

بـ «تطوّل»، أو مستقرّ صفة للتطوّل. ويحتمل أن يكون لغواً متعلقاً بقوله: «لا أعدم» قُدّم للاهتمام والعناية، من حيث أنه يصدد بيان استمرار برّه تعالى به، واتّصال إفضاله عليه.

وعلى الأوّل فجملة «لا أعدم بركك» مؤكّدة لفعله به، أو لتطوّله تعالى عليه إلى غايته تلك.

والأحسن أن تكون مستأنفة على وجه التعليل للحكم باستمرار الفعل، أو التطوّل إلى غايته تلك، أي لا تأتي لا أعدم برك ولا يبطئ بي حسن صنيعك، ونظيره قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْمُرُكُمْ خَبَالاً» (١). قال صاحب الكشف: يجوز أن تكون جملة «لا يألونكم» صفة للبطانة، كأنه قيل: بطانة غير آليكم خبالاً، وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفة على وجه التعليل للنهي عن اتّخاذهم بطانة (٢).

قال السعد التفتازاني: وذلك لما في الاستيناف من الفائدة، أي: لا تتخذوا منهم بطانة، لأنهم لا يألونكم خبالاً (٣). إنتهى.

وإن جعلت الظرف مقدماً على متعلّقه فالجملة مستأنفة استئنافاً نحوياً، أي منقطعة عمّا قبلها.

وما أفهمه كلام بعضهم - من احتمال كون الجملتين من قوله: «لا أعدم بركك»، ولا يبطئ بي حسن صنيعك» دعائيتين - عن مساق الكلام بمعزل.

وعدمتُ الشّيء، أعدمه - من باب تعب - فقدته، والإسم العُدم، مثل قُفل، ويتعدّى إلى الثاني بهمزة، فيقال: لا أعدمني الله فضله.

والبر - بالكسر - الخير والصلة، والاتّساع في الإحسان.

وأبطاء الرجل: تأخّر مجيئه.

(٣) لم نعر عليه.

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٨.

(٢) الكشف: ج ١ ص ٤٠٦.

والظرف من قوله «بي» متعلق به «صنيعك» لا بـ «يُعطى» كما توهمه غير واحد، لفساد المعنى، لأنه لا يقال أبطأ به إلا بمعنى أخره، كما ورد في الحديث «مَنْ أبطأ به عمله لم ينفعه نسبه» (١)، أي: من أخره عمله السيئ لم ينفعه في الآخرة شرف نسبه.

وليس معنى العبارة «ولا يؤخر بي حسن صنعك» بل «لا يتأخر حسن صنعك بي».

والمنع من تقديم معمول المصدر عليه إنما هو في غير الظرف وشبهه، كما تقدم بيانه.

وإن حملت الباء على معنى عند من أثبت ذلك، فهي متعلقة بـ «يُعطى» غير أن البصريين لم يشبهوه.

والصنيع: الإحسان كما في القاموس (٢)، كقولهم صنيعة رسول الله - وفي رواية «صنعك» وهو بمعناه، يقال: ما أحسن صنع الله - بالضم - وصنيع الله عندك .

وأكدته تأكيداً فتأكد، قوته فتقوى، أي ولا تتقوى مع عدم عذمي برك، وتأخر صنعك بي.

ثقتي بك، أي اعتمادي على وفائك، من وثق به ثقة، أي اعتمد على وفائه. و«الفاء» من قوله: «فأتفرغ» للسببية، والفعل بعدها منصوب بـ «أن» مضمرة لسبقها بنفي محض، كقوله تعالى: «لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا» (٣). وتفرغ للشيء: تخلص عما يشغله عنه.

وحظي عند الناس يحظى - من باب تعب - لحظة، وزان عدة وحظوة - بضم

(٣) سورة فاطر: الآية ٣٦.

(١) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ١٣٤.

(٢) القاموس المحيط: ج ٣، ص ٥٢.

الحياء وكسرهما- إذا أحبوه ورفعوا منزلته فهو حظي، على فعيل، والمرأة حظية إذا كانت عند زوجها كذلك.

ويتعدى بالهمزة، فيقال: أحظيته، إذا جعلته حظياً.

وأحظى من عبارة الدعاء أفعل تفضيل من ذلك، لا من حظى المجرد. وقد تقدم في صدر هذه الروضة أن بناءه من ذي الزيادة قياس عند سيبويه، كقولهم: أنت أكرم لي من فلان أي لما هو أشد إحطاء لي عندك.

وجملة قوله عليه السلام «قد ملك الشيطان عناني» مستأنفة استينافياً بيانياً، كأنه سئل: كيف لا تتأكد مع ذلك ثقتك؟ فقال: قد ملك الشيطان عناني. وملك عنانه: عبارة عن استيلائه عليه وتمكّنه منه، وهي استعارة تمثيلية أو مكنية مرشحاً.

و«في» من قوله: «(في سوء الظن)» للظرفية المجازية متعلقة بملك، جعل سوء الظن وضعف اليقين كالمحل لملك الشيطان عنانه. و«الفاء» من قوله: «(فأنا أشكو)» للسببية.

والمجاورة: مصدر جاوره إذا لاصقه في السكن. ومجاورة الشيطان له كناية عن قربه منه دائماً، كما نطق به الخبر النبوي: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» (١)، وفي خبر آخر «(لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات)» (٢). وقرب من كان كذلك ظاهرٌ. والطاعة: اسم من أطاعه إطاعة، أي انقاد له.

قالوا: ولا تكون الطاعة إلا عن أمر، كما أن الجواب لا يكون إلا عن قول. وأستعصمك: أي أسألك العصمة، وهي الحفظ والوقاية، من عصمه الله من

(١) سفينة البحار: ج ١ ص ٦٩٨. وسنن الدارمي: ج ٢ ص ٣٢٠. وعوالي اللثالي: ج ٤ ص ١١٣.

(٢) التفسير الكبير لفخر الرازي: ج ١ ص ٨٣.

وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ فِي أَنْ تُسَهِّلَ لِي رِزْقِي سَبِيلًا، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى
إِبْتِلَائِكَ بِالتَّعَمُّ الْجِسَامِ، وَإِلْهَامِكَ الشُّكْرَ عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ.

المكروه يعصمه - من باب ضرب -، أي حفظه ووقاه.

وَالْمَلَكَةُ - محرّكة الملك - : مصدر ملكت الشيء.».

قال في القاموس: ملكه يملكه مُلْكًا - مثلثة - وملكة - محرّكة - احتواه قادراً على
الاستبداد به (١). إنتهى.

وقد يفسّر الملك بأنّه اتصال بين الإنسان وبين شيء يكون مهيّجاً لتصرفه فيه،
ومانعاً عن تصرف غيره فيه، وهو هنا مجاز عن استيلائه واستحواذه عليه. والله
أعلم.

قال شيخنا البهائيّ قدس سرّه: المراد بهذا الفصل من الدعاء ومعناه أنّه كان
ينبغي أن يكون وثوق بك واعتمادك عليك في إيصال رزقي، وكفاية مهتمّاتي مؤكّداً
حتى لا أصرف غالب أوقاتي في السعي في ذلك، بل أكون فارغاً مشغولاً بما يوجب
زيادة حظّي من عبادتك والانقطاع إليك، والعكوف على بابك (٢). إنتهى.

ومن كلام بعض العارفين: من أراد أن يذوق شيئاً من أحوال أهل العرفان
فليكن كما كان في بطن أمّه مدبراً غير مدبر، ومرزوقاً من حيث لا يعلم. والله
أعلم (٣).

تضرّع إلى الله ابتهل، أي اجتهد وبالع في الدعاء.

وفي القاموس: تضرّع إلى الله: ابتهل وتذلل، أو تعرض بطلب الحاجة (٤).

وسهّل الله الشيء - بالتشديد - جعله سهلاً، غير صعب.

والسبيل هنا، يحتمل أن يكون بمعنى الطريق، ويحتمل أن يكون بمعنى السبب

(١) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٢٠.

(٢) مفتاح الفلاح: ص ٢٧٥.

(٣) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٥٦.

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَهِّلْ عَلَيَّ رِزْقِي، وَأَنْ تُقْنِعَنِي بِتَقْدِيرِكَ لِي
وَأَنْ تُرْضِيَنِي بِحِصَّتِي فِيمَا قَسَمْتَ لِي، وَأَنْ تَجْعَلَ مَا ذَهَبَ مِنْ جِسْمِي
وَعُمْرِي فِي سَبِيلِ طَاعَتِكَ، إِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

والوصلة، ومنه قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّخَذْتُكَ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا» (١).

قال الجوهري: أي سبباً ووصلة (٢).

والذي ذكره المفسرون: أنه بمعنى الطريق.

و«الفاء» من قوله: «فلك الحمد» للترتيب الذكري، نحو: «قَنِعَمَ

الْمَاهِدُونَ» (٣).

والنعم: جمع نعمة، وهي ما قصد به الإحسان والنفع.

وفي مجمل اللغة: النعمة: اليد البيضاء الصالحة (٤).

ونعمة الله: ما أعطاه العبد مما لا يمكن غيره أن يعطيه كالسمع والبصر.

وجسم الشيء جسامه، كفضخم ضخامة: عظم فهو جسيم، وهي جسيمة،

والجمع جسام.

والإلهام: أن يلقي الله في نفس العبد بطريق الفيض أمراً يبعثه على الفعل أو

الترك. قالوا: وهو نوع من الوحي يختص الله به من يشاء من عباده.

والإحسان: فعل ما يحسن فعله من الخير.

والإنعام: إيصال النعمة.

وتسهيل الرزق: تيسيره.

وقوله عليه السلام: «وَأَنْ تُقْنِعَنِي» معطوف على قوله سابقاً: «أَنْ تَسَهِّلْ لِي

رِزْقِي سَبِيلًا». وفي رواية: «واقنعني بتقديرك» وهو معطوف على ما قبله وهو قوله:

(٣) سورة الذاريات: الآية ٤٨.

(٤) محكم اللغة: ج ٩ ص ٧٨.

(١) سورة الفرقان: الآية ٢٧.

(٢) الصحاح: ج ٥ ص ١٧٢٤.

«وسهل عليّ رزقي».

وقنع بالشيء يقنع قنعاً وقناعة - من باب تعب -، رضي به، ويتعدى بالهمزة، فيقال: أقنعي، وقد يعدى بالتضعيف كما وردت به الرواية الأولى في الدعاء. قال الزمخشري في الأساس: قنع بالشيء، وأقنتع، وتقنّع (١). انتهى. فقله: «وتقنّع» مطاوع قنعه بالتضعيف. ويحتمل أن يكون التضعيف في عبارة الدعاء للتكثير والتأكيد.

وتقدير الشيء: جعله بمقدار خاص، والمراد هنا تقدير رزقه المخصوص بمقدار خاص.

والخصّة - بالكسر - النصيب.

وقسم الله له الرزق: عيّنه وفرزه من غيره حسب ما تقتضيه مشيئته وحكمته تعالى، كما قال تعالى «لَنَحْنُ قَسَمًا بِيَنَّهُمْ مَّوَسِّتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ» (٢).

و«أن تجعل»: أي تصيّر، من الجعل بمعنى التصيير المتعدي إلى مفعولين نحو: جعلت الفضة خاتماً، وأول المفعولين: «ماذهب» والثاني: الظرف، والتقدير: كائناً في سبيل طاعتك، فإنّ خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدّر العامل في الظرف.

والغرض سؤاله تعالى أن تصير جملة ماذهب من جسمه وعمره معدوداً في سبيل طاعته، بتبديل ماذهب فيه منها من غير الطاعة طاعة، من باب تبديل السيئات حسنات، كما قال تعالى: «إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» (٣).

(٣) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

(١) أساس البلاغة: ص ٥٢٤.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٣٢.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَارٍ تَغْلُظُ بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاكَ وَتَوَعَّدَتْ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ ، وَمِنْ نَارٍ نُورُهَا ظُلْمَةٌ ، وَهَيْئُهَا أَلِيمٌ ، وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ .

وجملة قوله عليه السلام: «إِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» تعليل لما تقدم من السؤال، وتحريك لسلسلة الإجابة.

وكونه تعالى خير الرازقين، لأنه خالق الأرزاق ومُعطيها بلا عوض؛ ولأنه يُعطي المزيد من يشكره على رزقه.

قال العلامة الطبرسي في قوله «وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» (١): في هذا دلالة على أَنَّ العباد قد يرزق بعضهم بعضاً، لأنه لو لم يكن كذلك لم يصح أن يقال له سبحانه: أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، كما لا يجوز أن يقال: أَنْتَ خَيْرُ الْإِلَهِةِ، لما لم يكن غيره إلهاً (٢)، والله أعلم.

غَلِظَ الشَّيْءُ - بِالضَّمِّ - غَلِظاً - كَعَسَبٍ -: خَلَّافَ رَقٍّ، وَغَلِظَ عَلَى خَصْمِهِ وَتَغَلَّظَ عَلَيْهِ: تَشَدَّدَ. وَمِنْهُ «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ» (٣). وَتَوَعَّدَهُ: تَهَدَّدَهُ.

وصدَفَ عنه يصدِف - من باب ضرب - صدوفاً: أَعْرَضَ.

والباء في الموضعين مثلها في كتبت بالقلم، وقطعت بالسكين.

قال الزمخشري في الكشف: والنار جوهر لطيف مضيء، حارٌ محرق، والنور ضوؤها وضوء كل نير، وهو نقیض الظلمة. واشتقاقها من نار ينور، إذا نفر، لأن فيها حركة واضطراباً، والنور مشتق منها (٤)، والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه (٥). انتهى.

قال صاحب الكشف: أورد عليه أن الإضاءة لا تعتبر في حقيقتها، وليست

(١) سورة المائدة: الآية ١١٤.

(٣) سورة التوبة: الآية ٧٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ - ٤ ص ٢٦٥.

(٤) و(٥) تفسير الكشف: ج ١ ص ٧٣ و ٧٤.

شاملة لما ثبت في الكتب الحكمية أن النار الأصلية حيث الأثير شفافة، لالون لها، وكذلك أورد بعضهم في الإحراق.

والجواب أن البحث فيما وضع له اللفظ بحسب اللغة، ولا شك في اعتبار هذا المجموع فيه. وأما النار التي عند الأثير فن يسلم وجودها؟ وإن سلم، فأنى لأجلاف العرب العلم بها، إن قلنا: إن الأسماء اصطلاحية، وإن قلنا: إنها توقيفية فلا شك أنها لإعلام من يقصد بالخطاب، وأن العرب توارثها صاغراً عن كابر إلى أن انتهى إلى ذلك الموحى إليه والملمهم. وحيث لم يعلمهم بأن اللفظ موضوع لذلك أيضاً، أو للقدر المشترك، دل على أنه بمعزل عن نظره في هذا الإطلاق، وإن كان عالماً به كما هو.

وأما الإحراق فلا شك أنه من أخصّ أوصافها، التي إذا زال عنها لم يميّز بينها وبين ذي ضوء آخر. اللهم إلا أن يسبق العلم بأن عدم الإحراق مانع، كنار الخليل صلوات الله عليه.

وقوله: «والتور ضوءها فيه توسع. والتحقيق أن الضوء فرع النور، يطلق على الشعاع المنبسط، والنور يطلق على ما للشيء في نفسه كالنور القائم بنفس الشمس، ولهذا يقع على الذوات الجوهرية، بخلاف الضوء.

وقوله: «والظلمة عبارة عن عدم النور» هو المطابق للغة وعليه المحققون، وزيادة عما من شأنه النور غير مسموعة (١). انتهى.

قال السعد التفتازاني: إذا أجري عدم النور على إطلاقه كان بين النور والظلمة تقابل الإيجاب والسلب، وإن زيد عما من شأنه فبينها تقابل الملكة والعدم، وعند بعض المتكلمين هي عرض ينافي النور، فبينها تقابل التضاد (٢). انتهى.

وهي على هذا وجودية، وعلى الأولين عدمية. وعلى التقادير يصح أن النور

(١) لا يوجد لدينا كتاب الكشف. (٢) لم نعث عليه.

نقيض للظلمة، أي: مناف لها.

إذا عرفت ذلك فقله عليه السلام: «ومن نار نورها ظلمة» وصف لتلك النار بما يميزها عن نيران الدنيا، ويبين هولها وفضاعة أمرها؛ إذ كان النور لا ينفك عن شيء من النيران المعهودة، وكون نورها ظلمة مما يهول النفوس، ويروع القلوب. والمعنى: أنه لا نور لها، بل هي سوداء مظلمة، وإنما عبر عن ذلك بقوله: «نورها ظلمة»، لما تقرر في النفوس من أن النار لا تكون إلا ذات نور، فحكم بأن نور هذه النار ظلمة، لعدم استنارتها وإشراقها، بمعنى أن الظلمة فيها بمنزلة النور. ولم يقل: لا نور لها لئلا يتوهم أنها شفاقة لاضوء لها، كما يقوله الحكماء في كرة الأثير. وقد ورد في الحديث ما يطابق معنى هذه الصفة لنار الآخرة.

روى الترمذي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة (١).

زاد في رواية: كسواد الليل (٢).

وفي رواية فهي أشد سواداً من القار (٣). أي (٤) الزفت.

وفي حديث آخر: أن جهنم سوداء مظلمة، لاضوء لها ولا للهبها (٥).

وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول: نار الآخرة سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا حرها (٦).

(١) سنن الترمذي: ج ٤ ص ٧١٠ ح ٢٥٩١.

(٢) الترغيب والترهيب: ج ٤ ص ٤٦٤ ح ٢٨.

(٣) الترغيب والترهيب: ج ٤ ص ٤٦٤.

(٤) «الف» يعني.

(٥) الترغيب والترهيب: ج ٤ ص ٤٥٨ ح ١٥ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٦) الترغيب والترهيب: ج ٤ ص ٤٦٥ ح ٣٠ إلا أنه «عن أنس».

قوله عليه السلام «وهيئها أليم» هان الشيء هواناً: لان وسهل، فهو هيئ. والأليم: الموجع. قال العلامة الطبرسي: هو فاعيل بمعنى مفعول، كالسميع بمعنى المسمع، والنذير: بمعنى المنذر، والبديع: بمعنى المبدع (١). وقال الجوهري: الأليم المؤلم، مثل السميع بمعنى المسمع (٢). وفي القاموس: الأليم المؤلم، ومن العذاب الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ. إنتهى (٣).

وما قاله بعضهم من أن فاعلاً بمعنى المفعول ليس يثبت لالتفات إليه بعد نص أساطين أهل اللغة عليه. والمعنى ظاهر. وعن ابن عباس لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الأرض، لأمرت على أهل الأرض معيشتهم، فكيف بمن هو طعامه، ليس له طعام غيره (٤). قوله عليه السلام: «وبعيدها قريب» يحتمل وجوهاً من التفسير: أحدها: أن يكون المراد بالبعيد ما يستبعد وقوعه، ويُستعظم شأنه، وبالقريب خلافاً.

قال ابن الأثير في النهاية: يقال: هذا أمرٌ بعيدٌ، أي لا يقع مثله لعظمته (٥). فيكون المعنى: أن ما تستبعده العقول من أمرها قريب الوقوع فيها، لا بعد فيه، فاعتبار البعد والقرب بالنسبة إلى الإمكان. وبه فسر الزمخشري وغيره قوله تعالى في سورة المعارج: «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً»، قال في الكشف: المراد بالبعيد البعيد من الإمكان، وبالقريب القريب

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤٨.

(٢) الصحاح: ج ٥ ص ١٨٦٣.

(٣) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٧٥.

(٤) سنن ابن ماجه: ج ٢ ص ١٤٤٦ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٥) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ١٤٠.

وَمِنْ نَارٍ يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَمِنْ نَارٍ تَذُرُّ الْعِظَامَ رَمِيمًا، وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيمًا.

منه (١).

الثاني: أنَّ البعيد منها مكاناً لا يمنعه بعده من إصابة حرّها وعذابها، بل هو قريب بالنسبة إليها، كما روي: لو أنَّ رجلاً كان بالشرق، وجهتم بالمغرب، ثم كُشِفَ عن غطاء منها لغلت حجمته (٢).

وفي رواية: لو كان أحدكم بالشرق، وكانت النار بالمغرب ثم كُشِفَ عنها لخرج دماغ أحدكم من منخرينه من شدة حرّها (٣).

الثالث: أن يكون تلميحاً إلى قوله تعالى في العنكبوت: «يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» (٤)، أي محيطة بهم الآن؛ تنزيلاً لشيء سيقع قريباً منزلة الواقع.

وقيل: هو على حقيقته من معنى الحال، فإن مبادئ إحاطة النار بهم من الكفر والمعاصي المتشكّلة في هذه النشأة بصورة الأعمال والأخلاق، هي بعينها جهنم التي ستظهر في النشأة الأخروية بصورة النار وعقاربها وحياتها، كما نصّ عليه كثير من أرباب العرفان.

وكون بعيدها قريباً على هذين القولين ظاهر، لا يخفاء به. والله أعلم بمقاصد أوليائه.

الأكل حقيقة: بلغ الطعام بعد مضغه، ثم استعير للإحراق في النار. قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز أكلت النار الحطب. واتكلت النار اشتدّ التهابها، كأنها يأكل بعضها بعضاً (٥). انتهى.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٥٤.

(٥) أساس البلاغة: ص ١٩.

(١) الكشف: ج ٤ ص ٦٠٩.

(٢) سفينة البحار: ج ٢ ص ٦١٩.

(٣) سفينة البحار: ج ٢ ص ٦١٩.

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إشتكت النار إلى ربّها، فقالت: ربّ، أكل بعضي بعضاً، فجعل لها نفسين، نفساً في الشتاء، ونفساً في الصيف، فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها، وشدة ما تجدون من الحر من سمومها (١).

وصال على قرنه يصول صولاً حمل عليه وسطابه، وفي خطبة لأمر المؤمنين عليه السّلام: «أعلمتم أنّ مالكم إذا غضب على النار حطم بعضها بعضاً لغضبه» (٢).

قال ابن أبي الحديد: وحطم بعضها بعضاً: كسره أو أكله (٣). وتذر العظام رميماً، أي تتركها رميماً من «وذرت الشيء أذره وذراً، أي تركته». قالوا: وأما ت العرب ماضيه ومصدره، فإذا أريد الماضي قيل: ترك، ولا يستعمل منه اسم الفاعل.

مرکز تحقیق کتب و تفسیر علوم اسلامی

ورمّ العظم يرم - من باب ضرب -، إذا بلى، فهو رميم. قال الجوهري: وإنما قال تعالى: «قَالَ مَنْ يُخَيِّبِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ»؛ لأنّ فعلاً وفِعْلاً قد يستوي فيهما المذكر والمؤنث والجمع، مثل رسول وعدوّ وصديق (٤). وقال الزمخشري في الكشاف: الرميم اسم لما بلى من العظام غير صفة، كالرمة والرفات، فلا يقال: لَمْ يَؤْنْثْ، وقد وقع خبراً لمؤنث، ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول (٥).

والحميم: الماء الحار الشديد الحرارة، وقد تكرر ذكره في القرآن المجيد. وإسناد السقي إلى النار مجاز عقلي، لأنها سبب لشربهم له. والله أعلم.

(٤) الصحاح: ج ٥ ص ١٩٣٧.

(٥) الكشاف: ج ٤ ص ٣١.

(١) سنن ابن ماجه: ج ٢ ص ١٤٤٤ ح ٤٣١٩.

(٢) نهج البلاغة: ص ٢٦٧، الخطب ١٨٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠ ص ١٢٤.

وَمِنْ نَارٍ لَا تَبْقَى عَلَى مَنْ تَضَرَّعَ إِلَيْهَا، وَلَا تَرْحَمُ مَنْ اسْتَعْظَفَهَا،
وَلَا تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشَعَ لَهَا وَاسْتَسَلَّمَ إِلَيْهَا، تَلْقَى سُكَّانَهَا
بِأَحْرَ مَا لَدَيْهَا مِنَ أَلِيمِ التَّكَالِ، وَشَدِيدِ الْوَبَالِ.

قال ابن الأثير في النهاية: في حديث الدعاء «لا تبقي من تضرع إليها»، يعني النار، يقال: أبقيت عليه، أبقي، إبقاء: إذا رحمت، واشفقت عليه. والاسم البقيا (١).

وقال الجوهري: أبقيت على فلان إذا أروعيت عليه، ورحمته، يقال: لا أبقي الله عليك إن أبقيت عليّ والاسم منه البقيا، قال:
وما بُقيسا عليّ تركتُماني ولسكن خفتما صرد النبال (٢)
واستعطفه: سأله أن يعطف عليه، أي يشفق عليه، ويرق له.
وقدر على الشيء يقدر من باب ضرب: قوي عليه وتمكّن منه.
وخشع له يخشع خشوعاً: ذلّ وخضع.
واستسلم: أذعن له وانقاد.

والتخفيف: أعم من أن يكون كمّاً وكيفاً. فما وقع في بعض التفاسير في قوله تعالى: «خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» (٣)، أن جملة «لا يخفف» مستأنفة لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف، إثر كثرة من حيث الكم، ليس بمتعينين. والجملة من قوله: «تلقى سكّانها» مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأنه سئل: كيف لا تبقي على من تضرع إليها، فقال: تلقى سكّانها بأحرّ ما لديها.
والنكال - بالفتح - العقوبة التي ينكل الناس عن فعل ما جعلت له جزاء من نكل عن الأمر، إذا أحجم وامتنع.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٦٢.

(١) النهاية لابن أبي الأثير: ج ١ ص ١٤٧.

(٢) الصحاح: ج ٦ ص ٢٢٨٣.

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَقَّارِهَا الْفَاغِرَةِ أَفْوَاهُهَا، وَحَيَّاتِهَا الصَّالِقَةِ بِأَنْيَابِهَا،

وقال الزمخشري في الأساس: نكل عن العدو نكولاً، ونكلته عن كذا: فطمته، ونكلت به تنكيلاً، جعلت غيره ينكل أن يفعل مثل فعله، وهو النكال (١).

والوبال: سوء العاقبة. قال الفيومي: الوبال - بالفتح - من وبل المرتع - بالضم - وبالأ ووبالة. بمعنى وخم، سواء كان المرعى رطباً، أو يابساً. ولما كان عاقبة المرعى الوخيم إلى شرٍّ، قيل في سوء العاقبة: وبال (٢).

وفي الأساس: أخذ وبل: شديد. ومنه الوبال لسوء العاقبة (٣).

وفي القاموس: الوبال: الشدة، والثقل (٤).

وفي الحديث: إِنَّ النَّارَ تَأْكُلُ أَهْلَهَا حَتَّى إِذَا اطَّلَعَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ، انْتَهَتْ، ثُمَّ تَعُودُ كَمَا كَانَتْ ثُمَّ تَسْتَقْبِلُ الْعَبْدَ أَيْضاً، فَتَطْلُعُ عَلَى قَوَادِهِ، فَهِيَ كَذَلِكَ أَبَداً (٥)، نعوذ بالله من النار.

مركز تحقيق كتب التراث

تنبيه

تكرير ذكر النار مع أنَّ المراد بها نار واحدة، للإيذان بأنَّ كلَّ واحدة من الصفات المذكورة صفة هائلة خطيرة، جديرة بأن يفرد لها موصوف مستقل، ولا تجعل كلها لموصوف واحد. والله أعلم.

العقارب: جمع عقرب، وهي دويبة من ذوات السموم تكون للذكر والأنثى بلفظ واحد، وقد يقال للأنثى: عقربة وعقرباء - ممدوداً -، غير مصروف.

وفغرفوه فغراً - من باب نفع - : انفتح، وفغرفاه: فتحه، يتعدى ولا يتعدى. والرواية في الدعاء بضم أفواهاها وفتحها على الوجهين.

(١) أساس البلاغة: ص ٦٥٥.

(٢) المصباح المنير: ص ٨٨٩.

(٣) أساس البلاغة: ص ٦٦٤.

(٤) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٦٣.

(٥) الاختصاص: ٣٥٧.

وَشَرَابَهَا الَّذِي يُقَطَّعُ أَمْعَاءُ وَأَفْئِدَةٌ سُكَّانِيهَا، وَيَنْزِعُ قُلُوبَهُمْ، وَأَسْتَهْدِيكَ
لِمَا بَاعَدَ مِنْهَا، وَأَخَّرَ عَنْهَا.

والحيّات: جمع حيّة، وهو اسم يطلق على الذكر والأنثى فإن أردت التمييز
قلت: هذا حيّة ذكر، وهذه حيّة أنثى.

قال المبرد في الكامل: وإنما دخله الهاء؛ لأنه واحد من جنس كبطة ودجاجة.
على أنه قد روي عن بعض العرب؛ رأيت حيّاً على حيّة، أي ذكراً على أنثى (١).
وصلق وصلقاً - من باب ضرب -: صوت صوتاً شديداً، كأصلق إصلاقاً وصلق
الفحل بنابه، واصطلق: صوت.

قال الجوهري: وأصلق لغة في صلق، ومنه قول العجاج يصف الحمار: أصلق
ناباه صياح العصفور، والفحل يصطلق بنابه، وذلك صريفه. إنتهى (٢).
قال الزمخشري في الفائق: الصريف: ان يشد ناباً على ناب فيصوتا. وهو في
الفحولة من إبعاد، وفي الإناث من إعياء، وربما كان من نشاد (٣). إنتهى.
فمعنى قوله عليه السلام «الصالقة بأنياها» أي الصارفة بها. وهو أولى من تفسيره
بالضاربة، من قولهم: صلقه بالعصا، أي: ضربه بها؛ لأنّ في الصريف من التحويل
ماليس في الضرب.

وقد تواترت الأخبار بعقارب النار وحيّاتها، نعوذ بالله منها.
فروي: إنّ جهنّم وادياً يُدعى أثاماً، فيه حيّات وعقارب في كلّ فقارة من
ذنب ذلك العقرب من السمّ أربعون قلّة، كلّ عقرب منهنّ قدر البغلة الموكفة (٤)،
يلدغ الرجل فينسى حرّ جهنّم من حراره لدغتها (٥).
وفي رواية: إنّ في جهنّم نهراً يسمّى موبقاً يسيل ناراً على حافتيه حيّات مثل

(١) لا يوجد لدينا الكتاب المذكور. (٤) الموكفة: الضخمة السميكة غزيرة اللحم.

(٢) الصحاح: ج ٤ ص ١٥٠٩. (٥) الترغيب والترهيب: ج ٤ ص ٤٦٩ مع اختلاف يسير.

(٣) الفائق في غريب الحديث: ج ٢ ص ٢٩٥.

البغال الذهم. فاذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالافتحام في النار (١).
وفي رواية: إن لجهت ساحتهم ساحلاً كساحل البحر، فيه هوام حيات كالبخت،
وعقارب كالبغال الذهم، نعوذ بالله منها (٢).
والأمعاء: جمع معى - بالكسر، وقصره أشهر من المد، وألفه ياء؛ لأن مثناه
معيان، وتذكيره أكثر من التأنيث، فيقال: هو المعاء وهو المصران، وجمع الممدود
أمعية، كحمار وأهرة.
والأفئدة: جمع فؤاد، وهو القلب، وقيل: هو ما يتعلق بالمريء من كبد ورثة
وقلب.

ونزعت من موضعه نزعاً، من باب ضرب: قلعت.
وقوله عليه السلام: «يُقَطَّعُ أمعاء وأفئدة سكانها»، من باب إضافة المفردين إلى
اسم ظاهر يجعل الأول مضافاً في النية، دون اللفظ، والثاني في اللفظ والنية معاً،
نحو: غلام وثوب زيد، وهو كثير في كلامهم، نثراً ونظماً، وشاهده من الحديث قول
النجاشي صلى الله عليه وآله: «تخيضي في علم الله ستة أو سبعة أيام» ومن كلام
العرب نثراً قول بعضهم: قطع الله يد ورجل من قاهها. وقولهم: خذ ربع ونصف
ماحصل، ومن الشعر قوله:

يَا مَنْ رَأَى عَارِضاً أَسْرَبَهُ بَيْنَ ذِرَاعِي وَجْهَةِ الْأَسَدِ (٣)
فذهب المبرد وأكثر المتأخرين إلى أن ذلك كله على حذف المضاف إليه من
الأول لفظاً، لانية، لدلالة الثاني عليه (٤): ولذلك قال بعضهم: إن هذه المسألة
لهاشبه بباب التنازع، فإن المضافين يتنازعان المضاف إليه، فأعمل الثاني لقربه،
وحذف معمول الأول، لأنه فضلة.

(٣) مغني اللبيب: ص ٤٩٨ رقم الشاهد: ٧٠٧.

(١) الدر المنثور: ج ٤ ص ٢٢٨.

(٤) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٢٩٢.

(٢) سفينة البحار: ج ٢ ص ٦٢٠.

واشترط الفراء فيها إصطحاب المضافين، كالأمعاء والأفئدة في عبارة الدعاء، والستة والسبعة في الحديث، واليد والرجل، والرّبع والنصف، والذراع والجهة، بخلاف غلام وثوب، فلا يقال: اشترت غلام وثوب زيد.

وذهب سيبويه إلى أنّ ذلك من باب الفصل بين المضاف والمضاف إليه، والأصل في نحو: خذ ربع ونصف ماحصل، خذ ربع ماحصل ونصفه، ثم أقم ونصفه بين المضاف والمضاف إليه، فصار: ربع ونصفه ماحصل، ثم حذفت الهاء إصلاحاً للفظ، فصار: ربع ونصف ماحصل.

قال الرضي: ومذهب الميرد أقرب؛ لما يلزم سيبويه من الفصل بين المضاف والمضاف إليه في السعة (١).

ومضمون هذه العبارة من الدعاء نطق به القرآن المجيد في مواضع، منها قوله تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وآله: «وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ» (٢)، وقوله سبحانه في سورة الحج: «يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ» (٣)، أي يُذاب بذلك الحميم ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء. روي: أنه يصب على رؤوسهم الحميم فينفذ إلى أجوافهم فيسلت ما فيها (٤).

وفي الحديث في قوله تعالى: «وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ»، قال: يقرب إلى فيه، فإذا دنا من وجهه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره (٥)، والأخبار في هذا المعنى كثيرة. قوله عليه السلام «وأستهديك لما باعد منها، وأخر عنها».

إستهداه: طلب أن يهديه، والغرض سؤال التوفيق للطاعة الموجبة للنجاة من النار. وباعد بمعنى أبعد، وفيه تلميح إلى قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا

(١) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٢٩٣. (٤) مجمع البيان: ج ٧ - ٨ ص ٧٨.

(٢) سورة محمد: الآية ١٥. (٥) سنن الترمذي: ج ٤ ص ٧٠٥.

(٣) سورة الحج: الآية ١٩ - ٢٠.

الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» (١)، قيل: المراد بالحسنى التوفيق للطاعة وبالإبعاد عنها: الإبعاد من عذابها، لا عن نفسها، إذ لا بد لكل أحد من ورودها بنص قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا» (٢).

واستشكل بأن المؤمنين كيف يردون النار؟

وأجيب بما روي عن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك، فقال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال بعضهم لبعض، أليس وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة (٣).

وعنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: الورد الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم عليه السلام، حتى أن للنار ضجيجاً من بردها (٤).

وفي رواية: أن النار تقول للمؤمن يوم القيامة: جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك

لهي (٥).

فان قيل: ما الفائدة في إيراد المؤمنين النار إذا لم يتعدّوا بها؟

قيل: فيه وجوه:

منها: أن يزدادوا سروراً إذا رأوا الخلاص منها.

ومنها: افتضاح الكافرين إذا إطلع المؤمنون عليهم.

ومنها: أن المؤمنين يوتخون الكفار، ويسخرون منهم، كما سخروا منهم في

الدنيا.

ومنها: أن يزيد التذاذهم بالجنة ونعيمها، فبضدها يتبين الأشياء.

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠١.

(٤) مجمع البيان: ج ٥ - ص ٦ - ٥٢٦.

(٢) سورة مريم: الآية ٧١ - ٧٢.

(٥) مجمع البيان: ج ٥ - ص ٦ - ٥٢٦.

(٣) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ٣٥.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَجِرْنِي مِنْهَا بِفَضْلِ رَحْمَتِكَ، وَ
أَقِلْنِي عَثَرَاتِي بِحُسْنِ إِقَالَتِكَ، وَلَا تَخْذُلْنِي، يَا خَيْرَ الْمُجِيرِينَ، إِنَّكَ تَقِي
الْكَرْهَةَ، وَتُعْطِي الْحَسَنَةَ، وَتَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وقيل: المراد بالإبعاد عنها، أنهم لا يدخلون النار، ولا يقربونها البتة؛ لأن من
جعل بعيداً عن شيء ابتداءً، يحسن أن يقال: إنه أبعد عنه.

وهؤلاء لم يفسروا الورود في قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» بالدخول،
واحتجوا بقول ابن عباس: قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله، كقوله تعالى: «وَلَمَّا
وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ» (١)، ومعلوم أن موسى عليه السلام لم يدخل الماء، ولكنته قرب منه،
فالمراد بالورود جثوهم حولها.

وعن ابن مسعود (٢) والحسن (٣) وقتادة (٤) هو الجواز على الصراط، لأن
الصراط ممدود عليها.

وقيل: هو من الحمى في الدنيا؛ لقوله عليه السلام: الحمى من قيح جهنم.
وفي رواية: الحمى حظ كل مؤمن من النار (٥). والله أعلم.

قوله عليه السلام «وأخر عنها» أخرته ضد قدمته، فتأخر، هذا هو الأصل، لكنه
إذا عُذِّي بـ «عن»، فالمراد التنحية والإبعاد، يقال: أخر عني جهلك، أي نسح
وابعده. وقد يستعمل بمعنى التخليف، تقول: ما أخرك عن صلاة الجماعة، أي
ما خلّفك وأقعدك حتى لم تحضرها.

وهذه الفقرة تأكيد للتي قبلها. والله أعلم.

أجرني: أي أعزني وآمني منها، يقال: أجاره مما يخاف، أي أعاده وآمنه.
والفضل: الزيادة، أي بمزيد رحمتك.

(١) سورة القصص: الآية ٢٣.

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٢ ص ٥١٧.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ إِذْ ذُكِرَ الْأَبْرَارُ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، صَلَاةً لَا يَنْقُطُ مَدَدُهَا، وَلَا يُحْصَى

وأقال الله عشرته: رفعه من سقوطه. ومنه: الإقالة في البيع، لأنها رفع للعقد. والعثرات: جمع عثرة، وهي في الأصل المرة من عثر الرجل يعثر من باب قتل، أي كبا وسقط. والمراد بها هنا الخطيئة والزلة، لأنها سقوط في الإثم. ونخذله خذلاً - من باب قتل - ترك نصرته وإعانتة، والاسم الخذلان - بالكسر -:

ووقاه الله السوء يقيه وقاية - بالكسر - : حفظه منه. والكرهية: النازلة والشدة. يقال: لقيت منه كراهية الدهر، أي نوازله وشدائده. الحسنة: ضد السيئة.

وتفعل ما تريد: أي كل ما تريد، لا يمنعك مانع، ولا تعجز عن شيء. والجمل المتعاطفة المبدوء أولها بحرف التأكيد كلها تعليل للدعاء، ومزيد استدعاء للإجابة بطريق التحقيق. والجملة الأخيرة تذييل مقرر لما قبله، من وقايته الكرهية، وإعطائه الحسنة، وفعله ما يريد. فإن كمال قدرته تعالى على جميع الأشياء موجب لقدرته تعالى على ذلك.

«إذا» ظرف زمن مستقبل، متضمنة معنى الشرط. وجوابها هنا محذوف وجوباً للاستغناء عنه بما دل عليه متقدماً، وهو قوله: «صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ». والتقدير: إذا ذكر الأبرار فصل على محمد وآله.

وإنما لم يجعل المتقدم جواباً؛ لأن للشرط صدر الكلام، فلم يسجّر تقديم جوابه عليه، هذا مذهب البصريين.

وذهب الكوفيون إلى أن المتقدم هو الجواب، وإنما لم يصدر بالفاء لتقدمه. وذهب ابن عصفور إلى أن «إذا» الشرطية تفيد التكرار ككلمة. فإذا قلت: «إذا جاءك زيد فأكرمه» أفادت: أن كلما جاءك زيد فأكرمه، وقال: هذا هو

عَدُّهَا، صَلَاةٌ تَشَعُّنُ الْهَوَاءَ، وَتَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
حَتَّى يَرْضَى، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ الرِّضَا، صَلَاةٌ لَأَحَدٍ لَهَا وَلَا
مُنْتَهَى، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الصحيح.

وعلى هذا فعنى عبارة الدعاء: صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كُلِّهَا ذكر الأبرار، وهو
حَسَنٌ.

فإن قلت: لأي معنى قيد الصلاة عليهم بزمان ذكر الأبرار؟

قلت: لأمرين: أحدهما: أنه زمان فيض ورحمة، كما ورد في الحديث، عند ذكر
الصلالحين تنزل الرحمة.

الثاني: إظهار عظمتهم وكرامتهم لديه سبحانه، إذ كانوا سادات الأبرار
ورؤساءهم.

قوله عليه السلام «ما اختلف الليل والنهار» «ما» مصدرية ظرفية، أي مدة
اختلاف الليل والنهار.

واختلافهما: إما بمعنى تعاقبها مجيئاً وذهاباً، وكون كلٍّ منها خلفاً للآخر كقوله
تعالى: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً» (١)، أي ذوي خلفه يخلف كلٍّ منها
الآخر، بأن يقوم مقامه، وهي اسم للحالة من خلفه، أي: قام مقامه، كالركبة
والجلسة - بالكسرفيهما - من «ركب وجلس».

أو بمعنى اختلافهما في أنفسهما، بازدياد كلٍّ منها بانتقاص الآخر، وانتقاصه
بازدياده، باختلاف حال الشمس إلينا قريباً وبعداً بحسب الأزمنة، أو باختلاف
البلدان. فإنَّ البلد كلما ازداد عرضاً عن خط الاستواء، وهو الموضع المحاذي لمنطقة
الفلك الأعظم المسماة معدل النهار، ازداد نهاره في الصيف طولاً، وفي الشتاء

قصرأ، وبالعكس في الليل. وقد يرتقي طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب إلى حيث يصير اليوم بليته نهاراً كله وبإزائه الليل، ثم إلى أكثر من ذلك إلى حيث يزيد الليل الأطول على يوم بليته، وإلى حيث يكون نصف السنة نهاراً، ونصفها الآخر ليلاً، وذلك إذا صار قطب الفلك الأعظم محاذ لسمت الرأس.

ولا عمارة هناك ؛ لشدة البرد اللازم من قبل انخفاض الشمس، أو اختلافهما في الأمكنة، فإن كروية الأرض تقتضي (١) أن يكون بعض الأوقات في بعض الأماكن ليلاً، وفي مقابله نهاراً، وفي بعضها صباحاً، وفي بعضها ظهراً أو عصرأ، أو غير ذلك. والله أعلم.

قوله عليه السلام «لا ينقطع مددها» إلى آخره.

مدد الشيء: ما يمد به ويزاد (٢) ويكثر.

والغرض طلب استمرار الصلاة عليهم.

والعدد: الكمية المتألفة من الوحدات، وقيل: صورة تنطبع في نفس العاد (٣)

من تكرار الواحد.

أي لا يضبط عددها، أو لا يطاق عدّها وضبطها. من أحصيت الشيء إذا

أطقته، فيكون العدد بمعنى المصدر. والغرض طلب كثرة الصلاة عليهم.

وشحنت البيت وغيره شحناً - من باب نفع - : ملأته.

والهواء بالمد: الجوّ، وهو ما بين السماء والأرض. والمراد بكونها تشحن الهواء أو

تملأ الأرض والسماء التمثيل لكثرة عددها، أي لو قدرت أجساماً لبلغت من كثرتها

أن تملأ ذلك، ويحتمل أن يكون على معنى التعظيم والتفخيم لشأنها، أو لشأن أجرها

وثوابها، والأول أظهر.

قوله عليه السلام «صلّى الله عليه حتى يرضى» جملة منقطعة ممّا قبلها لفظاً،

(١) «ألف» يقتضى.

(٢) «ألف» يزداد.

(٣) «ألف» المعاد.

مستأنفة استئنافاً نحوياً.

و«حتى» للغاية، أي إلى أن يقول: «رضيت»، ولما كان الغاية تستلزم الانتهاء، لأن كل شيء إذا بلغ غايته انتهى ووقف عندها، لم يرض عليه السلام بذلك بل سأل أن تكون الصلاة عليه بعد الرضا أيضاً، فقال: وصلى الله عليه وآله بعد الرضا، لتكون الصلاة عليه جارية مستمرة أبداً، لا تقف عند حد، ولا تنتهي عند غاية، ثم بين ذلك بقوله: «صلاة لا حد لها، ولا منتهى».

والحد: النهاية. والمنتهى: مصدر ميمي من انتهى الأمر، أي بلغ النهاية. ولما كانت الصلاة من الله تعالى الرحمة ذيل طلبها بقوله: يا أرحم الراحمين، والأولى أن تكون كلمة استعطاف ختم بها الدعاء مبالغة في طلب الإجابة لجميع ماتضمنه الدعاء من المسائل كما يشير إليه التعرض للوصف بغاية الرحمة. والله أعلم.

هذا آخر الروضة الثانية والثلاثين من رياض السالكين، وقد وفق الله سبحانه لإتمامها واجتناء زهرها من كمامها، عشية يوم السبت لإحدى عشرة خلت من شعبان أحد شهور سنة أربع ومائة وألف، أحسن الله ختامها بدار السرور برهان ينور، والله الحمد.

الروضة الثالثة والثلاثون
مركز تحقيقات كمبيوتر علوم إسلامي

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِسْتِخَارَةِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ بِعِلْمِكَ فَصِّلْ عَلَيَّ مُحَمَّدًا وَآلِهِ وَاقْضِ لِي بِإِلْحَافِهِ وَ
 أَلْهِمْنَا مَعْرِفَةَ الْإِخْبَارِ وَاجْعَلْ ذَلِكَ ذَرِيعَةً إِلَى الرِّضَا بِمَا قَضَيْتَ
 لَنَا وَالتَّسْلِيمَ لِمَا حَكَمْتَ فَارْحُ عَنَّا رَبِّ الْأَرْشَابِ وَآيِدُنَا بِبَقِيَّةِ
 الْمُخْلِصِينَ وَلَا تَمْنُنَا عَجْزَ الْمَعْرِفَةِ عَمَّا تَخْتَبِرُكَ فَتَغْرُطَ قَدْرُكَ وَتُكَرَّهَ
 مَوْضِعَ رِضَاكَ وَتُجَنِّحَ إِلَى اللَّهِ هِيَ أَبْعَدُ مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَأَقْرَبُ
 إِلَى ضِدِّ الْعَاقِبَةِ حَبِّبْ لَنَا مَا نَكْرَهُ مِنْ قَضَائِكَ وَسَهِّلْ عَلَيْنَا مَا
 نَتَّصِعُ مِنْ حِكْمِكَ وَأَلْهِمْنَا الْإِقْبَادَ لِمَا أَوْزَدْتَ عَلَيْنَا مِنْ
 مَيْبِتِكَ حَتَّى لَا نُحِبَّ مَا خَيْرَ مَا عَجَلْتَ وَلَا نَجْهَلَ مَا أَخَّرْتَ وَلَا نَكْرَهُ
 مَا أَخَيَّتْ وَلَا تَخْتَبِرَ مَا كَرِهْتَ وَانْخِمْ لَنَا بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْمَدُ عَاقِبَةٍ
 وَآكْرَمُ مَصِيرٍ إِنَّكَ تُفِيدُ الْكَرِيمَةَ وَتُعْطِي الْجَبِيمَةَ
 وَتَفْعَلُ مَا تُرِيدُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

الروضة الثالثة والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم
وإياه نستعين

الحمد لله الذي يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة، سبحان الله وتعالى عما يشركون. وهو الله لا إله إلا هو، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم، وإليه ترجعون. والصلاة والسلام على نبيه المختار، من أشرف نجار، الصادق بقوله الصادق؛ «ما حارَ مَنْ اسْتَخَارَ، ولا نَدِمَ مَنْ اسْتَشَارَ» (١) وعلى آله شمس الولاية، ونجوم الهداية، السادة الأطهار، والقادة الأبرار.

وبعد: فهذه الروضة الثالثة والثلاثون من رياض السالكين، في شرح الدعاء الثالث والثلاثين من صحيفة سيد العابدين عليه السلام، إملاء راجي فضل ربه السني، علي بن أحمد الحسيني الحسني خار الله لها، وبلغها أملها.

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ج ١ ص ١٣٥.

شرح الدعاء الثالث والثلاثين

وكان من دعائه عليه السلام في الاستخارة.

استخرت الله استخارة: طلبت منه الخير، وهي اسم من الاختيار، كالفدية من الافتداء.

وفي الأساس: استخرت الله في ذلك، فخار لي: أي طلبت منه خير الأمور، فاختاره لي (١).

وأصل الاستخارة: الاستخيار، على وزن استفعال. نُقلت حركة عينه إلى فائه الساكنة قبلها، وقلبت العين ألفاً، ثم حذفت لالتقاء الساكنين، وعوّض عنها تاء التانيث. وهذا مطّرد في مصدر «استفعل» معتلّ العين، كاستقام استقامة، واستعاذ استعاذة (٢).

فالاستخارة: استفعال من الخير.

وقال محمد بن إدريس العجليّ قدس الله روحه في كتابه المترجم بالسرائر: الاستخارة في كلام العرب: الدعاء. وهو من استخارة الوحش، وذلك أن يأخذ القانص ولد الظبية فيعرك أذنه فيبغم، فإذا سمعت أمه بغامه لم تملك أن تأتيه،

فترمي بنفسها عليه فيأخذها القانص. قال حميد بن ثور الهلالي، وذكر ظبية وولدها، ودعاؤه لها لما أخذه القانص، فقال:
رأت مستخيراً فاستزال فؤادها بمحنته يبدو لها ويغيب
أراد رأت داعياً. فكان معنى استخرت الله: استدعيت إرشادي (١). إنتهى كلامه.

وهو عجيب؛ فإن استخارة الوحش - بالمعنى الذي ذكره - استفعال من الخوار - بالضم - وهو صوت البقر والغنم والظباء. وهو معتل، واوي؛ لأن العين منه واو. والاستخارة بمعنى الدعاء للإرشاد إلى خير الأمرين معتل يأتي، فكيف يكون هذا من ذاك؟ (٢) على أن الذي نص عليه أئمة اللغة كالزنجشري والجنوهري أن المنقول من استخارة الوحش، إنما هو الاستخارة بمعنى الاستعطاف، لا بمعنى الدعاء. قال الزنجشري في الأساس: إستخار الرجل صاحبه: استعطفه فخار عليه. وأصله من أن يثغو الغزال والجؤذر إلى أمه: يستخيرها، أي يطلب خوارها. ثم كثر حتى استعمل في كل استعطاف واسترحام (٣).

قال الجنوهري: الاستخارة: الاستعطاف. يقال: هو من الخوار والصوت. وأصله: أن الصائد يأتي ولد الظبية في كناسة فيعرك أذنه فيخور - أي يصيح - يستعطف بذلك أمه كي يصيدها. قال الهذلي:
لعلك أما أم عمرو تبدلت سواك خليلاً شاتمي تستخيرها (٤)
إنتهى.

وبالجملة فجعل الاستخارة بمعنى طلب الخيرة منقولاً من استخارة الوحش إما غلط منشأه اشتباه اللفظين عليه، أو تعسف لاداعي إليه. والله أعلم.

(٣) أساس البلاغة: ص ١٧٧.

(٤) الصحاح: ج ٢ ص ٦٥١.

(١) السرائر: ص ٦٩.

(٢) «الف»: ذلك.

مقدمة

لاريسب في استحباب الاستخارة عند العامة والخاصة، والأخبار بذلك مستفيضة من الطريقين:

أما من طريق العامة. فروى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن. يقول: «إذا همم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك...» (١) إلى آخر الدعاء وسيأتي.

وروى الترمذي بإسناده إلى أبي بكر: أن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا أراد الأمر، قال: اللهم خير لي، واختار (٢).

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أنس إذا هممت بأمر فاستخير ربك فيه سبع مرات، ثم انظر إلى الذي سبق إلى قلبك، فإن الخير فيه (٣).

وروى الحاكم بسنده في صحيح المستدرک عنه صلى الله عليه وآله قال لا من سعادة ابن آدم استخارته الله، و (٤) من شقوته تركه استخارة الله (٥). وأما من طريق الخاصة: فالروايات فيها أكثر من أن تحصى. فمن ذلك ما رواه

(١) صحيح البخاري: ج ٨ ص ١٠١.

(٢) لم نثر عليه في سنن الترمذي ولكنه موجود في تفسير الجامع لاحكام القرآن (للقرطبي) ج ١٣، ص ٣٠٧.

(٣) الجامع لاحكام القرآن: ج ١٣ ص ٣٠٧.

(٤) «الف»: وامامن.

(٥) المستدرک للحاكم: ج ١، ص ٥١٨.

ثقة الإسلام في الكافي بسند صحيح قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: صلّ ركعتين، واستخير الله. فوالله ما استخار الله مسلّم إلا خار له البتة (١).
وروى البرقي في محاسنه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عز وجل: من شقاء عبدي أن يعمل الأعمال فلا يستخيرني (٢).
وعنه عليه السلام: أنه قال: ما أبالي إذا استخرت على أي طرفي وقعت. وكان أبي يعلمني الاستخارة كما أعلمني السورة من القرآن (٣).
وعنه عليه السلام: من دخل في أمر يغير استخارة ثم ابتلي لم يؤجر (٤).
وروى الطوسي في أماليه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لما ولاني النبي صلى الله عليه وآله على اليمن، قال لي وهو يوصيني: يا علي ما حار (٥) من استخار، ولا كيد من استشار (٦).

إلى غير ذلك من الأخبار البالغة خيلها حد التواتر. إذا عرفت ذلك فهنا مسائل:

الأولى: ذكر الشيخ المفيد قدس سره في الرسالة العزّة: أنه لا ينبغي للإنسان أن يستخير الله تعالى في شيء مما نهاه عنه، ولا في أداء فرض. وإنما الاستخارة في المباح، وترك نفل إلى نفل لا يمكنه الجمع بينهما كالحج والجهاد تطوعاً، أو لزيارة مشهد دون آخر، أو صلة أخ دون آخر (٧).

الثانية: من آداب المستخير أن يطهر ظاهره من الحدث والخبث، وباطنه من الشك والريب، وأن يصلي ركعتين، يقرأ فيها بعد الحمد ما شاء ويقنت في الثانية، وأن يتأدب في صلاته كما يتأدب السائل المسكين، وأن يقبل على الله بقلبه في

(٥) «الف» خار.

(١) الكافي: ج ٣، ص ٤٧٠.

(٦) الأمالي للشيخ الطوسي: ج ١، ص ١٣٥.

(٢) المحاسن: ص ٥٩٨.

(٧) بحار الأنوار: ج ٩١، ص ٢٢٩، نقلاً عنه في رسالته.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩١، ص ٢٢٣.

(٤) المحاسن: ص ٥٩٨.

صلاته ودعائه إلى وقت فراغه، وأن لا يكلم أحداً في أثناء الاستخارة. فعن الصادق عليه السلام: كان أبي إذا أراد الاستخارة في الأمر، توضأ وصلى ركعتين، وإن كانت الخادمة لتكلمه، فيقول: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يَفْرَغَ (١). وقال الجواد عليه السلام لعلي بن أسباط: وَلَا تُكَلِّمُ أَحَدًا بَيْنَ أَضْعَافِ الاستِخَارَةِ حَتَّى تُتِمَّ مِائَةَ مَرَّةٍ (٢).

وَإِذَا خَرَجْتَ الاستِخَارَةَ مُخَالَفَةً لِمُرَادِهِ فَلَا يُقَابِلُهَا بِالْمُكَرَاهَةِ، بَلْ بِالشُّكْرِ عَلَى أَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلًا لِأَنْ يَسْتَشِيرَهُ.

الثالثة: للاستخارة أنواع وردت بها الأخبار عنهم (عليهم السلام):

منها: الاستخارة بالدعاء. وفيها روايات:

منها: ما رواه الطبرسي في مكارم الأخلاق مرفوعاً عن جابر بن عبد الله قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يُعَلِّمُنَا الاستِخَارَةَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ. يَقُولُ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِأَمْرٍ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الْأَمْرَ، وَتَسْمِيهِ خَيْرًا لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَأَقْدِرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ. وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَأَقْدِرْ لِي (٣) الْخَيْرَ حَيْثُمَا كَانَ، وَرَضِّنِي بِهِ» (٤).

وهذه الرواية هي التي ذكرها البخاري في صحيحة مع تفاوت يسير في الفاظ

الدعاء (٥).

قال النووي: «وَإِذَا اسْتَخَارَ مَضَى بَعْدَ هَذَا لِمَا شَرَحَ لَهُ صَدْرُهُ» (٦).

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| (١) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ٢٠٦ ح ٨. | (٤) مكارم الأخلاق: ص ٣٢٣. |
| (٢) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ٢١٥ ح ٨. | (٥) صحيح البخاري: ج ٨، ص ١٠١. |
| (٣) «الف»: إلَيَّ. | (٦) لا يوجد لدينا كتابه. |

ومنها ما رواه الطبرسي - أيضاً - في الكتاب المذكور، قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَيَقُولُ فِي ذُبْرَهُمَا: أَسْتَخِيرُ اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ هَمَمْتُ بِأَمْرٍ قَدْ عَلِمْتُهُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ خَيْرٌ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي فَيَسِّرْهُ لِي. وَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي، فَاصْرِفْهُ عَنِّي كَرِهْتُ نَفْسِي ذَلِكَ أَمْ أَحَبَبْتُ. فَإِنَّكَ تَعْلَمُ، وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ ثُمَّ يَغْزُمُ» (١).

ومنها: ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا هَمَّ بِأَمْرٍ حَجَّ أَوْ عَمَرَ أَوْ بَاعَ أَوْ شَرَاءً أَوْ عِثْقَ تَطَهَّرَ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيِ الاسْتِخَارَةِ، فَقَرَأَ فِيهَا بِسُورَةِ الرَّحْمَنِ وَالْحَشْرِ وَالْمَعَادِثَيْنِ وَقُلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا خَيْرًا لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي، وَعَاجِلَ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَيَسِّرْهُ لِي عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَجْمَلِهَا. وَإِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا شَرًّا لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي وَعَاجِلَ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ. رَبِّ اعْزِمْ عَلَى رُشْدِي، وَإِنْ كَرِهْتُ ذَلِكَ وَأَبَيْتُهُ نَفْسِي» (٢).

وفي رواية: أخرى: «وَإِنْ كَرِهْتُ أَوْ أَحَبَبْتُ ذَلِكَ نَفْسِي. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ثُمَّ يَمْضِي وَيَغْزُمُ» (٣).

ومنها: ما ذكره في مكارم الأخلاق: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنِّي رُبَّمَا رَكَبْتُ الْحَاجَةَ، فَأَنْدَمُ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ عَنِ الاسْتِخَارَةِ؟» فَقَالَ: إِذَا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَقُلْتُ بَعْدَ أَنْ تَرَفَعَ يَدَيْكَ، حِذَاءَ وَجْهِكَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ، فَصَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ

(١) مكارم الأخلاق: ص ٣٢٠.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٤٧٠.

وآله، وخبرني في جميع ما عرفت به من أموري خياراً بركةً وعافية» (١).
ومنها: مرواه في كتاب من لا يحضره الفقيه: أن محمد بن خالد القسري، سأل
أبا عبد الله عليه السلام عن الاستخارة، فقال: «استخير الله في آخر ركعة من صلاة
الليل، وأنت ساجد، قال: كيف أقول؟ قال: تقول: استخير الله برحمته، استخير
الله برحمته» (٢).

ومنها: مرواه ثقة الاسلام في الكافي، وشيخ الطائفة في التهذيب، عن إسحاق
بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربما أردت الأمر تفرق متي فريقان،
أحدهما يأمرني والآخر يثباني. فقال لي: «إذا كنت كذلك فصل ركعتين،
واستخير الله مائة مرة ومرة، ثم انظر أحزم الأمرين لك فافعله فإن الخيرة فيه إن
شاء الله. ولتكن استخارتك في عافية، فإنه ربما خير للرجل في قطع يده، وموت
ولده، وذهاب ماله» (٣). *مرآتية كوتير علوم رسيدي*

ومنها: مرواه ثقة الاسلام، ورئيس المحدثين في الفقيه عن مرزم، قال: قال
لي أبو عبد الله عليه السلام: «إذا أراد أحدكم شيئاً فليصل ركعتين، ثم ليحمد الله
وليثن عليه، وليصل على محمد وعلى أهل بيته، ويقول: اللهم إن كان هذا الأمر
خيراً لي في ديني ودنياي فيسره لي وأقده. وإن كان غير ذلك فاصرفه عني»
فسألت: أي شيء أقرأ فيهما؟ فقال: «اقرأ فيهما ما شئت، إن شئت قرأت فيهما قل
هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون» (٤).

وفي رواية الفقيه: «وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» (٥).

(١) مكارم الأخلاق: ص ٣٢٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٥٦٣.

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٤٧٢. وتهذيب الاحكام: ج ٣ ص ١٨١ ح ٥.

(٤) الكافي: ج ٣ ص ٤٧٢.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٥٦٢.

ومنها: ما روي عن الصادق عليه السلام قال: «إِذَا عَرَضَتْ لِأَحَدِكُمْ حَاجَةٌ فَلْيَسْتَشِرْ رَبَّهُ. فَإِنْ أَشَارَ عَلَيْهِ أَتْبَعَ، وَإِنْ لَمْ يُشِرْ عَلَيْهِ تَوَقَّفْ. فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ يَفْعَلُ؟ قَالَ: «يَسْجُدُ عَقِيبَ الْمَكْتُوبَةِ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ خِرْ لِي ثُمَّ يَنْظُرُ مَا أَلْهِمَ فَيَفْعَلُ. فَهُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ رَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ» (١).

ومنها: ما رواه البرقي بإسناده عن هارون بن خارجة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: «إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَمْرًا فَلَا يُشَاوِرُنَّ فِيهِ أَحَدًا حَتَّى يَبْدَأَ فَيُشَاوِرَ اللَّهَ»، قُلْتُ: وَمَا مُشَاوَرَةُ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَبْدَأُ فَيَسْتَخِيرُ اللَّهَ فِيهِ أَوَّلًا، ثُمَّ يُشَاوِرُ فِيهِ. فَإِنَّهُ إِذَا بَدَأَ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَجْرَى اللَّهُ الْخَيْرَ لَهُ عَلَى لِسَانٍ مَنْ يَشَاءُ مِنْ الْخَلْقِ» (٢).

ومنها: ما رواه رئيس المحدثين في الفقيه عن حماد بن عثمان، عن الصادق عليه السلام قال: فِي الْأَسْتِخَارَةِ، أَنْ يَسْتَخِيرَ اللَّهُ الرَّجُلُ فِي الْخَيْرِ سَجْدَةً مِنْ رُكْعَتَيْ الْفَجْرِ مِائَةَ مَرَّةٍ وَمَرَّةً، وَيَحْمَدُ اللَّهَ وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ، ثُمَّ يَسْتَخِيرَ اللَّهَ خَمْسِينَ مَرَّةً، ثُمَّ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَيُسَمِّي الْمِائَةَ وَمَرَّةً» (٣).

ومنها: ما رأيته في كتاب عندنا منسوب إلى الرضا عليه السلام: «إِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا فَصَلِّ رُكْعَتَيْنِ، وَاسْتَخِرِ اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ وَمَرَّةً وَقُلْ فِي دُعَاكَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، رَبِّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ، خِرْ لِي فِي أَمْرٍ كَذَا وَكَذَا لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ عِنْدِكَ، مَا لَكَ فِيهِ رِضًا وَلِي فِيهِ صَلَاحٌ، فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ، يَا ذَا الْمَنْ وَالطَّوْلِ» (٤).

ومنها: ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن ابن فضال، قال: سَأَلَ الْحَسَنُ بْنُ الْجَهْمِ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَا بِنِ اسْتِطَاعَةٍ، فَقَالَ: مَا تَرَى لَهُ - وَابْنُ

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٥٦٣ ح ١٥٥٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٢٦١ ح ١٣.

(١) لأمالى للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٢٨١.

(٢) المحاسن: ص ٥٩٨.

أشباط حاضِر، وَنَحْنُ جَمِيعاً- يَرْكَبُ الْبَرَّ أَوِ الْبَحْرَ إِلَى مِصْرَ، وَأَخْبِرُهُ بِخَبَرِ طَرِيقِ الْبَرِّ؟ فَقَالَ: «فَاتِ الْمَسْجِدَ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ، فَصَلِّ رُكْعَتَيْنِ، وَاسْتَخِرِ اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ، ثُمَّ انْظُرْ، أَيُّ شَيْءٍ يَقَعُ فِي قَلْبِكَ فَاعْمَلْ بِهِ. وَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: الْبَرُّ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: «وإِلَيَّ» (١).

ومنها: الاستخارة بالمصحف. وهي أنواع:

منها: ما رواه شيخ الطائفة في التهذيب بسنده إلى اليسع القمي، قال: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أُرِيدُ الشَّيْءَ فَأَسْتَخِيرُ اللَّهَ، فَلَا يُوفِّقُ فِيهِ الرَّأْيُ، أَفَعَلُهُ أَوْ أَدَعُهُ؟ فَقَالَ: «انْظُرْ إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ- فَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ- أَيُّ شَيْءٍ يَقَعُ فِي قَلْبِكَ فَخُذْ بِهِ. وَافْتَحِ الْمُصْحَفَ، فَانْظُرْ إِلَى أَوَّلِ مَا تَرَى فِيهِ فَخُذْ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» (٢).

ومنها: ما ذكره الطبرسي في كتاب مكارم الأخلاق: «يُصَلِّي صَلَاةَ جَعْفَرٍ فَإِذَا فَرَغَ دَعَى بِدُعَائِهَا ثُمَّ يَتَوَيَّ فَرَجَ آلِ مُحَمَّدٍ، بَدْءاً وَعَوْداً، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فِي قَضَائِكَ وَقْدَرِكَ أَنْ تُفَرِّجَ عَنِّي وَلِيِّكَ وَحُجَّتِكَ فِي خَلْقِكَ فِي عَامِنَا هَذَا، أَوْ شَهْرِنَا هَذَا، فَأَخْرِجْ لَنَا رَأْسَ آيَةٍ مِنْ كِتَابِكَ، نَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى ذَلِكَ. ثُمَّ يَعِيدُ سَبْعَ وَرَقَاتٍ، وَيَعِيدُ عَشْرَةَ أَسْطُورٍ مِنْ ظَهْرِ الْوَرَقَةِ السَّابِعَةِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يَأْتِيهِ فِي الْحَادِي عَشَرَ مِنَ السُّطُورِ، ثُمَّ يُعِيدُ الْفِعْلَ ثَانِيًا لِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ تَبَيَّنَ حَاجَتُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» (٣).

ومنها: ما نقل من خط العلامة الحسن بن المطهر الحلي (طاب ثراه) روي عن الصادق عليه السلام قال: «إِذَا أَرَدْتَ الاسْتِخَارَةَ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، فَقُلْ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فِي قَضَائِكَ وَقْدَرِكَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ شَيْعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ بِفَرَجٍ وَلِيِّكَ وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ، فَأَخْرِجْ إِلَيْنَا آيَةً مِنْ كِتَابِكَ، نَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى ذَلِكَ.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٣٢٤.

(١) الكافي: ج ٣ ص ٤٧١ ح ٤.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٣١٠، ح ٦.

ثُمَّ تَفْتَحُ الْمُصْحَفَ، وَتَعُدُّ سِتَّ وَرَقَاتٍ، وَمِنْ السَّابِعَةِ سِتَّةَ أَسْطُرٍ، وَتَنْظُرُ مَا فِيهِ» (١).

ومنها: ما ذكره السيّد الجليل علي بن طاووس في كتاب الاستخارات. إنّ المتفعل بالمصحف يقرأ الحمد وآية الكرسي، وقوله تعالى: «وعنده مفاتيح الغيب» (٢) الآية. ثم يقول: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فِي قَضَائِكَ وَقْدَرِكَ أَنْ تُمِّنَّ عَلَيَّ أُمَّةٍ نَبِيِّكَ يَظْهَرُ وَلَيْكَ وَأَبْنِ بِسِتِّ نَبِيِّكَ، فَعَجِّلْ ذَلِكَ وَسَهِّلْهُ وَيَسِّرْهُ وَكَمِّلْهُ، وَأَخْرِجْ لِي آيَةً أَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى أَمْرِ فَأَتَمِّرَ، أَوْ نَهْيٍ فَأَنْتَهِيَ، وَمَا أُرِيدُ الْفَالِ فِيهِ فِي عَافِيَةٍ. ثُمَّ افْتَحِ الْمُصْحَفَ وَعُدَّ سَبْعَ قَوَائِمَ، ثُمَّ عُدَّ مَا فِي الصَّفْحَةِ الْيُمْنَى مِنَ الْوَرَقَةِ السَّابِعَةِ، وَمَا فِي الْيُسْرَى مِنَ الْوَرَقَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ لَفْظِ الْجَلَالَةِ، ثُمَّ عُدَّ قَوَائِمَ بَعْدِ الْجَلَالَةِ، ثُمَّ عُدَّ مِنَ الصَّفْحَةِ الْيُمْنَى مِنَ الْقَائِمَةِ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا الْعَدُّ أَسْطُرًا بَعْدَ لَفْظِ الْجَلَالَةِ، وَتَقَالَ بِأَخْرِ سَطْرٍ مِنْ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ لَكَ الْفَالُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» (٣).

ومنها: ما نقل واشتهر عن السيد المذكور أيضاً: من أراد الاستخارة بالقرآن المجيد، فليقرأ آية الكرسي إلى «هم فيها خالدون» وآية «وعنده مفاتيح الغيب» إلى «مبين»، ثم يصلي على النبي عشرين، ثم يدعو بهذا الدعاء «اللَّهُمَّ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَيْكَ، وَتَفَأَلْتُ بِكِتَابِكَ، فَأُرْنِي مَا هُوَ الْمَكْتُومُ فِي سِرِّكَ، الْخَزُونُ فِي غَيْبِكَ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْحَقُّ، وَأَنْزَلْتَ الْحَقَّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. اللَّهُمَّ أُرْنِي الْحَقَّ حَقًّا حَتَّى أَتَّبِعَهُ، وَأُرْنِي الْبَاطِلَ بَاطِلًا حَتَّى أَجْتَنِبَهُ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. ثُمَّ تَفْتَحُ الْمُصْحَفَ وَتَعُدُّ الْجَلَالَاتِ مِنَ الصَّفْحَةِ الْيُمْنَى، وَتَعُدُّ بَعْدَ الْجَلَالَاتِ أَوْرَاقًا مِنَ الصَّفْحَةِ الْيُسْرَى، ثُمَّ تَعُدُّ الْأَسْطُرَ بَعْدَ الْأَوْرَاقِ مِنَ الصَّفْحَةِ الْيُسْرَى، فَمَا يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْوَحْيِ.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(١) بحار الأنوار ج ٩١ ص ٢٤٥.

(٣) بحار الأنوار ج ٩١ ص ٢٤٢ ح ٤.

ومنها: الاستخارة بالرقاع. وفي كفيّتها روايات:

منها: مارواه ثقة الإسلام في الكافي عن علي بن محمد، رفعه عنهم عليهم السلام: أنه قال لبعض أصحابه، وقد سأله عن الأمر يمضي فيه، ولا يجد أحداً يشاوره، فكيف يصنع؟ قال: شاور ربك. قال فقال له: كيف؟ قال: إنو الحاجة في نفسك، ثم اكتب رقتين، في واحدة «لا»، وفي واحدة «نعم»، واجعلها في بندقتين من طين، ثم صلّ ركعتين، واجعلها تحت ذيلك، وقل: يا الله إني أشاورك في أمري هذا، وأنت خير مستشار ومشير، فأشر عليّ بما فيه صلاح وحسن عاقبة. ثم أدخل يدك فإن كان فيها «نعم»، فافعل. وإن كان فيها «لا»، لا تفعل. هكذا تشاور ربك (١).

ومنها: ماروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: يُكْتَبُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ خَيْرَ مَنْ فَوْضَ إِلَيْكَ أَمْرَهُ، وَأَسْلَمَ إِلَيْكَ نَفْسَهُ، وَخَلَّاهُ وَجْهَهُ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ فِيهَا تَأْمُرُهُ بِهِ. اللَّهُمَّ انصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَلَا تُضِلَّنِي. اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ الْخَيْرُ لِي، أَوْ لِفُلَانٍ، فِي كَذَا فَخِرْ لِي أَوَّلَهُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَيُكْتَبُ فِي رُقْعَةٍ «إِفْعَلْ» وَفِي أُخْرَى «لَا»، وَيُجْعَلَانِ فِي بُنْدَقَتَيْنِ، وَيُلْقَيَانِ فِي الْمَاءِ، فَأَيُّهُمَا شَقَّتْ الْمَاءَ وَظَهَرَتْ عَلَى الْمَاءِ، (٢) عَمِلَ عَلَيْهَا وَاهْتَمَلَتِ الْأُخْرَى (٣).

ومنها: ما ذكره الطبرسي في المكارم عن عبد الرحمن بن سبابة قال: خَرَجْتُ سَنَةً إِلَى مَكَّةَ، وَمَتَاعِي بَرَقَدْ كَسَدَ عَلَيَّ، قَالَ: فَأَشَارَ عَلَيَّ أَصْحَابُنَا إِلَى أَنْ أَبْعَثَهُ إِلَى مِصْرَ، أَوْ إِلَى الْيَمَنِ، وَاخْتَلَفْتُ عَلَيَّ آرَاؤُهُمْ. فَدَخَلْتُ عَلَى الْعَبْدِ الصَّالِحِ، بَعْدَ النَّفَرِ يَوْمَ وَنَحْنُ بِمَكَّةَ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا أَشَارَ بِهِ أَصْحَابُنَا، وَقُلْتُ لَهُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، فَمَا

(٢) «الف»: عملت.

(١) الكافي: ج ٣ ص ٤٧٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٢٣٨ ح ٤ مع اختلاف يسير في بعض الالفاظ.

تَرَى حَتَّى أَنْتَهِيَ إِلَى مَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟ فَقَالَ لِي: سَاهِمٌ بَيْنَ مِصْرَ وَالْيَمَنِ، ثُمَّ قَوَّضَ فِي ذَلِكَ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ، فَأَيُّ بَلَدَةٍ خَرَجَ سَهْمُهَا مِنَ الْأَسْهُمِ فَأَبْعَثْ مَتَاعَكَ إِلَيْهَا، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، وَكَيْفَ أَسَاهِمُ؟ قَالَ: اكْتُبْ فِي رُقْعَةٍ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ الْعَالِمُ، وَأَنَا الْمُعَلَّمُ (١)، فَانْظُرْنِي فِي أَيِّ الْأُمُورَيْنِ خَيْرٌ لِي، حَتَّى أَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ (٢)، وَأَعْمَلُ بِهِ»، ثُمَّ اكْتُبْ «مِصْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، ثُمَّ اكْتُبْ رُقْعَةً أُخْرَى مِثْلَ مَا فِي الرُقْعَةِ الْأُولَى شَيْئاً فَشَيْئاً، ثُمَّ اكْتُبْ «الْيَمَنُ»، ثُمَّ اكْتُبْ رُقْعَةً أُخْرَى مِثْلَ مَا فِي الرُقْعَتَيْنِ شَيْئاً شَيْئاً، ثُمَّ اكْتُبْ «يُحْبِسُ (٣)» الْمَتَاعَ وَلَا يَبْعَثْ إِلَى بَلَدٍ مِنْهُمَا»، ثُمَّ اجْمَعْ الرِّقَاعَ وَادْفَعْنِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِكَ فَلْيَسْتَرْهَا عَنْكَ (٤)، ثُمَّ ادْخُلْ يَدَكَ، فَخُذْ رُقْعَةً مِنَ الثَّلَاثِ، فَأَيُّهَا وَقَعْتَ فِي يَدِكَ، فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَاعْمَلْ بِمَا فِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ (٥).

قال المؤلف: عملت بهذه الاستخارة عند التردد في سلوك طريقين مخوفين (٦) والتوقف عن السفر، فخرجت رُقْعَةً بِسُلوِكِ وَاحِدٍ مِنَ الطَّرِيقَيْنِ، فَسَلَكْتَهُ، وَلَمْ أَرِ إِلَّا خَيْراً.

ومنها: الاستخارة المشهورة التي مدار عمل الأصحاب عليها، وهي مارواه ثقة الإسلام في الكافي عن غير واحد، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد البصري، عن القاسم بن عبد الرحمن الهاشمي، عن هارون بن خازجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا أردت أمراً فخذ ست رقاع، فاكتب في ثلاث منها «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، خَيْرٌ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانَةٍ، إِفْعَلْ» وفي ثلاث منها «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، خَيْرٌ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانَةٍ، لَا تَفْعَلْ»،

(١) هكذا في الاصل، والظاهر: «وأنا المتعلم».

(٢) وفي المصدر: اتوكل عليك فيه وهذا أنسب.

(٣) «الف» بحبس.

(٤) «الف»: منك.

(٥) مكارم الأخلاق: ص ٢٥٥.

(٦) «الف»: طريقين مخوفتين.

ثم وضعها تحت مصلاك ، ثم صل ركعتين ، فإذا فرغت فاسجد سجدة ، وقل فيها مائة مرة: «أَسْتَخِيرُ اللَّهَ بِرَحْمَتِهِ، خَيْرَةً فِي عَافِيَةٍ» ثم استَوْجِجاً لِسَاءً، وقل: «اللَّهُمَّ خِرْلِي، وَاخْتِرْ لِي فِي جَمِيعِ أُمُورِي فِي سِرِّ مَنْكَ وَعَافِيَةٍ، ثُمَّ اضْرِبْ بِيَدِكَ إِلَى الرَّقَاعِ فَشَوْشَهَا وَاخْرُجْ وَاحِدَةً، فَإِنْ خَرَجَ ثَلَاثَ مَتَوَالِيَاتٍ «إِفْعَلْ»، فَافْعَلِ الْأَمْرَ الَّذِي تَرِيدُهُ، وَإِنْ خَرَجَ ثَلَاثَ مَتَوَالِيَاتٍ «لَا تَفْعَلْ»، فَلَا تَفْعَلْهُ، وَإِنْ خَرَجَتْ وَاحِدَةً «إِفْعَلْ»، وَالْأُخْرَى «لَا تَفْعَلْ»، فَاخْرُجْ مِنَ الرَّقَاعِ إِلَى خَمْسٍ، فَانْظُرْ أَكْثَرَهَا فَاعْمَلْ بِهِ، وَدَعِ السَّادِسَةَ، لَا تَحْتَاجُ إِلَيْهَا (١).

وذكر هذه الرواية شيخ الطائفة في التهذيب أيضاً لكن عن ثقة الاسلام، بالسند المذكور (٢).

وأُنكر ابن إدريس الاستخارة بالرقاع مطلقاً، فقال في السرائر: أما الرقاع والبنادق والقرعة فمن أضعف أخبار الآحاد وشواذ الأخبار؛ لأن من رواها فطحية مطعونون، مثل زرعة ورفاعة، وغيرهما، فلا يلتفت إلى ما اختصا بروايته، ولا يعرج عليه. والمحصلون من أصحابنا ما اختاروا في كتب الفقه إلا ما اخترناه من الاستخارة بالدعاء، ولا يذكرون البنادق والرقاع والقرعة إلا في كتب العبادات، دون كتب الفقه، وشيخنا أبو جعفر الطوسي لم يذكر في نهايته ومبسوطه واقتصاده إلا ما ذكرناه واخترناه ولم يتعرض للبنادق، وكذلك المفيد في رسالته إلى ولده لم يتعرض للرقاع والبنادق، بل أورد روايات كثيرة، فيها صلوات وأدعية، ولم يتعرض لشيء من الرقاع (٣) إنتهى.

وتعقبه العلامة الحلّي في كتاب المختلف، فقال: هذا الكلام في غاية الرداءة، وأي فارق بين ذكره في كتب الفقه، وكتب العبادات؟ فإن كتب العبادات هي

(٣) السرائر: ص ٦٩ مع اختلاف جداً يسير في العبارة.

(١) الكافي: ج ٣ ص ٤٧١.

(٢) تهذيب الاحكام: ج ٣ ص ١٨١.

المختصة به. ومع ذلك فقد ذكره المفيد في المقنعة، وهي كتاب فقه وفتوى، وذكره الشيخ في التهذيب، وهو أصول الفقه، وأيُّ محصل أعظم من هذين؟ وهل استفيد الفقه إلاّ منها؟

وأما نسبة الرواية إلى زرعة ورفاعة فخطأ، فإنّ المنقول فيه روايتان: إحداهما: رواها هارون بن خارجة عن الصادق عليه السّلام. والثانية: رواها محمد بن يعقوب الكليني، عن علي بن محمد رفعه عنهم عليهم السّلام. وليس في طريق الروایتين زرعة ولا رفاعة. وأما نسبة زرعة ورفاعة إلى الفطحية فخطأ، أما زرعة فإنه واقفي، وكان ثقة، وأما رفاعة، فإنه ثقة صحيح المذهب. وهذا كلّه يدلّ على قلة معرفته بالروايات والرجال، وكيف يجوز ممّن حاله هذا أن يقدم على ردّ الروايات والفتاوى، ويستبعد مانصّ عليه الأئمة عليهم السّلام. وهلا استبعد القرعة، وهي مشروعة إجماعاً في حقّ الأحكام الشرعية، والقضاء بين الناس، وشرعها دائم في حقّ جميع المكلفين. وأمر الاستخارة سهل يستخرج منه الإنسان معرفة ما فيه الخير في بعض أفعاله المباحة المشبهة عليه منافعها ومضارّها الدنيوية (١). إنتهى كلامه.

وقال الشيخ الشهيد محمد بن مكي في كتاب الذكري مائنه: إنكار ابن إدريس الاستخارة بالرقاع، لا مأخذ له، لإشتهارها بين الأصحاب، وعدم رادّ لها سواه، ومن أخذ أخذه كالشيخ نجم الدين في المعتبر، حيث قال: هي في حيز الشذوذ فلا عبرة بها. وكيف تكون شاذّة وقد دونها المحدثون في كتبهم، والمصنفون في مصنفاتهم، وقد صنّف السيد العالم العابد صاحب الكرامات الظاهرة، والمآثر الباهرة رضي الدين أبوالحسن علي بن طاووس الحسني رحمه الله كتاباً ضخماً في الاستخارات واعتمد فيه على رواية الرقاع، وذكر من آثارها عجائب وغرائب أراه

الله تعالى إياها، وقال: إذا توالى الأمر في البرقاع فهو خير محض، وإن توالى النهي، فذلك النهي شر محض، وإن تفرقت كان الخير والشر موزعاً بحسب تفرقها على أزمنة ذلك الأمر بحسب ترتبها (١). إنتهى كلامه، رفع مقامه.

ومنها: الاستخارة بالسبحة. وكيفية على وجوه:

الأول: ما ذكره صاحب كتاب السعادات مروياً عن الصادق عليه السلام: تقرأ الحمد مرة، والإخلاص ثلاثاً، وتصلّي على محمد وآله خمس عشرة مرة، ثم تقول: «اللهم إني أسألك بحق الحسين وجده، وأبيه وأمه وأخيه والأئمة من ذريته، أن تصلّي على محمد وآل محمد، وأن تجعل لي الخيرة في هذه السبحة، وأن تُريني ما هو الأصلح لي في الدين والدنيا، اللهم إن كان الأصلح لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله فعل ما أنا عازم عليه فأمرني، وإلا فانهني، إنك على كل شيء قدير». ثم تقبض قبضة من السبحة وتعدّها، وتقول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله» إلى آخر القبضة، فإن كانت الأخيرة «سبحان الله» فهو خير بين الفعل والترك، وإن كان الحمد لله فهو أمر، وإن كان لا إله إلا الله فهو نهي (٢).

الثاني: ما ذكره الشهيد قدس سره في كتاب الذكرى قال: ولم تكن هذه مشهورة في العصور الماضية، قبل زمان السيد الكبير العابد رضي الدين محمد بن محمد الآوي الحسيني المجاور بالمشهد المقدس الغروي رضي الله عنه، وقد رويناها عنه. وجميع مروياته، عن عدة من مشايخنا، عن الشيخ الكبير الفاضل جمال الدين ابن المطهر، عن والده رضي الله عنهما، عن السيد رضي الدين، عن صاحب الأمر عليه الصلاة والسلام: يقرأ الفاتحة عشراً، وأقله ثلاث، ودونه مرة، ثم يقرأ القدر عشراً، ثم يقول هذا الدعاء ثلاثاً: «اللهم إني أستخيرك لعلمك بعاقبة الأمور،

(١) ذكرى الشيعة: ص ٢٥٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٢٥٠ - ٢٥١، ح ٥ نقلاً من كتاب السعادات.

وأستشيرك لحسن ظني بك في المأمور والمحذور، اللهم إن كان الأمر الفلاني ممّا قد نيّطت (١) بالبركات أعجازه (٢) وبواديّه (٣) وحفّت بالكرامة أيامه ولياليه، فخر لي اللهم فيه خيرة تردّ شموسه ذلولاً وتقعّض (٤) أيامه سروراً، اللهم إمّا أمر فائتمره، وإمّا نهى فأنتهي، اللهم إني استخيرك برحمتك خيرة في عافية». ثم يقبض على قطعة من السبحة، ويضمّر حاجته، فإن كان عدد تلك القطعة زوجاً، فهو «إفعل»، وإن كان فرداً «لا تفعل»، أو بالعكس (٥).

وذكر ابن طاووس قدّس سرّه هذه الاستخارة في كتاب الاستخارات، فقال: وجدته بخط أخي الصالح الرضي الآوي محمد بن محمد بن محمد الحسيني «ضاعف الله سيادته، وشرف خاتمته» ما هذه لفظه عن الصادق عليه السلام: من أراد أن يستخير الله تعالى، فليقرأ الحمد عشر مرّات، وإنا أنزلناه عشر مرّات، ثم يقول وذكر الدعاء، إلّا أنّه قال عقيب قوله «والمحذور»: «اللهم إن كان أمري هذا قد نيّطت بالبركات أعجازه وبواديّه»، وعقيب قوله: «أيّامه سروراً» «يا الله إمّا أمر فائتمره، وإمّا نهى فأنتهي، اللهم خيري برحمتك خيرة في عافية» ثلاث مرّات، ثم يأخذ كفّاً من الحصى أو سبحة (٦).

الثالث: ما رواه الشيخ المرحوم يوسف بن حسين ابن أبي «طاب ثراه»، عن الشيخ الشهيد محمد بن مكي عطر الله مرقده، تقرأ «إنا أنزلناه» عشر مرّات، ثم تدعو بهذا الدعاء «اللهم إني أستخيرك لعلمك بعاقبة الأمور، وأستشيرك لحسن ظني بك في

(١) نيّطت: أي تعلقت، وناط الشيء: تعلق.

(٢) أعجازه: أي آخره.

(٣) بوادية: أي أوله.

(٤) قعّضت العود عطفته، كما تعطف عروش الكرم والهودج.

(٥) ذكرى الشيعة: ص ٢٥٢.

(٦) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٢٤٧ ح ١.

المأمول والمحذور، اللهم إن كان الأمر الذي عزمته عليه ممّا نيطت البركة بأعجازه وبواديه، وحُفّت بالكرامة أيامه ولياليه، فاسألك بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والحجة القائم عليه السلام، أن تصلي على محمد وعليهم أجمعين، وإن تخير لي فيه خيرة ترد شموسه ذلولاً، وتقعض (١) أيامه سروراً، اللهم إن كان أمراً فاجعله في قبضة الفرد، وإن كان نهياً فاجعله في قبضة الزوج» ثم تقبض على السبحة وتعمل على ما يخرج (٢).

تنبيه

الأدعية الماثورة للاستخارة كثيرة جداً.

فمنها، وهو من أدعية السر: يا محمد من هم بأمرين فأحب أن اختار له أرضاهما إليّ فالزمه إياه، فليقل حين يريد ذلك: «اللهم اختر لي بعلمك، ووفقني بعلمك لرضاك ومحبّتك، اللهم اختر لي بقدرتك، وجنّبي بعزتك مقتك وسخطك، اللهم فاختر لي بما (٣) أريد من هذين الأمرين - ويسميها - أحبهما إليك، وأرضاها لك، وأقرهما منك، اللهم إني أسألك بالقدرة التي زوّيت بها علم الأشياء عن جميع مخلّقتك، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأغلب بآلي وهواي وسريري وعلائي بأخذك، واسفع بناصيتي إلى ماتراه لك رضا ولي صلاحاً فيما أستخيرك، حتّى تلمزني من ذلك أمراً أرضى فيه بحكمك، وأتكل فيه على قضائك، واكتفي فيه بقدرتك، ولا تقلّبي، وهواي لهواك مخالف، ولا ما أريد لما تريد بجانب، اغلب بقدرتك - التي تقضي بها ما أحببت على ما أحببت - بهواك هواي، ويسّرني لليسرى التي ترضى بها عن صاحبها، ولا تخذلي بعد تفويضي إليك أمري برحمتك التي

(١) «الف»: تقعض.

(٣) «الف»: ما.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٢٥١ ح ٦.

وسعت كلَّ شيء اللهم أوقع خيرتك في قلبي، وافتح قلبي للزومها، يا كريم آمين»
فإنه إذا قال ذلك أخذت له منافعه في العاجل والآجل (١).

ومنها: ما روي عن الرضا عليه السلام، وهو من أدعية الوسائل إلى المسائل
«اللهم إن خيرتك فيما أستخيرك فيه، تُنيل الرغائب وتجزل المواهب وتغتم
المطالب، وتطيب المكاسب، وتهدى إلى أجل المذاهب، وتسوق إلى أحد العواقب،
وتقي مخوف النوائب. اللهم إني أستخيرك فيما عزم رأيي عليه، وقادني عقلي إليه،
فسهّل - اللهم - منه ما توعّرت، ويسّر منه ما تعسّر، واكفني فيه المهمّ واذفع عني كلَّ
مُلمّ، واجعل - ربّ - عواقبه غنماً، وغموفه سلماً، وبعده قرباً، وجدبه خصباً، وأرسل
- اللهم - إجابتي، وأنجح طلبتي، واقض حاجتي، واقطع عوائقها، وامنع بوائقها،
واعطني - اللهم - لواء الظفر بالخير في استخرك، ووفور النعم فيما دعوتك، وعوائد
الإفضال فيما رجوتك، وافرّقه اللهم - ربّ - بالنجاح، وحطه بالصلاح، وأرني أسباب
الخير والوضحة، وأعلام غنمها لائحة، واشدد خناق تعسّرها، وأنعش صريع تيسرها،
وبين - اللهم - ملتبسها، وإطلق محتبسها، ومكّن أشها حتى تكون خيرة مقبلة بالغنم،
مزيلة للغرم، وعاجلة النفع، باقية الصنع، إنك ولي المزيد، مبتدي بالجلود» (٢).

ومنها: ما رواه معاوية بن ميسرة عن الصادق عليه السلام، أنه قال: ما استخار
الله عبد سبعين مرة بهذه الاستخارة إلا رماه الله بالخير. يقول: «يا أبصر الناظرين،
ويا اسمع السامعين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، ويا أحكم
الحاكمين، صلّ على محمّد وأهل بيته، وخر لي في كذا وكذا» (٣).

ومنها: ما روي عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وهو: اللهم إني

(١) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٢٦٨ مع اختلاف يسير في بعض الالفاظ.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ٢١٤ ح ٣.

أستخيرك خيرة من فوّض إليك أمره، وأسلم إليك نفسه، واستسلم إليك في أمره، وخلالك وجهه، وتوكل عليك فيما نزل به، اللهم خري، ولا تخر عليّ، وكن لي ولا تكن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وأعني ولا تُعن عليّ، وأمكنني ولا تمكن مِنّي، واهدني إلى الخير ولا تضلني، وأرضني بقضائك، وبارك لي في قدرتك، إنك تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد، وأنت على كل شيء قدير. اللهم إن كان لي الخيرة في أمري هذا في ديني ودنياي وعاقبة أمري فسهّله لي، وإن كان غير ذلك فاصرفه عني، يا أرحم الراحمين، إنك على كل شيء قدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل (١).

ومنها: ما روي عن القائم عليه السلام يدعى به للاستخارة والحاجة وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إني أسألك باسمك الذي عزمت به على السماوات والأرض فقلت لهما «اتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا أتينا طائعين» وباسمك الذي عزمت به على عصا موسى، فإذا هي تلقف ما يأفكون. وأسألك باسمك الذي صرفت به قلوب السحرة إليك، حتى قالوا: آمنا برَبِّ العالمين. وأسألك بالقدرة التي تُبلي بها كلَّ جديد، وتجدد بها كلَّ بالٍ، وأسألك بكلِّ حقٍّ هولك، وبكلِّ حقٍّ جعلته عليك، إن كان هذا الأمر خيراً لي، في ديني ودنياي وآخرتي، أن تصلي على محمدٍ وآل محمد، وتسلم عليهم تسليماً، وتهيئه لي، وتسهله عليّ، وتلطّف لي فيه، برحمتك يا أرحم الراحمين، وإن كان شراً لي في ديني ودنياي وآخرتي، أن تصلي على محمدٍ وآل محمد، وتسلم عليهم تسليماً، وأن تصرفه عني بما شئت، وكيف شئت، وترضيني بقضائك، وتبارك لي في قدرك، حتى لا أحبُّ تعجيل شيءٍ أخرته، ولا تأخير شيءٍ عجلته، فإنه لا حول ولا قوّة إلّا بك، يا عليّ يا عظيم، يا ذا الجلال والاکرام» (٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٢٨٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٢٧٦.

قال صلوات الله وسلامه عليه:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاقْضِ لِي بِالْخَيْرَةِ، وَأَهْمُنَا مَعْرِفَةَ الْإِخْتِيَارِ، وَاجْعَلْ ذَلِكَ ذَرْيَةً إِلَى الرِّضَا بِمَا قَضَيْتَ لَنَا، وَالتَّسْلِيمَ لِمَا حَكَمْتَ.

ولنكتف منها بهذا المقدار، فإن فيه الكفاية إن شاء الله تعالى، ونشرع الآن في شرح الدعاء.

أستخيرك أي أطلب منك أن تختار لي أصلح الأمرين أو الأمور. والباء من قوله: «بعلمك»، إقما للسببية، أي بسبب علمك بخيري وشري، أو للملازمة، أي ملتبساً بعلمك بخيري وشري، أو للاستعانة، أي مستعيناً بعلمك فأني لأعلم فيم خيري، أو للقسم الاستعطائي، أي بحق علمك. واقض لي بالخيرة أي احكم لي بالخيرة، من القضاء بمعنى الحكم، أو أوجب لي الخير من قضى بمعنى أوجب.

قال الأزهري: القضاء لغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما احكم عليه (١) أو اتم أو حتم أو اذي: إذا وجب أو انفذ أو أمضى فقد قضى (٢).

والخيرة بسكون الياء وفتحها، يقال: هما لغتان بمعنى واحد. وقيل: الأولى اسم من الاختيار، كالفدية اسم من الافتداء. والثانية اسم من تختيرت الشيء، كالطيرة اسم من تطير. وقيل: هي بفتح الياء بمعنى الخيار. والخيار هو الاختيار. وأهمله الله الأمر: ألقاه في روعه وقلبه، ولقنه إياه. والاختيار: فعل ما هو خير وأخذه. والذريعة: الوسيلة.

(٢) تهذيب اللغة: ج ٩ ص ٢١١ نقلاً بالمعنى.

(١) «ألف»: علمه.

فأزخ عنا ريب الارتياب، وأبدنا بيقين المخلصين، ولا تسمنا عجز المعرفة عما تخبرت فتغيط قدرك، ونكرة موضع رضاك، ونجحت إلى التي هي أبعد من حسن العاقبة، وأقرب إلى ضد العافية.

والإشارة بذلك إلى الإلهام، أو إلى معرفة الاختيار. والمراد معرفة اختياره تعالى لما يختاره له، أي وجه الحكمة والمصلحة فيه، ليكون سبباً للرضا بقضائه تعالى، والتسليم لحكمه. لأنه إذا عرف خيرية ما اختاره الله تعالى، تلقاه بالقبول والرضا، وأخلص التسليم لما حكم وقضى.

وغرضه عليه السلام بذلك تأييد إيقانه، وازدياد قلبه اطمئناناً إلى اطمئنانه، كما قال إبراهيم عليه السلام «بلى ولكن ليطمئن قلبي» (١) وإلا فالعلم بأنه تعالى عدل حكيم، لا يفعل شيئاً إلا على ما تقتضيه الحكمة، وتستدعيه المصلحة كافٍ في الرضا والتسليم. على أن للرضا مبدأ ومنتهى، فبداه سكون القلب إلى أحكام الله تعالى، ومنتهاه فرح القلب وسروره بنزول الأحكام في الحلو والمر. فسؤاله عليه السلام معرفة الاختيار لحصول المنتهى، وإن كان الأول حاصلًا، وهو من باب سؤال حق اليقين بعد علم اليقين. والله أعلم.

الفاء: عاطفة سببية.

وزاح الشيء يزح زحاً: بعد وذهب، وأزاحه غيره.

وفي الأساس: أزاح الله العلل، وأزحت علته فيما يحتاج إليه، وزاحت علته وانزاحت، وهذا مما تنزاح به الشكوك عن القلوب (٢).

والريب: قلق النفس واضطرابها.

والارتياب: الشك، مصدر ارتاب في الأمر، إذا شك فيه. أي أذهب عنا القلق والاضطراب الذي يوجهه الشك، أو ما يقلق النفس، ويشخص بالقلب من

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

(٢) أساس البلاغة: ص ٢٨٠.

الشك والارتياب، كقولهم: ريب المنون وريب الزمان.
قال الزمخشري في الكشاف: الريب مصدر رابني إذا حصل فيه (١) الريبة،
وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها. ومنه ما روى الحسن بن علي عليهما السلام،
قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وآله، يقول: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك
فإنَّ الشك ريبة، والصدق طمأنينة» أي فإنَّ كون الأمر مشكوكاً فيه ممَّا تقلق له
النفس، ولا تستقر، وكونه صحيحاً صادقاً ممَّا تطمئن له وتسكن. ومنه ريب
الزمان، وهو ما يقلق النفوس، ويشخص بالقلوب من نوائبه (٢). انتهى.
ويحتمل أن يكون المراد بالريب التهمة، فإنها من معانيه، كمانص عليه
الفيروز آبادي في القاموس (٣).

وعلى كل حال فالمراد بالارتياب والشك خلاف اليقين بأن يتوهم أو يظن أن
أفعاله تعالى قد تجري على خلاف العدل، أو أن حكمته سبحانه قد يفوتها شيء من
المصالح، فيريبه ذلك ويقلقه ولا تطمئن نفسه إذا وقع الأمر على خلاف هواه، أو
يحمّله ذلك على تهمة - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - بأنه فعل به غير الأصلح، أو
اختار له شرّ الأمرين.

روى البرقي في محاسنه عمن ذكره، عن بعض أصحابه، قال: قلت لأبي
عبد الله عليه السلام: من أكرم الخلق على الله؟ قال: أكثرهم ذكراً لله، وأعملهم
بطاعته. قلت: فمن أبغض الخلق إلى الله؟ قال: من يتهم الله، قلت: وأحد يتهم
الله؟ قال: نعم، من استخار فجاءته الخيرة بما يكره فسخط، فذلك يتهم الله (٤).
ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام: التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن
لا تتهمه (٥).

(٤) المحاسن للبرقي: ص ٥٩٨.

(٥) نهج البلاغة: ص ٥٥٨ الحكم ٤٧٠.

(١) «الف»: منك.

(٢) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٣٤.

(٣) القاموس المحيط: ج ١ ص ٧٧.

والمراد بإزاحة ريب الارتياب إزاحة الارتياب مطلقاً، من باب نفي الشيء بنفي لازمه، كقوله:

من أناس ليس في أخلاقهم، عاجل الفحش ولا سوء الجزع. أي لافحش ولا جزع أصلاً.

فإن قلت: قد قررت أن سؤاله عليه السلام إلهام معرفة الاختيار وجعله ذريعة إلى الرضا والتسليم لتأييد الإيقان، وازدياد الاطمئنان، وقضيته عدم حصول الشك والارتياب رأساً، فكيف يكون قوله: «فأزح عتاً ريب الارتياب» متسبباً عن ذلك السؤال، وإزاحة الشيء وإذهابه إنما يكون بعد حصوله وتحققه.

قلت: ليس المراد بالإزاحة والإذهاب هنا، إزالة ريب الارتياب بعد كونه وحصوله، وإن كان ذلك معناه في أصل الوضع. بل هو من قبيل قوله تعالى: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» (١) ومعناه حسم أسباب الرجس، وعدم الإعداد له رأساً لإزالته بعد حصوله. ولذلك قال الزمخشري: بين تعالى بهذه الآية أنه إنما يريد أن لا يقارف أهل البيت رسول الله، المآثم، وأن يتصوتوا عنها بالتقوى (٢).

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: الرجس في هذه الآية هو الشك (٣).

وفي رواية: عنه عليه السلام: والله لا نشك في ربنا أبداً (٤).

والتعبير عن حسم الأسباب وعدم الإعداد بالإزاحة والإذهاب، من باب سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل، أي أنشأهما كذلك، وقولك للمحفار: ضيق فم الركبة ووسع أسفلها، أي احفرها كذلك.

(١) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

(٣) تفسير البرهان: ج ٣ ص ٣١٠ ح ٥.

(٢) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ٥٣٨.

(٤) تفسير البرهان: ج ٣ ص ٣٠٩ ح ٢.

قال الزمخشري: وليس ثمَّ نقل من كبر إلى صغر، ولا من صغر إلى كبر، ولا من ضيق إلى سعة، ولا من سعة إلى ضيق، وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات. والسبب في صحته أنَّ الصغر والكبر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما على الآخر. وكذلك الضيق والسعة، فإذا اختار الصانع أحد الجائزين، وهو متمكِّن منهما على السواء، فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر، فجعل صرفه منه كنقله منه (١). انتهى.

واستعمال هذا المجاز وقع في القرآن المجيد في غير موضع: منه قوله تعالى: «وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل» (٢) الآية. قال العلامة العمادي: محوها جعلها محو الضوء، مطموسة. لكن لا بعد أن لم تكن كذلك، بل إبداعها كذلك، كما في قولهم: سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل (٣).

ومنه قوله تعالى: «ربُّنا أمّتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» (٤). قال الزمخشري: أراد بالإماتتين: خلقهم أمواتاً أولاً، وإماتتهم عند انقضاء آجالهم. وصحَّ تسمية خلقهم أمواتاً إماتة، كما صحَّ أن تقول: سبحان من صغر البعوضة وكبر جسم الفيل (٥). انتهى. والله أعلم. قوله عليه السلام: «وأيدنا بيقين المخلصين». التأييد من الله سبحانه: تقوية أمر الإنسان من داخل بالبصيرة، ومن خارج بقوة البطش. والأول قال تعالى: «إذ أيدتك بروح القدس» (٦). واليقين: العلم مع زوال الشك وعدم طريانه.

(١) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ١٥٤.

(٢) سورة الاسراء: الآية ١٢.

(٣) تفسير أبي السعود: ج ٥ ص ١٥٩.

(٤) سورة غافر: الآية ١١.

(٥) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ١٥٤.

(٦) سورة المائدة: الآية ١٠٩.

والمخلصين على صيغة الفاعل: هم الذين أخلصوا الدين والعبادة لله، فلم يشركوا به، ولم يعصوه.

وقيل: هم الذين يخفون حسناتهم كما يخفون سيئاتهم.

ولما كان لليقين مراتب مرتبة في الفضل، أولها علم اليقين، وثانيها حق اليقين، وثالثها عين اليقين، وكان الأول حاصلًا بالبرهان، والثاني والثالث حاصلين بالكشف والمجاهدات والرياضات النفسانية، والهدايات الخاصة بالأولياء المخلصين، سأل عليه السلام التأييد بيقينهم.

قوله عليه السلام: «ولا تسمنا بعجز المعرفة عما تخيرت». سمت فلانًا الأمر سوماً: كلفته إياه.

وفي كتاب العين: السوم: أن تجشم إنساناً مشقة أو خطة شراً (١).

وقال الراغب: السوم: الذهاب في ابتغاء الشيء، فهو لفظ لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء، فأجري مجرى الذهاب في قولهم: سامت الإبل، فهي سائمة، ومجرى الابتغاء في قولهم: سمت كذا، قال تعالى: «يسومونكم سوء العذاب». وقيل: سم فلان الخسف، ومنه: السوم في البيع (٢). انتهى.

وسؤال عدم السوم والتكليف بعجز المعرفة من قبيل «اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا» أي لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا، فسيسلط علينا، فكأنه قال: لا تخل بيننا وبين أنفسنا بمنعك التوفيق واللفظ عنا، فتعجز معرفتنا عما تخيرت. وهذا فرع منه عليه السلام إلى الطواف الله تعالى جرياً على سنن الأنبياء والأوصياء والصالحين في قصد نيل الخيرات، والنجاة من الشرور على جناب الله عز وجل، وسلب القوى والقدر عن أنفسهم، ومبالغة في استدعاء لطفه تعالى في صرف الجهل

(١) كتاب العين: ج ٧ ص ٣٢٠. وفيه: «وخطة من الشر».

(٢) المفردات: ص ٢٥٠.

بما يختاره له بإظهار أن لا قدرة له بمعرفته والعلم به مالم يعرفه.
وفي رواية «ولا تسمنا» بكسر السين، من وسمه يسمه وسماء، من باب وعد،
والاسم السمة، وهي العلامة والأثر.
وقال الجوهري: وسمه وسماء وسمه إذا أثر فيه بسمه وكى (١).
قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز وسمه بالهجاء وهو موسوم بالخير
والشر (٢)، إنتهى.

والأصل: ولا تسمنا بعجز المعرفة، فحذف الجار وأوصل الفعل، كما قالوا:
أمرتك الخير، والأصل أمرتك بالخير ومثله كثير في كلامهم.
قوله عليه السلام: «فنغمت قدرك، ونكره موضع رضاك». «الفاء»: عاطفة
سببية.

وغمطه يغمطه غمطاً، من باب - ضرب وقتل وسمع - ازدراه واحتقره، والنعمة
كفرها فلم يشكرها.

القدر - بالسكون -: إما بمعنى القدر - بالتحريك - أي التقدير، ومنه ليلة القدر.
قال في الكشف: معنى ليلة القدر: ليلة تقدير الأمور وقضائها من قوله: «فيها
يفرق كل أمر حكيم» (٣) إنتهى.

وإما بمعنى الخطر وعظم الشأن، ومنه: «وما قدروا الله حق قدره» (٤)، أي
ما عظموه حق عظمتهم، وقيل «في ليلة القدر» سميت بذلك لخطرها وشرفها على
سائر الليالي.

والمعنى على الأول: فنحتقر تقديرك المشتمل على المصلحة، أو نكفره ولا
نشكره.

(٣) تفسير الكشف: ج ٤ ص ٧٨٠.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(١) الصحاح: ج ٥ ص ٢٠٥١.

(٢) أساس البلاغة: ص ٦٧٥.

وعلى الثاني: فنحتقر عظم شأنك بالكراهة لما تخيرت.

وموضع رضاه تعالى: كناية عما اختاره وقدره وقضاه سبحانه لتعلق مشيئته ورضاه به، فكأنه موضع ومحل لرضاه سبحانه. وهذا يسميه أرباب البديع الإرداف، وهو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه (١) الموضوع له، بل بلفظ هو ردفه وتابعه كقول الشاعر:

كأنَّ ظبَاه المَشْرِفِيَّة من كرى فَا تَبْتَغِي إِلَّا مَقَرَّ المَحَاجِرِ
أراد بمقر المحاجر الرؤوس. والمحاجر: جمع محجر، كمسجد، وهو مأحول العين.
قوله عليه السلام: «وَنَجْنَح إِلَى التِّي هِي أَبْعَدُ مِنْ حَسَنِ الْعَاقِبَةِ» إلى آخره.
جَنَحَ إِلَى الشَّيْءِ يَجْنَح - بفتح الجيم - وجَنَحَ جُنُوحًا، من باب - قعد - لغة: مال إليه، من قولهم: جَنَحَتِ السَّفِينَةُ أَي مَالَتْ إِلَى أَحَدِ جَانِبَيْهَا.
أي يميل إلى الحالة التي هي أبعد الحالات من حسن العاقبة، أو إلى الخصلة أو الطريقة. وفي حذف الموصوف وإيهامه فخامة يعرفها أهل البلاغة لعموم الاعتبار، وذهاب الوهم كل مذهب.

قال الزمخشري: أيما قدرت من الموصوفات في هذا المقام لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في إيهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه (٢). انتهى.

قال صاحب الكشف: وذلك لما في الإيهام من الدلالة على أنه جرى الوادي فطم على الركي (٣). انتهى.

وحسن العاقبة: أي حسن الخاتمة، وعاقبة كل شيء وعقباه، خاتمته.
وضد الشيء: مالا يجتمع معه، كالسواد الذي هو ضد البياض.

(٣) لم نتحققه.

(١) «الف»: بلفظ.

(٢) يحتمل في الناس لا يوجد فيه.

حَبَّبَ إِلَيْنَا مَا نَكْرَهُ مِنْ قَضَائِكَ ، وَسَهَّلَ عَلَيْنَا مَا نَسْتَصِيبُ مِنْ حُكْمِكَ ، وَأَلْهَمْنَا الانْقِيَادَ لِمَا أَوْرَدْتَ عَلَيْنَا مِنْ مَشِيَّتِكَ ، حَتَّى لَا نُحِبَّ تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ ، وَلَا تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ ، وَلَا نَكْرَهُ مَا أَحْبَبْتَ ، وَلَا نَتَخَيَّرَ مَا كَرِهْتَ .

وما أبلغ قوله عليه السَّلام: «وأقرب إلى ضدِّ العافية» فإنَّ العافية متناولة لدفع جميع المكروهات في الظاهر والباطن، والدين والدنيا والآخرة، فيكون ضدُّها متناولاً لجلب جميع المكروهات، فيما ذكر وفي هاتين الفقرتين من البديع الطباق، بين «أبعد، وأقرب»، وجناس التصحيف في «العاقبة والعافية». والله أعلم.

فصل عليه السَّلام الجملة الأولى عمّا قبلها: لكمال الإِتِّصال، لكونها وما بعدها كالبدل من الكلام السابق؛ إذ كانت أوفى بتأدية المراد، الذي هو سؤال عدم الكراهة لما اختاره سبحانه، وما يترتب عليها من إستصعاب حكمه وعدم التسليم لمشيئته تعالى، فإنَّ هذا المعنى تضمَّنه الكلام السابق، لكن لا يدلُّ عليه دلالة هذه الجملة، فإنَّ دلالتها عليه بالمطابقة، وذلك بالالتزام، فكانت أوفى بتأدية المراد منه. وحبَّبت إليه الشيء: جعلته محبوباً لديه. وتحبيبه تعالى للطاعات ونحوها إلى عباده يكون بإفاضة (١) وجوه الألطاف والتوفيق. فلا دلالة في ذلك على مسألة خلق الأعمال، كما تزعمه الأشاعرة.

واستصعبت الأمر: وجدته صعباً.

وتسهيله ما يستصعب من حكمه يكون بعنايته المهيئة للذهن والنفس قبول ذلك بسهولة.

وإلهامه الانقياد لمشيئته: (٢) يكون بتأييد خاصٍّ باطني، يقوِّي به عقله على قهر نفسه الأمارة بالسوء، فتنقاد وتذعن لذلك، ومرجع ذلك كله إلى الألطاف الداعية إليه.

(٢) «الف»: لمشيئته.

(١) «الف»: بإفاضته.

والمراد بالكراهة والاستصعاب المذكورين: كراهة الطباع واستصعابها لآعلى وجه السخط، فقد يكون الشيء مكروهاً صعباً عند الإنسان في طبعه، ومن حيث تنفر نفسه عنه، ويشقّ عليها، وإن كان يريد. لأنّ الله تعالى أمر به، كالصوم في الصيف، والإحرام في الشتاء. فسؤاله عليه السّلام تحبيب ذلك، وتسهيله: جعله ملائماً للطبع، مقبولاً عند النفس، غير شاقّ عليها، لتزول الكراهة والاستصعاب، بمقتضى الطبع.

و«حتى» مرادفة لـ «كي» التعليلية، أي «كَيِّ لَأُجِبَّ تأخير ما عجّلت» إلى آخره، وذلك أنّ علمه تعالى فعليّ، يعلم الأسباب وما يترتب عليها. والحوادث وما نشأت هي منها، فهو محيط بالمبادئ والغايات، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض والسموات، فما يعجله وما يؤخره، وما يحبّه وما يكرهه لا يكون إلا عن مصلحة وحكمة، فهو لا يختار للعبد إلا ما فيه خيره وصلاحه.

وأما علم البشر فهو انفعاليّ، فربما عكس التصورات فظنّ المبادئ غايات، وبالعكس، والمصالح مفسد، وبالضد. فيجب على العبد أن يتصوّر قصور نفسه، وكمال علم ربه تعالى، فيتحقّق ويتيقّن أنّ كلّ ما اختاره له هو عين مصلحته، فيلزم نفسه قبوله، والتسليم له، وإن كرهه طبعه، ونفرت عنه نفسه، فزع إليه - سبحانه - بالدعاء في جعل إرادته موافقة لإرادته سبحانه، كما فعل سيّد العابدين عليه السّلام؛ ليخلص من المخالفة طبعاً واعتقاداً، وقد بين سبحانه وتعالى هذا المعنى أوضح بيان بقوله: «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (١).

والمحبة من العبد: ميل نفسه إلى ما تتصوّر كونه موافقاً وملائماً لها.

ومن الله تعالى: إرادة هي مبدأ فعل ما، وتعود إلى علمه باشتمال الفعل على

وَأَخْتِمْنَا لَنَا بِالَّتِي هِيَ أَحْمَدُ عَاقِبَةً، وَأَكْرَمُ مَصِيرًا، إِنَّكَ تُفِيدُ
الْكَرِيمَةَ، وَتُعْطِي الْجَسِيمَةَ، وَتَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

المصلحة الداعية إلى إيجاده.

والكراهية في العبد: ميل نفسه عما تتصور كونه مضرًا ومؤلمًا لها.

ومن الله تعالى: خلاف الإرادة، وتعود إلى علمه، باشتغال الفعل على المفسدة
الصارفة عن إيجاده.

قال بعضهم: ولما كانت حقيقة المحبة والكراهة، إنما هو ميل النفس الإنسانية
ونفورها، كان إطلاقهما في حقه تعالى على علمه المخصوص مجازاً، من باب إطلاق
اسم اللازم على الملزوم. والله أعلم.

ختم القرآن، وكل عمل يختمه ختماً، من باب ضرب. إذا أتمه وفرغ منه، أي
أختم لنا أمرنا بالحالة التي هي أحمد الحالات عاقبة.
وحذف المفعول لتعينه، ولأن الغرض سؤاله المختوم به.
وأحمد هنا أفعل تفضيل من حمد، مبنياً للمفعول على غير القياس، أي أكثر
محمودية.

وبيان ذلك: إن شرط نصب التمييز الواقع بعد اسم التفضيل أن يكون سبباً،
وذلك بأن يجعل مكان اسم التفضيل فعل من لفظه ومعناه، ويرفع التمييز به مع
صحّة المعنى فنقول في «زيد أكثر مالاً»، زيد كثر ماله بالبناء للفاعل، وفي «زيد
أحمد عاقبة»، زيد حُمدت عاقبته بالبناء للمفعول، فلو جعلت الفعل هنا مبنياً
للفاعل لم يصح المعنى؛ لأن العاقبة إنما تكون محمودة لاحامدة. ولما أكرم مصيراً فهو
للفاعل على القياس من كرم الشيء إذا انتفعت عنه النقائص، واتصف بالمحامد.
والمصير: المرجع والمآل. مصدر ميمي من صار الأمر إلى كذا، أي رجع وآل
إليه.

وأفدته مالاً: أعطيته.

والكرمة: النفيسة الجيدة من كل شيء، ومنه حديث الزكاة «وَأَتَّقِ كَرَامَ
أَمْوَالِهِمْ» (١) أي نفائسها، من كرم الشيء كرمًا، أي نفس وعز. وكل شيء يعز
ويشرف في بابه يوصف بالكرم.

والجسيمة: العظيمة. من جُسم الشيء جسامه، أي عظم، فهو جسيم، وهي
جسيمة.

والجمل تعليل للدعاء ومزيد لاستدعاء الإجابة. فإن من يفيد الكريمة، ويعطي
الجسيمة، ويفعل ما يريد، وهو على كل شيء قدير، أولى وأجدر بإيصال كل
المنافع، وأقرب من دعاه الداعون، ورجاه الراجون، وأقل مألديه الراغبون والله
سبحانه وتعالى أعلم. هذا آخر الروضة الثالثة والثلاثين من رياض السالكين، وفق
الله لإتمامها لثلاث بقين من شعبان، سنة أربع ومائة وألف.

مركز تحقيق مكتبة نور علوم رسيدي



الروضة الرابعة والثلاثون

مركز تحقيقات كميّة وعلوم إسلاميّة

وَكَانَ مِنْ عَائِلَةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا بَسَلَ أَوْ رَأَى قُبْلَتِي فَفَضَحَ بِرَبِّ

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سِرِّكَ بَعْدَ عِلْمِكَ وَمُعَافَاكَ بَعْدَ خُبْرِكَ
فَكُنَّا قَدِ اقْتَرَبَ الْعَائِبَةُ فَلَمْ تَشْمَرْهُ وَارْتَكَبَ الْفَاحِشَةَ فَلَمْ تَقْضِصْهُ
وَكَسَّرَ بِالْمَسَاوِي فَلَمْ تَذَلِّ عَلَيْهِ كَرِهَيْكَ قَدْ أَتَيْنَاهُ وَأَمْرٌ قَدْ قَفْنَا
عَلَيْهِ فَقَعَدَ بَيْنَاهُ وَسَيْتُهُ أَكْتَسَبْنَا مَا وَحْطِيئَتُهُ إِنْ تَكُنَّا مَا كُنْتَ
الْمَطْلُوعَ عَلَيْهِمَا دُونَ النَّاطِرِينَ وَالْعَاذِرَ عَلَى أَعْلَاهَا تَوْقُ الْعَاذِرِينَ كَانَتْ
عَافِيَتُكَ لَنَا جَاهِبًا دُونَ أَبْصَارِهِمْ وَرَدَّ مَا دُونَ أَسْمَاعِهِمْ فَاجْعَلْ مَا
سَرَّكَ مِنَ الْعَوْرِ وَأَخْفَيْتَ مِنَ الدَّخِيلَةِ وَاعْظَا لَنَا وَارْجِعْ عَنِ سَوَاءِ
الْخُلُقِ وَاقْضِ لَنَا الْحَاطِيَةَ وَسَعِّبْ إِلَى التَّوْبَةِ الْمَاحِيَةَ وَالطَّرِيقَ إِلَى الْخَوْفِ
وَقَرِّبِ الْوَقْتَ فِيهِ وَلَا تَسْمُنَا الْعُقْلَةَ هَتَكَ إِنَّا إِلَيْكَ رَاغِبُونَ وَمِنْ
الذُّنُوبِ نَاشُونَ وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ نَبِيِّكَ اللَّهُمَّ مِنْ جَلْفِكَ

مُحَمَّدٍ وَعَشْرَةِ الصَّفْوَةِ مِنْ بَرِيَّتِكَ الطَّاهِرِينَ

وَاجْعَلْنَا لَهُمْ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ

كَمَا أَمَرْتَ



الروضة الرابعة والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم
وإياه نستعين

الحمد لله سائر الفضائح والقبايح، وغافر الجرائر والجرائح، والصلاة والسلام
على نبيه المنعوت بأشرف المدائح، وأهل بيته المخصوصين بأكرم المنايح.
وبعد: فهذه الروضة الرابعة والثلاثون من رياض السالكين، في شرح صحيفة
سيد العابدين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء راجي فضل ربه
السني علي الصدر الحسيني الحسيني، أحسن الله إليه، وأسبل ستر غفرانه عليه.

شرح الدعاء الرابع والثلاثين

وكان من دعائه عليه السّلام إذا ابتلي أو رأى مبتلياً بفضيحةٍ بذنبٍ.

قال الراغب: بلى الثوب بلى وبلاء، أي: خلق. وبلوته: اختبرته كأنّي أخلقته من كثرة اختباري له (١). مركزية كميّة علوم إسلاميّة
وابتلاء الله لعباده تارة بالمسارّ ليشكروا، وتارة بالمضارّ ليصبروا، فصارت المنحة والمحنة جميعاً بلاء.
فالمنحة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر، قال تعالى: «وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً» (٢).

وإذا قيل: ابتلى فلان بكذا تضمّن أمرين:
أحدهما: تعرّف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره.
والثاني: ظهور جودته ورداءته.

وربما قصد به الأمران، وربما قصد به أحدهما: فإذا قيل: بلاء الله بكذا وابتلاءه، فليس المراد إلا ظهور جودته ورداءته، دون التعرّف لحاله والوقوف على ما يجهل منه؛ إذ كان الله تعالى علام الغيوب. وعلى هذا قوله تعالى «وَإِذَا ابْتَلَى

قال صلوات الله وسلامه عليه.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سِثْرِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ ، وَمُعَافَاتِكَ بَعْدَ خُبْرِكَ ،
فَكُلُّنَا قَدْ اقْتَرَفَ الْعَاصِيَةَ فَلَمْ تَشْهَرُهُ ، وَارْتَكَبَ الْفَاحِشَةَ فَلَمْ تَفْضَحْهُ ،
وَتَسْتَرِّ بِالْمَسَاوِي قَلَمٌ تَدُلُّنَ عَلَيْهِ .

إِبْرَاهِيمَ رَبَّنَا بِكَلِمَاتٍ» (١).

والفضيحة: اسم من فضحة فضحاً، من باب منع، إذا كشف مساويه، وبينها للناس.

والباء من قوله: «بذنب» للاستعانة أو للسببية، متعلق بفضيحة، فعلى الأول يكون الذنب بمنزلة الآلة للفضيحة، لأنَّ بَاءَ الاستعانة هي الداخلة على آلة الفعل نحو كتبت بالقلم، وعلى الثاني يكون سبباً للفضيحة.

إفتتح الدعاء بالسنداء بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات؛ إظهاراً لغاية التضرع، ومبالغة في ابتداء الإجابة.

وتعريف «الحمد» للتعظيم. وتقديم الخبر للتخصيص، أي لك الحمد كله، لا لأحد غيرك .

وسترت الشيء سترأ - من باب قتل - : غطيته. والستر بالكسر: ما يستتر به، وجمعه ستور.

ولم يتعرض للمستور؛ لأنَّ غرضه الحمد على حصول الستر منه تعالى، من غير اعتبار تعلقه بمستور عام أو خاص.

ولمَّا كان المعنى لك الحمد على حصول الستر منك، وكانت اللام فيه للحقيقة، كان قوله عليه السلام: «عَلَى سِثْرِكَ» مفيداً لعموم أفراد الستر، دفعاً للتحكم اللازم من حمله على فرد دون آخر، على ما حققه السعد التفتازاني في شرح التلخيص (٢).

وقال الشريف العلامة: الأظهر أن يقال: المفيد لعموم الأفراد هو المقام، أو الفعل بمعونة المقام (١).

و«بَعْدَ» ظرف زمان متراخ عن زمان سابق، فإذا قلت: جاء زيد بعد عمرو، كان معناه أن زمان مجيئه كان متراخياً عن زمان مجيء عمرو. لكن ليس المراد بها هنا مجرد هذا المعنى؛ لأنَّ الستر من كلِّ أحد لا يتحقق معناه إلا بعد العلم بالمستور والاطلاع عليه، ولهذا لا يقال للجاهل بالشيء: ستره، بل الغرض استعظام ستره تعالى، إذ كان هو الخصم والمنتهى الذي يقتضي علمه المؤاخذه والانتقام. فستره بعد علمه ليس إلا لمزيد الكرم، ونهاية الإحسان. وقس على ذلك.

قوله عليه السلام: «وَمُعَافَاتِكَ بَعْدَ تُخْبِرُكَ» والمعافاة: مصدر، عافاه الله، أي أعفاه إذا وهب له العافية.

قال في الأساس: العافية دفاع الله عن العبد، عافاه الله من المكروه معافاة، وعافية: وهب له العافية من العلل والبلايا كأعفاه (٢).

وقال الرضي في شرح الشافية، في باب ما جاء من فاعل بمعنى فعل: عافاك الله. أي جعلك ذاعافية (٣) إنتهى.

فما وقع في بعض التراجم من أن معنى المعافاة هنا أن يعافيك الله من الناس، ويعافيه منكم، بمعزل عن المقام.

والخبر - بالضم -: العلم، لكن إذا أضيف إلى الحقايا الباطنة فهو أخص من مطلق العلم.

وقال الراغب: العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر (٤). وقيل: المعرفة ببواطن

(١) لا يوجد لدينا كتابه.

(٢) لم نثر عليه في أساس البلاغة للزغشري بل وجدناه في القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٦٤.

(٣) شرح الشافية: ج ١ ص ٩٩.

(٤) المفردات: ص ١٤١.

الأمور، وقوله تعالى: «وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِهَا تَعْمَلُونَ» (١) أي عالم بأخبار أعمالكم. وقيل: (٢) عالم ببواطن أموركم. قوله عليه السلام: «فَكُلُّنَا قَدْ اقْتَرَفَ الْعَاقِبَةَ فَلَمْ تَشْهَرُهُ». الفاء: للترتيب الذكري، وهو عطف مفضل على مجمل. واقتراف الإثم: اكتسابه وفعله. قال الراغب: أصل القرف والاقتراف قشر اللحاء عن الشجرة والجلدة عن الجرح (٣). واستعير الاقتراف للاكتساب حسناً كان أو سوءاً، وفي الأساءة أكثر استعمالاً، ولهذا يقال: الاعتراف يزيل الاقتراف. والعاقبة: العيب، مصدر جاء على فاعله، كالعافية والعاقبة. والشهرة - بالضم -: ظهور الشيء في شبة (٤)، شهره: كمنعه. وارتكب الذنب: اجتريه. والفاحشة: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال، كالفحش والفحشاء. وفضحه يفضحه، من باب - منع -: أظهر معائبه وبيّن لها للناس. وتستر استتر: أي تغطي واختفي. والبهاء: للملابسة، أي ملتبساً بالمساوي، كقوله تعالى: «وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ» (٥).

ومن العجب ما وقع في بعض التراجم من حملها على الاستعانة تارةً، وجعل المساوي هي المستتر (٦) بها، فقال: معناه جعل المساوي لباساً له، وستر بها نفسه،

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٣.

(٤) «الف»: وشهره.

(٢) «الف»: أي عالم.

(٥) سورة المائدة: الآية ٦١.

(٣) المفردات: ص ٤٠١.

(٦) «الف»: المستتر بها.

كَمْ نَهَى لَكَ قَدْ أَتَيْنَاهُ، وَأَمْرٍ قَدْ وَقَفْتَنَا عَلَيْهِ فَتَعَدَّيْنَاهُ، وَسَيِّئَةٌ
اِكْتَسَبْنَاهَا، وَخَطِيئَةٌ ارْتَكَبْنَاهَا، كُنْتَ الْمُظْلِعَ عَلَيْهَا دُونَ النَّاطِرِينَ،
وَالْقَادِرَ عَلَى إِعْلَانِهَا فَوْقَ الْقَادِرِينَ، كَانَتْ عَافِيَتُكَ لَنَا حِجَاباً دُونَ
أَبْصَارِهِمْ، وَرَدِّمًا دُونَ أَسْمَاعِهِمْ.

فصار مغموراً بالذنوب. وعلى الزيادة أخرى، فقال: معناه أنه أخفى الذنوب، ولم يُرد
أن يطلع عليها أحد، وكل ذلك خبط ظاهر.
والمساوي: النقائص والمعائب.

قال أبو الفضل الميداني في مجمع الأمثال: قال اللحياني: لا واحد للمساوي.
ومثلها المحاسن والمقاليذ (١)، وكذا في فقه اللغة للشعالبي (٢).
ودلت على الشيء وإليه، من باب - قتل - دلالة: أوصلت إلى معرفته،
وكشفت أمره.

وفك الإدغام في المضاعف المجزوم لغة الحجاز، والإدغام لغة أهل نجد، وكل
فصيح، غير أن الأولى هي التي جاء بها التنزيل، قال تعالى: «وَلَوْ لَمْ تَمْسُسْهُ
نَارٌ» (٣).

«كم» في محل رفع على الابتداء، وهي هنا خبرية بمعنى كثير، والمراد بها
التكثير. و«نهي» مميّز لها مجرور بإضافتها إليه.
وذهب الفراء: إلى أن جره بـ «من» مقدرة، وعمل الجار المقدر، وإن كان في
غير هذا الموضع نادراً، إلا أنه لما كثّر دخول من على مميّزكم الخبرية نحو: «وكم من

(١) مجمع الأمثال للميداني: ج ١ ص ٢٣٨ رقم ١٢٥٩.

(٢) فقه اللغة: ص ٣٣٢ و ٣٣٣.

(٣) سورة النور: الآية ٣٥.

قرية» و«وكم من آية» ساغ عمله مقدراً؛ لأن الشيء إذا عرف في موضع جاز تركه؛ لقوة الدلالة عليه (١).

وهذا القول نقله ابن مالك في شرح الكافية عن الخليل (٢).

وفي نسخة «كَمْ نَهياً لك» بالنصب، وهي إمّا على لغة من ينصب مميّز «كم» الخبريّة.

قال ابن هشام في المغني: وزعم قوم أنّ لغة تميم جواز نصب تميّز «كم» الخبريّة إذا كان مفرداً (٣).

وقال الرضي: وبعض العرب ينصب مميّز «كم» الخبريّة مفرداً كان أو جمعاً بلا فصل، اعتماداً في التمييز بينها وبين الاستفهاميّة على قرينة الحال (٤).

وإمّا على أنّ كم إستفهاميّة لأنّ مميّزها لا يكون إلّا منصوباً. لكن ليس المراد بها حقيقة الاستفهام، بل معنى التكثير أيضاً، فهي في تقدير الخبريّة، كأنه أظهر الذهول عن كمّيّة العدد لكثرتّه، فهو يسأل عنه، أي ذلك كثير لا أعرف عدده، فأخبرني عن عدده.

وهذا المعنى أبلغ من معنى الخبريّة في توبيخ النفس بإرتكاب العصيان، والاعتراف لله سبحانه بكثرة المعاصي، لما فيه من التهويل.

ومحلّ «كم» على كل تقدير الرفع على الابتداء، ونحوها قوله: «قد أتيناها»، فهي على كونها خبريّة بمنزلة قولك: كثير من النهي قد أتيناها، وعلى كونها استفهاميّة بمنزلة أعشرون نهياً قد أتيناها.

ولك جعل «كم» في محلّ النصب على المفعوليّة، والناصب مضمّر على شريطة التفسير، ويقدر بعد «كم»، لثلاث تقع غير صدر الكلام، أي كم نهى لك أو كم

(١) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٩٦ - ٩٧.

(٢) المغني: ص ٢٤٥.

(٣) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٩٦.

(٤) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٩٧.

نهيًا لك قد أتينا قد أتينا.

والأول أولى؛ لسلامته عن الحذف والتقدير.

وفي قوله: «لك» تعظيم للنهي وإتيانه ببيان اختصاصه به تعالى.

والنهي: قيل: قول يستدعي به ترك الفعل ممن هو دونه. وقيل: هو طلب

إمتناع الفعل. وقيل: طلب الكف عن فعل.

وقال الراغب: النهي: الزجر عن الشيء، وهو من حيث المعنى لا فرق بين أن

يكون بالقول أو بغيره. وما كان بالقول لا فرق بين أن يكون بلفظة إفعال نحو:

اجتنب هذا، أو بلفظة نحو: لا تفعل، ومن حيث اللفظ هو قولهم: لا تفعل كذا،

فاذا قيل: لا تفعل كذا فهو نهى من حيث اللفظ والمعنى جميعاً نحو «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ

الشَّجَرَةَ» وقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ، وَيَنْهَىٰ

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» أي يحث على فعل الخير ويذجر عن الشر، وذلك بعضه

بالعقل الذي رغبه فينا، وبعضه بالشرع الذي شرعه لنا (١). انتهى.

وأتيناه: أي: تعاطيناه واستعمال الإتيان هنا كاستعمال المجيء في قوله

تعالى: «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا قَرِيًّا» (٢).

وإيثار صيغة المتكلم مع الغير هنا، وفي سائر الأفعال الآتية؛ للإشعار باشتراك

سائر الموحدين، له في ذلك.

والأمر: قيل: طلب وجود الفعل على جهة الاستعلاء. وقيل: استدعاء الفعل

بالقول ممن هو دونه وقيل: طلب فعل غير كف.

وقال الراغب: هو التقدّم بالشيء، سواء كان ذلك بقولهم: افعل وليفعل، أو

كان ذلك بلفظ خبر نحو: «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ»، أو كان بإشارة، أو غير

ذلك، ألا ترى أنه قد سمي مارأي إبراهيم عليه السلام في المقام من ذبح ابنه أمراً،

حيث قال «يَا أَبْتَ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ» (١).

ووقفنا عليه، أي: أمرتنا بالوقوف عنده، لانتعاده، ولا نتجاوزه كما يدلّ عليه قوله عليه السّلام: «فتعدّينا». ويجوز أن يكون بمعنى اطلعتنا عليه وبيّنته لنا، من وقفته على (٢) عيبه إذا اطلعت عليه.

وفي نسخة «أوقفنا» بالألف، وهي لغة في وقفنا. وأنكرها بعضهم، والصحيح ثبوتها، كما نصّ عليه صاحب القاموس (٣).
وتعدّينا: أي تجاوزناه إلى غيره.



والسيئة: الفعل القبيحة، وهي ضدّ الحسنة.
واكتسابها: تحمّلها.

والخطيئة: الذنب. وقيل: الكبيرة. وقيل: الفرق بين السيئة والخطيئة أن الأولى: تطلق على ما يقصد بالذات، والثانية: تغلب على ما يقصد بالعرض، لأنّها من الخطأ، كمن رمى صيداً فأصاب إنساناً، أو شرب مسكراً فجنى جنابة في سكره.

وارتكب الذنب: فعله.

وجملة قوله عليه السّلام: «كنت المطلع عليها» في محلّ نصب على الحالية.
والضمير من «عليها» إمّا عائذ إلى جملة ما ذكره من النهي والأمر والسيئة والخطيئة، وهي أشياء يعود الضمير عليها مؤنثاً. وإمّا إلى السيئة والخطيئة، وإنّما أفرد الضمير والمذكور شيئان؛ لأنّ المراد سيئات وخطيئات كثيرة، كما يدلّ عليه «كم» و«دون» الناظرين، أي متجاوزاً للناظرين، لم يطلع عليها منهم غيرك، على ما عرفت فيما سبق من أنّ «دون» بمعنى أدنى مكان ثم اتّسع فيه، فاستعمل في كلّ

(٣) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٢٠٥.

(١) المفردات: ص ٢٤ - ٢٥.

(٢) «الف» علم.

تجاوز حدة إلى حدة، وتخطي أمر إلى أمر.

وعُلم الأمر علوناً، من باب -قعد-: ظهر وانتشر، فهو عالن، وعلن علناً -من باب تعب لغة- فهو علن، والاسم: العلانية -مخفف- (١) ويعدّى بالألف، فيقال: أعلنته إعلاناً.

وفوق: ظرف مكان نقيض تحت. وقد استعير للاستعلاء الحكمي، ومعناه الزيادة والفضل، يقال: هذا فوق ذاك، أي أفضل منه وأزيد.

أي وكنت القادر على إظهارها زائداً على القادرين.

قوله عليه السلام: «كانت عافيتك لنا حجاباً» إلى آخره، جملة مستأنفة.

والعافية: هنا بمعنى المعافاة، أي كانت معافاتك لنا حجاباً دون أبصارهم.

والحجاب: الستر، من حجبته حجباً -من باب قتل- أي منعه؛ لأنَّ الستر يمنع المشاهدة. والأصل فيه جسم حائل بين جسمين، ثم استعمل في المعافي فقليل: المعصية حجاب بين العبد وبين ربه، ومنه عبارة الدعاء.

و«دون» هنا بمعنى قدام، كقول الأعشى يصف زجاجة الكأس:

• تريك القذى من دونها وهي دونه • (٢)

أي تريك القذى قدامها، وهي قدامه؛ لرقتها وصفائها. والحجاب إذا كان قدام البصر كان مانعاً له من المشاهدة.

والردم: السد.

قال الجوهري: ردمت الثلعة أردمها -بالكسر- ردماً سدتها، والردم أيضاً

الاسم، وهو السد (٣).

وقال الزمخشري في قوله تعالى: «فَاعِيشُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَل بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا» أي

(٣) الصحاح: ج ٥ ص ١٩٣.

(١) «الف»: فحّف.

(٢) لسان العرب: ج ١٣ ص ١٦٥.

فَاجْعَلْ مَا سَتَرْتَ مِنَ الْعَوْرَةِ، وَأَخْفَيْتَ مِنَ الدَّخِيلَةِ، وَاعِظْ لَنَا،
وَزَاجِرًا عَنْ سُوءِ الْخُلُقِ، وَاقْتِرَافِ الْخَطِيئَةِ، وَسَعْيًا إِلَى التَّوْبَةِ
الْمَاحِيَةِ، وَالطَّرِيقَ الْمَحْمُودَةَ، وَقَرِّبِ الْوَقْتَ فِيهِ، وَلَا تَسْمُنَا الْغَفْلَةَ عَنْكَ،
إِنَّا إِلَيْكَ رَاغِبُونَ، وَمِنْ الذُّنُوبِ تَائِبُونَ.

حاجزاً حصيناً موثقاً والردم: اكبر من السد وأوثق، من قولهم: ثوب مردوم، أي:
رقاع فوق رقاع (١). انتهى.

ولما كان الحجاب بمعنى السرق قد لا يمنع السمع من السماع أثر لفظ الردم في
جانب الإسماع؛ لأنه حاجز حصين، وبرزخ متين. والله أعلم.

العورة: كل ما يستحي منه إذا ظهر، وأصلها من العار وذلك ما يلحق في
ظهورها من العار، أي المذمة.

وفي المصباح: كل شيء يستره الإنسان أنفة أو حياء، فهو عورة (٢).

والدخيلة هنا بمعنى الدخل - بالتحريك - وهو العيب والغش والفساد.

وقال الزمخشري في الفائق: وحقيقته أن يدخل في الأمر ما ليس منه (٣).

ووعظه يعظه وعظاً وعظة وموعظة: أمره بالطاعة، ووصاه بها، فهو واعظ. ومنه
قوله تعالى: «إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ» (٤)، أي أوصيكم وأمركم. وقيل: الوعظ: زجر
مقترن بتخويف.

وقال الخليل: هو التذكير بالخير بما يرق له القلب (٥).

والزجر: الطرد والمنع، زجره زجراً - من باب قتل - فهو زاجر، ومنه قوله تعالى:

(١) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ٧٤٧.

(٢) المصباح المنير: ص ٥٩٨.

(٣) الفائق في غريب الحديث: ص ٤٢٠.

(٤) سورة سبأ: الآية ٤٦.

(٥) كتاب العين: ج ٢ ص ٢٢٨.

«وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ» (١)، أي طرد ومنع عن ارتكاب المآثم.
والخلق: كيفية نفسانية تصدر عنها الأفعال بسهولة. فإن كان الصادر عنها
الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً سميت الكيفية خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها
الأفعال القبيحة، سميت الكيفية التي هي المصدر، خلقاً سيئاً.
والمعنى: إجعل ذلك سبباً لا تعاضنا وانزجارنا عن سوء الخلق بأن يعتبر به
فيكف نفسه، وينزجر عن القبيح.

ولما كان الفعل قد ينسب إلى سببه ستماه واعظاً وزاجراً، ومنه قولهم: كفى
بالشيب واعظاً (٢)، وكفى بالإسلام ناهياً (٣)، وعليه ماورد في الحديث «وَعَلَى رَأْسِ
الصُّرَاطِ وَاعِظَ اللَّهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ» قال ابن الأثير: يعني حجته التي تنهاه عن
الدخول فيما منعه الله منه وحرّمه عليه، والبصائر التي جعلها فيه (٤).
واقتراف الخطيئة: أي ارتكاب المعصية.

والسعي: المشي السريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان
أو شراً، قال تعالى: «وَسَعَى فِي خَرَابِهَا» (٥).
قال الراغب: وأكثر ما يستعمل السعي في الأفعال المحمودة (٦).
أي: واجعل ذلك سبباً للسعي إلى التوبة، أي: الجد فيها. وهو من باب إطلاق
المسبب على السبب.
والمأحية: المزيله للذنب من المحو، وهو إزالة الأثر. ومن كلامهم: التوبة تمحو
الحوبة.

والطريق: السبيل الذي يطرق بالأرجل، أي يضرب، يذكر ويؤنث، ثم استعير

(١) سورة القمر: الآية ٤.
(٢) كنوز الحقائق بهامش الجامع الصغير: ج ٢ ص ٣٧.
(٣) الجامع الصغير: ج ٢ ص ١١٥.
(٤) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٢٠٦.
(٥) سورة البقرة: الآية ١١٤.
(٦) المفردات: ص ٢٣٣.

لكلّ مسلك يسلكه الإنسان في فعل، محموداً كان أو مذموماً.
والقرب: خلاف البعد، ويستعمل في الزمان والمكان.
والوقت مقدار من الزمان مفروض لأمر ما، ولهذا لا يكاد يستعمل إلا مقيداً،
نحو قولهم: وقت كذا.

والضمير من «فيه» عائد الى السعي. و«في» للظرفية المجازية، جعل السعي
ظرفاً للوقت مجازاً كما يقال: اصرف وقتك في الطاعة.
وسمّته الذل، أي أوليته إياه.

وفي الأساس: سمّت المرأة المعانقة، أي أردتها منها، وعرضتها عليها (١).
ومعنى سومه تعالى الغفلة: التخلية بين العبد وبين الأسباب المؤدية إلى الغفلة،
وجعله غافلاً بالخذلان، لا إرادته إياها منه.
ومعنى الغفلة عنه سبحانه، الغفلة عن جنابه وذكره والانهماك في الحسيات
المؤدية إلى البعد عن الحق.

وفي الفقرة تلميح إلى قوله تعالى: «ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» (٢).
والرغبة الى الله تعالى: الابتهال إليه، وهو الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه. وقيل:
هي التضرع إليه، والمسألة منه. وفسر قوله تعالى: «وإلى ربك فارغب» (٣) بالرغبة في
المسألة، أي ارفع حوائجك إلى ربك، ولا ترفعها إلى غيره وقوله تعالى: «إنا إلى ربّنا
راغبون» (٤) أي راجون العفو، طالبون الخير.
و«إلى» لانتفاء الرغبة أو لتضمّنها معنى الرجوع.

وتقديم الظرف في الفقرة الأولى للتخصيص، وفي الثانية للسجع، والتأكيد:
للإنباء عن صدق الرغبة، ووفور النشاد. والجملتان تعليل لاستدعاء الإجابة. والله
أعلم.

(٣) سورة الشرح: الآية ٨.

(٤) سورة القلم: الآية ٣٢.

(١) أساس البلاغة: ص ٣١٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٨.

وَصَلِّ عَلَى خَيْرِكَ - اللَّهُمَّ - مِنْ خَلْقِكَ مُحَمَّدٍ وَعِثْرَتِهِ الصَّفْوَةِ مِنْ
بَرِّيَّتِكَ الظَّاهِرِينَ، وَاجْعَلْنَا لَهُمْ سَامِعِينَ وَمُطِيعِينَ كَمَا أَمَرْتَ.

الخِثْرَة: بالكسر والسكون و(١) كعِثْبَة اسم من الإختيار، أي الاصطفاء،
يقال: محمد خيرة الله، وخيرته، بالوجهين. وقد وردت بهما الرواية في الدعاء.
وعترة الرجل: نسله.

قال الأزهرى: وروى تغلب عن ابن الأنباري: أن العترة ولد الرجل وذريته
وعقبه من صلبه (٢)، ولا تعرف العرب من العترة غير ذلك. وقيل: رهطه
الأذنون (٣)، ويقال: أقرباؤه.

وقال الزمخشري: في الفائق: العترة: العشيرة، سُميت بالعترة - وهي المرزنجوشة
- لأنها لا تنبت إلا شعباً متفرقة (٤).
وفي العين: عترة الرجل: أقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمه (٥).

قال ابن الأثير في النهاية: عترة الرجل أخص أقاربه، وعترة النبي صلى الله
عليه وآله وسلم بنو عبد المطلب. وقيل: أهل بيته الأقربون وهم أولاده، وعليّ
وأولاده عليهم السلام. وقيل: عترته: الأقربون والأبعدون منهم. والمعروف المشهور أن
عترته أهل بيته الذين حُرِّمَت عليهم الزكاة (٦). إنتهى.

وصُفْوَة الشيء مثْلثة - ماصفا منه، وخلص من الشوب والكدر كصفوه.
والبرية: الخلق فعيلة بمعنى مفعولة، من بَرء الله الخلق ببرؤهم، أي خلقهم (٧).
قال الجوهري: وقد تركت العرب همزته. قال الفراء: وإن أخذت البرية من

(١) الواو وردت في «ألف» والحجرية

(٢) تهذيب اللغة: ج ٢ ص ٢٦٤.

(٥) كتاب العين: ج ٢ ص ٦٦.

(٣) تهذيب اللغة: ج ٢ ص ٢٦٤ نقلاً عن أبي عبيدة.

(٦) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ١٧٧.

(٤) الفائق في غريب الحديث: ج ١ ص ١٧٠.

(٧) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٣.

البراء - وهو التراب - فأصله غير الهمز، تقول: منه براه الله يبروه برواً، أي خلقه (١).
و«الطاهرين» أي: النقيين من دنس المولد والعمل، البريثين من صفائر
الذنوب وكبائرها، كما قال تعالى «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (٢).

واجعلنا سامعين أي: مجيبين لأمرهم، قابلين لحكمهم. وأصل السماع
الإصغاء، لكنهم استعملوه في الإجابة، وقبول الأمر كثيراً، كما تقول سمع فلان
ماقلت له، ومنه قولهم: سمع القاضي البيّنة، أي قبلها.
ومطيعين: أي منقادين، من أطاعه إطاعة، أي انقاد له.

وقوله عليه السلام: «كما أمرت»، الظرف في محل نصب على أنه نعت لمصدر
محذوف. و«ما» مصدرية، أي إطاعة مثل الإطاعة التي أمرت بها. ونظيره
«فاستقيم كما أمرت» (٣)، وهو إشارة إلى قوله تعالى في سورة النساء: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (٤).

قال الصادق عليه السلام: إيانا غنى خاصة، أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة
بطاعتنا (٥).

وفي حديث جابر بن عبد الله لما نزلت هذه الآية، قلت: يا رسول الله، عرفنا الله
ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال: هم خلفائي يا جابر
وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي
بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته
فأقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن

(١) الصحاح: ج ٦ ص ٢٢٨٠ نقلاً عنه.

(٤) سورة النساء: ٥٩.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٥) تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٤٩٧.

(٣) سورة هود: الآية ١١٢.

موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمي محمد، وكفي حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من أمتحن الله قلبه للإيمان. قال جابر؛ فقلت له: يا رسول الله صلى الله عليه وآله فهل لشيعته الانتفاع في غيبته؟ قال: إي والذي بعثني بالنبوة، إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلاها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سر الله، ومخزون علم الله، فأكتمه إلا عن أهله (١). والله أعلم.

هذا آخر الروضة الرابعة والثلاثين من رياض السالكين، وفق الله سبحانه لإتمامها عشية يوم الخميس لست مضين من شوال، سنة أربع ومائة وألف، والله الحمد.

مركز تحقيق كتب أمير المؤمنين عليه السلام

الروضة الخامسة والثلاثون
مركز تحقيقات كمبيوتر علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَا نَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الرِّضَا إِذَا نَظَرَ إِلَى أَصْحَابِ الدُّنْيَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ رِضْوَانُكَ اللَّهُ شَهِدْتُ أَنَّ اللَّهَ قَسَمَ مَعَائِشَ عِبَادِهِ بِالْعَدْلِ
وَأَخَذَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ بِالْفَضْلِ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلَا تَقْنِيَنِي
بِمَا آغَطْتَهُمْ وَلَا تَقْنِيَنِي بِمَا مَنَعْتَنِي فَأَخْذَ خَلْقِكَ وَأَعْمَطَ حُكْمَكَ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَطَيِّبْ بِقَضَائِكَ نَفْسِي وَوَسِّعْ بِمَوَاقِفِ
حُكْمِكَ صَدْرِي وَهَبْ لِي الثِّقَةَ لِأَقْرَبِ مَعَهَا بِأَنَّ قَضَاءَكَ لَمْ يَجْرِ إِلَّا بِالْخَيْرِ
وَاجْعَلْ شُكْرِي لَكَ عَلَى مَا زَوَّبْتَ عَنِّي أَوْ قَرْنِ شُكْرِي بِإِنَّا لَكَ عَلَى مَا
خَوَّلْتَنِي وَاعْفُ عَنِّي مَنْ أَنْ أَظُنَّ يَدِي عَدِيمَ خَاسَةِ أَوْ أَظُنَّ بِصَاحِبِ رَوْحِي
فَضْلًا مَرَاتِ الشَّرِيفِ مَنْ شَرَفَتْهُ طَاعَتُكَ وَالْعِزِّ مَنْ أَعَزَّتْهُ عِبَادَتُكَ
فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَنْعِنَا بِزُورٍ لَا نَقْدُ وَأَيَّدُنَا بِغَيْرِ لَا يُفْقَدُ اسْتِحْنَا
فِي مُلْكٍ لَا يَبْدُ إِنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ



البروضة الخامسة والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين (١)

الحمد لله الذي جعل الدار الآخرة هي العليا، وشرف الراغبين فيها على أصحاب الدنيا، والصلاة والسلام على نبيه المهادي إلى رضائه، وعلى أهل بيته الراضين بحكمه وقضائه.

وبعد: فهذه الروضة الخامسة والثلاثون من رياض السالكين، في شرح الدعاء الخامس والثلاثين من صحيفة سيد العابدين، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأئمة الراشدين، إملاء راجي فضل ربه السنّي علي صدرالدين الحسيني الحسيني وفقه الله لمراضيه، وجعل غابره خيراً من ماضيه.

شرح الدعاء الخامس والثلاثين

وكان من دعائه عليه السّلام في الرّضا إذا نظر الى أصحاب الدنيا.

الرضا لغة: خلاف السخط. قال الجوهري: هو - مقصوراً - مصدر محض. والاسم الرضاء بالمدّ عن الأخفش (١). وعرفاً: سرور القلب بجريان القضاء ويقال: رضيت الشيء، ورضيت به، إذا اخترته، كارتضيته، وقد يقال: رضيت بالشيء إذا قنعت (٢) به. قال النووي في شرح مسلم: رضي بالله ربّاً. أي قنع به ولم يطلب معه غيره، بأن يسلك غير ما شرعه (٣).

وإرادة هذا المعنى هنا صحيحة. والنظر: تقليب البصر، أو البصيرة، لرؤية الشيء وإدراكه. ويقال: نظرت إليه إذا رأيته، وهو المراد هنا.

والأصحاب: جمع صاحب، وهو الملازم لشيء إنساناً كان أو غيره. ولا فرق بين أن يكون مصاحبه بالبدن، وهو الأصل والأكثر، أو العناية والهمة، ولا يقال في

(١) الصحاح: ج ٦ ص ٢٣٥٧.

(٢) «الف»: اقتنعت به.

(٣) شرح مسلم للنووي: ج ٢ ص ٢ مع اختلاف يسير في العبارة.

قال صلوات الله عليه:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رِضًا بِحُكْمِ اللَّهِ، شَهِدْتُ أَنَّ اللَّهَ قَسَمَ مَعَاشَ عِبَادِهِ بِالْعَدْلِ، وَأَخَذَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ بِالْفَضْلِ.

العرف إلا لمن كثرت ملازمته، ويقال لمالك المال: هو صاحبه، وكذلك من يملك التصرف فيه. ومنه عبارة المتن.

والدنيا: نقيض الآخرة، وهي تأنيث الأدنى، سُميت بها هذه الدار لدنوّها. والأصل الدار الدنيا، فحذفت (١) موصوفها، وأجريت مجرى الأسماء، فانسلخت عن معنى الوصفية. والمراد أصحاب متاع الدنيا، فهي مجاز مرسل من باب تسمية الشيء باسم محلّه، نحو «فليدع ناديه» (٢) «وسئل القرية» (٣). والله أعلم.

«رضاً» إما مفعول مطلق، أي حمد رضا، أو حال، أي راضياً، أو مفعول لأجله، أي للرضا؛ وأياً ما كان فالعامل الحمد المذكور؛ لأنه مصدر، وهو يعمل عمل فعله.

وما وقع لبعضهم، أنّ العامل محذوف لثلا يلزم عمل المصدر المعرف ميني على مذهب بعضهم، وفيه أربعة مذاهب:

مذهب الخليل وسيبويه جوازه مطلقاً من غير قبح (٤) سواء عاقبت آلة التعريف فيه الضمير أم لا (٥).

والحكم: القضاء، وأصله المنع، يقال: حكم بكذا، إذا منع من خلافه. ووضع الظاهر موضع المضمّر ولم يقل: بحكمه لتعظيم الحكم، وقصد تقوية داعية الرضا.

(٤) «الف»: قبيح.

(٥) كتاب سيبويه: ج ١ ص ١٣٧.

(١) هكذا في النسخ، والصحيح فحذفت.

(٢) سورة العلق: الآية ١٧.

(٣) سورة يوسف: الآية ٨٢.

وشهدت: أي علمت. وأصله من الشهود، بمعنى الحضور مع المشاهدة بالبصر، ثم أطلق على المشاهدة بالبصيرة أيضاً، وهي العلم، ومنه أشهد أن لا إله إلا الله. والقسم: إفرار النصيب، يقال: قسمت كذا قسماً - من باب ضرب - ومنه قسمة الغنيمة، وهوتفريقها على أربابها، بإفرار نصيب كل منها.

والمعاش: جمع معيشة، وهي ما يعيش به الإنسان من المطاعم والملابس، وغيرهما مما يتعلق به البقاء. واشتقاقها من العيش، وهو الحياة المختصة بالحيوان، فهو أخص من مطلق الحياة، لأن الحياة تطلق على الحيوان، وعلى الباري تعالى بخلاف العيش، فالميم في المعيشة زائدة.

ووزن المعاش مفاعل فلا تهمز به قرأ السبعة وقرأ الأعرج، وأبو جعفر المدني بالهمز تشبيهاً لها بالشماثل.

وقال الفيومي في المصباح: وقيل: هي من معش، فالميم أصلية، ووزن معيشة ومعاش فعيلة وفعائل (١). انتهى. وهو غريب.

والعدل: التقسيط على سواء. فتارة يراد به السواء، باعتبار المقدار، ومنه قوله سبحانه: «وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ» (٢) أي في مقدار المحبة، إشارة إلى ما عليه جبلة الإنسان من الميل؛ فالإنسان لا يقدر أن يسوي بينهن في المحبة، وتارة باعتبار الحكمة والانتظام، ومنه ما روي: بالعدل قامت السماوات والأرض (٣) تنبيهاً على أنه لو كان شيء مما قامتا به، زائداً عما هو عليه، أو ناقصاً عنه على غير ما اقتضته الحكمة لم يكن العالم منتظماً. فانتظامه بتقدير ذلك على ما يليق بقوامه وقيامه. وهذا المعنى هو المراد هنا، أي بعدل اقتضته الحكمة البالغة. ولذلك متى وصف الله سبحانه بالعدل فإنما يراد أن أفعاله واقعة على نهاية الحكمة والانتظام.

(٣) عوالى اللثالي: ج ٤ ص ١٠٣.

(١) المصباح المنير: ص ٦٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٩.

وفي الدعاء إشارة إلى قوله سبحانه: «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (١) فَإِنَّ الْعَدْلَ لَا يَكُونُ قِسْمَةً إِلَّا عَدْلًا، وَلَا يَتَجَاوَزُ إِلَى إِفْرَاطٍ وَتَفْرِيطٍ. وفي الحديث القدسي «وَأَنَّ مِنْ عِبَادِي (٢) لَا يَصْلَحُهُ إِلَّا الْفَقْرُ، وَلَوْ أَغْنَيْتَهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَأَنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلَحُهُ إِلَّا الْغِنَى، وَلَوْ أَفْقَرْتَهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ» (٣). فإِغْنَاءُ مَنْ لَا يَصْلَحُهُ إِلَّا الْفَقْرُ إِفْرَاطٌ، وَإِفْقَارُ مَنْ لَا يَصْلَحُهُ إِلَّا الْغِنَى تَفْرِيطٌ، وَالْعَدْلُ هُوَ مَا بِهِ إِصْلَاحُ كُلِّ مِنْهُمَا، فَثَبِتَ اتِّصَافُ قِسْمَتِهِ تَعَالَى بِالْعَدْلِ.

قوله عليه السَّلام «وَأَخِذْ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ بِالْفَضْلِ».

«أَخِذْ» هُنَا مِنَ الْأَخِذِ بِمَعْنَى السَّيْرِ، يُقَالُ: لَوْ كُنْتُ مَتَا لَأَخَذْتُ بِأَخِذِنَا، أَي: سَوْتُ بِسِيرَتِنَا، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخِذِ الْقُرُونِ» (٤). قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: هُوَ بِكَسْرِ الهمزة وفتحها -: السيرة (٥).

أَي تَسِيرُ أُمَّتِي بِسِيرَتِهِمْ. فَقَوْلُهُ: «بِالْفَضْلِ» مُتَعَلِّقٌ بِأَخِذْ. وَقَوْلُهُ: «عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ» مُتَعَلِّقٌ بِالْفَضْلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» (٦).

وَلَا يَمْنَعُ مَنْ تَعَلَّقَ بِهِ مَا اشْتَهَرَ مِنْ أَنَّ مَعْمُولَ الْمَصْدَرِ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ. لِأَنَّ ذَلِكَ حَيْثُ يَتَقَدَّرُ الْمَصْدَرُ بِأَنْ وَالْفِعْلَ، لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ مِنْ بَابِ تَقْدِيمِ الْهَصْلَةِ عَلَى الْمَوْصُولِ، وَهُوَ مَمْتَنَعٌ، كَقَوْلِكَ: أَعْجَبَنِي عَنِ الشَّرِّ بَعْدُكَ، أَي: أَنْ تَبْعُدَ، فَالظَّرْفُ مُتَعَلِّقٌ بِعَامِلٍ مَقْدَرٍ يَفْسِّرُهُ الْمُسْتَأْخِرُ، وَالتَّقْدِيرُ: أَعْجَبَنِي بَعْدُكَ عَنِ الشَّرِّ بَعْدُكَ. وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَقْدَرِ الْمَصْدَرُ بِأَنْ وَالْفِعْلَ فَيَجُوزُ تَقْدِيمُ مَعْمُولِهِ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ ظَرْفًا وَشَبَهًا؛ لِانْتِفَاءِ الْمَانِعِ نَحْوِ

(١) الزخرف: الآية ٣٢.

(٢) فِي الْمَصْدَرِ: مَنْ لَا يَصْلَحُهُ.

(٣) الْكَافِي: ج ٢ ص ٣٥٢ ج ٨ مع إختلاف يسير في العبارة.

(٤) صحيح البخاري: ج ٩ ص ١٢٦ كتاب الاعتصام باب ١٤.

(٥) البخاري بشرح الكرماني: ج ٢٥ ص ٦٢.

(٦) النور: الآية ١٠.

«وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ» (١). ومنه قول كعب في قصيدته المشهورة:
 ضخم مقلدها فعم (٢) مقيدها في خلقها عن بنات الفحل تفضيل
 قال ابن هشام في شرحه لهذه القصيدة: «عن» بمعنى «على»، وهي متعلقة
 بتفضيل وإن كان مصدراً لأنه ليس منحلاً (أن والفعل). ومن ظن أن المصدر
 لا يتقدمه معموله مطلقاً فهو واهم إنتهى.

والفضل هنا بمعنى الإفضال والطول، وهو كل إحسان لا يلزم المحسن أن يفعله،
 بل يكون ابتداء منه.

والمعنى: أنه تعالى سار في جميع خلقه بالفضل عليهم والإحسان إليهم. وذلك أنه
 مبتدئ بما لا يلزمه، والابتداء بما لا يلزم هو الفضل، فأفعاله كلها عدل، وعدله كله
 فضل.

إذا عرفت ذلك، فاعلم أنه وقع جماعة ممن كتب على الصحيفة الشريفة هنا
 تفسيرات عجيبة.

منها: تفسير بعضهم أخذ بمعنى تناول، من قولهم: أخذ بيده إذا أعانه وأمدّه.
 قال: ومفعول أخذ محذوف بقريئة جميع خلقه. وتعلق على بأخذ لتضمن معنى
 الاستيلاء والغلبة، يعني أخذ بيد جميع المخلوقات بفضله في حالة استيلائه وغلبته على
 جميع مخلوقاته. إنتهى بالمعنى.

ومنها: تفسير بعضهم أخذ بمعنى ألزم، أي ألزمهم الفضل، يعني أن يتفضل
 بعضهم على بعض.

ومنها: قول بعضهم الأخذ يكون بمعنى السيرة فيُتعدى بـ «على». وعلى
 وبالفضل، متعلقان بأخذ. إنتهى.

فاعجب لقوم هذا مبلغهم من العلم كيف سوّلت لهم أنفسهم التصدي لكلام

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلَا تَفْتِنَنِي بِمَا أُعْطِيتَهُمْ وَلَا تَفْتِنَهُمْ بِمَا
مَنْعْتَنِي، فَأَخِيدَ خَلْقَكَ، وَأَغْمَطَ حُكْمَكَ.

المعصومين عليهم السَّلام، نسأل الله الهداية إلى سواء السبيل. وإنا نبتهنا على ذلك
لئلا يقف على شيء منها واقف فيظن صحته، ويحمل عليه كلام المعصوم، وليس
الغرض تتبع العثرات. نعوذ بالله من ذلك.

وفي نسخة «وأخذ بالفصل» بالصاد المهملة، وهو بمعنى القضاء بين الحق
والباطل، أي صار فيهم بالقضاء الفاصل بين الحق والباطل.

الفتن والفتنة: الابتلاء والامتحان. فتنه فتناً وفتناً من باب ضرب. وأصله
من فتن الفضة إذا أدخلها النار ليعرف جودها من رديها، ومنه: «فبي تفتنون» أي
تمتحنون، ويتعرف إيمانكم بنبوتي.

وتستعمل الفتنة والبلاء فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، قال تعالى:
«ونبلوكم بالشر والخير فتنة» (١) لأن بالشر يمتحن ويختبر صيره، وبالخير يمتحن
ويتعرف شكره، ثم كثر استعمال الفتنة في إيقاع الإنسان في بلية وشدة، ومنه قوله
تعالى: «وإن كادوا ليفتنونك» (٢) أي يوقعونك في ضراء وشدة في صرفهم إياك
عما أوحى إليك. وعليه عبارة الدعاء، أي لا توقعني في شدة ومكروه بسبب
ما أعطيتهم من متاع الدنيا، وهي الحسد لهم، والغمط لحكمك المشار إليها بقوله:
«فأحسد خلقك وأغمط حكمك» وفي هذا المعنى بعينه قول أمير المؤمنين صلوات الله
وسلامه عليه في خطبة له: «فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس
فلا يكون له فتنة» (٣).

الغفيرة - بالغين المعجمة - : الزيادة والكثرة، ومنه: «الجَم الغفير»، أي إذا رأى

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٣.

(٣) نهج البلاغة: ص ٦٤ الخطب ٢٣.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَطَيِّبْ بِقَضَائِكَ نَفْسِي، وَوَسِّعْ

أحدكم لأخيه زيادة في ولد أو رزق أو عمر أو غير ذلك، فلا يكون ذلك له فتنة،
تفضي به إلى الحسد.

وقوله: «لا تفتنهم بما منعتني» أي لا توقعهم في بلية بسبب ما حرمتني من
الدنيا، بأن يروني حقيراً مهاناً، أو يظفروا أو يتكبروا فيأثموا.

قوله: «فأحسد خلقك» «الفاء»: للسببية، والفعل بعدها منصوب بأن
مضمرة لسبقها بالطلب. وحد الحسد أن تفتاظ ممّا رُزقه غيرك، وتتمنى أنه زال
.. عنه، وصار إليك، وقد تقدّم الكلام عليه مبسوطاً.

قوله: «وأعظم حكّمك».

غمطه يغمطه غمطاً - من باب ضرب وسمع -: استحقّره، والعافية لم يشكرها،
والنعمة بطرها وحقّرها. أي وأحقّرت قضاءك بما منحتني، ولا أشكر حكّمك فيما
أعطيتني، إذ كان دون ما أعطيتهم، أولاً أرضى بحكّمك وقضائك فيما أعطيتني
ومنعتني فأتسخّطه وأحقّره.

وفي الكتب القديمة يقول الله عزّ وجلّ: الحاسدُ عدوٌّ نعمتي، متسخّط لفعلي، غير
راضٍ بقسمتي (١).

ونظم بعضهم هذا المعنى فقال:

أقل لمن راح لي حاسداً أدري على من أسأت الأدب؟
أسأت على الله سبحانه لأنك لم ترض لي ما وهب.

أصل الطيب: ما تستلذه الحواس والنفس. وطابت نفسه بالشيء إذا قبلته
ورضيته، ولم تكرهه. أي رضّ بقضائك نفسي واجعلها قابلة له، راضية به.
واتسع صدره للأمر إذا سهل عليه تحمّله ولم يشقّ عليه. وعكسه ضاق صدره

(١) عيون الاخبار: المجلد الثاني، ج ٤ ص ١٠ مع اختلاف يسير في بعض الفاظ الحديث.

بِمَوَاقِعِ حُكْمِكَ صَدْرِي، وَهَبْ لِي الثِّقَةَ، لِأَقْرَمَ مَعَهَا بِأَنَّ قَضَاءَكَ لَمْ يَجْبِرْ إِلَّا بِالْخَيْرَةِ.

بالشيء إذا شقّ عليه.

ومواقع الحكم: ما وقع به الحكم، وتعلّق به، أي اجعل صدري واسعاً غير حرج ولا ضيق بما يوقعه حكمك من الأمور التي يشقّ على النفس تحملها والغرض سؤال مقام الرضا الذي هو سرور النفس مهر (١) القضاء.

ووثق به وثوقاً وثقة: سكن إليه واعتمد عليه، أي وهب لي السكون إلى تقديرك، والاعتماد عليه في أنه لا يكون إلا عن حكمة بالغة.

والإقرار: إثبات الشيء، إمّا بالقلب، أو باللسان، أو بهما. لكن المراد به هنا ما كان بالقلب، سواء أضافه اللسان أم لا.

و«مع» اسم يقتضي الضحية، أي مصاحباً لها. والضمير عائد إلى الثقة. والمعنى: لأعترف بحصول الثقة لي بأنّ قضاءك وحكمك في أعيان الموجودات - على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد - لم يقع إلا بالاختيار لما هو الخير والأصلح.

والخيرة - بسكون الياء وفتحها - اسم من الاختيار، وهو أخذ ما يراه الخير، أو فعله. تقول: خيّرته بين الأمرين فاختر أحدهما. واستعمال الجري في وقوع القضاء، لسرعة مروره.

و«الباء» من قوله: «بالخيرة» للملابسة، والظرف في محلّ نصب على الحال، أي: ملتبساً بالخيرة.

والاستثناء مفرّغ، والتقدير: لم يجبر في حال من الأحوال إلا حال التباسه بالخيرة. والغرض سؤال إعداده عليه السّلام للاطمئنان بقضاء الله تعالى وأنه

وَأَجْعَلْ شُكْرِي لَكَ عَلَى مَا زَوَيْتَ عَنِّي أَوْفَرَّ مِنْ شُكْرِي إِيَّاكَ عَلَى مَا خَوَّلْتَنِي.

لا يكون إلا عن حكمة ومصلحة، فتطيب نفسه، وينشرح صدره لجريانه ونفاذه فيه بما هو عليه، ولا يتسخط عدم ثروته، وفقده ما أوتي غيره من متاع الدنيا وحطامها. والله أعلم.

الشكر: الاعتراف بالنعمة، وقيل هو الشاء على المحسن بذكر إحسانه. ويتعدى تارة باللام فيقال: شكرت له، وأخرى بنفسه فيقال: شكرته. وزويت عنه الشيء: صرفته وقبضته عنه، ومنه الحديث «أعطاني ربِّي اثنين، وزوى عني واحداً» (١).

ووفر الشيء يفر وفوراً - من باب وعد - : ثمَّ وكمل. وقيل زاد وكثر. وخوله الله مالاً: أعطاه، ومنه قوله تعالى: «وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ» (٢)، أي أعطيناكم.

قال الراغب: والتخويل في الأصل إعطاء الخول (٣). وهو كالخادم والحشم، وزناً ومعنى.

وإنما سأل عليه السلام جعل شكره له على ما قبضه عنه أتم وأكمل من شكره له على ما أعطاه، لأن قبض ما قبضه عنه هو عين صلاحه حتى لو لم يقبضه عنه لأضر به وأفسده كما ورد في الحديث «وإن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر، فلو أغنيته لأفسده ذلك» (٤)، ودفع الضرر أهم من جلب النفع. فيجب أن يكون الشكر على الأهم أكمل وأتم. والله أعلم.

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٣٢٠. (٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٥٢ ح ٨.

(٢) سورة الانعام: الآية ٩٤.

(٣) المفردات: ص ١٦٣.

وَأَعِصْنِي مِنْ أَنْ أَظُنَّ بِذِي عَدَمِ خَسَاسَةٍ، أَوْ أَظُنَّ بِصَاحِبِ ثَرَوَةٍ
فَضْلاً، فَإِنَّ الشَّرِيفَ مَنْ شَرَفَتْهُ طَاعَتُكَ، وَالْعَزِيزُ مَنْ أَعَزَّتْهُ عِبَادَتُكَ.

عصمه الله من المكروه يعصمه - من باب ضرب - : حفظه ووقاه.

والظنّ: خلاف اليقين، وقد يستعمل في معنى اليقين، كقوله تعالى: «الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ» (١)، وهو هنا محتمل للمعنيين، أي احفظني من أن أتوهم
بذبي عدم خسارة، أو أعتقد به ذلك.

والعدم - بفتحين -: الفقر فضم عينه مع الإسكان لغة فيه، كالحزن والحزن،
والرشد والرشد. وأصله فقدان، يقال: عدته عدماً - من باب تعب -: أي فقدته،
ثم غلب على فقدان المال.
والخسارة: الحسارة.

قال الفيومي: نحس الشيء نحساً - من بابي ضرب وتعب - خسارة: حقر فهو
خسيس (٢).

وقيل: الخسارة حالة يكون عليها الخسيس وهو الدنيء.

والثروة: كثرة المال، يقال: أثرى إثراء، أي استغنى، والاسم الشراء بالفتح
والمذ.

والفضل هنا: بمعنى الفضيلة، وهو خلاف النقيصة. ولما كان أكثر الناس
يحتقرون الفقير، ويستخسون بطباعهم، ويعظمون صاحب المال، ويفضّلونه بغضاً
للفقر، وحباً للغنى، وكان ذلك من ذميم الأخلاق المهلكة، سأل عليه السلام ربه أن
يعصمه من ذلك.

وكان بعض الأكابر يقول: المفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب، ومن
رؤيا الكظة، ومن مرآة اللقوة، ومن سحاب تموز، لا يُسال عنه إن تخلف، ولا يُسلم

عليه إن قدم، إذا غاب شتموه، وإن حضر طنزوا به، وإن غضب صفعوه، مصافحته تنقض الوضوء، وقراءته تقطع الصلاة، أثقل من الأمانة، وأبغض من المبرم الملحف، والناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، ومن الذنب للمصير، ومن الحكم للمقرر، وهو عندهم أرفع من السماء، وأعذب من الماء، وأخلى من الشهد، وأزكى من الورد، خطأه صواب، وسيئته حسنة، وقوله مقبول، وحديثه معسول، يغشى مجلسه، ولا تملّ صحبته. وكان ينشد لعروة الصعاليك:

ذريني للغنى أسعى فبائسي رأيت الناس شرهم الفقير
وأهونهم وأحققرهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير (١)
ويكرهه الندي وتزدريه حليته وينهره الصغير
ويلقى ذوالغنى وله جلال بكاء فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جثم ولكن الغنى رب غفور (٢)
والنثر والنظم في هذا المعنى كثير.

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: من استذل مؤمناً، أو احتقره لقلة ذات يده ولفقره شهرة الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق (٣).
وعن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: من أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه (٤).

والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى.
قوله عليه السلام: «(فإنَّ الشريف من شرفته طاعتك)» «(الفاء)»: للسببية.
والشرف: علو للمنزلة. شرف كعظم فهو شريف. وقيل: الشرف كمال يتعلق

(١) «ألف»: ذخير.

(٢) عيون الأخبار: المجلد الأول: الجزء الثالث ص ٢٤١-٢٤٢ مع اختلاف يسير في بعض الالفاظ.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٥٣ ح ٩.

(٤) نهج البلاغة: ص ٥٠٨ الحكم ٢٢٨.

بالذات والحقيقة، ولهذا يقال: فلان شريف الذات.
والطاعة: اسم من أطاعه، أي انقاد له، لكن كثر استعمال الطاعة في امتثال الأمر؛ ولذلك عرّفوها بموافقة الأمر.

والعزة: الرفعة والامتناع. ورجل عزيز: منيع لا يغلب ولا يقهر.
وقد يراد بالعزيز: الكريم، من عزّ عليّ يعزّ عزّاً وعزة وعزازة: أي كرم، فهو عزيز. وأعزّزته: أكرمه وعظّمته فهو عزيز أيضاً. وهذا المعنى أنسب بعبارة الدعاء من الأول.

والعبادة في أصل اللغة الخضوع والانقياد، وفي الاصطلاح فعل المكلف على خلاف نفسه تعظيماً لربه. وقيل: هو فعل اختياري مبين للشهوات البدنية، يصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى، طاعة للشرعة.

وقال صاحب الكشف: العبادة قد تطلق على أعمال الجوارح بقصد القربة، ومنه قوله صلى الله عليه وآله: لفقية واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد. وهي على هذا غير الإيمان بمعنى التصديق والنية والإخلاص، بل مشروطة به.

وقد تطلق على التحقق بالعبودية بارتسام ما أمر السيد جلّ وعلا، أو نهى، وعلى هذا تتناول الأعمال والعقائد القلبية أيضاً، فدخل فيها الإيمان وهو عبادة في نفسه، وشرط لسائر العبادات، إنتهى.

وقصر اسم إنّ على خبرها في الفقرتين للمبالغة في شرف من شرفته طاعة الله تعالى، وعزة من أعزّته عبادته، كآته لاشريف ولا عزيز غيره، على ما قالوه في نحو: «الأمير زيد، والشجاع عمرو» من أنّ السلام إن حمل في المقام الخطابى على الاستغراق كان بمنزلة كلّ أمير زيد، وكلّ شجاع عمرو، وإن حمل على الجنس أفاد أنّ زيداً وبنس الأمير، وعمراً وبنس الشجاع متحدان في الخارج. وكيف كان فالقصر الادعاءى حاصل.

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْنَا بِثَرْوَةٍ لَا تَنْفَدُ، وَأَيِّدْنَا بِعِزٍّ لَا يُفْقَدُ،
وَأَسْرِحْنَا فِي مُلْكِكَ الْأَبَدِ، إِنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ تَلِدْ وَلَمْ
تُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ.

«الفاء» فصيحة لصلاحيّة تقدير إذا الشرطيّة قبلها، أي إذا كان الأمر هكذا
فصلّ على عمّد وآله.

ومتّعنا: أي أعطنا ثروة لا تنفذ ننتفع بها. يقال: متّعته بكذا تمتيعاً، وأمتّعت به
إمتاعاً: أعطيته إيتاء لينتفع به. ومنه المتاع، وهو كلّ ما ينتفع به من طعام وأثاث.
ونفذ الشيء ينفذ من باب تعب نفاذاً: فنى وانقطع.
والأيد: القوّة الشديدة. وأيدته تأييداً: قوّيته، ومنه قوله تعالى: «أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ
الْقُدُسِ» (١).

والفقد: عدم الشيء بعد وجوده، فهو أخصى من العدم؛ لأنّ العدم يقال فيه
وفياً لا يوجد.

وسرّحت الإبل سرحاً وسروحاً - من باب نفع -: رعت بنفسها، وسرّحتها سرحاً
أيضاً: أرسلتها للرعي، وهو من الأفعال اللازمة والمتعدية. وسرّحتها - بالثقل -
مبالغة وتكثيراً. وأما أسرّحتها بالهمز فلم أقف عليه في شيء من كتب اللغة، فما
وقع في نسخة ابن ادريس من ضبط قوله عليه السّلام: «وَأَسْرِحْنَا» بقطع الألف
ينبغي تحريره.

والمراد بالسرح هنا التخلية، وعدم المنع كما تسرح الماشية في المرمى، وهو
استعارة تبعيّة أو مكنيّة.

والملك: السلطنة والعزّ والعظمة.

والأبد: الدهر الطويل الذي ليس بمحدود. وقيل: هو استمرار الوجود في أزمنة

مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل.

وإضافة الملك إلى الأبد، إقما بمعنى «في» كمكر الليل، وإقما بمعنى لام الاختصاص كدار المقامة، وهو الصواب.

قال الرضي: ولا يلزم في الإضافة بمعنى اللام أن يجوز التصريح بها بل يكفي إفادة الاختصاص الذي هو مدلول اللام، فقولك طور سينا ويوم الأحد، بمعنى اللام، ولا يصح إظهار اللام في مثله، فالأولى أن تقول نحو: مكر الليل وضرب اليوم بمعنى اللام (١).

وفي الفقرة تلميح إلى قوله تعالى: «وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً» (٢).

قال العلامة الطبرسي: أي إذا رميت ببصرك، ثم يعني الجنة، رأيت نعيماً خطيراً، وملكاً كبيراً لا يزول ولا يفنى، عن الصادق عليه السلام وقيل: هو الملك الدائم الأبدي في نفاذ (٣) الأمر وحصول الأمان (٤). انتهى ملخصاً.

وما وقع لبعض المترجمين من أن المراد بملك الأبد الجنة بقرينة المقام. لأن النار أيضاً أبدية، لكن المسلمون لا يأبدون فيها، لا يخفى سخافته.

قوله عليه السلام: «إنك الواحد الأحد» إلى آخره تعليل للدعاء، ومزيد استدعاء للإجابة وتأكيد الجملة للإدعان بمضمونها.

والواحد: اسم فاعل من وحد يحد وحداً من باب وعد. أي انفرد، فالواحد بمعنى المنفرد.

والأحد: أصله وحد، صفة مشتبهة منه كحسن، أبدلت الواو همزة شذوذاً. قال بعض المحققين: الواحد: الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر،

(١) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٢٧٤.

(٣) «ألف»: نفاذ.

(٢) سورة الانسان: الآية ٢٠.

(٤) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠، ص ٤١١.

والأحد: الفرد الذي لا يتجزى، ولا يقبل الانقسام فالواحد: هو المنفرد بالذات في عدم المثل، والأحد: هو المتفرد بالمعنى، وقيل: المراد بالواحد: نفي التركيب والأجزاء الخارجية والذهنية عنه تعالى، وبالأحد: نفي الشريك عنه في ذاته وصفاته وقيل: الواحدية: لنفي المشاركة في الصفات، والأكدية: لتفرد الذات، ولما لم ينفك عن شأنه تعالى أحدهما عن الآخر.

قيل: الواحد: الأحد في حكم اسم واحد، وقد يفرق بينهما في الاستعمال من وجوه:

أحدها: إنَّ الواحد: يستعمل وصفاً مطلقاً، والأحد: يختص بوصف الله تعالى نحو: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (١).

الثاني: إنَّ الواحد: أعمّ مورداً، لأنه يطلق على من يعقل وغيره، والأحد لا يطلق إلا على من يعقل.

الثالث: إنَّ الواحد يجوز أن يجعل له ثان، لأنه لا يستوعب جنسه، بخلاف الأحد، ألا ترى أنك لو قلت: فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقاومه اثنان فأكثر، ولو قلت: لا يقاومه أحد لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر فهو أبلغ.

الرابع: أنَّ الواحد يدخل الحساب والضرب والعدد والقسمة، والأحد يمتنع دخوله في ذلك.

الخامس: أنَّ الواحد يؤنث بالنساء، والأحد يستوي فيه المذكر والمؤنث، قال الله تعالى: «لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ» (٢)، ولا يجوز كواحد من النساء بل كواحدة.

السادس: أنَّ الواحد لا يصلح للإفراد والجمع، بخلاف الأحد، فإنه يصلح لهما، ولهذا وصف بالجمع في قوله تعالى: «مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ» (٣).

(٣) سورة الحاقة: الآية ٤٧.

(١) سورة الإخلاص: الآية ١.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

السابع: أنَّ الواحد لاجمع له من لفظه، فلا يقال: واحدون، والواحد له جمع من لفظه، وهو أحدون وآحاد.

والصمد: السيد المصمود إليه في الحوائج، أي المقصود إليه من صمد إليه، أي قصد، فهو فعل بمعنى مفعول. وقد أسلفنا الكلام عليه في الروضة الثانية والعشرين مبسوطاً فأغنى عن الإعادة.

قوله عليه السلام «لم تلد» أي لم يصدر عنه ولد؛ لأنه لا يجانسه شيء يمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد، كما نطق به قوله تعالى: «أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة» (١)؛ ولأنه لا يفتقر إلى ما يعينه ويخلفه؛ لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه.

وفيه تنصيص على إبطال زعم المفسرين في حق الملائكة والمسيح وعزير، ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي بحقيقة كقولهم: «لم يولد» أي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم إليه سابقاً ولاحقاً، وعدم افتقاره إلى شيء.

ولم يكن له كفواً أحد، أي لم يكن أحد يكافئك ويمثلك من صاحبة وغيرها. والكفو- بضم الكاف وسكون الفاء، وبضميتين-: النظير والمماثل. والمقصود أنه تعالى لم يماثله أحد في ذاته وصفاته الذاتية والفعلية، وهو تنزيه مطلق له عن المشابهة بالخلق بنحو من الأنحاء كما قال: «وليس كمثله شيء» (٢). والفرض نفي إمكان وجود الكفوله، لا بيان عدمه مع إمكانه.

وقال بعض المفسرين: الآيات الثلاث إشارة إلى نفي من يماثله، وهو إما لاحق، وأبطله بقوله: «لَمْ يلد»، وإما سابق وأبطله بقوله: «وَلَمْ يولد»، وإما مقارن في الوجود، وزيفه بقوله: «وَلَمْ يكن له كفواً أحد». ويجوز أن يكون الأولان إشارة

(١) سورة الانعام: الآية ١٠١.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

إلى نفي من يماثله بطريق التولد أو التوالد، والثالث تعميمياً بعد التخصيص. ويحتمل أن يراد بالأخيرة نفي الصاحبة؛ لأن المصاهرة تستدعي الكفاءة شرعاً وعقلاً، فيكون ردّاً على من حكى الله عنهم في قوله: «وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِيباً» (١) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والأكثر على أنّ أحد اسم كان، وكفواً خبرها، و«له» صلة كفواً، فهو ظرف لغو، وأورد أنّ تقديم الظرف إذا كان لغواً غير مستحسن كما نصّ عليه سيويه في كتابه (٢).

وأجيب: بأنه إنّما قدّم اللغوفيه لأنه معقد الفائدة، إذ ليس الغرض نفي الكفو مطلقاً، بل نفي الكفوله تعالى، فقدّم اهتماماً بما هو المقصود معنى، ورعاية للفواصل لفظاً.

وقال مكّي في إعرابه: وقيل: «له» هو الخبر، وهو قياس قول سيويه؛ لأنه يقبح عنده إلغاء الظرف إذا تقدّم. وخالفه المبرد، وأجازه على غير قبح، واستشهد بالآية، ولا شاهد للمبرد في الآية، لأنه يمكن أن يكون «كفواً» حالاً من أحد مقدّمات عليه، لأنّ نعت النكرة إذا تقدّم عليها نصب على الحال (٣). إنتهى.

وجوّز أبو البقاء: أن يكون «له» حال من كفواً، وأن يكون متعلقاً بـ «يكن»، والخبر هو كفواً (٤).

واعلم أنّه عليه السّلام إنّما أثر الخطاب في العائد إلى الموصول على الغيبة، فقال: «لَمْ تَلِدْ، وَلَمْ تُوَلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفْواً أَحَدٌ» - مع أنّ الأكثر في الموصول أو موصوفه إذا كان خبراً أن يكون العائد إليه غائباً نحو: أنت الرجل الذي قال كذا - حملاً على المعنى، وتلذّذاً بالخطاب؛ ولأنّ الإقرار والإذعان والشهادة بوحداثيته وأحدثته

(١) سورة الصافات: الآية ١٥٨.

(٣) مشكل اعراب القرآن: ج ٢ ص ٥١٠.

(٢) كتاب سيويه: ج ١ ص ١٣٩-١٤٠.

(٤) إملأ مامناً به الرحمن: ج ٢ ص ٢٩٧.

وصمديته وتنزيهه عن المماثل مطلقاً في الحضور أتم منه في الغيبة، فأجرى جملة الكلام على وتيرة واحدة في الخطاب، على أن رواية ابن إدريس على الغيبة. والله أعلم.

هذا آخر الروضة الخامسة والثلاثين من رياض السالكين، وفق الله عز شأنه لإتمامها راد الضحى من يوم الخميس، لثلاث عشرة خلون من شوال عام أربع ومائة وألف، بدار السرور برهانپور على يد مؤلفه والله الحمد.



مركز تحقیقات و نشر علوم اسلامی

الروضة السادسة والثلاثون

مركز تحقيقات كمبيوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا نَظَرَ إِلَى السَّحَابِ وَالْبَرْقِ وَسَمِعَ صَوْتَهُ

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِنِ ابْنَانِ مِنْ أَيْدِيكَ وَهَذِهِنِ عَوْنَانِ مِنْ أَعْوَانِكَ
يَتَبَدَّرَانِ طَاعَتَكَ بِرَحْمَةٍ نَافِعَةٍ أَوْ نِقْمَةٍ ضَارَةٍ فَلَا تُمِطِرُنَا
بِمَا مَطَرُ السَّوَاءِ وَلَا تُلَبِّسُنَا بِمَا لِبَاسُ الْبَلَاءِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَآلِهِ وَانْزِلْ عَلَيْنَا نَفْعَ هَذِهِ السَّحَابِ وَبَرَكَاتَهَا وَاصْرِفْ عَنَّا أَذَاهَا
وَمَضَرَّتَهَا وَلَا تُصِيبْنَا فِيهَا بَاقَةً وَلَا تُرْسِلْ عَلَيْنَا مَائِدًا عَاقِبَةً اللَّهُمَّ
وَإِنْ كُنْتَ بَعَثْتَهَا نِقْمَةً وَارْسَلَهَا سَخَطَةً فَإِنَّا نَسْتَغِيثُكَ مِنْ غَضَبِكَ وَ
نَتَهَمِلُ إِلَيْكَ فِي سُؤَالِ عَفْوِكَ قُلْ بِالنَّصِيبِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَادْرُخْ نَفْسَكَ
عَلَى الْمُلْحِدِينَ اللَّهُمَّ أَذْهِبْ مَحَلَّ بِلَادِنَا بِقِيَاكَ وَأَخْرِجْ وَحْصَ دُورِنَا
بِرِزْقِكَ وَلَا تَغْلُظْنَا عَنْكَ بِغَيْرِكَ وَلَا تَقَطِّعْ عَنَّا قَائِمًا مَادَّةَ بَرِّكَ فَإِنَّ الْعَفْوَ
مَنْ أَعْنَيْتَ إِنْ السَّالِمَ مِنْ وَقْتٍ مَا عِنْدَ أَحَدٍ وَتَكَ فَاغٍ وَلَا بِأَحَدٍ مِنْ سَطْوِكَ
أَمِنًا عِزُّكَ مَا شِئْتَ عَلَى مَنْ شِئْتَ وَتَقْضِي مَا أَرَدْتَ فَمَنْ أَرَدْتَ فَلَكَ الْحُجْدُ
عَلَى مَا وَقَبْنَا مِنَ الْبَلَاءِ وَلَكِنَّا لَشَكَرُ عَلَى مَا خَوَّلَنَا مِنَ النِّعَمِ أَحَدًا يُخْلِفُ حَمْدًا حَاضِرًا
وَدَائِمًا حَمْدًا مَدَامًا أَرْضُهُ سَائِمَةٌ إِنَّكَ لَمَنَّانٌ بِحَسَمِ الْمِنَّةِ الْوَهَّابُ لِعَظَمِ النِّعَمِ الْقَائِلُ
بِإِعْزَازِ الْكَرِّ قَلِيلُ الشُّكْرِ الْخُسْنُ الْجَلِيلُ ذُو الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِلَهُ الْمَصِيرِ

الروضة السادسة والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين (١)

الحمد لله الذي يُري عباده البرق خوفاً وطمعاً، ويسبّح الرّعد بحمده والملائكة من خيفته معاً، والصلاة والسلام على نبيه الذي يستسقى بوجهه الغمام وأهل بيته سحب الرحمة الواكفة على الأنام.

وبعد؛ فهذه الروضة السادسة والثلاثون من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين، سلام الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، إملأء راجي فضل ربه السني عليّ صدرالدين الحسيني الحسني، نظر الله بعين رحمته إليه، وأمبل سبحانه جوده وكرمه عليه.

شرح الدعاء السادس والثلاثين

وكان من دعائه عليه السلام إذا نظر إلى السحاب والبرق، وسمع صوت الرعد.

مركز تحقيقات كميته بر علوم رسدي

السحاب بالفتح: الغيم، كان فيه ماء أو لم يكن. ولهذا يقال: سحاب جهام، أي لاماء فيه. وأصله من السحب، وهو الجرّ كسحب الذيل والإنسان على وجهه، سمي بذلك لجر الريح له لانجراره في مرّه. الواحدة سحابة، والجمع سحب -بضمّتين-.

والبرق: لمعان السحاب، والرعد: صوته. وإضافة الصوت إليه من إضافة العام إلى الخاص، وفي الحديث: إنّ البرق سوط من نار بيد ملك من ملائكة الله يزجر به السحاب (١) والرعد: اسم ذلك الملك الموكل بالسحاب، وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً في الروضة الثالثة، مع مقاله الطبيعيون في ذلك، فليرجع إليه (٢).

(١) الكشكول للشيخ البهائي: ص ١٦٥ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) ج ٢ ص ٥١.

قال صلوات الله وسلامه عليه:

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَيْنِ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِكَ ، وَهَذَيْنِ عَوْنَانِ مِنْ أَعْوَانِكَ يَبْتَدِرَانِ طَاعَتَكَ بِرَحْمَةٍ نَافِعَةٍ، أَوْ نِقَمَةٍ ضَارَةٍ فَلَا تُمِطِرْنَا بِهِمَا مَطَرَ السُّوءِ، وَلَا تُلْبِسْنَا بِهِمَا لِبَاسَ الْبَلَاءِ.

تأكيد الجملة، لرواجه عند المخاطب، وبيان أنَّ الحكم عن اعتقاد ثابت، وصميم قلب، وصدق رغبة فيه. والظاهر أنَّ المشار إليهما بهذين البرق والرعد، ويُحتمل أن يكون السحاب والبرق، أو السحاب والرعد. والآية: العلامة الظاهرة.

قال الراغب: وحقيقته كل شيء ظاهر، هو ملازم لشيء لا يظهر مظهره. فتى أدرك مُدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته، إذ كان حكمهما سواء. وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات، فمن علم ملازمة العلم للطريق المنهج، ثم وجد العلم، علم أنه وجد الطريق. وكذا إذا علم شيئاً مصنوعاً علم أنه لا بد له من صانع.

واشتقاقها إما من أي، وهي التي تبين أيّاً من أي (١). أو من قولهم: آوى إليه، أي رجع، لأنها يرجع إليها لمعرفة ذي العلامة، وقد تقدّم الكلام على بنائها، ونقل الخلاف فيه في شرح الأسناد. ومعنى «آيتان من آياتك» أي علامتان من علاماتك الدالة على وحدانيتك وقدرتك، كما قال تعالى: «ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً» (٢).

والعون: المعين والظهير على الأمر. واشتهر اختصاصه بمن يخدم السلطان، وينفذه السلطان في أوامره ونواهي. وهذا المعنى هو المراد هنا، أي خادمان من خدمك نافذان في أمرك. وهو مجاز مرسل، من باب إطلاق اسم اللازم على الملزوم؛

لأن الخدمة وتنفيذ الأمر لازمان للإعانة والمظاهرة.

وما قيل: من أن المراد أنهما عونان للخلق، وإضافة الأعوان إليه تعالى من باب إضافة الشيء إلى فاعله، والمعنى أنهما من جملة الأشياء التي جعلتها أعواناً لخلقك، لا يخفى عدم مناسبتها لسياق الكلام.

ويبتدران طاعتك؛ أي: يتسارعان إليها.

قال الفارابي (١) والجوهري (٢): ابتدر القوم السلاح تسارعوا إلى أخذه.

وفي القاموس: بادره مبادرة وبداراً وابتدره، وبدر غيره إليه: عاجله (٣).

والجملة في محل رفع على الوصفية، أو خبر ثان. وإشار تصديرها بالمضارع؛ لإفادة الاستمرار.

قال الرضي: جرت العادة منهم إذا قصدوا معنى الاستمرار بأن يعتبروا عنه بلفظ المضارع، لمشابهة للاسم الذي أصل وضعه الإطلاق، كقولك زيد يؤمن بالله ويسخو بموجوده، أي هذه عادته (٤).

و «الباء» من قوله: «برحمة» إما متعلقة بـ «يبتدران» لتضمينه معنى يأتیان، أي يبتدران طاعتك آتين برحمة على ما عرفت فيما تقدم في بيان التضمين، من أنه استعمال الفعل في معناه الحقيقي مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر، بمعونة القرينة اللفظية. فقولنا: أحمد إليك فلاناً، معناه: أحمده منياً إليك حمده، ويقلب كفيه على كذا، أي نادماً عليه. أو بالأمر المدلول عليه بالطاعة على حذف مضاف، أي طاعة أمرك بنعمة أو نعمة، فحذف المضاف إليه لدلالة المضاف عليه، لأن الطاعة هنا بمعنى امتثال الأمر لا مطلق الانقياد، وإذا كان بهذا المعنى كان متعلقها الأمر دون الذات، كقوله تعالى: «فاتبعوني وأطيعوا أمري» (٥).

(٤) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٢٧٩.

(٥) سورة طه: الآية ٩٠.

(١) ديوان الأدب: ج ٢ ص ٤٠٠.

(٢) الصحاح: ج ٢ ص ٥٨٧.

(٣) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٦٩.

والمراد بالرحمة هنا: المطر والخصب التابع له، سمي ذلك رحمة لتسببه عن الرحمة التي هي من الله الإحسان.
والنفع: الخير، وهو ما يتوصل به الإنسان إلى مطلوبه، يقال: نفعني الشيء نفعاً وهو نافع.
وقال الراغب: النفع ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يتوصل به إلى الخير فهو خير (١).

ونعت الرحمة به: للمدح.
والنقمة على وزن كلمة، وتخفف مثلها العقوبة، وهي اسم من الإنتقام، يقال: انتقمته منه، أي عاقبته.
وضرّه بضرة ضراً - من باب قتل - : إذا أوقع (٢) به مكروها فهو ضارٌّ. ونعت النقمة به: للذم.

والمراد بالنقمة: إِمَّا الصواعق التي يرسلها الله سبحانه على من يشاء كما قال في محكم كتابه: «ویرسلُ الصواعق فیصیبُ بها مَنْ یشاء» (٣)، أو مطلق الضرر الواقع بسبب السحاب والبرق والرعد من السيول المفرقة، والصواعق المحرقة، وهدم البيوت، وفساد الزرع عند إيناعه، وإسقاط الثمار عند نضاجها، إلى غير ذلك من المفاسد المترتبة على بعض الأمطار.

وقد فسّر قوله تعالى: «هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً» (٤) بالخوف من الصواعق، والطمع في الغيث، بالخوف والطمع كلاهما من المطر، لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالمسافر الذي يخاف تعويقه له عن المسير، وكالخنزار (٥) والجزار

(٤) سورة الرعد: الآية ١٢.

(٥) «ألف»: كالخنزار.

(١) المفردات: ص ٥٠٢.

(٢) «ألف»: وقع.

(٣) سورة الرعد: الآية ١٣.

وبعض أهل البلاد الذين لا ينتفعون بالمطر بل يضرهم كأهل مصر، ويطمع فيه من له فيه نفع.

وتقديم الرحمة على النعمة في الدعاء إشعار بسبق الرحمة على الغضب، على ماورد في الحديث القدسي «سبقت رحمتي غضبي» (١).

وتقديم الخوف على الطمع في الآية؛ لأن الخوف عتيد حاصل في الحال، والمطموع فيه مترقب، وهو الرزق والخصب المتوقع من إنزال الغيث. والله أعلم. قوله عليه السلام: «فلا تمطرنا بهما مطر السوء»، «الفاء» فصيحة، أي إذا كان الأمر كذلك فلا تمطرنا.

قال أبو عبيدة: مطر في الرحمة، وأمطر في العذاب (٢).

وقال الراغب: مطر في الخير، وأمطر في العذاب (٣).

وقال الفيروز آبادي في القاموس: أمطرهم الله، لا يقال إلا في العذاب (٤). و«الباء» من قوله: «بهما» هي الداخلة على آلة الفعل نحو: كتبت بالقلم، وتسمى باء الاستعانة، وأدرجها ابن مالك في باء السببية (٥)؛ تفادياً من إطلاق الاستعانة في الأفعال المنسوبة إلى الله سبحانه.

والسوء - بالفتح - مصدر ساءه يسوءه: إذا فعل به ما يكره، ثم أطلق على كل ضرر وشر وفساد. وأضيف إليه المطر ذمّاً كما يقال: رجل سوء، وهو من باب إضافة الموصوف إلى صفته، فوصف في الأصل بالمصدر للمبالغة، ثم أضيف إلى صفته.

واتفق القراء على فتح السين في قوله تعالى: «أمطرت مطر السوء» (٦). وانتصاب مطر، إمّا على أنه مصدر مؤكد بحذف الزوائد، كما قيل في «أنبتّها الله

(٤) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٣٥.

(٥) شرح ابن عقيل: ج ٢ ص ١٩.

(٦) سورة الفرقان: الآية ٤٠.

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد: ج ٩ ص ١٦٥.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ١ ص ٢٤٥.

(٣) المفردات: ص ٤٧٠.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا نَفْعَ هَذِهِ السَّحَابِ
وَبَرَكَتَيْهَا، وَأَصْرِفْ عَنَّا أَذَاهَا وَمَضَرَّتَهَا، وَلَا تُصِيبْنَا فِيهَا بَاقِيَةٌ، وَلَا تُرْسِلْ
عَلَى مَعَايِشِنَا عَاهَةً.

نباتاً حسناً» (١)، أي إمطار السوء أو على أنه مفعول ثانٍ، والمعنى فلا تعطنا ولا تولنا
مطر السوء.

قال أبو البقاء: ويجوز أن يكون نعتاً لمحذوف، أي: إمطاراً مثل أمطار السوء (٢).
قوله عليه السلام: «وَلَا تُلْبِسْنَا بِهِمَا لِبَاسَ الْبَلَاءِ» اللباس بالكسر: ما يلبس.
والبلاء: المحنة والشدة والإصابة بالمكروه والغم، لأنه يبلي الجسم.

والكلام استعارة مرشحة، شبه ما يغشى الإنسان عند البلاء من بعض الحوادث
باللباس؛ لاشتيماله على اللابس، فاستعار له اللباس، ثم فرّع عليها ما يلائم اللباس
من الإلباس وهو الترشيح.

أنزل علينا: أي أعطنا وأولنا (٣). وهو مجاز مرسل، من باب إطلاق السبب على
المسبب، لأن إعطاء النفع متسبب عن إنزال غيث السحاب.
قال الراغب: النزول في الأصل هو انحطاط من علو (٤).

وأنزل الله نعمه على الخلق: أعطاها إياهم، وذلك إما بإنزال الشيء نفسه
كما أنزل القرآن. وإما بإنزال أسبابه، كما أنزل اللباس والرزق، قال الله تعالى: «قَدْ
أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا» (٥) «يُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا» (٦).

والسحاب يؤنث باعتبار المعنى، لأن واحدة سحابة، ويذكر باعتبار اللفظ.

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٢) تفسير التبيان في أعراب القرآن لأبي البقاء: ذيل آية ٤٠ من سورة الفرقان.

(٣) «ألف» أدلنا.

(٤) المفردات: ص ٤٨٨.

(٥) سورة الاعراف: الآية ٢٦.

(٦) سورة غافر: الآية ١٣.

اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتُ بَعَثْتُهَا نِقْمَةً، وَأَرْسَلْتُهَا سَخَطَةً، فَإِنَّا نَسْتَجِيرُكَ مِنْ

والبركة: ثبوت الخير الآلهي في الشيء، مأخوذ من برك البعير إذا ألقى بركه، أي صدره على الأرض. وتطلق على كل نماء وزيادة غير محسوسين، لكون الخير الآلهي يصدر من حيث لا يحس، وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر. وصرف الله عنه سوء صرفاً - من باب ضرب - : رذّه عنه. والأذى: قيل: المكروه اليسير، وقيل: ما يلحق الحيوان من ضرر في نفسه أو ماله.

والمضرة: الضرر. وأصبت بمكروه: أوقعت به. والآفة: عرض يفسد ما أصابه، وهي في تقدير فعلة بفتح العين. والظرف من قوله: «فيها» في محل نصب على الحال من آفة؛ لتقدمه عليها. وهو في الأصل صفة لها، فلما قدم عليها نصب على الحال، كقوله تعالى: «ولكنكم في القصاص حياة» (١).

وما قيل: من تعلقه بـ «تصبنا» فغير صواب. ولا تُرسل: أي لا تسلط، ولذلك عذاه بـ «على» وإلا فالأصل في الإرسال أن يتعدى بـ «إلى».

والعاهة: كالأفة وزناً ومعنى. يقال: عيه الزرع من باب تعب، إذا أصابته العاهة، فهو معيه، ومعوه في لغة باب الواو.

تصدير الجملة بحرف الشك للإيذان باستواء الخوف والطمع عنده من بعث هذه السحاب، من غير ترجيح لأحدهما على الآخر. وإنا قال: «وإن كنت بعثتها» ولم يقل: وإن بعثتها؛ للإشعار بتقدم بعثها في علمه تعالى.

غَضَبِكَ ، وَنَبْتَهُلُ إِلَيْكَ فِي سُؤَالِ عَفْوِكَ ، فَمِلْ بِالْغَضَبِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ ،
وَأَذِرْ رَحَى نِقْمَتِكَ عَلَى الْمُلْحِدِينَ .

وبعثها وأرسلتها: أي وجهتها.

والسُّخْطَةُ: فُعْلَةٌ من السُّخْطِ - بالضم - والسُّخْطُ - بفتح السين - وهو الغضب الشديد
المقتضي للعقوبة، وهو من الله سبحانه إيقاع العقوبة.

وانتصاب نعمة وسخطة إِمَّا على المصدرة أي بعث نعمة وإرسال سخطة، أو
على المفعول لأجله أي للنعمة وللسخطة، أو على الحالية على حذف مضاف، أي
بعثها ذات نعمة، وأرسلتها ذات سخطة، أو حال كونها نعمة وسخطة، كأنها في
نفسها نعمة وسخطة.

واستجاره: طلب منه أن يحيره، أي: يؤمته ممّا يخاف ويحفظه منه.

والابتهال: التضرع في الدعاء.

والميل: الانحراف. يقال: مال عنه. أي انحرف، وأماله ومال به. أي حرفه،
كما يقال: أذهبه وذهب به. والمعنى انحرف الغضب، واصرفه عتّا إلى المشركين.

والمشرك: اسم فاعل من أشرك بالله، أي أثبت له شريكاً في الألوهية.

قال الراغب: أكثر الفقهاء يعملون المشركين على الكافرين جميعاً فيدخل فيهم
أهل الكتاب، لقوله تعالى: «قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ
ابْنُ اللَّهِ» (١).

وقيل: هم من عدا أهل الكتاب لقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا» (٢) فأفرد المشركين عن اليهود
والنصارى.

وأذِرْ رَحَى نِقْمَتِكَ: أي شدّد عليهم انتقامك، من قولهم: دارت رحى الحرب،
أي اشتدّ القتال. ورحى الحرب حومتها وشدتها، إستعارة من الرحى التي هي

اللَّهُمَّ أَذْهِبْ مَحَلَّ بِلَادِنَا بِسُقْيَاكَ ، وَأَخْرِجْ وَحَرَ صُدُورِنَا بِرِزْقِكَ ،
وَلَا تَشْغَلْنَا عَنْكَ بِغَيْرِكَ ، وَلَا تَقْطَعْ عَنْ كَافَّةِنَا مَادَّةَ بَرِّكَ ، فَإِنَّ الْغَنَى
مَنْ أَغْنَيْتَ ، وَإِنَّ السَّالِمَ مَنْ وَقَيْتَ .

الطاحونة بجامع الإفناء والإذهاب. ولذلك يقال: طحنهم الحرب، أي أفنتهم
وأهلكتهم، كما تطحن الرحى البر. وقد تقدم بيان هذه الاستعارة في شرح الإسناد.
ويحتمل أن يكون المراد: أنزل بهم نعمتك، من قولهم: دارت عليه رحى الموت،
إذا نزل به.

والملحد: اسم فاعل من ألحد أي مال عن الحق. ويطلق على الشرك، وعبادة
غير الله تعالى، وهو المراد هنا.



أذهب الله البأس: أزاله، كذهب به.
وقال الزمخشري: أذهبه: جعله ذاهباً، وذهب به: مر به مع نفسه (١).
وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطاً.

والمحل: الجذب والقشط، وانقطاع المطر.

والسُّقْيَا - بالضم - على فُعلَى: اسم من سقاه الله الغيث أنزله له. ومنه حديث
الدعاء «سُقْيَا رَحْمَةً وَلَا سُقْيَا عَذَابٍ» (٢)، أي اسقنا غيثاً نافعاً بلا ضرر ولا إفساد.
والوخر - بفتحتين وبالسكون - وقال الجوهري: هو بالتحريك مصدر،
وبالتسكين اسم (٣).

قال ابن الأثير في النهاية: فيه الصوم يذهب وحر الصدر، هو بالتحريك
وساوسه وغشه. وقيل: الحقد والغيط. وقيل: العداوة. وقيل: أشد الغضب (٤).
وقال الزمخشري في الفائق: هو الغلّ، يقال: وحر صدره ووغر. وأصله من

(٣) الصحاح: ج ٢ ص ٨٤٤.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٦٠.

(١) أساس البلاغة، ص ٢١١.

(٢) المصباح المنير: ص ٣٨١.

الوحره، وهي دويبة تلزق بالأرض، ونظيره تسميتهم الحقْد بالضْب (١).
ولا تشغلنا عنك: أي عن ذكرك ودعائك وعبادتك بسؤال غيرك، أو تأميله،
أو بالاهتمام بأمر الرزق والفكر فيه، وذلك بحسب أسباب الشغل عنه تعالى بغيره،
ومن جعلتها محل البلاد، ووحر الصدور.
وكافتنا: أي: جميعنا. وفيه شاهد على استعمال كافة غير منصوب على الحال،
خلافاً لمن زعم أنه لا يستعمل إلا كذلك. وقد استوفينا الكلام على ذلك في
الروضة السادسة والعشرين (٢)، فليرجع إليه.
والمادة: الزيادة المتصلة.

والْبَر- بالكسر- الخير والتوسع في الإحسان.
قوله عليه السلام: «فإنَّ الغنيَّ من أغْنيت»، «الفاء» للسببية، أو للترتيب
الذكرى، كأنه تفصيل لما أفهمه الكلام السابق إجمالاً من سؤال الغنى والسلامة من
الحاجة والفقر.

قال بعضهم: يقال: الغنى على ثلاثة وجوه:
أحدها: عدم الحاجة مطلقاً، وليس ذلك إلا الله تعالى وهو المذكور في قوله
تعالى: «والله هو الغنيُّ الحميد» (٣).
والثاني: قلة الحاجات، والقناعة وهو المشار إليه بقوله تعالى: «وَوَجَدَكَ عَائِلاً
فَأَغْنَيْ» (٤)، أي فأغنى قلبك بالقناعة، وهو المذكور في قوله عليه السلام: «الغنى
غنى النفس» (٥).

والثالث: كثرة المقتنيات بحسب ضروب الناس. ومنه قوله تعالى: «ومن كان

(١) الفائق في غريب الحديث: ج ٤ ص ٤٧. (٤) الضحى: الآية ٨.

(٢) ج ٤ ص ١٦٣. (٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٢ ح ٥٨٦٨.

(٣) فاطر: الآية ١٥.

مَا عِنْدَ أَحَدٍ دُونَكَ دِفَاعٌ، وَلَا بِأَحَدٍ عَن سَطَوَتِكَ امْتِنَاعٌ، تَحْكُمُ بِمَا
شِئْتَ عَلَى مَنْ شِئْتَ وَتَقْضِي بِمَا أَرَدْتَ فِيمَنْ أَرَدْتَ.

غنياً فليستعفف» (١).

والسلامة: الخلو من الآفات.

ووقيته وقاية: حفظته مما يؤذيه ويضره، قال تعالى: «فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ
الْيَوْمِ» (٢).

وقصر اسم إنَّ على خبرها في الفقرتين للمبالغة في غناء من أغناه الله تعالى،
وسلامة من وقاه وحفظه، كأنه لا غني ولا سالم غيره، حسب ما تقدم بيانه في
الروضة السابقة وغيرها.

ومفعولاً «أغنيت ووقيت» محذوفان، أي أغنيته ووقيته، وقد اطرده حذف
المفعول إذا كان ضميراً عائداً إلى الموصول، وقد مرّ نظير ذلك غير مرة.

الجملة الأولى مستأنفة للتعليل، كأنه سُئل: لماذا كان السالم من وقيت؟
فقال: لأنه ما عند أحد دونك دفاع.

و«عند» هنا للحضور المعنوي نحو: «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» (٣).
و«دون» بمعنى التجاوز، ظرف مستقر وقع حالاً من أحد. والعامل متعلق
الظرف أعني عند أي ما استقرّ أو ما يكون عند أحد دفاع حال كونه متجاوزاً إياك.
و«دون» هنا مثلها في قول الشاعر:

«يَا نَفْسُ مَا لَكَ دُونَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ»

أي إذا تجاوزت وقاية الله، ولم تبال به لم يقلك غيره.
ويحتمل أن تكون بمعنى «غير» عند من أثبتته، أي ما عند أحد غيرك دفاع.

(٣) سورة النمل: الآية ٤٠.

(١) سورة النساء: الآية ٦.

(٢) سورة الانسان: الآية ١١.

والدفاع: الحماية، مصدر دافع عنه دفاعاً ومدافعة، أي حماه.
قال الجوهري: دافع عنه ودفع بمعنى، تقول منه دافع الله عنك السوء دفاعاً (١).
وقيل في قوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا» (٢) صيغة المفاعلة إما للمبالغة أو للدلالة على تكرار الدفع، فأنها قد تجرد عن وقوع الفعل للتكرار من الجانبين، فيبقى تكررهما كما في الممارسة، أي يبالغ في دفع السوء والضرر عنهم.
و«الباء» من قوله: «بأحد» مثلها في قوله تعالى: «وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» (٣). فقيل: هي للملابسة والمصاحبة.

قال العمادي: أي: أي شيء يلبسكم ويصاحبكم من نعمة فمن الله (٤).
وقيل: للظرفية. قال بعض المعربين «بكم» بمعنى فيكم، كما تقول: به عيب.
وعلى الأول: فالتقدير في عبارة الدعاء ولا يلبس بأحد عن سطوتك امتناع.
وعلى الثاني: ولا يكون في أحد عن سطوتك امتناع. وارتفاع دفاع وامتناع على الفاعلية بالظرف في الأول، وبالجار والمجرور في الثاني لاعتمادهما على النفي، نحو: ما عندك أحد ولا في الدار أحد. هذا اختيار ابن مالك وابن هشام في الشذور (٥).
ووجهه أن الأصل عدم التقديم والتأخير. ونقل ابن هشام الخضرأوي وجوب ذلك عن الأكثرين (٦).

ورجع بعضهم الارتفاع على الابتدائية، والجار والمجرور (٧) والظرف خبران، مع جواز الفاعلية. وعلى القول بارتفاعهما على الفاعلية، فهل عامل الفاعل الفعل المقدّر، أو الظرف والجار والمجرور لنيايتهما عن الفعل، وقرئها منه لاعتمادهما؟ فيه خلاف:

(٥) شذور الذهب لابن هشام: ص ٤١٠.

(٦) مغني اللبيب: ص ٥٧٩.

(٧) «ألف»: والظرف والجار.

(١) الصحاح: ج ٣ ص ١٢٠٨.

(٢) سورة الحج: الآية ٣٨.

(٣) سورة النحل: الآية ٥٣.

(٤) تفسير أبي السعود: ج ٥ ص ١٢٠.

قال ابن هشام: والمختار الثاني، لامتناع تقديم الحال في نحو: زيدٌ في الدار جالساً، ولو كان العامل الفعل لم يمتنع (١).

وسطابه يسطو سوطاً وسطوة: قهره وأذله، وصال عليه.

وإمتنع زيد عمن يريد به سوء امتناعاً: حمى نفسه بقوة، أو بعشيرته. وأصل المنع: تحجير الشيء؛ ولهذا يقال في ضدّ العطاء.

قوله عليه السلام: «تحكم بما شئت على من شئت» جملة مستأنفة للتعليل أيضاً، كالجملة المستقدمة لقصر السلامة على من وقاه الله تعالى. وترك عطفها تنبيهاً على كونها علة بالاستقلال، ويجوز أن تكون تعليلاً للكلام السابق عليها، كما أن الجملة الأولى تعليل لسابقها. ونظير ذلك قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودّوا ما عنكم، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تُخفي صدورهم أكبر» (٢).

قال الزمخشري: الأحسن والأبلغ أن تكون هذه الجمل مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة من دون المسلمين (٣).

قال السعد التفتازاني: ليس معنى قوله: مستأنفات كلها أن الكلّ علة واحدة بالاجتماع، بل بمعنى أن كلًّا منها علة للنهي بالاستقلال، وترك تعاطفها تنبيهاً على الاستقلال، كما في قوله تعالى «ذلك بأنهم كانوا» «ذلك بما عصوا» أو على أنها مستأنفات على طريق الترتيب بأن يكون اللاحق علة للسابق إلى أن تكون الأولى علة للنهي، ويتمّ التعليل بالمجموع، أي: لا تتخذوهم (٤) بطانة؛ لأنهم لا يألونكم خبالاً لأنهم يودّون شدة ضرركم؛ بدليل أنه قد تبدوا البغضاء من أفواههم، وإن كانوا يخفون الكثير (٥). انتهى.

(١) «الف»: لا تتخلونهم.

(٥) التفتازاني.

(١) مغني اللبيب: ص ٧٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٨.

(٣) الكشف: ج ١ ص ٤٠٦.

فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا وَقَيْتَنَا مِنَ الْبَلَاءِ، وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى مَا خَوَّلْتَنَا
مِنَ النَّعْمَاءِ، حَمْدًا يُخَلِّفُ حَمْدَ الْحَامِدِينَ وَرَاءَهُ، حَمْدًا يَمْلَأُ أَرْضَهُ
وَسَّمَاءَهُ.

والمشيئة والإرادة: بمعنى واحد بحسب اللغة، وعند أكثر المتكلمين. وفرق بعضهم بينهما، بأن المشيئة من الله تقتضي وجود الشيء، ولذلك قيل: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والإرادة منه تعالى لا تقتضي وجود المراد لا محالة، ألا ترى أنه قال: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» (١)، وقال: «وما الله يريد ظلماً للعباد» (٢)، ومعلوم أنه قد يحصل العسر والظلم فيما بين الناس.

وقال بعض المحققين: مشيئة الله عبارة عن تجليه بالعناية السابقة لإيجاد المعدوم، أو إعدام الموجود، وإرادته عبارة عن تجليه لإيجاد المعدوم، فهي لا تتعلق أبداً إلا بالمعدوم، فتكون صفة تخصص أمراً بالحصول ووجوده، كما قال تعالى: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» (٣). والمشيئة أعم من الإرادة من وجه، قال: ومن تتبّع مواضع استعمالات المشيئة والإرادة في القرآن يعلم ذلك، وإن كان بحسب اللغة يستعمل أحدهما مكان الآخر انتهى.

وعلى هذا ففاد الفقرة الثانية أخص من مفاد الأولى.

والمعنى: إنك تحكم بما شئت على من شئت، حسب ما تشاء، وتقتضي بما أردت على من أردت حسب ما تريد، من غير أن يوجب عليك موجب، أو يمنعك منه مانع. والله أعلم.

«الفاء»: سببية. وتقديم الحمد على الوقاية من البلاء على الشكر على تخويل النعماء، لما تقرّر من أن دفع الضرر أهم من جلب النفع، والتخليّة مقدّمة على التحلية، وإيثار الشكر في النعماء ظاهر؛ لأنّه لا يقال إلا في مقابلة نعمة.

(٣) سورة يس: الآية ٨٢.

(٢) سورة غافر: الآية ٣١.

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

إِنَّكَ الْمَنَّانُ بِجَسِيمِ الْعِزِّ، الْوَهَّابُ لِعَظِيمِ النِّعَمِ، الْقَابِلُ يَسِيرَ
الْحَمْدِ، الشَّاكِرُ قَلِيلِ الشُّكْرِ، الْمُحْسِنُ الْمُجْمِلُ ذُو الطَّلُو، لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ، إِلَيْكَ الْمَصِيرُ.

وخلّفت الشيء تخليفاً: تركته خلفي، أي ورائي وهو نقيض قدام.
ووراء: نصب على الظرفية، لا على أنه مفعول ثانٍ ليخلف كما توهمه بعضهم.
وجملة «يخلف» - في محل نصب - نعت لـ «حمداً» المنصوب على المفعولية المطلقة.
والكلام تمثيل لرجحان حمده على سائر الحمد، وتصوير لإناقته وفضله على كل
حمد كمّاً، وكيفاً بما هو علم في الرجحان والفضل من شرف السابق المجاوز لأمثاله
وأقرانه، المخلف لهم وراء ظهره عليهم جميعاً ومداره على تصوير المعقول بصورة
المحسوس وإبراز الغائب عن الحس في صورة الشاهد حتى كأنه محسوس مشاهد.
ومثله قوله عليه السلام «يملأ أرضه وسماؤه» فإنه تمثيل وتصوير أيضاً، لكثرة
الحمد بكثرة ما يملأ الأرض والسما.

والضمير في كل من أرضه وسماؤه إمّا عائداً إلى الله تعالى فيكون من باب
الإلتفات، أو إلى الحمد، والإضافة لأدنى ملابسة لوقوعه فيهما (١) كما قال تعالى:
«وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» (٢). والله أعلم (٥).

المنان: صيغة مبالغة من المنّة، وهي النعمة الثقيلة، يقال: «مَنَّ اللهُ عليه» إذا
أنقله بالنعمة الثقيلة، وعلى ذلك قوله تعالى: «وَلَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» (٣)،
وذلك في الحقيقة لا يكون إلا الله تعالى.

والجسيم في الأصل: العظيم الجسم، وهو ماله طول وعرض وعمق، ثم استعمل
في المعاني أيضاً.

(١) «ألف»: بينهما.

(٢) سورة الروم: الآية ١٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

قال في الأساس: ومن المجاز أمرٌ جسيم، وهو من أجسام الأمور، وجسيمات الخطوب (١).

والمن: جمع مئة، مثل سدره وسدر.
والوهاب: من أبنية المبالغة أيضاً، وهو من الهبة، وهي أن تجعل ملكك لغيرك من غير عوض.

والعظيم في أصل الوضع: من عظم الرجل إذا كبر عظمه، ثم استعمل لكل كبير، محسوساً كان أو معقولاً، عيناً كان أو معنى.

والنعم: جمع نعمة بالكسر، وهي في الأصل للحالة الحسنة كالركبة والجلسة، ثم اطلقت فيما قصد به الإحسان والنفع.

وقبلت الهدية - من باب تعب - قبولاً، أي أخذتها. قالوا: والقبول يقتضي الرضا والإثابة، ولذلك لا يقال إلا في أخذ الشيء على وجه يقتضي ثواباً، كالهديّة.

وقبول الله تعالى للعمل عبارة عن أن يكون العمل بحيث يرضاه ويثيب عليه. شبه الفعل من العبد بالهدية، ورضا (٢) الله تعالى به وإثابته عليه بالقبول.

واليسير: فعل من يسر الشيء - من باب قرب - بمعنى قلّ فهو يسير، أي: قليل.

والشاكر والشكور في وصفه تعالى: قيل: هو المُسْجَازِي على الشكر. وقيل: المشيب الكثير على القليل. وقيل: المثني على مَنْ شكره وأطاعه.

والمحسن: من الإحسان، ويقال على وجهين:
أحدهما: الإنعام على الغير، ومنه قوله تعالى: «وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ» (٣).

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

(١) أساس البلاغة: ص ٩٤.

(٢) «ألف»: رضا.

الثاني: إحسان في نفسه، وذلك إذا علم علماً حسناً، أو عمل عملاً حسناً، ومنه قوله تعالى: «الذي أحسن كل شيء خلقه» (١).

والمجمل: من أجهل الصنعة، أي أجزها ووفرها، كأنه أعطاها جملاً.

وفي القاموس: أجهل الصنعة: حسنها، وكثرها (٢). انتهى.

فيكون على الأول: من الجمال، وهو الحسن، وعلى الثاني من الجملة.

والطول - بالفتح -: الفضل والمن. وعن ابن عباس في قوله تعالى: «ذي الطول» أي ذي النعم على عباده، وعن مجاهد، أي ذي الغنى والسعة. وعن الحسن وقتادة، أي ذي التفضل على المؤمنين (٣). وقيل: أي ذي الفضل بترك العقاب المستحق.

ولما وصفه تعالى بالصفات التي لا تليق إلا بالإله وحده بالألوهية، فقال: لا إله إلا أنت، أي أنت الموصوف بهذه الصفات دون غيرك، ولا يستحقها سواك.

ثم أتبعه بقوله: «إليك المصير» أي إليك المرجع فحسب، لا إلى غيرك، لا استقلالاً ولا اشتراكاً.

والمعنى: إن الأمور تؤول إلى حيث لا يملك أحد النفع والضرر، والأمر والنهي غيرك. والله أعلم.

تم ضحى يوم الجمعة واحد وعشرين شوال.

(١) سورة السجدة: الآية ٧.

(٢) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٥١.

(٣) مجمع البيان: ج ٧ - ٨ ص ٥١٣.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الروضة السابعة والثلاثون
مركز تحقيقات كميّة في علوم إسلاميّة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ عَائِدَةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا اعْتَرَفَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ بَادِيَةِ الشُّكْرِ

اَللّٰهُمَّ اِنْ اَحَدًا لَا يَبْلُغُ مِنْ شُكْرِكَ غَايَةَ اِلْحَاصِلِ عَلَيْهِ مِنْ اِحْسَانِكَ
مَا يُلْزِمُهُ شُكْرًا وَلَا يَبْلُغُ مَبْلَغًا مِنْ طَاعَتِكَ وَلَنْ اَجْهَدَ اِلَّا كَانَتْ
مُقْصِرًا دُونَ اِسْتِغْفَاؤِكَ بِفَضْلِكَ فَاشْكُرْ عِبَادُكَ عَاجِرٌ عَنْ شُكْرِكَ
وَاعْبُدْهُمْ مُقْصِرٌ عَنْ طَاعَتِكَ لَا يَجِبُ لِاحِدٍ اَنْ تَغْفِرَ لَهُ اِسْتِغْفَاؤَهُ
وَلَا اَنْ تَرْضَى عَنْهُ بِاِسْتِجَابِهِ فَمَنْ غَفَرْتَ لَهُ فَيُطَوِّلِكَ وَمَنْ رَضَيْتَ
عَنْهُ فَيَفْضَلِكَ تَشْكُرُ يَسِّرَ مَا شَكَرَكَ وَتُثِيبُ عَلَى قَلِيلٍ مَا نَطَاعَ فِيهِ
حَتَّى كَانَ شُكْرُ عِبَادِكَ الَّذِي اَوْجَبْتَ عَلَيْهِ تَوَابَهُمْ وَاعْظَمْتَ عَنْهُ
جَوَابَهُمْ اَمْرٌ مَلَكَو اِلْسِطَاعَةً اَوْ مِتَابَعَةً مِنْهُ دُونَكَ فَكَافِيَتَهُمْ اَوْ لَمْ
يَكُنْ سَبَبُهُ يَبْدِلُهُ فَمَازِيَتَهُمْ بَلْ مَلَكَتْ يَا اِلٰهِي اَمْرُهُمْ قَبْلَ اَنْ يَمْلِكُوا عِبَادَكَ
وَاعْدَدْتَ تَوَابَهُمْ قَبْلَ اَنْ يُغْفِرُوا فِي طَاعَتِكَ ذَلِكَ اَنْ تُسْئَلَ الْاِذَا
وَعَادَتِكَ الْاِحْسَانَ وَسَيِّلِكَ الْعَفْوَ فَكُلُّ الْبَرِيَّةِ مُغْتَرِفَةٌ بِاَنَّكَ عَظِيمُ الظَّالِمِ
لِمَنْ عَاقَبَتْ وَشَاقِدَةٌ بِاَنَّكَ مُتَقَصِّلٌ عَلَى مَنْ عَاقَبَتْ وَكُلُّ مُقَرَّبٍ عَلَى نَفْسِهِ
بِالتَّقْصِيرِ عَمَّا اسْتَوْجَبْتَ فَكُلُّوْا اِنَّ الشَّيْطَانَ يَخْتَدِعُ عَنْ طَاعَتِكَ مَا
عَصَاكَ عَاجِرٌ وَلَوْ لَا اَنْتَ صَوَّرَ لَهُمُ الْبَاطِلُ فِي مِثَالِ الْحَيِّ مَا ضَلَّ عَنْ طَاعَتِكَ

مَا لَنْ قَبْضَاتِكَ مَا أَتَيْنَ كَرَمَكَ فِي مُعَامَلَةٍ مِنْ أَطَاعَتِكَ وَأَوْعَصَالِهِ
تَشْكُرُ لِلطَّيِّعِ مَا أَنْتَ تَوَلَّيْتَهُ لَهُ وَتُمِلُّ لِلْعَاصِ فِيهَا تَمْلِكُ تَجْلِسُ
فِيهِ أَعْطَيْتَ كُلَّ امْنِهِمَا مَا لَمْ يَجِبْ لَهُ وَتَقْصُصْتَ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا مَا
يَقْصُرُ عَنْكَ عَنْهُ وَلَوْ كَافَاكَ الطَّيِّعُ عَلَى مَا أَنْتَ تَوَلَّيْتَهُ لَأَوْسَلْنَا
بِفَقْدِ ثَوَابِكَ وَأَنْ تَزُولَ عَنْهُ نِعْمَتُكَ وَلِكِنَّكَ بِكَرَمِكَ جَازِيْنُهُ
عَلَى الْمُنَّةِ الْفَصِيرَةِ الْغَائِبَةِ بِالْمُنَّةِ الطَّوِيلَةِ الْخَالِدَةِ وَعَلَى الْعَائِدَةِ
الْقَرِيبَةِ الرُّؤَالَةِ بِالْغَائِبَةِ الْمُدْبِقَةِ الْبَاقِيَةِ ثُمَّ لَمْ تَنْمِهُ الْقِصَاصَ
فِيهَا أَكَلَ مِنْ رِزْقِكَ لَدَيْهِ يَقْوَى بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ وَلَمْ تَحْمِلْهُ عَلَى الْمُنَاقَاةِ
فِي الْأَلَايِ الَّتِي تَسَبَّبَ بِاسْتِعْمَالِهَا إِلَى مَغْفِرَتِكَ وَلَوْ نَعَلْتَ ذَلِكَ
لَذَهَبَ بِجَمِيعِ مَا كَدَحَ لَهُ وَجَمَلَهُ مَا سَعَى فِيهِ جِرَاءُ لِلصَّغْرِ مِنْ
أَيَادِيكَ وَمِنْ يَدَيْكَ وَلَقِيَ رَهِيْنًا بَيْنَ يَدَيْكَ بِأَثَرِ نِعَمِكَ فَمَنْ كَانَ
يَسْتَحِقُّ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِكَ لَا مَنَى هَذَا يَا إِلَهِي حَالٌ مِنْ أَطَاعَتِكَ وَسَبِيلُ
مَنْ نَعَبَدَكَ فَامَّا الْعَاصِ أَمْرَكَ وَالْمُؤَاقِعُ هَيْبَتِكَ فَلَمْ تَعَاجِلْهُ بِمِغْلِكَ
لَكِنْ تَسْتَبْدِلُ بِحَالِهِ فِي مَعْصِيَتِكَ حَالِ الْإِنَابَةِ إِلَى طَاعَتِكَ وَلَقَدْ
كَانَ لِيَسْتَحِقُّ فِي أَوَّلِ مَا قَامَ بِعِصْيَانِكَ كُلِّ مَا أَعْدَدْتَ بِجَمِيعِ خَلْقِكَ

مِنْ عُقُوبَتِكَ فَجَمِّعْ مَا آخَرْتَ عَنْهُ مِنَ الْعَذَابِ وَأَبْطَأْ بِهِ عَلَيَّ
مِنْ سَطَوَاتِ التَّعَذُّبِ وَالْعِقَابِ تَرَكْتُ مِنْ حَقِّكَ وَرِغْمِهِ بِدُونِ وَاجِبِكَ
فَمَنْ أَكْرَمُ مِنْكَ يَا إِلَهِي وَمَنْ أَشَقَى مِمَّنْ هَلَكَ عَلَيْكَ لَا مِنْ فَبَارِكْتَ أَنْ
تُوصَفَ إِلَّا بِالْإِحْسَانِ وَكَرُمْتَ أَنْ يُخَافَ مِنْكَ إِلَّا الْعَدْلُ لَا يَخْشَى
جُورَكَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ وَلَا يُخَافُ إِغْفَالَكَ ثَوَابَ مَنْ أَرْضَاكَ فَصَلِّ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لِي أَمَلِي وَزِدْ فِي مِنْ هَذَا مَا أَصِلُ بِهِ
إِلَى التَّوْفِيقِ فِي عَمَلِي إِنَّكَ مَنَّانٌ كَرِيمٌ



مركز تحقيقات كميّات علوم إسلامي

الروضة

السابعة والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

وآياه نستعين

الحمد لله الذي اعترف بالتقصير عن أداء شكره الشاكرون، واغترف بالتبصير
من بحار ذكره الذاكرون، والصلاة والسلام على نبيه الذي مهد نهج الحمد وسبيله، وعلى
أهل بيته الذين وردوا سلسل الشكر وسلسبيله.

وبعد: فهذه الروضة السابعة والثلاثون من رياض السالكين، تتضمن شرح
الدعاء السابع والثلاثين من صحيفة سيّد العابدين صلوات الله وسلامه عليه وعلى
آبائه وأبنائه الأئمة الراشدين، إملاء راجي فضل ربّه السنيّ علي صدر الدين الحسيني
الحسيني، وفقه الله لشكره وحمده، وتجاوز بمته عن خطاه وعمده.

شرح الدعاء السابع والثلاثين

وكان من دعائه عليه السلام إذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر.

إعترف بالشيء اعترافاً: أقرّ به على نفسه والتقصير يقال على وجهين. أحدهما: بمعنى العجز عن الشيء، يقال فيه: قصّر عنه قصوراً - من باب قعد - وقصّر عنه تقصيراً: أي عجز عنه ولم يبلغه.

والثاني: التواني في الأمر، يقال: قصّر فلان في حاجتي تقصيراً إذا تواني فيها. وهو بالمعنى الأول يتعدى بـ «عن» وبالمعنى الثاني يتعدى بـ «في»، والمراد هنا المعنى الأول لتعديته بـ «عن».

والتأدية: مصدر أذى الحق إذا أوصله وافيأ، والاسم الأداء. قال الراغب: الأداء دفع ما يحقّ دفعه وتوفيته، كأداء الجزية وأداء (١) الأمانة.

مقدمة

الشكر: قيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه. وقيل: هو تصوّر المنعم عليه النعمة وإظهارها.

(١) المفردات: ص ١٤ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

وقيل: هو عبارة عن معروف يقابل النعمة، سواء كان باللسان أو بالأركان أو بالجنان. فالشكر باللسان: هو الثناء على المتعم بالجميل، والشكر بالأركان: هو مكافاته بقدر استحقاقه، والشكر بالجنان: هو تصوّر النعمة.

وقيل: الشكر باللسان: هو الاعتراف على وجه الاستكانة بجلالة النعمة والشكر بالأركان: الاتّصاف بالوفاق، والخدمة، والشكر بالجنان: هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة الحرمة.

وقال الأكثرون: الشكر قسمان لغوي وعرفي.

فاللغوي: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب الإنعام سواء كان ذكراً باللسان، أو اعتقاداً ومحبة بالجنان، أو عملاً وخدمة بالأركان.

والعرفي: هو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من السمع والبصر وغيرها إلى ما خلقه الله لأجله. فبين الشكر اللغوي والشكر العرفي عموم وخصوص مطلقاً.

وقال المحقق النصير الطوسي: أعلم أنّ الشكر مقابلة (١) النعمة بالقول والفعل والنية. وله أركان ثلاثة:

الأول: معرفة المنعم وصفاته اللائقة به، ومعرفة النعمة من حيث أنّها نعمة، ولا تتم تلك المعرفة إلا بأن تعرف أنّ النعم كلّها جليتها وخفيّتها من الله سبحانه، وأنّه المنعم الحقيقي، وأنّ الأوساط كلّها منقادة لحكمه مُسخرة لأمره.

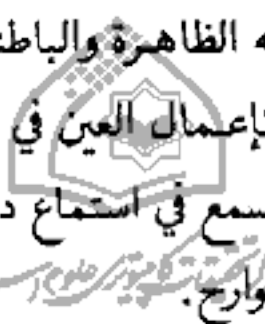
الثاني: الحالة التي هي ثمرة تلك المعرفة، وهي الخضوع والتواضع، والسرور بالنعم، لا من حيث أنّها موافقة لغرض النفس، فإنّ في ذلك متابعة لهواها، وقصر الهمة على رضاها، بل من حيث أنّها هدية دالة على عناية المنعم بك، وعلامة ذلك أنّ لا تفرح من نعم الدنيا إلا بما يوجب القرب منه.

الثالث: العمل الذي هو ثمرة تلك الحال، فإنّ تلك الحال إذا حصلت في

(١) «ألف»: مقابله.

القلب حصل فيه نشاط للعمل الموجب للقرب منه تعالى، وهذا العمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح.

أما عمل القلب فالقصد إلى تعظيم المنعم وتمجيده وتحميده والتفكير في صنائعه وأفعاله وآثار لطفه، والعزم على إيصال الخير والإحسان إلى عامة الخلق. وأما عمل اللسان فإظهار ما قصدته ونويته من التمجيد والتعظيم بهليله وتحميده وتسبيحه والثناء عليه. وإرشاد الخلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك.

وأما عمل الجوارح فاستعمال نعمه الظاهرة والباطنة في طاعته وعبادته، وعدم استعمالها في معصيته ومخالفة أمره، كإعمال العين في النظر إلى عجيب مصنوعات وآياته، والنظر في كتابه، واستعمال السمع في استماع دلائله وبراهينه، والإنصات لقراءة كتابه، وقس على ذلك سائر الجوارح.  ومن هنا ظهر أن الشكر من أشرف معارج السالكين وأعلى مدارج العارفين، ولا يبلغ حقيقته إلا من ترك الدنيا وراء ظهره، وهم قليلون. ولذلك عزم من قائل: «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ» (١) إنتهى.

وقال بعض العارفين: كما أن لكل من اللسان والجنان والأركان في الشكر تعلقاً بك، فلكل منها تعلق بغيرك. ولا يتم شكر الله به ما لم توفّر على غيرك حقه منه. أما بالجنان: فإن تنوي الخير وتعتقد الشفقة على كافة الخلق. وأما باللسان: فإن تحسن القول لهم. وأما بالأركان: فبالتوقي مما يرجع عليهم بسوء حتى أن شكر العين أن تستر كل عيب تراه فيهم، وشكر السمع أن تستر كل قبيح تسمعه منهم، وحتى إذا لقيت معارفك فلا تسألهم على العادة في التلطف والتحفي في

(١) شرح الكافي للمولى محمد صالح المازندراني: ج ٨ ص ٢٧٦ - ٢٧٧، نقلاً عن المحقق الطوسي

«فلس سره».

قال عليه السلام:

اللَّهُمَّ إِنَّ أَحَدًا لَا يَبْلُغُ مِنْ شُكْرِكَ غَايَةً إِلَّا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِكَ مَا يُلْزِمُهُ شُكْرًا، وَلَا يَبْلُغُ مَبْلَغًا مِنْ طَاعَتِكَ، وَإِنْ اجْتَهَدَ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا دُونَ اسْتِحْقَاقِكَ بِفَضْلِكَ، فَأَشْكُرُ عِبَادِكَ عَاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ، وَأَعْبُدُهُمْ مُقْصِرٌ عَنْ طَاعَتِكَ.

مسألة الحال شوقاً واهتماماً، ولكن على استخراج الشكر منهم والتأدي بهم إلى أن يحمدا الله، وتحمده معهم، كما جاء في الحديث أنه صلى الله عليه وآله قال لرجل: «كيف أصبحت؟ فقال: بخير فأعاد السؤال، حتى قال في الثالثة: بخير أحمد الله وأشكره. فقال عليه السلام: هذا الذي أردت وحمد الله معه» (١).

وبالجملة فأداء شكر الله أمر تعجز عنه العباد، ولو بعد السعي والاجتهاد. التأكيد بـ «إِنَّ» لتهيئة النكرة لأن يصلح أن يخبر عنها مع مافيه من أن الحكم عن اعتقاد وصميم قلب، ومن أنه مما يجب أن يبالغ في تأكيده وتحقيقه، ومن كونه رائجاً مقبولاً عند المخاطب، إلى غير ذلك من كمال العناية والاهتمام ووفور نشاط المتكلم وصدق رغبته، وإظهار كمال التضرع والابتهال.

و «أحداً» هنا اسم لمن يصلح أن يخاطب، يستوي فيه المذكر والمؤنث والمثنى والجمع. وقيل (٢): ليس هو بمعنى واحد، ولذلك ذهب الفارسي وجماعة أن همزته أصلية، لا بدل من الواو (٣).

وقال الرضي: كأنه لما لم يُر في نحو: «ما جاءني أحد» معنى الوحدة، ارتكب كون الهمزة أصلاً، والأولى أن يقال: همزته في كل موضع بدل من الواو، ومعنى ما جاءني أحد، ما جاءني واحد، فكيف مافوقه (٤). انتهى.

(٣) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ١٤٦.

(٤) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ١٤٦.

(١) المحجة البيضاء: ج ٧ ص ١٤٨.

(٢) «ألف»: قيل: وليس هو.

وهو هنا يعم جنس الإنس بحيث لم يبق منهم أحد، لأن النكرة الواقعة في موضع ورد فيه النفي بأن ينسحب عليها حكم النفي تكون للعموم والاستغراق. وهي هنا كذلك في المعنى، لأن المعنى لا يبلغ أحد غاية، وذلك لاختصاص أحد بالنفي. وقال ابن هشام في المغني: قولهم: «إنَّ أحداً لا يقول ذلك» إنما أوقع أحداً في الإثبات، لأنه نفس الضمير المستتر في يقول والضمير في سياق النفي، فكان أحد كذلك (١). انتهى.

فائدة

قال الراغب: أحد يستعمل على ضربين: أحدهما في النفي فقط، والثاني في الإثبات.

أما الأول: فلاستغراق جنس الناطقين، ويتناول القليل والكثير على طريق الاجتماع والافتراق، نحو: ما في الدار أحد، أي لا واحد ولا اثنان فصاعداً، لا مجتمعين ولا مفترقين. ولهذا المعنى لم يصح استعماله في الإثبات؛ لأن نفي المتضادين يصح، ولا يصح إثباتهما، فلو قيل: في الدار أحد، لكان فيه إثبات واحد منفرد، مع إثبات مافوق الواحد مجتمعين ومفترقين، وذلك ظاهر الإحالة. ولتناول ذلك مافوق الواحد يصح أن يقال: مامن أحد فاضلين، كقوله تعالى: «فما منكم من أحد عنه حاجزين» (٢).

وأما الثاني: وهو المستعمل في الإثبات فعلى ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يستعمل في العدد مع العشرات نحو: أحد عشر، وأحد وعشرين. والثاني: أن يستعمل مضافاً ومضافاً إليه بمعنى الأول كقوله تعالى: «أما

(١) مغني اللبيب: ص ٨٨٨.

(٢) سورة الحاقة: الآية ٤٧.

أحد كما فيسقي ربه خمرًا»، وقولهم: يوم الأحد، أي يوم الأول؛ لقولهم يوم الاثنين.
والثالث: أن يستعمل مطلقاً وصفاً، وليس ذلك إلا في وصف الله تعالى نحو:
«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ». وأصله واحد، ولكنّ واحداً يستعمل في غيره تعالى، كقول
النابغة:

• على مستأنسٍ واحد* (١) إنتهى.

وبلغت الغاية بلوغاً - من باب قعد -: انتهت إليها. ويطلق البلوغ على الانتهاء
إلى أقصى الأمد ومنتهاه مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدرة. وغاية كل
شيء: مداه ومنتهاه.

قوله عليه السلام: «إلا حصل عليه من إحسانك ما يلزمه شكراً» استثناء مفرغ
من أعم الأحوال، محلّه النصب على الحالية من فاعل يبلغ، أي: لا يبلغ أحد غاية
من شكرك في حال من الأحوال، إلا حال كونه حاصلاً عليه من إحسانك ما يلزمه
شكراً، ونظيره قوله تعالى: «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ
تَفْسِيرًا» (٢). ومفاد ما قبل إلا وما بعدها هنا مفاد الشرط والجزاء من لزوم الثاني
للاول، إذ المقصود لزوم تعقب مضمون إلا لمضمون ما قبلها.

وحاصل المعنى: أنه كلما بلغ من الشكر غاية حصل عليه من إحسانك ما يلزمه
شكراً.

وما وقع لبعض القاصرين - من أنّ الاستثناء في «إلا حصل» منقطع كما في
«ما زاد إلا مانقص»، لكنّ مستثنى هذا مفرد، ومستثنى ذاك جملة، وإن كان
المستثنى في ذلك عند التأويل مفرداً. والمعنى: لا يعرض له عارض عند بلوغ غاية من
غايات الشكر إلا حصول نعمة من نعمك عليه، يلزمه شكرها فهو خبط صريح،

(١) المفردات: ص ١٢ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٣٣.

ناشئ عن جهل قبيح.

و «من» في قوله: «من شكرك» و «من إحسانك» مبيّنة لما بعدها، وهي ومخفوضها في موضع نصب على الحال منه.

قال الرضي: وإثما جاز تقديم «من» المبيّنة على المبهّم في نحو قولك: أنا من خطئه في روضة؛ لأنّ المبهّم مقدّم تقديرًا، كأنك قلت: أنا في شيء من خطئه في روضة، فالمبيّن فيه محذوف (١). وما بعد «من» عطف بيان له حذف المعطوف عليه وأقيم المعطوف مقامه كما يحذف المستثنى منه ويقام المستثنى مقامه (٢). إنتهى. وعذى حصل بـ «على»، والمعروف تعديته باللام، لأنّه هنا بمعنى ثبت عليه، كأنّ ما يلزمه شكرًا استعلى عليه، ولزمه لزوم الراكب لركوبه.

وألزمته المال والعمل إلزامًا: أو جبهته وأثبتته عليه. والمبلغ: إمّا اسم مكان من البلوغ، أو مصدر ميمي. وفي الصحاح: شيء بالغ: أي جيّد، وقد بلغ في الجودة مبلغاً (٣). ودون: نقيض فوق، وهو تقصير عن (٤) الغاية. واستحقّ فلان الأمر استحقاقًا: استوجبه.

و «الباء» من قوله: «بفضلك» للسببية. والفضل هنا إمّا بمعنى الإحسان. قال الراغب: كلّ عطية لا تلزم من يعطي يقال لها: فضل، نحو قوله تعالى: «وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ» (٥).

وإمّا بمعنى الكمال والفضيلة.

قوله عليه السّلام: «فأشكر عبادك». «الفاء»: فصيحة، أي إذا كان الأمر هكذا فأشكر عبادك عاجز عن شكرك، أي غير قادر عليه، وأعبدتهم مقصّر عن

(١) «ألف»: على.

(٢) المفردات: ص ٣٨٢.

(٣) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٢٢.

(٤) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٣٤٣.

(٥) الصحاح: ج ٤ ص ١٣١٦.

طاعتك ، أي: عاجز عنها، من قصر عن الشيء تقصيراً إذا عاجز عنه .
والطاعة هنا: إما بمعنى موافقة الإرادة، أو بمعنى العبادة، - كقولهم: تقبل الله طاعتك - إطلاقاً للعام على الخاص، كما قد تطلق العبادة على الطاعة في عكس ذلك .

ومدار هذا الفصل من الدعاء على أمرين:
أحدهما: بيان العجز عن شكره تعالى .

والثاني: بيان العجز عن ما يستحقه سبحانه من الطاعة والعبادة أما الأول:
فبينه عليه السلام بلزوم التسلسل، وهو ترتيب أمور غير متناهية، لأنه إذا أحدث شكراً على نعمة، أحدث الله عليه نعمة أخرى يجب عليه شكرها، فيحتاج أن يشكرها كشكره الأولى . وكذلك الحال في الثالثة والرابعة، وهذا يؤدي إلى ما لا يتناهى، وهو غير مقدور للعبد .

ولزوم هذا الجزاء لشرطه بحكم وعد الله تعالى في قوله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: «وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم» (١)، أي: آذن إيداناً بليغاً، وأخبر إخباراً مؤكداً، لا تبقى معه شائبة شبهة، لما في صيغة التفعّل من معنى التكلّف المحمول في حقّه تعالى على غايته التي هي الكمال .

وأجري مجرى فعل القسم في الجزم بالجزاء نحو: علم الله، وشهد الله؛ ولذلك أدخلت اللام الموطئة في الشرط، والنون المؤكدة في الجزاء ف قيل: لئن شكرتم لأزيدنكم، أي لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم نعمة إلى نعمة .

وفي تفسير علي بن إبراهيم، قال أبو عبد الله عليه السلام: أيما عبد انعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، وحمد الله عليها بلسانه لم ينفد كلامه حتى يامر الله له بالزيادة، وهو قوله «لئن شكرتم لأزيدنكم» (٢) .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ١ ص ٣٩٨ .

(١) سورة إبراهيم: الآية ٧ .

وروى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عنه قال: من اعطى الشكر اعطى الزيادة، يقول الله عز وجل «لئن شكرتم لأزيدنكم» (١).

ولذلك أجمع العقلاء على أن تمام الشكر لله تعالى لا يبلغه العباد حتى أن الأنبياء عنه قاصرون، والأولياء مقصرون، والله درّ القائل:

متى تشكر النعمى التي قد صنعتها إذا كنت تولى نعمة حين تشكر
ويحتمل أن يكون المراد بقوله عليه السلام: «إلا حصل عليه من إحسانك ما يلزمه شكراً» هو التوفيق للشكر، فإنه من أعظم الإحسان، وأجل النعم، ألا ترى إلى مناجاة رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت يارب أسبغت عليّ النعم السوابغ، فشكرتك عليها، فكيف لي بشكر شكرك، فقال الله تعالى: تعلمت العلم الذي لا يفوته علم بحسبك أن تعلم أن ذلك من عندي (٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام، يا موسى اشكرني حق شكري، فقال: يارب، وكيف أشكرك حق شكرك، وليس من شكر أشكرك به، إلا وأنت انعمت به عليّ؟ قال: يا موسى، الآن شكرتني، حين علمت أن ذلك قيني (٣).

وفي رواية قال موسى عليه السلام: إلهي أمرتني بالشكر على نعمك، وشكري إياك نعمة من نعمك (٤).

ومن هذا أخذ الشاعر فقال:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة عليّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الأفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر (٥)

(١) الكافي: ج ٢ ص ٩٥ ح ٨.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٣٠٠.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٩٨ ح ٢٧.

(٤) و (٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ١٤٠.

ولهذا قيل: كلّ نعمة يمكن شكرها إلا نعمة الله تعالى، فإن غاية شكرها الاعتراف بالعجز عنها، وذلك أنّ شكر نعمته نعمة منه، فيجب على العبد شكرها، ثم يجب عليه الشكر على الشكر، وهكذا إلى ما لا ينتهي وما لا نهاية له فنهايته في بدايته. فينبغي أن يسند العبد من الابتداء على العجز ظهره، ويبني على الاعتراف بالتقصير أمره، فيكون معرفة التقصير عن الشكر شكراً، وإلا فأتى يبلغ شكر العباد نعم الربّ الجواد! وأين يقع الحالي من الأزلي، والذي لا يبق من الذي لا يفنى! بل الجزء الذي لا يتجزى من الشيء الذي لا يتناهى.

وأين التمام (١) البرض من فيض البحر (٢)، وأين نزيل الأرض عند الكواكب. وفي مناجاة بعضهم: إلهي أنت تعلم عجزني عن مواقع شكرك فاشكر نفسك عني.

وقد فسر العلماء قوله صلى الله عليه وآله لربه تعالى وتقدس: «قلت فك رهاني وثقل ميزاني» (٣) فإن المراد فك رهانه بالشكر، فإن النفوس مرتنة بالنعمة، وإنما يفكها الشكر، ولا يبلغ العباد كنه الشكر لله عز وجل، ففزع صلى الله عليه وآله إلى ربه أن يتولى فك رهانه بجلوه وإحسانه:

إلهي لقد أحسنت عوداً وبدأة إليّ فأوزعني إلهي لأشكرا
ولو أنّ لي في كلّ منبت شعرة لساناً يقول الشكر فيك لقصراً
إلهي كم أسديت لي منك نعمة * * * وقضلاً فلم ينهض بأنعامك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة فعذري وإقرارى بأن ليس لي عذر
أما الثاني: - وهو بيان العجز عما يستحقه سبحانه من الطاعة والعبادة - فيّنه بذكر سبب استحقاقه للعبادة والطاعة، وهو فضله الذي لا نهاية له حيث قال:

(١) «ألف»: الثمار.

(٢) «ألف»: بحر.

(٣) الدر المنثور: ج ٣ ص ٧٢. ذيل الآية ١٠ من سورة الأعراف.

«دون استحقاقك بفضلك» والفضل كما تقدم، إمّا بمعنى الإحسان أو بمعنى الكمال والفضيلة.

أما على الأول؛ فيجب أن تكون عبادة العباد وطاعتهم بقدر إحسان المعبود وفضله عليهم، وهذا أمر ليس في طاقة أحد من البشر، لأنه سبحانه يستحق بكلّ نعمة طاعة وشكراً، ونعمه غير محصورة كما قال: «وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها» (١) أي لا تقدرون على تعدادها؛ لكثرتها، بل لعدم تنهاها. فأين يقع القليل من الكثير، والذي يتناهى من الذي لا يتناهى!!

قال الحكيم: إذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعها في فمك فانظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، أمّا ما قبلها فكالحبز والطحن والزرع، وغير ذلك من الآلات المعينة، والأسباب والفاعلية، والقابلية، حتى تنتهي إلى الأفلاك والعناصر. وأمّا ما بعدها فكالقوى المعينة على الجذب والإمساك، والهضم والدفع، وكالأعضاء الحاملة لتلك القوى، وكسائر الأمور النافعة في ذلك خارجة عن البدن، أو داخلة فيه، فإنّها لا تكاد تنحصر. وإذا كانت نعم الله تعالى في تناول لقمة واحدة تبلغ هذا المبلغ، فكيف فيما جاوز ذلك!!

فتبين أنّ العبد - وإن اشتدّ على الطاعة حرصه، وطال في العبادة اجتهاده - لم يكن بالغاً ما يستحقّه الله سبحانه منها بفضل ونعمته عليه. فكيف بمن تطغيه النعمة، وتبطره الذعة حتى يستعين بنعمته على معصيته، ويتكبر بإحسانه على خلقته! ولذلك ختم سبحانه الآية المذكورة في سورة إبراهيم عليه السلام بقوله «إنّ الإنسان لظلمٌ كفاً» (٢) وفي سورة النحل بقوله: «إنّ الله لَغفورٌ رحيمٌ» (٣) فسجل في الأول بالظلم والكفران وفي الثاني باستحقاق النعمة لولا الرحمة والغفران، فكانه

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٤، وسورة النحل: الآية ١٨.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

(٣) سورة النحل: الآية ١٨.

قال: إن كنت ظلوماً كفروراً، فلم أزل رحيماً غفوراً، لا أقابل منك التقصير إلا بالإحسان والتوفير، ولا أجازي منك الجفاء إلا باللطف والوفاء، تلك شيمتك في الأخذ، وهذه شيمتي في العطاء.

وأما على الثاني - وهو حمل الفضل على معنى الكمال والفضيلة - فبيان: أن كمال العبادة ومطابقتها للأمر المطاع بحسب العلم بكمال المعبود، وعلو شأنه وعظمته. ولما كانت ذات الحق سبحانه وعظمتها وكمالها أمراً أعظم من أن يطلع عليه بالكنه ملك مقرب أو نبي مرسل، لا جرم كانت عبادة العباد من الملائكة والبشر بحسب معارفهم القاصرة عن كنه حقيقته، لا بحسب كماله على هوكماعليه. فكل من كان علمه ومعرفته أتم وأكمل كانت عبادة من دونه مستحقة في جنب عبادته، حتى لو زادت معرفته به وأمكن اطلاعه على كنه حقيقته لزادت عبادته، وكانت أتم وأكمل.

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

فإذن كل طاعة وعبادة قاصرة عما يستحقه كماله المطلق وكل طائع وعابد حاجز ومقصر عنه وإن خبّ وأعنى. وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام، بقوله في صفة الملائكة: لو عاينوا كنه ماخفي عليهم منك لحقروا أعمالهم، ولأزروا على أنفسهم، وعرفوا أنهم لم يعبدوك حقّ عبادتك، ولم يطيعوك حقّ طاعتك (١). وكلا المعنيين يشمله قوله تعالى، وهو أصدق القائلين: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» (٢).

فإن قلت: كيف يحمل الفضل على معنى الكمال في عبارة الدعاء، وقد نصّ بعضهم على أن الفضل إنما يستعمل للكمال في حقّ غير الله تعالى؟ قلت: لانسليم ذلك، فقد تقدّم في دعاء التحميد، وهو الدعاء الأول قوله

(١) نهج البلاغة: ص ١٥٩ الخطبة ١٠٩.

(٢) سورة الانعام: الآية ٩١.

لَا يَجِبُ لِأَحَدٍ أَنْ تَغْفِرَ لَهُ بِاسْتِحْقَاقِهِ، وَلَا أَنْ تَرْضَى عَنْهُ بِاسْتِيجَابِهِ، فَمَنْ غَفَرْتَ لَهُ فَبَطُولِكَ، وَمَنْ رَضِيتَ عَنْهُ فَبِفَضْلِكَ.

عليه السَّلام «حمداً يفضل سائر الحمد كفضل ربنا على خلقه» وكفى به شاهداً. وقد ورد في بعض الأدعية أيضاً وصفه تعالى بالفاضل. والله أعلم.

الجملة الأولى مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأنه قيل: كيف تراهم مع العجز عن الشكر. والتقصير عن الطاعة في استحقاق المغفرة واستيجاب الرضا؟ فقال: «لا يجب لأحد أن تغفر له باستحقاقه» إلى آخره.

وتأخير الرضا عن المغفرة رعاية لاسلوب الترقى إلى الأعلى لأن الرضا فوق المغفرة، فقد (١) يغفر السيد ذنب عبده، وليس يراض عنه، وعلى ذلك ماورد في الدعاء: اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَارْضَ عَنِّي، فَإِنْ لَمْ تَرْضَ عَنِّي فَأَعْفُ عَنِّي، وقد يعفو السيّد عن عبده وليس يراض عنه.

وما حكى أن رجلاً غضب على عبده، فاستشفع إليه بشفيع فشفعه، فجعل العبد يبكي ويتضرّع، فقال له الشفيع: ما هذا البكاء وقد عفى عنك؟ فقال السيد: إنه يطلب الرضا، وليس ذلك إليه، فإنما يبكي لأجله.

وإنما نفى عليه السَّلام وجوب المغفرة والرضا لأحد عن استحقاق واستيجاب، لأن المغفرة والرضا تفضل وإحساناً منه تعالى إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل. فلا يجب عليه سبحانه أن يغفر لأحد أو يرضى عنه لاستحقاقه واستيجابه، وإن تاب وأتاب، لأن الغفران مع التوبة عندنا على وجه التفضل أيضاً، لا على وجه الوجوب، خلافاً للمعتزلة.

و«الفاء» من قوله: «فمن غفرت له» للترتيب الذكري، أو فصيحة. والطول والفضل بمعنى، يقال: طال عليه طولاً. من باب قال. أي أفضل عليه، وأحسن إليه.

تَشْكُرُ يَسِيرَ مَا شَكَرْتَهُ، وَتُثِيبُ عَلَى قَلِيلٍ مَا تُطَاعُ فِيهِ، حَتَّى كَأَنَّ
شُكْرَ عِبَادِكَ الَّذِي أُوجِبْتَ عَلَيْهِ ثَوَابَهُمْ، وَأَعْظَمْتَ عَنْهُ جَزَاءَهُمْ، أَمْرٌ
مَلَكَوا اسْتِطَاعَةَ الْاِمْتِنَاعِ مِنْهُ دُونَكَ فَكَافَيْتَهُمْ، أَوْ لَمْ يَكُنْ سَبَبُهُ بِيَدِكَ
فَجَازَيْتَهُمْ.

وصفه تعالى بالشكر، قيل: المراد به مجازاته على اليسير من الطاعة بالكثير من
الثواب، لأنه يعطي بالعمل في أيام معدودة نعماً في الآخرة غير محدودة. ومن جازى
الحسنة بأضعافها صح أن يقال: إنه شكر تلك الحسنة.

وقيل: المراد به قبول اليسير من الطاعة والثناء على فعلها وفاعلها، وقد وصف
سبحانه تعالى نفسه بالشكور في غير موضع من القرآن المجيد، فقال في سورة فاطر:
«إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ» (١)، وقال فيها: «إِنْ رَبُّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ» (٢)، وقال في سورة
الشورى: «وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ» (٣).

قال العلامة الطبرسي: أي شكور للطاعات، يعامل عباده معاملة الشاكر في
توفية الحق حتى كأنه ممن وصل إليه النفع فشكره (٤).

وقال في سورة التغابن: «إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يضاعفه لكم ويغفر لكم
والله شكور حلیم» (٥).

قال القاضي: أي يعطي الجزيل بالقليل (٦).

وقد تواترت النسخ المشهورة من الصحيفة الشريفة بضبط «شكرته» بفتح
السين المعجمة، والكاف، وتاء الخطاب على البناء للفاعل.

فالمعنى تشكر يسير ما قبلته من العمل، وأثنت عليه، أي تجازي بالكثير عليه.

وما قيل: إنَّ المعنى: تشكر يسير الشكر، فليس بظاهر، إلا أن يضبط «شكرته»

(١) و (٢) سورة فاطر: الآية ٣٠ و ٣٤.

(٥) سورة التغابن: الآية ١٧.

(٣) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ٢ ص ٤٨٢.

(٤) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠ ص ٢٩.

بالبناء للمفعول، ولم نقف عليه في شيء من النسخ.
وقول بعضهم: المراد أنه يشكر يسير ما شكره - أي شكرناه به؛ لأن شكرنا بأمره،
ولأن أسبابه والتوفيق له منه فكأنه هو الشاكر لنفسه - لا يحنى مافيه من التعسف.
وفي نسخة الشهيد رحمه الله: «تشكر يسيراً ما تشكر به» بالبناء للمفعول في
الثاني، وهو أظهر في المعنى، وأنسب لما بعده.

وأثابه إثابة: أعطاه ثواب عمله، أي جزاءه ومنه قوله تعالى: «فأثابهم الله بما
قالوا جناباً» (١). وأكثر ما تستعمل في المحبوب، وقد تستعمل في المكروه على
الاستعارة، كما استعمال البشارة فيه، ومنه قوله تعالى: «فأثابكم غمّاً بغم» (٢).
وقوله: «فيه» ظرفية مجازية، أي تعطي الثواب على قليل العمل الذي تطاع
فيه، جعل العمل كإنه ظرف ومحله الطاعة (٣).
و«حتى» حرف ابتداء، والجملة بعدها مستأنفة لا محل لها من الإعراب،
خلافًا للزجاج زعم أنها في محل جرب «حتى» (٤)، ويردّه أنّ الحروف الجارة
لا تدخل عاملة إلا على مفرد، ومؤول به، وفائدة حتى هنا التعظيم.

قال الرضوي: فائدة حتى الابتدائية، إما التحقير، كقوله:

«فواعجباً حتى كليب تسبني»

أو التعظيم، كقوله:

فما زالت القتلى تمجّ دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل (٥)
قلت: ووجهه إنها غاية لما قبلها، إما في نقص أو (٦) زيادة فجاء من النقص
التحقير، ومن الزيادة التعظيم.

وعليه وعنه متعلقان بالمصدرين بعدهما كقول كعب:

(٤) مغني اللبيب: ص ١٧٦.

(٥) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٢٧.

(٦) «ألف»: أو في.

(١) سورة المائدة: الآية ٨٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٣.

(٣) «ألف» ومحل للطاعة.

• في خلقها عن بنات الفحل تفضيل •

ووجب الحقُّ يجب وجوباً: لزم وثبت، وأوجبته إيجاباً: أثبتته وألزمته، أي جعلته لازماً (١) ثابتاً.

وأعظم الله له الأجر إعظماً: جعله عظيماً.
والأمر: لفظ عام يطلق على الأفعال والأقوال كلها، ومنه قوله تعالى: «إليه يرجع الأمر كله» (٢).

وملكتُ الشيء ملكه - من باب ضرب - ملكاً وملكاً، بالفتح والكسر، تمكنت من التصرف فيه من غير مانع، والجملة - في محل الرفع - نعت لأمر.
والاستطاعة: استفعالة من الطوع، وهو الانقياد، فهي في الأصل بمعنى طلب انقياد الشيء وتأثيه، ثم استعملت في القدرة التامة التي يتمكن بها الإنسان مما يريد. وعرفت بأنها عرض يخلقها الله في الإنسان، يفعل به الأفعال الاختيارية.
وامتنع من الشيء وعنه امتناعاً: كَفَّ عنه.

ودون: بمعنى التجاوز كما مرّ مراراً، فهي ظرف مستقر وقع حالاً من ضمير العباد في ملكوا، أي ملكوا استطاعة الامتناع منه حال كونهم متجاوزين لك، أي مستبدين بها من غير أن يكون لك مدخل في حصولها لهم.

و «الفاء» من قوله: «فكافيتهم» سببية عاطفة على محذوف تقديره «ففعלוهم فكافيتهم»، كقوله تعالى: «اضرب بعصاك الحجر فانفجرت» (٣) أي ضرب فانفجرت، وتسمى فصيححة؛ لإفصاحها عن المحذوف وقس على ذلك قوله: «فجازيتهم».

والمكافاة: المجازاة، وأصله الهمز. وكلمة «أو» للإيدان بتساوي الأمرين في

(٣) البقرة: الآية ٦٠.

(١) «ألف»: وثابتاً.

(٢) هود: الآية ١٢٣.

الاستقلال بوجه التشبيه، وبصحة التشبيه بكل واحد منها وبها معاً، كقوله تعالى: «أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ» (١).

وجملة «لم يكن» - في محل رفع - وصف لموصوف محذوف، والتقدير: أو أمر لم يكن سببه بيدك، يقال: الأمر بيد فلان، أي في تصرفه.

وحاصل معنى هذا الفصل من الدعاء أن إحسانه تعالى إلى عباده في مقابلة شكرهم له، وإنعامه عليهم بإزاء طاعتهم وعبادتهم إياه، إنما هو تفضل منه تعالى؛ إذ كان إيقاع الشكر والطاعة والعبادة منهم بإقداره لهم على ذلك وتوفيقه إياهم له، لأن كل فاعل سواه إنما يستحق القدرة على الفعل من جوده تعالى، لآلذاته استقلالاً وتفرداً به، على ما علم في مظانته. ومع ذلك فقد جعل سبحانه ثوابهم على شكره، وجزاءهم على طاعته ثواباً واجباً وأجرأ مستحقاً، فأشبه شكرهم وطاعتهم أمراً استقلالاً لذواتهم بالقدرة على إيجاده، وكانوا يستطيعون أن لا يوجدوه، وأن يمتنعوا منه، أو أمراً استبدوا بتسبيب سببه في إيقاعه، فاستوجبوا بذلك الثواب، واستحقوا به الجزاء. وليس الأمر كذلك، بل هو سبحانه الذي أقدرهم على ذلك، ووفقهم له، وقادهم بزمام اللطف والعناية إليه. فلو أرادوا أن يمتنعوا منه، وأن لا يفعلوه بدون ماركبه فيهم من الأسباب ما استطاعوا، وكان أسباب صدورهم منهم وحصوله عنهم بقدره وإعداده عز وجل، فأتى لهم الاستقلال والاستبداد في نسبتهم إليه؟!

ومن هنا قال موسى عليه السلام: «إلهي أمرتني بالشكر على نعمك، وشكري إياك نعمة من نعمك» (٢). وعليه قوله تعالى: «يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (٣).

(١) سورة البقرة: الآية ١٩.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٧.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ١٤٠.

بَلْ مَلَكْتَ يَا إِلَهِي أَمْرَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَمْلِكُوا عِبَادَتَكَ ، وَأَعْدَدْتَ

وإنما قال عليه السلام: «أمرأ ملكوا استطاعة الامتناع منه دونك» ولم يقل: ملكوا استطاعة إيجاده دونك؛ للمبالغة في تحقق عجزهم؛ لأن من لا يملك استطاعة الامتناع من الشيء فهو عن استطاعة فعله وإيجاده أعجز. وهذا لا ينافي الاختيار كما سنبينه.

وأما قول بعضهم: معنى قوله عليه السلام: «أمرأ ملكوا استطاعة الامتناع منه دونك» أن لهم أن يتركوا شكرك لاستغنائهم وعلمهم بكرمك فلا ينتقص من ثوابهم شيء، أو معناه أنت المالك للثواب، ولك أن تشيهم من غير شكر، لكن لكثرة صدور هذا التفضل منك صاروا كأنهم مالكين لتحصيل الثواب من غير شكر، وقادرين على ذلك، فهو تخيل عجيب، وتوهم غريب، وكأنه أراد بهذا التأويل الذي لا يدل عليه منطوق الكلام ولا مفهومه، التفادي عما يؤهم ظاهر العبارة من نفي اختيار العبد.

ويكفي في التفضي عن ذلك أن مراده عليه السلام عدم استطاعتهم على كف أنفسهم عنه بدون ما أوجده سبحانه فيهم من الحياة والآلة والعقل والهمة إلى غير ذلك من الأسباب التي هي منه سبحانه. وفي ذلك مندوحة عن هذا التأويل البارد. والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل. وإلى إبطال الشبه المذكورة أشار عليه السلام بقوله: (١) .

«بل» حرف إضراب، ومعناها هنا إبطال ما قبلها من كون شكرهم أمراً ملكوا استطاعة الامتناع منه دونه تعالى، أو لم يكن سببه بيده سبحانه، أي ليس الأمر كذلك، بل كنت مالكا أمرهم قبل تمكّنهم من عبادتك وإيجادهم لها. وتوسيط النداء لمزيد الخضوع والابتهال. والغرض أنهم لم يقدرُوا على عبادتك، ولا استطاعوا فعلها إلا بإقذارك لهم عليها، وتوفيقك إياهم لها، ولو شئت ما فعلوها،

(١) أي: الدعاء المذكور في أعلى الصفحة.

ثَوَابَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُفِيضُوا فِي طَاعَتِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّ سُنَّتَكَ الْإِفْضَالَ ،
وَعَادَتَكَ الْإِحْسَانَ ، وَسَبِيلَكَ الْعَفْوَ .

إذ كل موجود سواه فهو في تصرف قدرته ومشيئته قبل وجوده وبعده؛ لأنها مستند وجوده.

وأعددت الشيء إعداداً: هيأته.

وأفاض في الأمر إفاضة: دخل فيه.

ومضمون هذه الفقرة تقرير لما قبلها؛ لأن إعداده سبحانه ثوابهم قبل إفاضتهم في طاعته قاض، بأن قضاءه قد جرى بتوفيقهم للدخول في الطاعة قبل دخولهم فيها، وبأن لطفه قد أخذ بعنان مشيئتهم إليها، وأقام جواد إرادتهم عليها، وإلا لم يكن لإعداد الثواب فائدة.

والواو من قوله: «وذلك» استثنائية. والإشارة إلى ما ذكر من شكره تعالى ليسير الشكر، والإثابة على قليل الطاعة على وجه الإيجاب، مع أن وقوعها من الشاكر والمطيع إنما هو بإقداره ولطفه وتوفيقه سبحانه. وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيدان بكون ذلك في الغاية القصوى من العظم والجلالة.

وهو مبتدأ خبره قوله: «أن سنتك الإفضال» أي لأن سنتك أو بأن سنتك الإفضال، والتقدير: وذلك واقع لأجل أن سنتك الإفضال، أو بسبب أن سنتك الإفضال. وحذف الجار مطرد مع «أن وأن» المصدريتين.

والسنة: الطريقة التي يسلكها الحي في أفعاله، والسيرة التي يكون عليها.

والإفضال: مصدر أفضل عليه، إذا أعطاه ما لا يلزمه أن يعطيه.

والعادة: اسم لتكرير الفعل من عاد يعود.

والإحسان: مصدر أحسن، أي فعل الحسن، فإن كان الفعل متعدياً إلى الغير،

قيل: أحسن إليه، وإن كان لازماً بالفاعل، قيل: أحسن.

والسبيل: الطريق الذي فيه سهولة، ويستعار لسيرة الحي التي يكون عليها في

أفعاله.

فَكُلُّ الْبَرِيَّةِ مُعْتَرِفَةٌ بِأَنَّكَ غَيْرُ ظَالِمٍ لِمَنْ عَاقَبْتَ، وَشَاهِدَةٌ بِأَنَّكَ مُتَفَضِّلٌ عَلَى مَنْ عَافَيْتَ، وَكُلُّ مُقِرٍّ عَلَى نَفْسِهِ بِالتَّقْصِيرِ عَمَّا اسْتَوْجِبْتَ، فَلَوْلَا أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْتَدِعُهُمْ عَنْ طَاعَتِكَ مَا عَصَاكَ عَاصٍ، وَلَوْلَا أَنَّهُ صَوَّرَ لَهُمُ الْبَاطِلَ فِي مِثَالِ الْحَقِّ مَا ضَلَّ عَنْ طَرِيقِكَ ضَالٌّ.

والعفو: ترك المؤاخذه بالتقصير والذنب.

ومدار هذه الفقرات أن إفاضة تعالى شأبيب كرمه، وجوده على عباده غير موقوف على الاستحقاق والاستيجاب، بل هي شأنه وديده. وفيه رد على من زعم أن الثواب مترتب على العمل ترتب الشبع على الأكل. والله أعلم.

«الفاء»: سببية، أي فبسبب (١) كون سننك الإفضال، وعادتك الإحسان، وسبيلك العفو، كل البرية معترفة بأنك غير ظالم، إلى آخره، لجزم العقل بأن من شأنه ذلك لا يريد ظلماً، فضلاً عن أن يوقعه.

و«كل» هنا لاستغراق أفراد المضاف إليه. وهو مبتدأ خبره قوله: «معترفة». وتأنيسه باعتبار المعنى، أو لاكتساب المضاف التأنيس من المضاف إليه، لصحة الاستغناء بالمضاف إليه عن المضاف، كما يقال: سقطت بعض أصابعه.

وفي نسخة ابن إدريس «وكل معترف وشاهد» وهو أحسن. وعافاه الله: وهب له العافية من المكروه دنيوياً كان أو أخروياً. وبين عاقبت وعافيت من البديع جناس التصحيف.

فإن قلت: كيف يصح هذا الاستغراق وكثير من الناس لا يعترف بوجوده فضلاً عن عدله وجوده؟

قلت: يجوز أن يكون الاستغراق عرفياً، فالمراد بالبرية الموحدون منهم، وأن يكون

(١) «ألف»: فسبب.

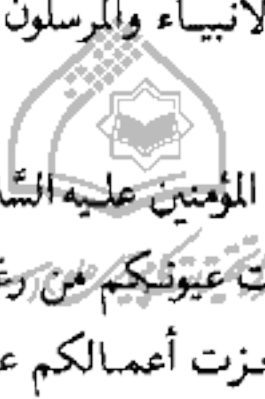
حقيقياً، والمراد بالاعتراف أعم من أن يكون صريحاً أو لزوماً واضطراراً. أمّا الأول: فهو الاعتراف من المؤمنين. وأمّا الثاني: فهو الشامل لكل أحد مؤمناً كان أو كافراً؛ وذلك أنَّ العقول متفقة على وجود الصانع سبحانه، والانقطاع إليه عند تضائق خلق البلاء عليه، كما أشار إليه سبحانه بقوله: «وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا» (١)، وهذا أمرٌ محبوبٌ عليه كلُّ أحد، ولا تَجِدُ أحداً إلا وفزعه وانقطاعه إلى خالقه من كون في نفسه وطبعه.

وقد نبّه بعضهم على هذا المعنى فقال: التوكل على الخالق والانقطاع إليه من طباع الخلق للعجز المعجون بجهلهم، والحاجة المركبة في طبيعتهم. ومما يدلُّ على ذلك أنك لو فاتحت الأمة البلهاء، والمرأة الورهاء، والشيخ المنجد، والشاب الغرير (٢)، والبدوي القح، والفارسي الأعجم، والهندي الأبكم، والرومي الطمطماني، والكيس الزكي، والغمر الغبي، لوجدت في أثناء حديثهم، وأعراض كلامهم، تسليماً إلى غيرهم، وتفويضاً إلى سواهم، وانقطاعاً عن إصابتهم باستطاعتهم، ولو ذاناً بما يجدون المراد بتسهيله عليهم ولا شك أن هذا أصل في الجوهر، وأول في الكون.

ومن الظاهر البين أن ذلك يستلزم ضرورة الاعتراف بكون هذا المنقطع عليه والمفزع إليه قادراً غير عاجز، وقوياً غير ضعيف، وغنياً غير فقير، وعالماً غير جاهل، ومالكاً غير مملوك، ورياً غير مربوب، فلزم بحكم العقل الإذعان له بأن إفاضته سجال خيره على غيره لا عن حاجة به إليه، ولا غرض يعود نفعه عليه، بل هو إفضال منه وإحسان، ومن شأنه ذلك، فلا داعي له إلى الظلم لمن عاقب، سوى العدل، ولا غرض له بمعافة من عافى سوى الفضل، فصح الاستغراق الحقيقي في كلامه عليه السلام. ونظير قوله تعالى في محكم كتابه: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

والأرض كلُّ له قانتون» (١) وقوله: «يسئله من في السماوات والأرض» (٢).

ولك حمل الاعتراف على كونه يوم القيامة، كما حمل بعض المفسرين قوله تعالى: «كلُّ له قانتون» على ذلك. والله أعلم.

قوله عليه السَّلام: «وكلّ مقرّ على نفسه بالتقصير عمّا استوجبت» أي من الطاعة والعبادة، إقراراً مستمرّاً بلسان المقال أو الحال، فإنّهم وإن بالغوا واجتهدوا كانوا مقصرين، غير بالغين كنه عبادته سبحانه وحقيقتها، إذ لا قدر لها في جنب نعمه عليهم سابقاً ولاحقاً، بل هي بمعزل عمّا يجب لعظمته وجلاله وكبريائه، وإذا كانت الملائكة المقرّبون، والأنبياء والمرسلون يقولون: سبحانه ما عبدناك حقّ عبادتك، فما الظنّ بسواهم؟! 

وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السَّلام بقوله في بعض خطبه: وتا الله لو انمائت قلوبكم انمياثاً، وسالت عيونكم من رغبة إليه، أو رهبة منه دماً، ثم عمّرتكم في الدنيا ما الدنيا باقية ما جزت أعمالكم عنكم ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم أنعمه عليكم العظام، وهواه إياكم للإيمان (٣).

قوله عليه السَّلام: «فلولا أنّ الشيطان يختدعهم» إلى آخره.

لولا: حرف الامتناع (٤) وجود الشيء لوجود غيره، والامتنع هو الجواب، والوجود هو وجود الاسم الواقع بعدها.

و «أنّ» ومعمولها في عبارة الدعاء في محلّ رفع على الابتداء عند الجمهور. فقيل: الخبر كون مطلق محذوف وجوباً، والتقدير: لولا اختداع الشيطان لهم كائن أو ثابت.

وقال سيبويه: لا حاجة إلى الخبر لاشتغال صلة «أنّ» على المسند والمسند

(٣) نهج البلاغة: ص ٩٠ الخطب ٥٢.

(٤) «ألف»: امتناع.

(١) سورة الروم: الآية ٢٦.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٢٩.

إليه (١). وذهب المبرد والزجاج والكوفيون إلى أنَّ الرفع على الفاعلية بـ «ثَبَّتْ» محذوفاً (٢)، أي لولا ثبت أنَّ الشيطان يختدعهم.

وما وقع لبعضهم: من أنَّ «أَنَّ وما بعدها» في تأويل مصدر مرفوع بالابتداء، وجملة يختدعهم الخبر-وحيث لم يكن التعليق على نفس الشيطان، بل على اختداعه لم يستغن عن الخبر، ولم يجب حذفه- خبط صريح ناشئ عن فهم قريح. فإنَّ المؤول بالمصدر المرفوع بالابتداء هو اسم أنَّ وخبرها معاً، أعني الشيطان وجملة يختدعهم، والتأويل لولا اختداع الشيطان. فكيف تكون جملة يختدعهم خبراً؟ وهل يصدر مثل هذا الكلام إلا عن ذهن مؤوف؟ نسأل الله العافية.

وخدعه خدعاً- من باب نفع- واختدعه اختداعاً فاختدع: أراد به المكروه من حيث لا يعلم. وقيل: أوهمه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب.

وقال الراغب: الخدع والخذاع إنزال الغير عما هو بصده بأمر يديه على خلاف ما يخفيه (٣).

وتعديته بـ «عن» لتضمينه معنى الصّد أو المنع، أي يختدعهم صاداً لهم، أو مانعاً عن طاعتك.

وقوله عليه السّلام: «ما عصاك عاصي» هو جواب لولا.

قال ابن هشام: وزعم ابن الطراوة أنَّ جواب لولا أبداً هو خبر المبتدأ، ويرده أنه لا رابط بينهما (٤).

قوله عليه السّلام: «ولولا أنه صور لهم الباطل» إلى آخره صوّرت الشيء تصويراً: جعلته ذا صورة. وصورة الشيء ما به الشيء بالفعل.

(١) و (٢) شرح التصريح على التوضيح: ج ٢ ص ٢٥٩.

(٣) المفردات: ص ١٤٣.

(٤) مغني اللبيب: ص ٣٦٠.

والباطل: نقيض الحق. وعرف بأنه الذي لا يكون صحيحاً بأصله.
والمثال بمعنى الصورة.

والحق لغة: الثابت الذي لا يسوغ انكاره، وعرفاً: الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والاعتقادات والملل باعتبار اشتغالها على ذلك، ويقابله الباطل.
والضلال: العدول عن الطريق المستقيم.

وطريقه تعالى: سبيله الذي نهج لعباده من الإيمان به وتوحيده وطاعته وعبادته وسائر مادعا إليه، وأمر به.

وقيل: سبيله تعالى كل عمل خالص، سلك به طريق التقرب إلى الله، بأداء الفرائض والنوافل، وأنواع التطوعات. وإضافته إليه تعالى لأنه المبتن له، أولاته الموصل إليه سبحانه.

مركز تحقيقات كميته علوم اسلامی

تبصرة

قال بعض العلماء: أن أصل الضلال والعمى والجهل من الشيطان. وهو أول من سلك سبيل الغي والضلال، وطرده الحق عن عالم رحمته، ووقع عليه اسم إبليس، وهو جوهر نطقى شرير متولد من طبقة نارية دخانية، لها نفس ملكوتية، ظهرت بجهة ظلمانية، ردية، شأنه الإغواء، وسبيله الإضلال، كما قال تعالى حكاية عن اللعين: «فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» (١) وقوله: «فَمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ» (٢)، وذلك لأن له سلطنة بحسب الطبع على الأجسام الدخانية والبخارية ونفوسها الجزئية، والطبائع الوهمانية، وتطبعها تلك النفوس والقوى الوهمانية لمناسبة النقص والشرارة، وكونه مجبولاً على الإغواء أو الإفساد والاستكبار وادعاؤه العلو، كما في قوله سبحانه: «أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنْ

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٦.

(١) سورة ص: الآيتان ٨٢ و ٨٣.

فَسُبْحَانَكَ مَا أَتَيْنَ كَرَمَكَ فِي مُعَامَلَةٍ مَنَ أَطَاعَكَ أَوْ عَصَاكَ، تَشْكُرُ
لِلْمُطِيعِ مَا أَنْتَ تَوَلَّيْتَهُ لَهُ، وَتُؤْتِي لِلْعَاصِي فِيمَا تَمْلِكُ مُعَاجِلَتَهُ فِيهِ،
أَعْظَيْتَ كُلًّا مِنْهُمَا مَا لَمْ يَجِبْ لَهُ، وَتَفَضَّلْتَ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا بِمَا يَقْصُرُ
عَمَلُهُ عَنْهُ.

العالين» (١) إنما هو بمقتضى طبعه الغالب عليه النارية الموجبة للإهلاك والعلو.
ووجه تأثيره في نفوس الآدميين:

أما من جانب المؤثر؛ فللطافته وسرعة نفوذه في عروقهم، ولطائف أعضائهم،
وأخلاقهم التي هي محال الشعور والاعتقاد، واقتداره على إضلالهم بالوسوسة
والإضلال.

وأما من جانب القابل؛ فلقصور القوى الإدراكية لأكثر الناس وضعفها عن
المعارضة والمجاهدة مع جنوده وأعوانه من القوى الشهوية والغضبية وغيرهما، لاسيما
الوهمية إلا من عصمه الله تعالى من عبادة المخلصين الذين أيدهم الله بالعقل،
وهداهم إلى الصراط المستقيم، «أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم
المفلحون» (٢).

«الفاء» للترتيب الذكري.

وسبحانك للتعجب من عموم كرمه تعالى وعظمه. وإفادة هذا اللفظ للتعجب
مربياته في الروضة الثالثة عشرة.

و«ما أبين» صيغة التعجب. و«ما» فيها اسم في محل رفع على الابتداء.
واختلفوا هل هي نكرة تامة بمعنى شيء، وابتدى بها لتضمنها معنى التعجب،
وما بعدها خبرها فوضعه رفع؟ أو هي موصولة بمعنى الذي، وما بعدها صلته فلا محل
لها من الإعراب، والخبر محذوف وجوباً والتقدير: الذي أبان كرمك شيء عظيم،

(١) سورة ص: الآية ٧٥.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

وبان الأمرين وتبين واستبان: اتضح وانكشف، والاسم البيان.
والكرم هنا عبارة عن التفضل والسبق بالإنعام، وإيثار الصفع عن الجاني،
والإحسان إلى المسيء.

والمعاملة: مفاعلة من العمل، وهو الفعل عن قصد.
و«أو» من قوله: «أو عصاك» للإيدان بتساوي المعاملتين في بيان الكرم
المتعجب منه، وأن كل واحدة منها مستقلة بظهوره، فإن تعجب منه في كل منها
كان في محله، وإن تعجب منه فيها جميعاً فكذلك.

قوله عليه السلام: «تشكر للمطيع ما أنت توليته»، جملة مستأنفة استئنافاً
بيانياً، كأنه سئل: كيف بان كرمي في معاملة من أطاعني أو عصاني؟ فقال:
تشكر للمطيع... إلى آخره، أي تجازي المطيع بالكثير على العمل الذي أنت توليته،
أي قت به لأجله، يقال: وليت الأمر، وتوليته، أي قت به «والذي تولي
كبره» (١) أي وليه وقام به.

والغرض أنه تعالى هو الذي أقدر المطيع على الطاعة له، ووقفه بلطف عنايته
لها، ثم شكره عليها. وهذا منتهى الكرم وغاية الجود.
والإملاء: التأخير والإمهال، يقال: أمليت له: إذا أنظرته، وأمهلته، ومنه قوله
تعالى: «وأملي لهم إن كيدي متين» (٢) أي أمهلهم.
وعاجله بذنبه إذا أخذه به، ولم يمهله.

أي تمهل العاصي، ولا تأخذه بذنبه سريعاً، وأنت قادرٌ على معاجلته، وعدم
إمهاله إحساناً إليه، ورفقاً به.

قوله عليه السلام «أعطيت كلاً منها» إلى آخره. فصل الجملة عما قبلها،
لما بينها من كمال الاتصال لكونها أوفى بتأدية المراد، فتكون بدل اشتمال. ويجوز

وَلَوْ كَافَأَتِ الْمُطِيعَ عَلَى مَا أَنْتَ تَوَلَّيْتَهُ، لِأَوْشَكَ أَنْ يَفْقِدَ ثَوَابَكَ،
وَأَنْ تَزُولَ عَنْهُ نِعْمَتُكَ، وَلِكِنَّكَ بِكَرَمِكَ جَازِيَتُهُ عَلَى الْمُدَّةِ الْقَصِيرَةِ
الْفَائِيَةِ، بِالْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ الْخَالِدَةِ، وَعَلَى الْغَايَةِ الْقَرِيبَةِ الزَّائِلَةِ، بِالْغَايَةِ
الْمَدِيدَةِ الْبَاقِيَةِ.

أن تكون استثنافاً ثانياً - كالأولى - على وجه التعليل لبيان كرمه في معاملة من
أطاعه أو عصاه.

ولا يخفى ما في التعبير عن الشكر والإملاء بصيغة المضارع المؤذنة بالاستمرار،
وعن الإعطاء والتفضل بصيغة الماضي الدالة على الوقوع والانقضاء من اللطف،
فإنه يؤذن بأن الشكر والإملاء مستمران، وأن التفضل والإعطاء قد جرى بهما قلم
القضاء، فلا مثنوية (١) في ذلك وهكذا فليكن حسن البيان .

المكافأة: مفاعلة من الكفو وهو المثل والمساوي، فأصل كافأته: ساويته. ثم
اتسع فيه فاستعمل بمعنى المجازاة.

قال الزمخشري في الأساس: كافأته ساويته، وهو مكافئ له. وكافأته بصنعه:
جازيته جزاء مكافئاً لما صنع، أي مساوياً له (٢).

ولما كان ماتولاه سبحانه لا يقتضي مكافأة بالشواب عليه، لأن الإنسان
لا يستحق بعمل غيره ثواباً، كان معنى المكافأة عليه عدم الإثابة به، لأن معنى
المكافأة: المساواة بمقابلة الفعل بالفعل، وعدمه بعدمه.

فعنى قوله عليه السلام «لو كافأت المطيع على ما أنت توليته»: لو لم تشبه على
ما أنت توليته، بل كافأته عليه بعدم الإثابة عليه لعدم قيامه به، وصدوره عنه
لأوشك أن يفقد (٣) ثوابك .

(٣) «ألف»: يفقد.

(١) هكذا في النسخ، والصحيح ظاهراً المثوبة.

(٢) أساس البلاغة: ص ٥٤٦.

وما وقع لأكثر الأصحاب في ترجمة هذه العبارة - بأنّ المعنى لو جازيت المطيع على مجرد عمله دون ما أنت توليته، أو فيما أنت توليته - بمعزل عن مدلولها، وإن كان معنى صحيحاً في نفسه.

واللام من قوله: «لأوشك» لام جواب «لو» لا جواب قسم مقدّر، خلافاً لابن جنّي (١). وأوشك. فعل ماضٍ من أفعال المقاربة الدالة على قرب ثبوت خبرها لاسمها، فعنى أوشك قرب ودنى، فإذا قلت أوشك زيد أن يقوم، كان معناه قرب ودنا قيامه. وقال بعضهم: معناها مقاربة الاسم للخبر. فعنى أوشك زيد أن يقوم: قارب زيد القيام أو قرب زيد من القيام. وإذا بني أوشك على اسم قبله - كعبارة الدعاء - جاز فيه الوجهان: أحدهما: إسناده إلى ضميره. فيكون اسماً له، وجعل أن والفعل في موضع نصب على أنه خبر له.  مركز تحقيق التراث

والثاني: تفرّغه عن الضمير وإسناده إلى أن والفعل، فيكون أن والفعل اسماً مؤوّلاً مكفّى به عن الخبر. ومحلّه الرفع على الفاعليّة.

ويكون أوشك على الأوّل فعلاً ناقصاً، وعلى الثاني فعلاً تاماً. وتقدير عبارة الدعاء على الأوّل: لأوشك المطيع أن يفقد ثوابك، وعلى الثاني لأوشك فقدان المطيع ثوابك، أي: لقرب ودنا فقدانه لثوابك.

وإستشكل الأوّل بأنّ أن والفعل في تأويل المصدر، فيلزم الإخبار بالحدث عن الذات. وأجيب بأنّه من باب زيد صوم وعدل، أو على تقدير مضاف، كأنّه قيل: لأوشك أمر المطيع أن يفقد. والأولى ما ذهب إليه سيبويه على ما نقله عنه ابن مالك من أنّ أن والفعل ليس خبراً، بل هو مفعول به منصوب على نزع الخافض، والفعل تامّ بمعنى قرب (٢).

(١) راجع مغني اللبيب: ص ٣١٠.

(٢) راجع كتاب سيبويه: ج ١ ص ٥٥٥.

والتقدير في عبارة الدعاء: لقرب المطيع من أن يفقد (١) ثوابك، ثم حذف الجار توسعاً. أو يجعل الفعل بمعنى قارب فلا حذف، والمعنى قارب المطيع فقدان ثوابك.

وفي عبارته عليه السلام شاهدٌ على أمرين: أحدهما: ورود أوشك بصيغة الماضي، وفيه ردُّ على الأصمعي وأبي علي حيث أنكرا ذلك، كما حكاه عنهما ابن مالك وغيره. وشاهده أيضاً من الشعر قول الشاعر:

ولو سئل الناسُ التراب لأوشكوا إذا قبل هاتوا أن يملّوا ويمنعوا (٢)
الثاني: كون أوشك للمقاربة، بمعنى كاد، وهو مذهب أكثر المتأخرين، وجماعة من المتقدمين، وفيه ردُّ على الشلوبين وتلامذته حيث ذهبوا إلى أنه للترجي بمعنى عسى (٣)، فإن الترجي لا يلائم عبارة الدعاء في غير موضع.
قوله عليه السلام «ولكنك بكرمك جازيته» إلى آخره الواو للمعطف عند الجمهور.

وقال الرضي: يجوز كونها عاطفة للجملة على الجملة (٤). وجعلها اعتراضية أظهر من حيث المعنى. ودخولها على «لكن» مشددة ومخففة جائز لا واجب.

ومعنى «لكن» الاستدراك، وفتر بأن ينسب لما بعدها حكم مخالف لما (٥) قبلها، ولذلك قالوا: يجب توسطها بين متغايرين معنى، أي في النفي والإثبات كعبارة الدعاء، فإن معنى قوله عليه السلام: «ولكنك بكرمك جازيته» ولكنك لم تكافئ المطيع على ما تولّيته بل جازيته إلى آخره.

(١) «ألف»: يفتقد. (٢) و (٤) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٦٩.

(٥) «ألف»: لحكم ما قبلها.

(٢) شرح ابن عقيل: ج ١ ص ٣٣٨.

وقال جماعة منهم صاحب البسيط: هي بعد لو وجوابها للتوكيد لا للاستدراك ،
إذ فائدتها تأكيد ما أفادته لومن الامتناع (١). والأول هو المشهور.
والباء من قوله: «بكرمك» للسببية متعلقة بالفعل بعدها وتقديماً مع مجرورها
لإفادة الاختصاص، أي بسبب كرمك للأمر آخر، ويجوز أن تكون للملابسة،
فتكون مع مجرورها ظرفاً مستقراً متعلقة بحال محذوفة، والتقدير: ولكنتك ملتبساً
بكرمك جازيته.

والمدة: البرهة والطائفة من الزمان تقع على القليل والكثير.
والقصر: خلاف الطول، وهما من الأسماء المتضائفة التي تعتبر بغيرها.
وفنى الشيء يفنى فناء - من باب رضي - : عُدِم بعد الوجود.
وخلد يخلد خلوداً - من باب قعد - : طال بقاءه.
قال الراغب: كل ما يلباطأ عنه التغير والفساد تصفه العرب بالخلود، لقولهم
للأيتام: خوالد، وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها، ثم استعير للبقاء دائماً، والخلود
في الجنة بقاء الأشياء على الحالة من غير اعتراض الكون والفساد عليها (٢). انتهى.
وغاية الشيء: مداه ومنتهاه. والكلام على حذف مضاف، أي على ذي الغاية
القريبة الزائلة بذي الغاية المديدة الباقية، إذ الغاية لا يتعلق بها جزاء، وإنما يتعلق
بالمغيب (٣).

والمراد بالجزاء على المدة القصيرة بالمدة الطويلة، الجزاء على العمل فيها بالثواب
عليه في المدة الطويلة، فهو من باب إطلاق اسم المظروف على الظرف، وهو شائع
في الاستعمال.

وأما قوله عليه السلام: «وعلى القريبة بالغاية المديدة» فلا يتعين أن يراد بالغاية

(١) لا يوجد لدينا كتابه.

(٢) المفردات: ص ١٥٤ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٣) «ألف»: بالغاية.

ثُمَّ لَمْ تَسْمُهُ الْقِصَاصَ فِيمَا أَكَلَ مِنْ رِزْقِكَ الَّذِي يَقْوَى بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ، وَلَمْ تَحْمِلْهُ عَلَى الْمُنَاقَشَاتِ فِي الْآلَاتِ الَّتِي تَسَبَّبَتْ

الزمان أيضاً إطلاقاً لاسم الجزء على الكل بل العمل نفسه والثواب نفسه، فكأنه قال: وجازيته على العمل ذي الغاية القريبة الفانية بالثواب ذي الغاية المديدة الباقية. ثُمَّ من المتعين كون المراد بالغاية في المجازي به مدته، وإنما عبّر عنها بالغاية على سبيل المشاكلة، لوقوعها في صحبة ذي الغاية، وإلا فلا غاية له، بدليل وصفها بالبقاء. لأنَّ المراد به البقاء الأخرى، وهو التأييد لا إلى منتهى ولا غاية، ولولا ذلك لاستحال الكلام.

والمديدة: الطويلة، ومنه في الحديث: «تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مَدِيدَةً» (١) أي طويلة.



تبصرة

روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إنَّما خلد أهل النار في النار لأنَّ نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنَّما خلد أهل الجنة في الجنة لأنَّ نياتهم كانت في الدنيا أن لوبقوا فيها أن يُطيعوا الله أبداً، فَبِالنِّيَّاتِ خُلِدَ هَؤُلَاءُ وَهَؤُلَاءُ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكَلَتِهِ» قال على نيته (٢). والله أعلم.

«ثُمَّ» هنا للترتيب في الذكر، والتدرج في درج الارتقاء، وذكر ما هو الأولى ثم الأولى من غير اعتبار التراخي والمهلة بين تلك الدرج، ولأنَّ الثاني بعد الأول في الزمان. فإنَّ عدم سومه القصاص على ما أكل من رزقه، وعدم حمله على المناقشات في الآلات متقدِّم على المجازاة المذكورة، كما هو ظاهر. لكن لما كان الغرض ترتيب تفضله تعالى بذكر الأخص فالأخص والأعجب فالأعجب جاء بـ «ثُمَّ»

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ٣٠٩.

(٢) الكافي. ج ٢ ص ٨٥ ح ٥.

بِاسْتِعْمَالِهَا إِلَى مَغْفِرَتِكَ ، وَلَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِ لَذَهَبَ بِجَمِيعِ مَا كَدَحَ لَهُ ،
وَجُمْلَةَ مَا سَعَى فِيهِ ، جَزَاءً لِلصُّغْرِ مِنْ أَيْدِيكَ وَمِنْكَ ، وَلَبَقِيَ رَهِينًا
بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَائِرِ نِعَمِكَ ، فَمَتَى كَانَ يَسْتَجِيقُ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِكَ ، لَامَتْنِي
هَذَا يَا إِلَهِي حَالُ مَنْ أَطَاعَكَ ، وَسَبِيلُ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ .

تنبيهاً على ذلك ، ونظير ذلك قوله تعالى : «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا
زَوْجَهَا» (١) .

قال الزمخشري : هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالاً على وحدانيته
وقدرته تشعيب هذا الخلق - الفئات للحصر - من نفس آدم ، وخلق حواء من
قصيره ، إلا أن أحدهما جعلها الله عادة مستمرة ، والأخرى لم تجربها العادة ، ولم
يخلق أنثى غير حواء من قصيري رجل ، فكانت أدخل في كونها آية ، وأجلب لعجب
السامع ، فعطفها بـ «ثم» على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلاً وفريّة ،
وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية ، فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من
التراخي في الوجود (٢) . انتهى .

ولم تسمه القصاص : أي لم ترده منه . قال في الأساس : ومن المجاز سُمْتُ المرأة
المعانقة : أردتها منها وعرضتها عليها (٣) .

والقصاص : مصدر قاصه مقاصه وقصاصاً - من باب قاتل - .

قال الزمخشري : قاصصته بما كان لي قبله : أي حبست عنه مثل ذلك ، مأخوذ
من مقاصه ولي القتل القاتل (٤) .

فمعنى عبارة الدعاء : لم تحبس عليه من الجزاء مثل ما أكل من رزقك .

وقوى بالشيء - من باب رضي - وتقوى به : استعان به ، والرواية في الدعاء

(١) سورة الزمر : الآية ٦ .

(٣) أساس البلاغة : ٣١٥ .

(٢) تفسير الكشاف : ج ٤ ص ١١٣ - ١١٤ .

(٤) أساس البلاغة : ٥١٠ - ٥١١ .

واردة بالوجهين.

وحملته على الأمر: ألزمته به، كأنك جعلته راكباً عليه.

والمنافشة: الاستقصاء في الحساب.

قال في الفائق: ناقشه الحساب إذا عاسره فيه واستقصى، فلم يترك قليلاً ولا كثيراً، وأصل المنافشة من نقش الشوكة وهو استخراجها كلها ومنه: انتقشت منه جميع حقي (١). إنتهى.

والآلات جمع آلة، وهي الأداة التي يعمل بها.

وقال في القاموس: هي ما اعتمدت به من أداة تكون واحداً وجمعاً، أو هي جمع بلا واحدة، وجمعها آلات (٢). إنتهى.

وعرفت بأنها ما يؤثر الفاعل في منفعله القريب بواسطته.

وتسببت إلى الشيء: توصلت إليه بسبب، وتسببت بكذا إلى كذا: جعلته سبباً إلى الوصول إليه.

والمعنى: أنك لم تلزمه المناقشة، ولم تستقص في محاسبته على الآلات التي توصل بسبب استعمالها إلى فوزه بمغفرتك مع أن الآلات من مخلوقاتك، لمدخل لعمله فيها، ولولاها لم (٣) يمكنه التوصل إلى مغفرتك.

والمراد بالآلات جميع القوى الظاهرة والباطنة والجوارح والأمور والأشياء المتعلقة بنفسه وبدنه والخارجة عنه. وبالجمله جميع ماله مدخل في القيام بالعمل من جوهر وعرض.

والكدح: العمل والسعي والكسب والكدة، يقال: كدح لكذا وفيه يكدح - باب منع - أي عمل له وسعى وكسب وكدة وجهد.

(٣) «ألف» لا.

(١) الفائق في غريب الحديث: ج ٤ ص ١٦.

(٢) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٣١.

و «جزاء» - بالنصب - يحتمل المصدرية والحالية والمفعول لأجله .
والصغرى: مؤنث الأصغر من الصغر باعتبار القدر والمنزلة .
و «من» بيانية .

والأيادي: جمع يد، بمعنى النعمة والإحسان، مستعارة من الجارحة .
والمن: جمع منة، وهي النعمة الثقيلة .

والرهن: ما يوضع ثقة للدين . وأصله الحبس، ولذلك كان معناه شرعاً: حبس الشيء بحق يمكن أخذه منه كالدين، يقال: رهنت الشيء رهناً، فهو رهين ومرهون، ثم استعمل في كل شيء لزمه أمر لا يمكنه انفكاكه منه .

قال جابر الله في قوله تعالى: «كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ»: أي مرهون . كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به - كما يرهن الرجل عبده بدين عليه - فإن عمل صالحاً فكَّها وخلصها وإلا أوبقها (١) . انتهى .

ولما كانت النفوس بهذا المعنى مرهونة بنعمة من نعم الله تعالى لا يفكها إلا الشكر بالطاعة والعمل الصالح، وليس له من ذلك إلا ما لولامساحته سبحانه له، وعدم استقصائه عليه لذهب بجميع عمله وطاعته في مقابلة أصغر نعمه ومننه، لاجرم يبقى رهيناً بسائر نعمه تعالى مطالباً بها لا انفكاك له منها، ولذلك فزع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ربه في فكاك رهانه حيث قال: «فكَّ رهائي، وثقل ميزاني» (٢) .

ففزع صلى الله عليه وآله إليه سبحانه أن يكون هو الذي يتولى فكاك رهانه لعلمه عليه السلام بعجزه عنه، فما الظن بغيره .

وقوله: «بين يديك» أي بحضرتك بحيث لا يمكنه فكاك نفسه بوجه، وبين

(١) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٤١١ .

(٢) الدر المنثور: ج ٣ ص ٧٢ . ذيل الآية ١٠ من سورة الأعراف .

اليدين مستعاراً مما بين الجهتين المسامتين ليدي الإنسان، وهو من باب التمثيل، وقد سبق الكلام على ذلك مبسوطاً فأغنى عن الإعادة.

قوله عليه السّلام: «فتى كان يستحق من ثوابك شيئاً لامتى». «الفاء» فصيحة، أي إذا كان الأمر هكذا متى كان يستحق.

و «متى» ظرف يكون استفهاماً عن زمان فعل فيه أو يفعل.

وليس الاستفهام هنا على حقيقته، بل الغرض منه استبعاد كونه مستحقاً للثواب حينئذٍ ونفيه كقوله تعالى: «أنتى لهم الذكرى» (١) في استبعاد الاعتاظ.

و «لا» من قوله: «لامتى» نافية، ومفادها إما النفي صريحاً لما أفهمه الكلام السابق من نفي الاستحقاق لزوماً، فإنّ الاستفهام عن زمان الشيء يستلزم الجهل بزمانه، والجهل به يستلزم استبعاد وقوعه، لأنّ ما هو قريب الوقوع ينبغي أن يكون معلوماً، فلا داعي إلى الاستفهام عنه، واستبعاد وقوع الشيء يستلزم نفيه. وإما الاحتراز عما قد يتوهم أو يسبق إلى الذهن من أنّ الاستفهام على صرافته، فجاء بالنفي نصّاً على المقصود.

والتقدير على الوجهين؛ لالم يكن يستحق من ثوابك شيئاً وإتما حذف المنفي رأساً، لأنّ «لا» من الحروف التي تؤدي معنى الجملة وتحذف معها في الغالب، ونظيره قول بعضهم في قوله تعالى: «لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللّوامة» (٢). إن «لا» نافية، ومنفيها إنكار البعث المعهود من الكافرين، كأنهم أنكروا البعث، فقل: لا، أي ليس الأمر كذلك، ثم استؤنف القسم فقل: أقسم بيوم القيامة كقولك: لا والله إنّ البعث حق.

وقوله: «متى» استفهام إنكار مستأنف، أي متى كان يستحق؟ ومفاده تقرير النفي السابق وتأكيد، وهو الذي يسمى الإنكار الإبطالي، لأنّه يقتضي أنّ ما بعده

فَأَمَّا الْعَاصِي أَمَرَكَ ، وَالْمُؤَاقِعُ نَهَيْكَ فَلَمْ تُعَاجِلْهُ بِنِقْمَتِكَ ، لِيَكِي

منفي، غير واقع، وإن مدعيه كاذب، والتقدير: متى كان يستحق، أي لم يكن يستحق. وإنما أثر تقرير النبي بـ «متى» ليكون بوجه برهاني وهو الاستدلال بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم.

وبيانه: أن استحقاق شيء من الثواب يستلزم زماناً ضرورة. وهو معدوم، إذ لو كان موجوداً لكان معلوماً غير مجهول، فلم يحتاج إلى الاستفهام عنه. فإذا لم يكن له زمانٌ وجب أن لا يكون له وجود أصلاً، إذ لا بد لكل حادث من زمانٍ يقع فيه. وهذا معنى قولهم: الإنكار بمتي وأين بمعنى أنه ليس؛ لأنّ زمانه ومكانه ليس، فهو إنكار على وجه برهاني، وإنما حذف الجملة بعد متى؛ لدلالة ما قبله عليه، وقد مرّ نظير هذه العبارة في الدعاء الأول وذكرنا فيه وجوهاً أخرى، غير أنه كان قد بقي في النفس منه شيء فاستوفيناه هنا بحمد الله تعالى.

قوله عليه السلام: «هذا يا إلهي حال من أطاعك»، الإشارة إلى مافضله عليه السلام من تفضله تعالى على المطيع ومساعدته له، وعدم استحقاقه - لولا ذلك - شيئاً من ثوابه سبحانه.

وسبيل من تعبّد لك: أي سيرته وحالته وطريقته، ومنه قوله تعالى: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» (١). وتعبّد الرجل: بالغ في العبادة واجتهد فيها.

وفي الصحاح: التعبّد: التنسك (٢)، وهو التطوع بقربة، والله أعلم. «الفاء: للعطف والترتيب الذكري. و«أما»: حرف متضمن لمعنى الشرط وفعله، ولذلك يجاب بالفاء. وفائدته تأكيد ماصدّربه، وتفصيل ما في نفس المتكلّم من الأقسام، نحو: هؤلاء فضلاء، أما زيدٌ ففقيه، وأما عمرو فمتكلّم، وأما بكرٌ

يَسْتَبْدَلُ بِحَالِهِ فِي مَعْصِيَّتِكَ حَالَ الْإِنَابَةِ إِلَى طَاعَتِكَ ، وَلَقَدْ كَانَ يَسْتَحِقُّ فِي أَوَّلِ مَا هُمْ بِعُضَيَانِكَ كُلِّ مَا أَعْدَدْتَ لِجَمِيعِ خَلْقِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ فَجَمِيعُ مَا أَخَّرْتَ عَنْهُ مِنَ الْعَذَابِ ، وَأَبْطَأَتْ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ سَطَوَاتِ النَّقِمَةِ وَالْعِقَابِ تَرَكُّ مِنْ حَقِّكَ ، وَرَضَى بِدُونِ وَاجِبِكَ ، فَمَنْ أَكْرَمُ مِنْكَ يَا إِلَهِي ، وَمَنْ أَشَقَى مِنْ هَلَكَ عَلَيْكَ لِأَمْنٍ .

فحدّث. ثمّ قد تذكّر الأقسام جميعاً كالمثال ، وقد يقتصر على واحد منها استغناء بكلام يُذكر بعدها أو قبلها في موضع القسم .

فالأوّل: كقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» (١)، فاستغنى بقوله: «والراسخون في العلم» عن ذكر قسم فأمّا الذين في قلوبهم زيغ، فكأنّه قيل: وأمّا الراسخون في العلم فيقولون آمنا به .

والثاني: كعبارة الدعاء، فإنّ ذكر حال المطيع قبل أمّا أغنى عن ذكر قسم مابعدّها، وقد يستغنى بذكر أحد القسمين عن الآخر كقوله تعالى: «فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمةٍ منه وفضلٍ» (٢)، أي وأمّا الذين كفروا بالله فلهم كذا وكذا .

وعصيان الأمر: ترك الانتقاد له .

وواقع الذنب: ارتكبه وخالطه .

وقال في المجمل: واقع الأمور موقعة ووقاعاً: داناها (٣) .

(١) سورة آل عمران: الآية ٧ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٧٥ .

(٣) لم نعر عليه في المجمل بل وجدناه في محكم اللغة: ج ٢ ص ١٩٨ ولعله من سهو النساخ .

وعاجله في النعمة: أي انتقم منه وعاقبه من غير إمهال.
واللام من قوله: «لكي» تعليلية، و«كي» مصدرية، بمنزلة أن المصدرية معنى
وعملاً لصحة حلول أن محلها، وقول الكوفيين: «إنها حرف تعليل مصدرية» يدفعه
أنها لو كانت حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل.
والاستبدال جعل الشيء مكان آخر.

قال الراغب: وهو أعم من العوض، فإن العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء
الأول، والتبديل يقال: للتغيير وإن لم تأت ببدله (١).

و«الباء» من قوله: «بحاله» للمقابلة، ومدخولها أبداً هو الذهاب الزائل دون
الآتي الحاصل كقوله تعالى: «أستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير» (٢)،
والمعنى: لكي يأخذ ويختار لنفسه بدلاً من حاله في معصيتك حال الإنابة إلى
طاعتك.

وأناب إلى الله إنابة ومناياً: رجع. وفي الحديث «لو علم الله أن عبداً ينب إلى
آخر الدهر لمد في عمره إلى ذلك الوقت».

قوله عليه السلام: «ولقد كان يستحق» جملة مستأنفة سبقت (٣) لتقرير
مضمون ما قبلها من إمهاله تعالى لعبده العاصي، وعدم معاجلته له بالانتقام. واللام
جواب لقسم محذوف أي وبالله لقد كان يستحق، وتصدير الجملة بالقسم لزيادة
تحقيق مضمونها.

وأول الشيء: ابتداءه.

قال الزجاج: معنى الأول في اللغة ابتداء الشيء، ثم يجوز أن يكون له ثان،
وجوز أن لا يكون، كما تقول: هذا أول ما كسبته، جائز أن يكون بعده كسب،

(٣) «ألف»: سبقت.

(١) المفردات: ص ٣٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦١.

وجائز أن لا يكون، ومرادك هذا ابتداء كسبي (١). إنتهى.
وعلى هذا فقوله عليه السلام «في أول ما هم» أي في ابتداء هم، جائز أن يكون بعده هم، وأن لا يكون.

وهم بالشيء همّاً - من باب قتل -: إذا أراد ولم يفعله، وما مصدرية، هي وصلتها في محل جرّ على الإضافة.

«وكل ما عدت»، أي جميع ماهياته، فـ «ما» إمّا نكرة موصوفة، أو موصولة. والجملة بعدها إمّا صفة أو صلة.

ويقع في بعض النسخ من الصحيفة الشريفة هنا كتابة كل متصلة بـ «ما» وهو غلط من النساخ، والقاعدة المقررة أن (ما) إنّما توصل بكلّ إذا لم يعمل فيها ما قبلها نحو: «كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً» (٢)، فإنّها تكون حينئذٍ ظرفاً منصوباً بما بعدها، فإن عمل فيها ما قبلها فصلت عنها نحو: «وآتاكم من كلّ ما سألتوه» (٣)، ومنه عبارة الدعاء، فـ «ما» حينئذٍ اسم مضاف إليه.

و «من» في قوله: «من عقوبتك» لبيان «ما» المضاف إليها كلّ.

و «الفاء» من قوله: «فجميع ما أخرت» سببية.

والبطؤ أصله تأخر الانبعاث في السير، ثم استعمل في مطلق التأخر، يقال: ما أبطأ بك عتاً؟ أي: ما أخرك؟ وفي نسخة «بطؤت به عليه» وهي من باب قرب لغة في أبطأ.

قال في الأساس: يقال: ما أبطأ بك عتاً؟ وما بطؤ بك؟ وما بطأ؟ (٤)

- بالثقل -.

وفي القاموس: بطأ عليه بالأمر تبطيئاً، وأبطأ به: أخره (٥). إنتهى.

(٤) أساس البلاغة: ص ٤٢.

(١) تهذيب الأسماء واللغات، القسم الثاني: ج ١ ص ١٤.

(٥) القاموس المحيط: ج ١ ص ٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

فَتَبَارَكْتَ أَنْ تُوصَفَ إِلَّا بِالْإِحْسَانِ وَكَرُمْتَ أَنْ يُخَافَ مِنْكَ إِلَّا
الْعَدْلُ، لَا يُخْشَى جَوْرُكَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يُخَافُ إِغْفَالُكَ ثَوَابَ مَنْ

وسطا عليه وبه سطواً وسطوة: قهره وأذله وهو البطش والأخذ بعنفٍ وشدة.

والنقمة: الانتقام وهو بمعنى العقوبة.

وتركت المنزل تركاً - من باب قتل - : رحلت عنه، والرجل فارقه ثم استعير
للإسقاط في المعاني، فقليل: ترك حقه، إذا أسقطه.

والرضى: خلاف السخط، يقال: رضيت بالشيء، ورضيته إذا إخترتة ولم
أكرهه.

و«دون» هنا بمعنى غير، أي بغير ما يجب لك، أو بمعنى القاصر، أو الأقل، أي
بما هو قاصر عن واجبك، أو بأقل ما هو واجب لك، فإن تأخير العذاب وعدم
المعاجلة به ضرب من دون ما يجب له سبحانه، نظراً إلى عظيم سلطانه وكبريائه
واقتماره جلّت قدرته.

وقوله: «فمن أكرم منك» «الفاء» فيه سببية، والاستفهام للتعظيم أو الإنكار
لأن يكون أحد أكرم منه.

و«لا» نافية، ومن بعدها للإنكار أيضاً، تقريراً لما قبلها، وبياناً لاستحالة
كون أحد أكرم منه، على قياس ما حررناه في قوله: «لامتى» وقس عليه قوله:
«ومن أشقى ممن هلك عليك لا من»، إلا أن حمل الاستفهام هنا أولاً على التهويل
والتخويف، وثانياً على الإنكار، أنسب بشهادة الذوق.

ووجه تعدية الهلاك بـ«على» قد تقدم بيانه في الروضة الأولى بما لا مزيد
عليه، فليرجع إليه.

«الفاء»: مبيّنة. والبركة: النماء والزيادة حسية كانت أو عقلية، وكثرة الخير
ودوامه، فقوله: «تباركت» إمّا بمعنى تزايدت وتعاليت، نظراً إلى البركة بمعنى
الزيادة، أو بمعنى كثر خيرك، نظراً إلى معنى كثرة الخير ودوامه.

أَرْضَاكَ . فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَهَبْ لِي أَمَلِي، وَزِدْنِي مِنْ هَذَاكَ مَا أَصِلُ بِهِ إِلَى التَّوْفِيقِ فِي عَمَلِي، إِنَّكَ مَتَّانٌ كَرِيمٌ.

فالأول: باعتبار كمال الذات في نفسها، والثاني: باعتبار كمال الفعل، وعبرة الدعاء تناسب المعنيين.

وصيغة التفاعل للمبالغة.

وقوله: «أن توصف» أي عن أن توصف، وحذف الجار مع أن وأن المخففة والمثقلة مطرد إذا أمن اللبس.

والاستثناء مفرغ، والتقدير: تباركت أن توصف بشيء إلا بالاحسان وجاء التفرغ مع الإيجاب لتأويله بالنفي، أي لم يجوز عليك، أو لم ترض لعلو ذاتك أو لكثرة خيرك أن توصف إلا بالاحسان.

قال الرضوي: ويجوز التفرغ في موجب مؤول بالنفي كما في قوله تعالى: «فأبى أكثر الناس إلا كفوراً» (١).

وكرمت: أي تنزهت وتقدسست. يقال: كرم زيد عن سوء يكرم - بالضم فيها - وتكرم وتكريم. أي تنزه. وهو من الكرم، بمعنى انتفاء النقائص، والاتصاف بجميع المحامد، أو من الكرم بمعنى شرف الذات، وعلو المقدار.

والمراد بالعدل المساواة في المكافاة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وبالإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه، ولذلك قيل: العدل مساواة، والإحسان زيادة. وسنة العدل الإيفاء والاستيفاء بحسب الاستحقاق، وسنة الإحسان الزيادة على الواجب في الإيفاء، والإغماض دون الواجب في الاستيفاء بحسب الاستحقاق.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

والإحسان»، العدل: الإنصاف، والإحسان: التفضل (١).

هذا ولما كان مع العدل الاستقصاء إذ ليس هو إلا توفية الحقوق واستيفاءها بقدر الاستحقاق، وكان العبد ماعليه أكثر مما له بل كان ماله بالنسبة إلى ماعليه كالجُزء الذي لا يتجزى من الشيء الذي لا يتناهى، لا جرم وجب بحكم العقل الخوف من عدله سبحانه. وأما الجور والظلم فستحيل عليه وممتنع منه، ولهذا صَحَّ أن لا يخاف منه إلا العدل.

وفي دعاء أمير المؤمنين عليه السلام «اللَّهُمَّ احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك» (٢). ومن كلامه صلوات الله عليه: «احذروا يوماً لا يخاف من الحاكم فيه إلا العدل» (٣).

قوله عليه السلام: لا يخشى جورك على من عصاك: جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأنه سئل: كيف يخشى مني إلا العدل، فقال: لأنه لا يخشى جورك على من عصاك... إلى آخره.

والجور: نقيض العدل. وأصله من جار عن الطريق إذا مال عنه، ثم جعل أصلاً في العدول عن كل حق.

وأغفلت الشيء إغفالاً: تركته إهمالاً من غير نسيان.

وإرضاءه تعالى: عبارة عن إمثال أوامره، واجتناب مناهيه.

والأمل: الرجاء. والمراد به هنا المأمول، من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول مجازاً.

والزيادة: أن يضم إلى ماعليه الشيء شيء آخر. يقال: زدته فازداد، أي اعطني من هدايتك قدراً زائداً على ما أنا عليه منها (٤)، كما قال تعالى: «والذين

(٣) لم نثر عليه.

(٤) «ألف»: منه.

(١) نهج البلاغة: ص ٥٠٩ الحكم: ٢٣١.

(٢) نهج البلاغة: ص ٣٥٠ الخطب: ٢٢٧.

اهتدوا زادهم هدى» (١). وفي نسخة «زودني» من الزاد، وهو ما يعنى للسفر من الطعام، أي اجعل لي من هداك زاداً، وهو إما استعارة تبعية أو ممكنة، ولك جعلها تمثيلية كما مر بيانه غير مرة.

والهدى: مصدر كالسرى، قالوا: واضطرب كلام سيبويه فيه فتارة يقول: هو عوض من المصدر؛ لأنّ فعلاً - بضم الفاء وفتح العين - لا يكون مصدراً، وأخرى يقول: هو مصدر هدى وقال أيضاً: قلما يكون ماضٍم أوله من المصادر إلا منقوصاً، لأنّ فعلاً لا يكاد يرى مصدراً من غير بنات الواو والياء، فدلّ على أنه مصدر كالبكى والسرى.

وفسر الهدى بالدلالة مطلقاً. وقيل: بل بشرط كونها موصلة للمطلوب، بدليل وقوعه في مقابلة الضلالة في قوله تعالى: «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى» (٢) وقوله تعالى: «ألعلى هدى أو في ضلال مبين» (٣). ولا شك أنّ عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلالة، فلم يعتبر الوصول في مفهوم الهدى لم يتقابل الجواز الجمع بينهما. وأجيب: بأنّ المذكور في مقابلة الضلالة هو الهدى اللازم بمعنى الاهتداء إما مجازاً أو اشتراكاً وفي الصحاح: هدى واهتدى بمعنى (٤). وكلامنا في المتعدي، ويقابله الإضلال. ولا استدلال به، إذ ربّما يفسر بالدلالة على ما لا يوصل لا يجعله ضالاً، أي غير واصل. وعلى كل تقدير فالمراد بالهدى في عبارة الدعاء هو الموصل إلى المطلوب، فإنّ الهدى على مراتب.

قال الراغب: هداية الله تعالى للإنسان في الدنيا على مراتب بعضها مترتب على بعض، لا تحصل المرتبة الثانية إلا بعد الأولى، ولا الثانية إلا بعد الثالثة. فالأولى: إعطاؤه العبد القوى التي بها يهتدي إلى مصالحه، إما تسخيراً وإما

(١) سورة محمد: الآية ١٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦.

(٣) سورة سبأ: الآية ٢٤.

(٤) الصحاح: ج ٦ ص ٢٥٣٣.

طوعاً، كالحواس الخمس، والقوة المفكرة، وعلى ذلك قوله تعالى: «أعطي كل شيءٍ خلقه ثم هدى» (١) «والذي قدر فهدى» (٢).

الثانية: الهداية بالدعاء، وبعثة الأنبياء وإياها عني بقوله سبحانه: «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا» (٣).

الثالثة: هداية يوليها من إهتدى من صالحى عباده ويمدّهم بها أنا فأنا، وحالاً فحالاً بحسب اكتسابهم للخيرات واستزادتهم من العلم والعمل الصالح، وإياها عني بقوله «والذين اهتدوا زادهم هدى» (٤) «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا» (٥). ويتحرّى هذه المراتب الثلاثة يتوصل إلى الهداية إلى الجنة المذكورة في قوله تعالى «وقالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» (٦) إنتهى.

ولا شك أن المرتبة الثالثة هي المقصودة في الدعاء بدليل طلب الزيادة بقوله: «وزدني من هداك».

والتوفيق: جعل الله فعل عبده وعمله موافقاً لما يحبّه ويرضاه.

والمثان: المعطي للمنة كثيراً، وهي النعمة الثقيلة. وقيل: الكثير المنّ، وهو الإحسان من غير طلب جزاء ولا مثوبة. ومنه قوله تعالى: «فلِمَا مَنَّا بعد وإمّا فداء» (٧). فالمنّ إشارة إلى الإطلاق بلا عوض.

والكريم والجواد: المفضل، والكريم يستعمل على وجوه:

أحدها: إثارة الصفح عن الجاني، والإحسان إلى المسيء، والسبق بالإنعام.

الثاني: انتفاء النقائص، والاتصاف بجميع المحامد.

(١) سورة طه: الآية ٥٠.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٢) سورة الأعلى: الآية ٣.

(٦) المفردات: ص ٥٣٨ نقلاً بالمضمون.

(٣) سورة السجدة: الآية ٢٤.

(٧) سورة محمد: الآية ٤.

(٤) سورة محمد: الآية ١٧.

الثالث: الجاه والسؤدد اللذان يكونان عن بذل المعروف، والتحلي بالمحمود من أخلاق وصفات.

الرابع: طيب الذات، وشرف النفس، وعلو القدر نسباً (١) وحسباً. وعلى أي وجه من هذه الوجوه فسر الكريم في وصفه تعالى جاز. والجملة تعليل للدعاء، ومزيد استدعاء للإجابة، وتصديرها بحرف التأكيد لغرض كمال قوة يقينه بمضمونها. والله أعلم.

هذا آخر الروضة السابعة والثلاثين من رياض السالكين وفق الله لإتمامها، واجتلاء بدر تمامها ضحى يوم الأربعاء لسبع عشرة خلون من ذي القعدة الحرام، أحد شهر أربع ومائة وألف على يد مؤلفها كان الله له آمين.

مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الروضة الثامنة والثلاثون
مركز تحقيقات كميّة في علوم إسلاميّة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ عَالِي عِلْمِهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعَاءِ مِنْ شِعَابِ الْعِبَادِ مِنَ الْمُقْصِرِ
فِي الْخُصُوصِ وَفِي مَكَانِ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَزُّ بِكَ مِنَ مَطْلُومٍ ظَلَمَ بِخَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ وَمِنْ
مَعْرُوفٍ أَسَدَى إِلَيَّ فَلَمْ أَشْكُرْهُ وَمِنْ مُسِيءٍ اِغْتَدَرَا لِي فَلَمْ
أَخْذِرْهُ وَمِنْ ذِي فَاقَةٍ سَأَلَنِي فَلَمْ أُوِثِرْهُ وَمِنْ حَقْدِي لَزِمَنِي لَمْ يَنْفِرْ
فَلَمْ أَوْقِرْهُ وَمِنْ غَيْبٍ مَثَرَنِي فَلَمْ أَسْتُرْهُ وَمِنْ كُلِّ أَيْمٍ عَرَضَ لِي فَلَمْ
أَهْجُرْهُ أَعْتَزُّ بِكَ يَا إِلَهِي مِنْهُمْ وَمِنْ تَطَاوُرِهِمْ اِغْتَدَرُوا نَدَامَةً يَكُونُ
وَاعِظَالِهَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ أَشْبَاهِهِمْ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ
نَدَامَتِي عَلَى مَا وَقَعَتْ فِيهِ مِنَ الزَّلَالِ وَعِزِّي عَلَى
تَرْكِ مَا بَعَرَضَ لِي مِنَ السَّيِّئَاتِ تَوْبَةً
تُوجِبُ لِي مَحَبَّتَكَ يَا مُحِبَّ

التَّوَّابِينَ



بسم الله الرحمن الرحيم
وآياه نستعين

الحمد لله قابل عذر من اعتذر إليه، وغافر تبعات من اعتمد عليه، والصلاة
والسلام على أكرم خلقه لديه، وعلى أهل بيته الذين شرفهم بالمسؤول بين يديه.
وبعد: فهذه الروضة الثامنة والثلاثون من رياض السالكين في شرح صحيفة
سيد العابدين، صلى الله عليه وعلى آبائه وأنباؤه الاثمة الهادين، إملاء راجي فضل
ربه السنّي عليّ صدرالدين الحسيني الحسني، وفقه الله لجميل التوبة والاعتذار،
ومن عليه بفكالك رقبتك من النار،

شرح الدعاء الثامن والثلاثين

وكان من دعائه عليه السّلام: «في الاعتذار من تبعات العباد، ومن التقصير في حقوقهم، وفي فكّك رقبتك من النار».

الاعتذار: مصدر اعتذرت إليه إذا أتيت بعذر.

قال الراغب: العذر هو تحري الإنسان ما يحويه ذنوبه. وذلك ثلاثة أضرب، أن يقول: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، فيذكر ما يخرج عنه كونه مذنباً، أو يقول: فعلت ولا أعود، ونحو ذلك. وهذا الثالث هو التوبة. فكلّ توبة عذر، وليس كلّ عذر توبة (١) إنتهى.

والمراد بالاعتذار هنا هو الضرب الثالث أعني التوبة، ومنه قوله تعالى: «هذا يوم لا ينطقون» ولا يؤذن لهم فيعتذرون» (٢) أي لا يؤذن لهم في الاعتذار فهم لا يعتذرون. أراد أنّه لا يكون لهم إذن في التوبة. واعتذار أي توبة متعقبة للإذن من غير أن يجعل الاعتذار متسبباً عن الإذن كما لو نصب. وإنما لا يؤذن لهم لأنّه ليس وقت توبة فإنّ التوبة محلّها الدنيا.

وظنّ بعضهم إنّ الاعتذار لا يكون إلا بمعنى الضرب الثاني أي فعلت لأجل

كذا فجعل المعلل به النسيان والجهل وإن لم يصرح به في الدعاء. وهو خطأ، فإن قوله عليه السلام: في أثناء الدعاء أعذر إليك يا إلهي منهم ومن نظائرهنّ اعتذار ندامة صريح في معنى التوبة.

والتبعات: جمع تبعة على وزن كلمة ما يطلبه الإنسان من ظلامة وغيرها.

وفي الأساس: لي قبل فلان تبعة وتباعة وهي الظلامة (١).

والعباد: جمع عبد وهو يطلق على وجهين.

أحدهما: المملوك بحكم الشرع وهو الإنسان الذي يصح بيعه وابتياعه.

والثاني: المملوك بالإيجاد. وليس ذلك إلا لله تعالى، وهو بهذا المعنى يطلق على

الإنسان حرّاً كان أو رقاً، والناس كلّهم عباد الله.

وهذا المعنى هو المراد هنا. ومتى أطلق لفظ العباد فالمراد بهم جميع الناس،

ولذلك جعل بعضهم «عباد» لله، والعبيد والأعبد وغيرهما من المجموع لله وللمخلوقين.

وقصر في الأمر تقصيراً: توفى فيه ولم يهتم به ولا احتفل له.

وفكّك رقبتك: أي خلاصتها. من فكّ الرهن أي خلّصه والأسير أطلقه، وكلّ

شيء أطلقته فقد فكّكته. والاسم الفكّك بالفتح كالخلاص، والكسر لغة حكاها

ابن السكيت وأنكرها الأصمعي (٢).

وقوله تعالى: «فكّ رقبتك» (٣) قيل: المراد بها إعتاق نسمة.

وقيل: بل هو فكّ الإنسان رقبتك من عذاب الله بالتوبة والعمل الصالح.

والرقبة: اسم للعضو المخصوص، ثم يعبر بها عن الجملة وقد مرّ بيان ذلك والله

أعلم.

(٣) سورة البلد: الآية ١٣.

(١) أساس البلاغة: ص ٥٩.

(٢) المصباح المنير: ص ٦٥٦.

قال صلوات الله وسلامه عليه:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظَلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ، وَمِنْ مَعْرُوفٍ أَسَدَيْتُ إِلَيْهِ فَلَمْ أَشْكُرْهُ، وَمِنْ مُسِيئَةٍ اعْتَدَرْتُ إِلَيْهِ فَلَمْ أَعِذِرْهُ، وَمِنْ ذَنْبٍ فَاقَةٍ سَأَلْتَنِي فَلَمْ أُؤْتِرْهُ، وَمِنْ حَقٍّ ذِيَّ حَقٍّ لَزِمَنِي لِمُؤْمِنٍ فَلَمْ أُؤْفِرْهُ، وَمِنْ غَيْبٍ مُؤْمِنٍ ظَهَرَ لِي فَلَمْ أُسْتِرْهُ، وَمِنْ كُلِّ إِثْمٍ عَرَضَ لِي فَلَمْ أَهْجُرْهُ.

الكلام في هذه الفقرات كلها على حذف مضاف، وفي كل فقره قرينة دالة عليه معيّنة له كما سنبيته.

فقوله عليه السلام: «أعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره» أي: أتوب إليك من خذلان مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره، أي خذلاني له بدليل قوله: «فلم أنصره». لأنّ عدم النصر هو الخذلان. وهذا التقدير متحتم إذ لا معنى للاعتذار من ذات المظلوم ولا من حيث اتصافه بالمظلومية هنا. أمّا الأول فظاهر، وأمّا الثاني فلأنّه لم يظلمه بل ظلمه غيره، ولا وجه للاعتذار من ظلم الغير. وبعين ذلك ما تقرّر من أنّ الكلام إذا وقع فيه تقييد بوجه ما كان هو الغرض والمقصود من الكلام. ولا شك أنّ قوله: «فلم أنصره» تقييد للمظلوم. فكان هو الغرض الذي قصد الاعتذار منه.

فان قلت: هلا حملت «من» على معنى التعليل ليكون المعنى أعتذر إليك من أجل مظلوم، ولا حاجة حينئذٍ إلى تقدير المضاف؟ قلت: يعيّن كونها ابتدائية أمران:

أحدهما: إنّ «من» المتعلّقة بالاعتذار في جميع الموارد لا تكون إلّا ابتدائية، لأنّ الاعتذار ناشئ من مدخولها. ويؤكدّه هنا أنّ المراد بالاعتذار التوبة. و«من» في قولك: «ثبت إلى الله من كذا» ابتدائية قطعاً لا تعليلية.

الثاني: مقابلتها بـ «إلى» قال الرضوي: وتعرف «من» الابتدائية بأن تحسن في

مقابلتها إلى (١) نحو تبرأت من فلان إلى فلان، على أنه قال: «من» التعليلية نحو «لم آتكَ من سوء أدبك» كأنها ابتدائية لأن ترك الإتيان حصل من سوء الأدب (٢)، إنتهى.

وتعدية الاعتذار بـ «إلى» لأنه بمعنى التوبة.

والحاضرة: الحضور. يقال: كلمته بحضرة فلان أي بحضوره ومشهده. وقد يراد بها فناء الشيء وقرينه.

و«الفاء» من قوله: «فلم أنصره» ونظائره لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها، واقعا عقيبها.

وإنما اعتذر عليه السلام من عدم نصرته للمظلوم بحضرة لأن نصرة المؤمن حق واجب على المؤمن يؤخذ بتركه كما تظاهرت به النصوص عنهم عليهم السلام. فمن صاحب الدّعاء عليه السلام: وأما حق أخيك فإن تعلم إنه يدك وعزتك وقوتك، فلا تتخذ سلاحاً على معصية الله، ولا عدة للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له (٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: حق المؤمن على المؤمن المودة له في صدره، والمواساة له في ماله، والخلف له في أهله، والنصرة له على من ظلمه (٤).

وعنه عليه السلام: ما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلا نصره الله في الآخرة. وما من مؤمن يخذل أخاه وهو قادر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة (٥).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

قوله عليه السلام «ومن معروف أسدي اليّ فلم أشكره». أي من كفران

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٧١ ح ٧.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٦٠٧ ح ٤.

(١) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٢١.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٢٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١٣٥.

معروف بقربة قوله: «فلم أشكره» لأنّ عدم شكر المعروف هو كفرانه.

والمعروف: الخير والإحسان.

وفي مجمل اللغة: المعروف: الجود (١).

وقيل: هو ما تبذله وتعطيه.

وأسديت إليه معروفاً: إتخذته عنده.

وفي النهاية لابن الأثير: فيه «مَن أسدى إليكم معروفاً فكافئوه» أسدى وأولى

وأعطى بمعنى، يقال أسديت إليه معروفاً أسدى إسداء (٢) إنتهى.

وفي نسخة «من معروف أزل الي» وهو بمعنى أسدى.

قال في القاموس: أزلّ إليه نعمة: أسداها. والزلة: الصنعة وتضم (٣).

وفي المصباح: الزلة: العطية. يقال: أزلت إليه إزلاً إذا أعطيته أو أسديت

إليه صنيعاً. وفي الحديث (مَن أزلت إليه نعمة فليشكرها) أي: من صنعت عنده

نعمة (٤).

وقال الزمخشري في الفائق: الزليل: نوع من انتقال الجسم من مكان إلى

مكان. فاستعير لانتقال النعمة من المنعم إلى المنعم عليه، فقل: زلت منه إلى فلان

نعمة، وأزلها إليه (٥) إنتهى.

ووقع لبعض أعظم السادة هنا زلة أحببنا التنبيه عليها فإنه قال في تعليقه:

يقال فلان أزلّ إليّ نعمة أو معروفاً أي أسداها. وأزلّ إليّ شيئاً من حقّي أي

أعطاني، إياه. ومنه الزلة بالفتح: وهي ما يؤخذ من مائدة ويحمل إلى صديق قال

(١) لم نثر عليه في مجمل اللغة بل وجدناه في لسان العرب: ج ٩ ص ٢٣٩.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٣٥٦.

(٣) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٨٩.

(٤) المصباح المنير: ص ٣٤٧.

(٥) الفائق في غريب الحديث: ج ٢ ص ١١٩.

صاحب القاموس: عراقية أو عامية والحق: إنها حجازية وعربية صراح، إذ أصل ذلك من الزليل، ثم نقل عن ابن الأثير ما نقلناه عن الرخشي في الفائق من معنى الزليل. ومنه أخذ ابن الأثير (١).

وهذا الكلام من السيد المشار إليه خطأ محض من وجهين. أحدهما: دعواه إنها حجازية وذلك إنما يثبت بأحد أمرين، إما سماعه من أهل الحجاز استعمال هذا اللفظ لهذا المعنى استعمالاً فاشياً.

وإما استناده إلى نصٍّ عمن هو أضبط لما يحكيه، وأوثق لما يرويه من صاحب القاموس وكلُّ من الأمرين دونه خرق القناد، على أنَّ صاحب القاموس لم يتفرد بالقول بأنها عراقية (٢) بل سبقه إلى ذلك الليث كما حكاه الفيومي في المصباح: ونصّه قال الليث: الزلة: عراقية اسم لما يحمل من المائدة لقريب أو صديق (٣) إنتهى.

فإذا ثبت عن هذين الإمامين أنَّ هذه اللفظة لم تسمع لهذا المعنى إلا من أهل العراق.

كيف يجوز لأحد أن يردّ عليها ويدّعي إنها حجازية من غير استناد إلى نصٍّ قاطع أو استعمال شائع؟

ألا ترى إلى الإمام أبي عليٍّ المرزوقي، وهو التحرير الذي لا يدفع فضله حيث أراد أن يردّ على الأصمعيّ دعواه في لفظة أنّها مولدة لم يعتمد في الردّ إلا على النصّ ممن هو أرسخ قدماً وأوسع علماً في العربية منه. وذلك قوله في شرح الفصيح: قال الأصمعيّ: إنَّ قولهم كلبة صارف بمعنى مشتية للنكاح ليس من كلام العرب وإنما ولده أهل الأمصار. وليس كما قال فقد حكى هذه اللفظة أبو زيد وابن الأعرابي والناس (٤)، إنتهى.

(١) شرح الصحيفة الكاملة السجادية للسيد الداماد: ص ٣١٣. (٢) المصباح المنير: ص ٣٤٧.

(٣) حكاة الأزهرى في تهذيب اللغة: ج ٢ ص ١٦٣. (٤) القاموس: ج ٣ ص ٣٨٩.

الثاني: إنَّ قوله «وعربية صراح» إذ أصل ذلك من الزليل إثبات اللغة بالقياس. والذي استقرَّ عليه آراء المحققين من العلماء أنَّ اللغة لا تثبت قياساً ولا يجري القياس فيها.

قال إمام الحرمين في البرهان: الذي نرتضيه أنَّ إثبات اللغات قياساً باطل، لعلمنا أنَّ العرب لا تلتزم طرد الاشتقاق. وأقرب مثال أنَّ الخمر إنَّما هي من المخمرة أو التخمير فلوساغ الاستمسك بالاشتقاق لكان كلُّها يخمر العقل أو يخامره خماً وليس الأمر كذلك (١).

وقال الغزالي: إطباقهم على أنَّ البنج لا يسمَّى خمراً مع كونه مخمراً بنفي القياس. فإنَّ سمَّوه فليسموا الدار قارورة لمشاركها القارورة في هذا المعنى (٢)، إنتهى.

فبطل استناده في دعوى كونها عربية إلى صحة اشتقاقها من الزليل. على أنَّ أئمة اللغة نصَّوا على كلمات كثيرة أنَّها مولدة ليست بعربية، مع نصهم على أنَّ القياس لا يدفعها ولا يابى عربيتها.

فمن ذلك قول الموفق البغدادي في ذيل الفصيح: الفطرة - بالضم - لغة مولدة، وكلام العرب صدقة الفطرة - بالكسر - مع أنَّ القياس لا يدفعه كالغرفة والقبضة (٣) - بالضم - فيهما لمقدار ما يؤخذ من الشيء.

ومنه قول النووي في تجريد التنبيه: التفرج لفظة مولدة لعلها من انفراج الضم وهو انكشافه (٤).

وقول الثعالبي في فقه اللغة: يقال للرجل الذي إذا لايقي ولا يذرقحطي وهو من كلام الحاضرة دون البادية (٥).

(٤) لا يوجد لدينا كتابه.

(٥) فقه اللغة: ص ١٤١.

(١) لا يوجد لدينا كتابه.

(٢) لا يوجد لدينا كتابه.

(٣) «ألف»: النغمة.

قال الأزهري: أظنه ينسب إلى القحط كأنه نجا من القحط (١).

وقال الزبيدي في الاستدراك على كتاب العين: - الأطباء يسمون التغير الذي يحصل للعليل دفعة في الأمراض الحادة بحرانا يقولون هذا يوم بحران بالإضافة ويوم باحوري على غير قياس. فكأنه منسوب إلى باحور و باحوراء وهو شدة الحر في تموز وجميع ذلك مولد (٢). انتهى.

فترى هؤلاء الائمة لم يحكموا على الألفاظ المذكورة بكونها عربية مع صحة إمكان كونها مأخوذة من أصل عربي صحيح، لأن مفردات اللغة لا تثبت إلا بالنقل لا بصحة الاشتقاق. فكيف جاز لسيدينا المشار إليه دعوى كون الزلة بالمعنى المذكور حجازية عربية صراحاً؟ إذ أصلها من الزليل لولا عدم الوقوف على الطريق إلى معرفة اللغة العربية فالثمة يرحمه ويتجاوز عنه، ولقد خرجنا بهذا الكلام عما بصدد، وليس الغرض من ذلك تتبع عثرة، أو إشاعة زلة. ولكنتي رأيت بعض من اشتهر بالفضل تبعه على ذلك، فأحببت التنبيه على خطأه، لئلا يغتر غيره بكلامه، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

هذا ولما كان شكر المعروف واجباً - سواء كان المسدي له خالقاً أو مخلوقاً - اعتذر عليه السلام من معروف أسدي إليه فلم يشكره. ومن الأحاديث المشهورة عن النبي صلى الله عليه وآله: أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك (٣). وعنه عليه السلام: من أزل إليه معروف فليشكره (٤).

(١) تهذيب اللغة: ج ٤ ص ٢٩.

(٢) تاج العروس: ج ٣ ص ٣٠.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ١٤٠.

(٤) لم نعر عليه بألفاظه، بل وجدنا ما يقرب منه في المصباح المنير: ص ٣٤٧ وإليك نصه: «من أزلت إليه نعمة فليشكرها».

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن عمار الذهبي قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: إن الله يحب كل قلب حزين، ويحب كل عبد شكور يقول الله تبارك وتعالى لعبده من عباده يوم القيامة أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يارب فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره، ثم قال: أشكركم الله أشكركم للناس (١).

وعنه عليه السلام في حديث الحقوق: وأما حق ذي المعروف عليك فان تشكره، وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله تعالى. فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية ثم إن قدرت على مكافاته يوماً كافيته (٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أتى إليه معروف فليكاف به، فإن عجز فليثن عليه، فإن لم يفعل، فقد كفر النعمة (٣).

وعنه عليه السلام: لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل: وما قاطعو سبيل (٤) المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف، فيكفره، فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره (٥).

وعنه عليه السلام: ما أقل من شكر المعروف (٦).
والروايات في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، وما أحسن قول بعضهم في شكر المعروف وكفره:

لعمرك ما المعروف في غير أهله
فستودع قد ضاع ما كان عنده
و في أهله إلا كبعض الودائع
ومستودع ما عنده غير ضائع

(٤) «ألف»: سبل.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٩٩ ح ٣٠.

(٥) «ألف»: سبل ص ٣٣ ح ١. وفيه: «سبل المعروف».

(٢) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١٣٦.

(٦) «ألف»: سبل ص ٣٣ ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٣٣ ح ٣. وفيه.

وما الناس في شكر الصنائع عندهم وفي كفرها إلا كبعض المزارع
فزرعة طابت فأسرع زرعها ومزرعة أكدت على كل زارع

قوله عليه السلام: «ومن مسيء اعتذر إلي فلم أعذره» أي: من لوم مسيء
اعتذر إلي فلم أعذره، أي لم أقبل عذره ولم أرفع عنه اللوم.

يقال: عذرتَه عذراً - من باب ضرب - أي: رفعت عنه اللوم. فهو معذور أي غير
مسلوم. والاسم العذر - بالضم - وتضم الذال الإتياع وتسكن.

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لأُمير المؤمنين عليه السلام: يا علي، من لم
يقبل العذر من متصل - صادقاً كان أو كاذباً - لم تنله شفاعتي (١).

وفي رواية: من اعتذر إلي أخوه بمعذرة، فلم يقبلها، كان عليه من الخطيئة مثل
صاحب مكس (٢). وهو ما يأخذه أعوان السلطان ظالماً عند البيع والشراء.

وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه: أقبل
من متصل عذره، فتنا لك الشفاعة (٣).

وفي النهاية لابن الأثير: وفي الحديث «من تنصّل إليه أخوه، فلم يقبل» أي أن انتفى
من ذنبه واعتذر إليه (٤).

وقال الزمخشري في الفائق والأساس: نصل علينا فلان: إذا خرج عليك من
طريق أو ظهر من حجاب. ومنه تنصّل من ذنبه (٥).

وعن النبي صلى الله عليه وآله: من لم يقبل من متصل - صادقاً أو كاذباً - لم
يرد علي الخوض (٦)، إنتهى.

قوله عليه السلام: «ومن ذي فاقة سألني فلم أوثره» أي ومن منع ذي فاقة

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٦٧.

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٥٣.

(٥) الفائق في غريب الحديث: ج ٣ ص ٤٣٦.

(٢) كنز العمال: ج ٣ ص ٣٧٨.

(٦) أساس البلاغة: ص ٦٣٦.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٩١.

سألني فلم أؤثره.

والفاقة: الحاجة. يقال: افتاق افتياقاً إذا احتاج، وهو ذوفاقة.

وآثرت السائل إشاراً: أعطيته ما سأل وقدمته على نفسي ومنه قوله تعالى: «يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» (١) أي يقدمون من هاجر إليهم على أنفسهم في كل شيء من أسباب المعاش.

روى ثقة الإسلام بسنده إلى أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قلت: أخبرني عن حق المؤمن على المؤمن. فقال: يا أبان. دعه لا ترده، قلت: بلى جعلت فداك. فلم أزل أردد عليه، فقال: يا أبان، تقاسمه شطر مالك ثم نظر إليّ فرأى مادخلني فقال: يا أبان، أما تعلم أن الله عز وجل قد ذكر المؤمنين على أنفسهم؟ قلت: بلى جعلت فداك فقال: إذا قاسمته فلم تؤثره بعد أنما أنت وهو سواء إنما تؤثره إذا أعطيته من النصف الآخر (٢).

وبسنده عن علي بن سويد السائي، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له أوصني، فقال: أمرك بتقوى الله، ثم سكنت، فشكوت إليه قلة ذات يدي وقلت: والله لقد عريت حتى بلغ من عريتي أن أبا فلان نزع ثوبين كانا عليه وكسانيهما فقال: صُم وتصدق. قلت: أتصدق ممّا وصلني به أخواني. قال تصدّق بما رزقك الله ولو آثرت على نفسك (٣).

قوله عليه السلام: «ومن حق ذي حق لزمني فلم أؤثره» أي: ومن إهمال حق ذي حق، أو منع حق ذي حق لزمني فلم أؤثره عليه أي لم أوفه إياه. يقال: وفرت على فلان حقه توفيراً: أي وفيته إياه.

قال الفيومي في المصباح: وفرت عليه حقه توفيراً؛ أعطيته الجميع فاستوفره،

(٣) الكافي: ج ٤ ص ١٨ ح ٢.

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٢ ح ٨.

أي استوفاه (١).

وفي المغرب: وفرت على فلان حقه فاستوفره: أي وفيته إياه فاستوفاه (٢).
ووقع لصاحب القاموس: في هذه الكلمة وهم عجيب، وغلط غريب، فإنه رأى الجوهري قال: ووفر عليه حقه توفيراً واستوفره: أي استوفاه (٣)، فتوهم أن قوله: أي استوفاه تفسير لوفر واستوفر معاً.
فقال في القاموس: استوفر عليه حقه استوفاه كوفره (٤).

وهو غلط بلا شك أوقعه فيه سوء فهمه لعبارة الجوهري. ولم يقصد الجوهري بقوله: «أي استوفاه» إلا تفسير استوفره فقط. وتبع في ذلك خاله أبا إبراهيم الفارابي في ديوان الأدب، فإنه قال في باب التفعيل من كتاب المثال. وفر عليه حقه (٥) ولم يفسره، ثم قال في باب الاستفعال: واستوفر أي استوفى (٦)، فجمع الجوهري بين العبارتين. وهو كثيراً ما ينقل عنه عبارته بنصها كما يظهر لمن تتبع الكتابين.

واعلم أن النسخ من الصحيفة الشريفة اختلفت في هذه الفقرة من الدعاء فوقع في بعضها «ومن حق لزمني فلم أوفره» بدون إضافته إلى ذي حق، وفي بعضها ومن حق ذي حق لزمني فلم أوفره بإضافة حق إلى ذي حق، وفي بعضها: ومن حق ذي حق لزمني لمؤمن بزيادة لمؤمن.

فقال بعضهم: لما كان الحق يطلق على الأمر الثابت المتحقق في نفس الأمر، وعلى ما يستحقه ذو حق، أي يستوجبه شرعاً أو عقلاً كان قوله: «ذي حق» احترازاً عن المعنى الأول. لأن المعنى الثاني هو المراد. فقوله: حق ذي حق بمنزلة حق من

(١) المصباح المنير: ص ٩١٩.

(٢) المغرب: ج ٢ ص ٢٥٦.

(٣) الصحاح: ج ٢ ص ٨٤٧.

(٤) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٥٥.

(٥) ديوان الأدب للفارابي: ج ٣ ص ٢٧٣.

(٦) ديوان الأدب للفارابي: ج ٣ ص ٢٨٢.

حقوق الناس إنتهى.

والحق أن إضافة حق إلى ذي حق ليس للاحتراز عن الحق بمعنى الثابت المتحقق في نفس الأمر لأن قوله: لزمني فلم أوفره معين أن المراد المستحق للغير فلا احتمال لمعنى آخر، وإنما الإضافة على النسخة التي وقعت فيها لقصد تعظيم شأن المضاف ببيان أن له صاحباً مطالباً له، فإن تعظيم الذنب حال الاعتراف والاعتذار أدعى لقبول التوبة. ويؤكد هذا المعنى الوصف بذى دون صاحب، لاقتضائها تعظيم الموصوف بها وما أضيفت إليه، بخلاف صاحب. وتضمن الإضافة تعظيم المضاف أو المضاف إليه أو غيرهما أو غير ذلك من النكت المنصوص عليها في علم المعاني لا يختص بالإضافة إلى المعرفة، كما أنه عليه العلامة نجم الدين الكرمانى في شرح التبيان.

أما النسخة الثالثة التي وقعت فيها زيادة لمؤمن فقيل «لمؤمن» متعلق بمحذوف، وهو حال من حق المضاف لذي حق، أي من حق ذي حق لزمني حال كونه «لمؤمن». ولا يجوز أن يكون بدلاً من ذي حق لمكان اللام إنتهى.

وهذا غلط صريح: فإن الحال يجب أن يكون عين صاحبها، لأنها خبر في المعنى. فكما يجب أن يكون الخبر عين المبتدأ، فكذلك الحال، ألا ترى أن الراكب من «جاء زيد راكباً» هو زيد بعينه، كما أن الراكب من زيد راكب كذلك. وليس الكائن لمؤمن هو حق ذي حق كائناً من كان بعينه فكيف يصح جعله حالاً منه.

والصواب: أن قوله: لمؤمن ظرف لغو متعلق بلزمني، والجملة مفسرة، لحق ذي حق، ولا محل لها من الإعراب، كما هو رأي الجمهور، خلافاً للشلوبين. ونظير ذلك قوله تعالى: «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» (١). فقوله: «خلقه من تراب» وما بعده تفسير لمثل آدم باعتبار الخروج عن

مستمّر العادة، وهو التولّد بين الأبوين، لا باعتبار ما يعطيه ظاهر اللفظ من كونه قدّر جسداً من طين ثمّ كَوْن (١).

فان قلت: ما فائدة تقييد الحقّ بكونه لمؤمن؟ فإنّ توفير الحقّ على صاحبه واجب - سواء كان مؤمناً أو كافراً -.

كما ورد عن أبي عبد الله عليه السّلام: أدّوا الأمانات إلى أهلها ولو كانوا مجوساً (٢).

إلى غير ذلك من النصوص الصريحة في هذا المعنى. قلت: ليس المراد بالحقّ - إذا قيّد بالمؤمن - إلّا أحد الحقوق التي توجبها أخوة الإيمان.

وهو الذي أشار إليه أبو عبد الله عليه السّلام: بقوله: ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حقّ المؤمن (٣).

وقد عقد له في الكافي باباً وترجمه بباب حقّ المؤمن على أخيه وأداء حقّه (٤). فمّا رواه في هذا الباب بإسناده عن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قلْتُ له: ما حقّ المسلم على المسلم؟ قال: له سبع حقوق واجبات، مامن حقّ إلّا وهو عليه واجب، إن ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب. قلت له: جعلت فداك، وما هي؟ قال: يا معلى إني عليك شفيق، أخاف أن تضيّع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل قال قلت: لا قوّة إلّا بالله، قال: أيسر حقّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك. والحقّ الثاني؛ أن تجتنب سخطه، وتتبع مرضاته، وتطيع أمره. والحقّ الثالث؛ أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك. والحقّ الرابع؛ أن تكون عينه ودليله

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٧٠ ج ٤.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٦٩.

(١) مغني اللبيب: ص ٥٢٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٣ ص ٢٢٣.

ومراته. والحق الخامس، أن لا تشيع ويجمع، ولا تروى ويظلم، ولا تلبس ويعرى. والحق السادس، أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم. فواجب عليك أن تبعث خادماً فيغسل ثيابه، ويصنع طعامه، ويمهد فراشه. والحق السابع؛ أن تبرّ قسمه، وتجيّب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه إلى أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك (١).

وعن أبي جعفر عليه السلام: من حقّ المؤمن على أخيه أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويفرّج عنه كربته، ويقضي دينه، وإذا مات خلفه في أهله وولده (٢).

وعن معلى بن خنيس قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حق المؤمن، فقال: سبعون حقاً، لا أخبرك إلا بسبعة فإنني عليك مشفق، أخشى أن لا تحتمل. فقلت: بلى إن شاء الله تعالى، فقال: لا تشيع ويجمع، ولا تكتسي ويعرى، وتكون دليله وقيصه الذي يلبسه، ولسانه الذي يتكلم به، وتحبّ له ما تحبّ لنفسك، وإن كانت لك جارية بعثتها لتمهد فراشه، وتسعى في حوائجه بالليل والنهار. فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايتنا، وولايتنا بولاية الله (٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: ما أعظم حقّ المسلم على أخيه المسلم (٤).
وعنه عليه السلام: من حقّ المؤمن على المؤمن: المودة له في صدره، والمواساة له في ماله، والخلف له، في أهله، والنصرة على من ظلمه، وإن كان نافلة، في المسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه، وإذا مات الزيارة إلى قبره، وأن لا يظلمه، وأن لا يغشه، وأن لا يخونه، وأن لا يخذله، وأن لا يكذبه، وأن لا يقول له أف، وإن قال له أف

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٦٩ ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٧٤ ح ١٤.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٦٩ ح ١.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٥٤٥ ح ٨.

فليس بينها ولاية، وإذا قال له: أنت عدوي فقد كفر أحدهما، وإذا: اتهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء (١).

وروى الشيخ زين الملة والدين - قدس الله سره - في رسالة الغيبة، بسند له متصل عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: للمؤمن على أخيه ثلاثون حقاً، لبراءة له منها إلا باداء أو بالعفو يغفر زلته، ويرحم غربته، ويستر عورته، ويقلل عثرته، ويقبل معذرتة، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذقته، ويعود مرضته، ويشهد ميتة، ويحيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافي صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويسمى عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبسر أنعامه، ويصدق أقسامه، ويواليه، ولا يعاديه، وينصره ظالماً ومظلوماً، فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه. وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه. ثم قال علي عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه (٢).

والروايات عنهم عليهم السلام في هذا المعنى كثيرة، وفي هذا المقدار كفاية إن شاء الله تعالى. والله المستعان.

قوله عليه السلام: «ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره» أي ومن إظهار عيب مؤمن.

قال الراغب: العيب والعاب: الأمر الذي يصير به الشيء عيباً أي مقراً

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٧١ ح ٧.

(٢) كشف الرية في أحكام الغيبة: ص ١١٥.

للنقص (١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام حدثني أبي، عن آبائه عن عليّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أدنى الكفر أن يسمع الرجل عن أخيه الكلمة، فيحفظها عليه يريد أن يفضحه بها، أولئك لا خلاق لهم (٢).

وعنه عليه السلام: حدثني أبي، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: من قال في مؤمن ما رأت عيناه وسمعت أذناه ممّا يشينه، ويهدم مرقته فهو من الذين قال الله عزّ وجلّ إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليم في الدنيا والآخرة (٣).

قوله عليه السلام: «ومن كلّ إثمٍ عرض لي فلم أهجره» أي: ومن ارتكاب كلّ إثم.

وعرض له الأمر عرضاً: أمكنه أن يفعله كأنه أبدى له عرضه وهجرت الشيء هجراً: تركته ورفضته.

وقال الراغب: الهجر: مفارقة الإنسان غيره إمّا بالبدن أو باللسان أو بالقلب (٤).

وقوله تعالى: «والرّجز فاهجر» (٥) حتّى على المفارقة بالوجوه كلّها. ويوجد في بعض النسخ: «ومن شيخ مؤمن عاشرته فلم أوّقره» أي ومن إحتقار شيخ مؤمن. والشيخ: يقال لمن طعن في السن.

وفي القاموس: الشيخ والشيخون: من استبانّت فيه السنّ أو من خمسين أو من إحدى وخمسين إلى آخر عمره أو إلى الثمانين (٦).

(١) المفردات: ص ٣٥١.

(٤) المفردات: ص ٥٣٦.

(٢) كشف الرية عن احكام الغيبة: ص ١٣٠.

(٥) المدثر: الآية ٥.

(٣) كشف الرية عن احكام الغيبة: ص ١٣٠.

(٦) القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٦٣.

أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ يَا إلهي مِنْهُنَّ، وَمِنْ نَظَائِرِهِنَّ اعْتِذَارَ نَدَامَةٍ، يَكُونُ
وَاعِظًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ أَشْبَاهِهِنَّ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ

وقال الراغب: وقد يعبر به فيما بيننا عَمَّنْ يكثر علمه، لما كان من شأن الشيخ
أن يكثر تجاربه ومعارفه، يقال شيخ بين الشيخوخة والتشيخ (١).
وعاشرته معاشرة: خالطته.

ووقرته توقيراً: عظّمته. وهو من الوقار بمعنى العظمة والتسكون والحلم.
وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: إن من إجلال الله تعالى إجلال
الشيخ الكبير (٢).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عرف فضل
كبير لسنته، فوقره آمنه الله من فزع يوم القيامة (٣).
وعنه عليه السلام: من إجلال الله إجلال المؤمن ذي الشيبة، ومن أكرم مؤمناً
فبكرامة الله بدأ، ومن استخف بمؤمن ذي شيبة أرسل الله إليه من يستخف به قبل
موته (٤).

وعنه عليه السلام: ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا (٥).
وعنه عليه السلام: ثلاثة لا يجهل حقهم إلا منافق معروف بالنفاق ذو الشيبة
في الإسلام، وحامل القرآن، والإمام العادل (٦).
جملة: «أعذر» في محل رفع على البدلية من الجملة الواقعة خبراً لأن في قوله:
«اللهم إني أعذر إليك».

والضمير في «منهن» ونظائرهن عائد إلى السيئات المذكورة.
والنظائر: جمع نظيرة مؤنث نظير، وهو المثل مأخوذ من المناظرة. كأن كل واحد

(١) المفردات: ص ٢٧٠. (٤) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٤٦٧ ح ٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٤٦٦ ح ١. (٥) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٤٦٧ ح ٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٤٦٧ ح ٩. (٦) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٤٦٧ ح ٥.

نَدَامَتِي عَلَى مَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ الزَّلَّاتِ، وَعَزَمَنِي عَلَى تَرْكِ مَا يَغْرِضُ لِي مِنَ السَّيِّئَاتِ، تَوْبَةً تُوجِبُ لِي مَحَبَّتَكَ يَا مُحِبَّ التَّوَّابِينَ.

منها ينظر إلى صاحبه، فيباريه.

والندامة: الندم. وهو تمنّي الإنسان أن ما وقع منه لم يقع.

وقيل: التحسّر من تغيّر رأي في أمر فائت. وأصله من مناداة الحزن له.

والوعظ: زجر مقترن بتخويف. وإسناده إلى الاعتذار مجاز عقلي، من باب الإسناد إلى السبب الغائي، أي يكون عقلي واعظاً من أجله وبسببه، لما بين يدي من أشباههنّ، كقولك: «أقدمتي بلدك حقّ لي على فلان»، أي أقدمتني نفسي لأجل حقّ لي عليه.

وبين اليدين: حقيقة في المكان، ثمّ اشتهر للزمان مستعاراً. فتارة يطلق على الماضي المتقدّم، ومنه قوله تعالى: «وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه» (١) أي من الكتب السماوية التي قبله.

قال الطيّبي: بين اليدين استعارة تمثيلية. والأصل فيه بين الجهتين المسامتين لليمين والشمال، ثمّ استعمل في ظرف المكان بمعنى قدّام، ثمّ في ظرف الزمان بمعنى قبل، وتارة يطلق على المستقبل المتأخّر، لأنّ الإنسان مستقبل لما سيأتي، فكأنه بين يديه. ومنه قول الشاعر:

ترفق بدمعك لا تفنيه... فبين يديك بكاءٌ طويل.

وقال القاضي في قوله تعالى: «يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم» ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس، لأنّه مستقبل المستقبل، ومستدبر الماضي (٢) إنتهى.

وهذا المعنى هو المراد هنا. أي واعظاً لما يكون في المستقبل من أشباه السيئات المذكورة، ويحتمل أن يكون المراد لما هو بالقرب منّي من أشباههنّ.

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٢.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ١٣٣.

قال الراغب: يقال هو بين يديك أي قريباً منك (١) إنتهى .
ومنه قوله تعالى: «إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد» (٢) كأن العذاب
تالي له، وهو منذر له بوصوله، ماشٍ (٣) قدّامه.

و«من» في قوله: «من أشباههن» مبيّنة لقوله: «لما بين يدي». وإيقاع الوعظ على أشباه السيئات المذكورة مجاز حكمي أيضاً، وإنما الغرض أن
يكون واعظاً له من ارتكاب ما يستقبله من أشباههن، فوقع الوعظ على السيئات
للدلالة على المبالغة، كقوله تعالى: «ولا تطيعوا أمر المسرفين» (٤) وقوله: «وأطيعوا
أمرى» (٥).

قال الزمخشري: جعل الأمر مطاعاً على المجاز الحكمي، والمراد الأمر كقولهم:
إمرة مطاعة (٦) إنتهى . وحاصله: أن السيئات لئما كان سبباً موجباً للوعظ، والأمر سبباً موجباً
للإطاعة، أوقع الفعل عليهما قصداً للمبالغة.

ومن زعم أن اللام من قوله: «لما بين يدي» للتعليل فقد تكلف. ومآل هذه
الفقرة من الدعاء إلى أن اعتذاره هنا (٧) ثابت مستمر، زاجر له عن ارتكاب أشباه
هذه الجرائم، فيما يستقبله من الزمان.
و«الفاء» من قوله: «فصل» سببية.

ووقعت فيه من الزلات: أي سقطت، والزلات: جمع زلة.
قال الراغب: الزلة في الأصل استرسال الرجل من غير قصد. وقيل للذنب من
غير قصد زلة، تشبيهاً بزلة الرجل، قال تعالى: «فإن زلتم من بعد ما جاءكم

(١) المفردات: ص ٦٨.

(٥) طه: الآية ٩٠.

(٢) سورة سبأ: الآية ٤٦.

(٦) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ٣٢٨.

(٣) «ألف»: ما بين.

(٧) «ألف»: هذا.

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٥١.

البَيِّنَات» (١) (٢).

والوجوب: الثبوت، يقال: أوجبت له ذلك أي أثبتته له.
ومحبتك: أي محبتك لي، بدليل قوله: «يا محبّ التّوابين». وقد تقدّم الكلام على بيان محبته تعالى لعباده مستوفى في الروضة السادسة فاغنى عن الإعادة.
وقوله عليه السّلام: «يا محبّ التّوابين» تلميح إلى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» (٣) وقد مرّ الكلام عليه في الرّوضة الحادية والثلاثين فليرجع إليه.

قال بعض العلماء: أعلم أنّ للمذنب التائب إذا تاب توبةً نصوحاً فضيلة على من لم يذنب من ثلاثة أوجه.
الأول: من جرّب العيوب والذنوب، وعرف مداخل الشيطان على الإنسان يكون أهدي إلى الاحتراز. فقد قيل لحكيم: «فلان لا يعرف الشر». فقال: ذلك أجدر أن يقع فيه.

الثاني: أنّ المذنب التائب محتشم، فقد غلب الخوف على قلبه، فيأتي باب مولاه خزيان منكسراً. ومن لم يذنب ربما يعجب بنفسه، ويدلّ بفعله، وليس خدمة من عصى ملكاً، وخرج عليه خارجياً (٤) ثم عاد إليه وجلاً، فتجوفى عنه، كخدمة من أدلّ بطاعته.

الثالث: أنّ التائب حلب الدهر شطريه، خيره وشره وحلوه ومره، فهو أرفق بالمذنبين، وأوفق لهم، وأصلح للرئاسة ممّن يظنّ أنّ الذنب شيء خارج عن طبيعة الإنسان (٥)، فيعجب بنفسه، ويزري بغيره.

(٤) هكذا في النسخ، والصحيح خارجي.

(٥) «ألف»: الإنسانية.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٩.

(٢) المفردات: ص ٢١٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

وسئل سعيد بن جبيرة: من أعبد الناس، فقال رجل: إجتريح الذنوب فكلما ذكر
 ذنوبه احتقر عمله (١). والله أعلم.

هذا آخر الروضة الثامنة والثلاثين من رياض السالكين، وفق الله لإتمامها
 واجتلاء حسن ختامها أصيل يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة الحرام، والله
 الموفق للتمام والله الحمد.



مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

(١) ربيع الأبرار: المخطوط ص ٤٦ باب الجنائيات. والذنوب وما يتعلق بها من العفو والعقاب.

الروضة التاسعة والثلاثون

مركز تحقیقات کتب ویراث علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَلَبِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْسِرْ شَهْوَنِي عَنْ كُلِّ مُحَرَّمٍ وَازِدْ حِرْمِي
عَنْ كُلِّ مَأْنَمٍ وَامْنَعْنِي عَنْ أَذَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَتُؤْمِنَةٍ وَمُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ
اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَالَ مِنِّي مَا حَطَرْتَ عَلَيْهِ وَاتَّهَكَ مِنِّي مَا حَزَبْتَ
عَلَيْهِ فَمَضَى بِظِلَالِي مَيِّتًا أَوْ حَصَلَتْ لِي قَبْلَهُ حَيًّا فَاغْفِرْ لَهُ مَا
الْمُرِيدُ مِنِّي وَاعْفُ لَهُ عَمَّا أَذْبَرِيهِ عَنِّي وَلَا تُكَيِّفْهُ عَلَيَّ مَا أَرْتَكِبُ فِي
وَلَا تُكَيِّفْهُ عَمَّا أَكْتَبَ لِي وَاجْعَلْ مَا سَأَلْتُكَ بِهِ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُمْ وَ
تَبَرَّعْتُ بِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ أَرْزُقِي صِدَاقَ الْمُصْذِقِينَ وَأَعْلَى صَلَاتِ
الْمُتَّقِينَ وَغَوْضِي مِنْ عَفْوِي عَنْهُمْ عَفْوَكَ وَرَمْنِي دُعَائِي كَمَا رَحِمْتَكَ حَتَّى
يَسْعَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّا بَفَضْلِكَ وَتَجُودُ كُلُّ مِثَالِ عَيْتِكَ اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا
عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِكَ أَذْرَكَهُ مِنِّي دَرَكًا أَوْ مَسَّهُ مِنْ نَاحِيَّتِي أَذَى أَوْ بَحْثَهُ
بِأَوْسَبِي ظَلَمْتُهُ بِحَقِّهِ أَوْ سَبَقْتُهُ بِمُظْلَمَتِهِ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَآلِهِ وَارْضِهِ عَنِّي مِنْ وَجْدِكَ وَأَوْفِهِ حَقَّهُ مِنْ عِنْدِكَ ثُمَّ فَوِّضْ مَا يُوْجِبُ
لَهُ حُكْمَكَ وَخَلِّصْنِي مِمَّا يَحْكُمُ بِهِ عَذَابُكَ فَإِنَّ قُوَّتِي لَا تَسْقُطُ بِغَيْرِكَ
وَأَنْ طَاقَتِي لَا تَهْضُمُ بِحُكْمِكَ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْكَافِي بِالْحَقِّ فَهَلِكُنِي وَإِلَّا لَعْنَتِي

يَرْحَمُكَ تَوْفِيقِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْهِبُكَ يَا إِلَهِي مَا لَا يَفُضُّكَ بَدَلُهُ
وَأَسْتَخِيْلُكَ مَا لَا يَهْضُكَ حَمْلُهُ أَسْتَوْهِبُكَ يَا إِلَهِي نَفْسِي إِلَى مَا تَحْتَلُّهَا
لِيَمْتَنِعَ بِهَا مِنْ سُوءٍ أَوْ لِيُطْرَقَ لَهَا إِلَى نَجْعٍ وَلَكِنْ أَنَا إِنَّمَا أَلْمَذُورُ بِكَ
عَلَى مِثْلِهَا وَأَحْتَاجُ جَابِهَا عَلَى شَكْلِهَا وَأَسْتَخِيْلُكَ مِنْ ذُنُوبِي مَا فَدَّ يَهْطُنِي
حَمْلُهُ وَأَسْتَعِينُ بِكَ عَلَى مَا فَدَّ مَدْحِي ثِقْلُهُ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَ
هَبْ لِنَفْسِي عَلَى ظِلِّهَا نَفْسِي وَكُلَّ رَحْمَتِكَ بِأَحْمِلِهَا لِصَبْرٍ فَكَمْ
فَدَّ يَحْتَقِرُ رَحْمَتَكَ يَا مُسْتَعِينٍ وَكَمْ فَدَّ شَمِلَ عَفْوُكَ الظَّالِمِينَ فَصَلِّ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْنِي أَسْوَةً مِمَّنْ قَدْ خَلَصَتْهُ بِجَاوِزِكَ عَنْ مَصَارِعِ
الْخَاطِئِينَ وَخَلَصَتْهُ بِتَوْفِيقِكَ مِنْ وَرَطَائِنِ الْجُرْمِينَ فَاصْبِرْ طَلِيقَ
عَفْوِكَ مِنْ أَسَارِ سُخْطِكَ فَمَتَى صُنْعِكَ مِنْ ثَوَاقِ عَذَابِكَ إِنَّكَ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ
يَا إِلَهِي تَفْعَلُهُ بِمَنْ لَا يَحْجُزُكَ عَنْ عَفْوِكَ لَا يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنْ اسْتِجَابِ
فَعْمَتِكَ تَفْعَلَ ذَلِكَ يَا إِلَهِي بِمَنْ خَوْفُهُ مِنْكَ أَكْثَرُ مِنْ طَعْنِهِ فِيكَ وَ
بِمَنْ بَأْسُهُ مِنَ النِّجَاحِ أَوْ كَدُّهُ مِنْ رَجَاءِ الْخَلَاصِ لَا أَنْ يَكُونَ بَأْسُ قُوطَا
أَوْ أَنْ يَكُونَ طَعْنُهُ أَضْرَارًا بَلْ لَعَلَّهُ حَسَنَاتِهِ بَيْنَ سَيِّئَاتِهِ وَضَعِيفِ
مُجْهِدِهِ فِي جَمِيعِ تَعَايِنِهِ فَا مَا أَنْتَ يَا إِلَهِي قَاهِلٌ أَنْ لَا يَغْتَرَبَكَ

الْصَّادِقُونَ وَلَا يَنَاسُ مِنْكَ الْحَرَمُونَ لِأَنَّكَ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَمُتُّ
أَحَدًا فَضْلُهُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَحَدٍ حَقُّهُ تَعَالَى ذِكْرُكَ عَنِ الْمَذْكُورِينَ وَ
تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ عَنِ الْمَنَسُوبِينَ وَفُتَّتْ نِعَمَاتُكَ بِ
جَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ
يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی



الروضة التاسعة والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم
وإياه نستعين

الحمد لله المطلوب عفوه وغفرانه، المسؤول رحمته وإحسانه، والصلاة والسلام
على نبيه محمد العليّ شأنه، وعلى آله الذين هم أنصار الحق وأعوانه.
وبعد فهذه الروضة التاسعة والثلاثون من رياض السالكين، في شرح صحيفة
سيد العابدين صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الخلفاء الراشدين، إملأء راجي
فضل ربه السنّي عليّ صدرالدين الحسيني الحسيني، أناله الله عفوه ورحمته، وفرّج
عليه من ضيق الكروب زحمته.

شرح الدعاء التاسع والثلاثين

وكان من دعائه عليه السّلام: في طلب العفو والرحمة.



العفو: التجاوز عن الذنب وترك العقاب.

قال ابن الأثير: وأصله المحو والطمس، ومنه عفت الريح الأثر إذا محته (١). وقال الراغب: العفو: القصد لتناول الشيء. يقال: عفاه واعتفاه: أي قصده متناولاً ما عنده، ومنه العماfi لكلّ طالب رزق من طائر أو بهيمة أو إنسان. وعفت الريح التراب: قصده متناولة إثارته. وعفت الدار كأنها قصدت نحو البلى. وعفى الشعر والنبت قصد تناول الزيادة كقولك: أخذ النبت في الزيادة وعفى عنه كأنه قصد إزالة ذنبه صارفاً له عنه. فالمفعول في الحقيقة متروك عن متعلقه بمضمر. فالعفو هو التجاوز عن الذنب وترك العقوبة (٢).

والرحمة: رقة القلب وانعطاف، أي ميل روحاني يقتضي التفضل والإحسان، وإذا وصف الله تعالى بها كان المراد بها غايتها أعني التفضل والإحسان، لأنّ الرقة من الكيفيات والمزاجية التابعة للتأثر والانفعال، والله سبحانه منزّه عنها. وهو: إمام من باب المجاز المرسل، بذكر السبب وإرادة المسبب، فإنّ الرحمة والرقة سبب

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاكْسِرْ شَهَوَاتِي عَنْ كُلِّ مَحْرَمٍ،
وَازْوَجِرْ صِنِّي عَنْ كُلِّ مَأْثِمٍ، وَامْنَعْنِي عَنْ أَدَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ،
وَمُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ.

التفضل والإحسان.

وإما على طريقة التمثيل، بأن شبه حاله تعالى - بالقياس إلى المرحومين في إيصال الخير إليهم - بحال الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم، فأصابهم بمعروفه وإنعامه، فاستعير الكلام الموضوع للهيئة الثانية للأولى، من غير أن يتمحل في شيء من مفرداته. وقس على ذلك سائر الصفات التي لا يصح اتصافه تعالى بها سواء كانت انفعالات كالرحمة والحياء والغضب، أو لا كالاستهزاء والمكر، أو الخلدع.

ورحمته تعالى: تنقسم إلى عامة: وهي إفاضة الوجود وما يليق من الأغراض والحاجات. وخاصة: وهي التي تخص بعض العبيد بالتقريب إليه سبحانه، وهذه الرحمة هي المطلوبة هنا، فافهم.

كسرت الرجل عن مراده: ثنيته وصرفته. وأصله من كسر العود ونحوه، وهو مجاز مرسل بعلاقة السببية، لأن الكسر يقتضي تغير المكسور عما كان عليه، وصرفه عما أعد له، أي اصرف شهوتي عن كل محرم.

والشهوة: نزوع النفس إلى ما تريده. وعرفت: بأنها قوة نفسانية باعثة على جلب النفع. ويقابلها الغضب؛ وهي قوة نفسانية باعثة على دفع الضرر، وقد تقدم في الروضة الثامنة بيان أن أصعب القوى النفسانية مداواة وإصلاحاً القوة الشهوية، فإن قمعها وكسرها عسير جداً، لأنها أقدم القوى وجوداً في الإنسان، وأشدّها به تشبّثاً، وأكثرها منه تمكناً، فإنها تولد معه، وتوجد فيه قبل قوة الغضب، وقبل قوة الفكر والنطق والتمييز (١). ولذلك بدأ عليه السلام الدعاء بسؤال كسرها وصرفها

عن كلِّ محرم، ولأنَّ الإنسان لا يصير حرّاً تقيّاً وغنياً وسخيّاً إلاّ بقمعها وإماتتها كما سبق بيانه، فأنّها إذا قُهرت وأُميتت، صار العبد ملكاً روحانياً، وإلهياً ربّانياً، خارجاً عن الفواسق البهيمية، سارحاً في مشارق الأنوار الملكية.

والمحرم - بفتح الميم والراء المهملة المخففة -: الحرام، وحقيقة موضع الحرمة. وهو الممنوع منه شرعاً.

وفي نسخة مُحرّم - بضمّ الميم وتشديد الراء المهملة - وهو اسم مفعول من حرّم الله الشيء تحريماً: إذا منع منه.

وزويت الشيء: جمعته وقبضته، ثمّ استعمل مجازاً في التنحية والصرف. ومنه حديث الدعاء: وَمَا زَوَيْت عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ (١) أي صرفته ونحيتّه. والحرص: فرط الرغبة والإرادة.

وقيل: طلب الشيء باجتهاد. ومنه قوله تعالى: «إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ» (٢) أي إن تفرط إرادتك في هدايتهم، أو إن تجتهد في طلب هدايتهم. وقد تقدم الكلام على الحرص مستوفى في الروضة الثامنة.

والمأثم: الإثم. وهو الذنب وهو مصدر ميميّ وضع موضع الاسم. وقيل: هو الأمر الذي يَأْثُم به الإنسان أي يقع به في الإثم ومنعته عن الأمر: كففته عنه.

وآذاه يؤذيه أذىً وآذاة وأذية: أوقع به مكروهاً وضراً في نفسه أو جسمه أو ماله دنيوياً كان أو أخروياً.

وعطف المسلم والمسلمة على المؤمن والمؤمنة، أمّا من باب التميم بناءً على أنَّ الإسلام دون الإيمان، أو من باب التّرقى من الأدنى إلى الأعلى بناءً على أنَّ الإسلام فوق الإيمان.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٧.

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٣٢٠.

اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَالَ مِنِّْي مَا حَظَرْتُ عَلَيْهِ، وَأَنْتَهَكَ مِنِّْي مَا حَجَرْتَ عَلَيْهِ، فَمَضَى بِظِلَامَتِي مَيِّتًا، أَوْ حَصَلَتْ لِي قِبَلُهُ حَيًّا، فَاغْفِرْ لَهُ مَا أَلَمَ بِهِ مِنِّْي، وَاعْفُ لَهُ عَمَّا أَذْبَرِيهِ عَنِّي، وَلَا تَقِفْهُ عَلَى مَا ارْتَكَبَ فِيَّ، وَلَا تَكْشِفْهُ عَمَّا اكْتَسَبَ بِي.

قال الراغب: الإسلام في الشرع على ضربين:

أحدهما: دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان. وبه يحقن الدم، حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل، وإياه قصد بقوله تعالى: «قُلْ لَمْ تَوْفِنَا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا» (١).

والثاني: فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله تعالى في جميع ما قضى وقدر، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله: «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» (٢) وقوله: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» (٣) وقوله: «تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ» (٤) أي إجعلني ممن استسلم لرضاك، وقوله: «إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ» (٥) أي منقادون للحق مدعون له (٦). انتهى.

وقد استوفينا الكلام على مباحث الإسلام والإيمان فيما تقدم فأغنى عن الإعادة.

«أَيَّ»: اسم شرط مرفوع بالابتداء.

«وَمَا»: زائدة لتأكيد الإبهام في أي.

وعبد: مخفوض باضافة أي إليه. وقيل: «ما» نكرة و«عبد» بدل منها، والخبر

هو جملة نال منِّي.

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٥) سورة النمل: الآية ٨١.

(٦) المفردات: ص ٢٤٠.

(١) سورة الحجرات: الآية ١٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩.

وقيل: هو جملة الجزاء، وهو قوله: فاغفر له.

وقيل: الشرط مع جزائه هو الخبر، وقد مرّ الكلام على ذلك مستوفى في الروضة الحادية والثلاثين، فليرجع إليه.

ونال الشيء يناله نيلاً: أصابه.

والحظر: المنع. يقال: حظرت حظراً - من باب قتل - أي منعته وأذاه بعلى لتضمنه معنى التحريم. ومفعول حظرت محذوف اطراداً، أي حظرت عليه.

وانتهك الرجل الحرمة تناولها بما لا يحل.

وحجّر عليه الشيء حجراً - من باب قتل - : حرّمه عليه، ومنعه من التصرف فيه. ويقال للممنوع منه: بتحريمه حجراً، ومنه قوله تعالى: «وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِّثَ حَجْرٌ» (١).

وفي نسخة حجزت عليه بالزاء المعجمة. وهو من الحجز بمعنى الفصل، ويرجع إلى معنى المنع.

والظلامة - بالضم - : اسم لما يطلبه المظلوم عند الظالم كالمظلمة.

وميتاً: نصب على الحال.

و«أو» لأحد الأمرين.

وحصل الشيء حصولاً - من باب قعد - وحصل لي عليه كذا: ثبت ووجب.

والقبيل: - على وزن عنب - بمعنى عند.

قال الفارابي في ديوان الأدب: يقال: لي قبيل فلان حقّ أي عنده (٢).

أي ثبتت لي ظلامتي عنده حال كونه حياً.

وقول بعضهم: قبله أي من جانبه، تمحل لا داعي إليه إلا عدم اطلاعه على ورود قبل بمعنى عند.

وَأَلَمَ بِالذَّنْبِ إِمَاماً: فعله.

ومني: أي من ظلمني.

وأدبر بالشيء: ذهب به.

قال بعضهم: المراد بما أَلَمَ به ما أقام عليه من الظلم من الإمام بالمنزل، وهو النزول به، وبما أدبر به مافعله من الظلم، ثم مضى وانقضى.

وقال آخر: المراد بقوله: «اغفر له ما أَلَمَ به متي» ما نزل من البلاء بسبب ظلامي.

وكلّ هذا تخرّص لا يفهمه ظاهر العبارة، بل الظاهر أنّ المراد بقوله: «ما أَلَمَ به متي» مافعله من ظلمي، ويقول: «عَمَّا أدبر به عني» ما ذهب به من حقّي، كمال ونحوه يريد التعميم في ما جناه عليه، سواء كان ظلماً في نفس وعرض أو مال وقنية. والله أعلم بمراد أوليائه.

ولا تَقِفْهُ عَلَى مَا ارْتَكَبَ فِي: أي لا تُطْلِعْهُ عَلَيْهِ أَوْ لَا تَبْكُتْهُ وَلَا تَقْبَحْ عَلَيْهِ فعله.

قال الجوهري: وقفته على ذنبه: أي أطلعت عليه (١).

وقال أبو عبيدة: وقفته على ذنوبه إذا بكته بها، أي قبّحت عليه فعله لها، وأصله

من الوقوف (٢).

قال في الأساس: ومن المجاز وقفته على ذنبه، وعلى سوء صنيعه (٣).

وارتكب الذنب ارتكاباً: أتاه فعله.

«وفي» أي بسببي، كقوله عليه السلام: إِنَّ امْرَأَةً دَخَلَتْ النَّارَ فِي هَرَّةٍ

حَبَسَتْهَا (٤)، وترجع إلى الظرفيّة كأنّ السبب متضمّن للمسبّب تضمّن الظرف

(١) الصحاح: ج ٤ ص ١٤٤٠.

(٢) لم نعث عليه في المصباح واللسان والصحاح والأساس وتاج العروس والأقرب.

(٣) أساس البلاغة: ص ٦٨٦ والفائق في غريب الحديث والنهاية.

(٤) مسند أحمد: ج ٢ ص ٥٠٧.

وَأَجْعَلْ مَا سَمَخْتُ بِهِ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُمْ، وَتَبَرَّعْتُ بِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ أَزْكَى صَدَقَاتِ الْمُتَصَدِّقِينَ، وَأَعْلَى صَلَاتِ الْمُتَقَرَّبِينَ،

للمظروف.

ولا تكشفه: أي لا تفضحه. يقال: كشفت الكواشف: أي فضحته. وأصله من الكشف وهو الإظهار، ورفع الشيء عما يواريه ويغطيه.
«وعن» في قوله: «عما اكتسب» سببية مثلها في قوله تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى» (١).

قال الرضي: أي نطقاً صادراً عن الهوى (٢).
فالجار والمجرور صفة للمصدر، فعن في مثله تفيد السببية كما في قولك: قلت هذا عن علم.
وفي القاموس: الكشف كالتكشيف. وكشفته عن كذا تكشيفاً: أكرهته على إظهاره (٣).

وإرادة هذا المعنى هنا حسنة، أي لا تكرهه على إظهار ما اكتسب في أي بسببي. ويجوز أن تكون «الباء» فيه هي الباء الداخلة على آلة الفعل نحو كتبت بالقلم، وقطعت بالسكين، جعل نفسه في اكتساب الظالم للإثم كالألة له من حيث إن ظلمه مقصور عليه. والله أعلم.

سمح بكذا يسمح بفتحيتين سماحاً وسماحة: جاد وأعطى ووافق على ما أريد منه، وأسمح بالألف لغة.

وقال الأصمعي: سمح - ثلاثياً - بماله، وأسمح - رباعياً - بمفاده. وسامحه بكذا أعطاه. وتسامح وأصله الاتساع، ومنه يقال: في الحق مسمح: أي متسع ومندوحة

(١) سورة النجم: الآية ٣.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٤٢.

(٣) القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٩٠.

وَعَوَّضَنِي مِنْ عَفْوِي عَنْهُمْ عَفْوَكَ ، وَمِنْ دُعَائِي لَهُمْ رَحْمَتَكَ ، حَتَّى يَشَعَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِفَضْلِكَ ، وَيَتَجُوَّ كُلُّ مِنَّا بِمَنِّكَ .

عن الباطل (١).

وتبرّع بالأمر: فعله غير طالب عوضاً.

وفي القاموس: تبرّع بالعطاء تفضل بما لا يجب عليه (٢).

وقال صاحب المحكم: تبرّع بالعطاء أعطى من غير سؤال (٣).

وهو موافق لما في الأساس حيث قال: فعل ذلك تبرعاً من غير طلب إليه، كأنه يتكلف البراعة فيه والكرم (٤).

وتصدق بكذا: أعطاه صدقة، وهي ما يخرج به الإنسان من ماله على وجه القرية، كالزكاة. لكن الصدقة في الأصل يقال للمبرّع به، والزكاة للواجب.

وقيل: يسمى الواجب صدقة إذا تحرّى صاحبه الصدق في فعله. قال تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً» (٥). ويقال لما تجافى عنه الإنسان وتركه: من حقه تصدّق به، وعليه عبارة الدعاء. ومنه قوله سبحانه: «فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ» (٦) وقوله تعالى: «وَدِيَّةٌ مَسْلُومَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا» (٧) فسُمي إعقائه صدقة.

والزكاة بالملة: النماء والزيادة، يقال: زكا الزرع إذا حصل منه نمو وزيادة ومنه الزكاة لما يخرج به الإنسان من حق الله سبحانه إلى الفقراء، لأنّه سبب يرجى به الزكاة والبركة.

وأعلى: أي أشرف وأفضل.

والصلات: جمع صيلة بالكسر. وأصلها وصل حذف الواو وعوض منها هاء في

(١) المصباح المنير: ص ٣٩١، وفيه رباعياً بقياده.

(٢) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٤.

(٣) محكم اللغة: ج ٢ ص ١٠٤.

(٤) أساس البلاغة: ٣٧.

(٥) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٦) سورة المائدة: الآية ٤٥.

(٧) سورة النساء: الآية ٩٢.

آخرها. يقال: وصله وصلاً وصلة - من باب وعد - وأصله من اتصال الأشياء بعضها ببعض، ثم استعمل في العطاء، فقليل: وصله بألف دينار، أي أعطاه. وسَمُوا العطية صلة، وضعاً للمصدر موضع الاسم، وعليه عبارة الدعاء، أي أشرف عطايا المتقربين.

وتقرب إلى الله بكذا: طلب قربه تعالى بسببه وهو قرب روحاني لا بدني.

ومنه الحديث القدسي: مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِمِثْلِ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ (١).

وعوّضه تعويضاً: أعطاه عوض ما أخذ منه.

أي اجعل عفوك عني عوضاً من عفوي عنهم، ورحمتك عوضاً من دعائي لهم بالغفران والعفو والإغماض والستر.

و (حتى) يجوز أن تكون تعليلية مرادفة لـ «كي» أي كي يسعد كلّ متاً. ويجوز أن تكون بمعنى «إلى»، فيكون المراد منه حينئذٍ الدوام.

وسعد فلان يسعد - من باب تعب - في دين أو دنيا سعداً وسعوداً: حصلت له السعادة.

والمراد بها هنا السعادة المطلقة وهي السعادة الأخروية، التي هي عبارة عن حسن الحياة في الآخرة، وهي المشار إليها بقوله تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا» (٢).

و «الباء» من قوله: «بفضلك» إما سببية، أو للملابسة أي ملتبساً بفضلك.

ونجا من الهلاك ينجونجاة: خلص.

ومنّ عليه يمنّ متاً: أنعم عليه وأحسن إليه.

قال بعضهم: يحتمل أن يكون معنى قوله عليه السلام «حتى يسعد كلّ متاً بفضلك» أي حتى أسعد أنا بفضلك الذي عوّضتني إياه عن عفوي عنه، ويسعد هو

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ٦ ص ٢٥٦.

(٢) سورة هود: الآية ١٠٨.

اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِكَ أَدْرَكُهُ مِنِّي دَرَكٌ ، أَوْ مَسَّهُ مِنْ نَاحِيَّتِي
أَذَى ، أَوْ لَحِقَهُ بِي أَوْ بِسَبَبِي ظُلْمٌ فَفَتَهُ بِحَقِّهِ ، أَوْ سَبَقَتْهُ بِمَظْلَمَتِهِ ، فَصَلِّ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَرْضِهِ عَنِّي مِنْ وَجْدِكَ ، وَأَوْفِهِ حَقَّهُ مِنْ عِنْدِكَ .

بفضلِكَ الذي لولا عفوي عنه لعاقبته، أو أسعد أنا بعفوي وبما عوّضتني، وذلك فضل
منك، فإنك أنت الذي وفقتني للعفو. وسعادته أيضاً كائنة بفضلِكَ، فإنك كما
تفضّلت عليّ بالعفو عنه، تفضّلت عليه بعفوي عنه، وقبلت عفوي.

ولعلّ هذا أنسب بقوله عليه السّلام: «وينجو كلّ متابنك» والله أعلم.
قلت: لاجابة إلى هذا التمثيل بل تجعل السعادة والنجاة لكلّ منها غاية لطلبه
- عليه السّلام - الغفران والعفو للظالم، وتعويضه عن ذلك عفوه تعالى، ورحمته له. وهو
ظاهر لا غبار عليه.

أدركه إدراكاً: أي لحقه وهو هنا لحوق معنوي. والدرك - بفتحيتين - اسم منه.
ومنه: «لَا تَخَافُ دَرْكاً وَلَا تَخْشَى» (١) أي لا تخاف أن يدركك فرعون من
خلفك، ثم أطلق على مافيه إثم يلحق به الإنسان، عقوبة، كما سُمي ذلك بالتبعة
أيضاً لما يتبعه من العقوبة. وقد يطلق الدرك والتبعة على الظلامة التي يلحق المظلوم
بها الظالم، (٢) ويتبعه لأجلها.

وقد يقال الدرك لما يلحق الإنسان من عقوبة التبعة والإثم. وبه فسر ماورد في
الحديث: وَمَا أَدْرَكُهُ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَيْ خِلَاصَتِهِ (٣).

قال الزمخشري في الأساس أي ما يلحقه من التبعة (٤).
وكلّ هذه المعاني يحسن حمل عبارة الدعاء عليه.
ومسّه الأذى: ناله وأصابه.

(٣) أساس البلاغة: ص ١٨٦.

(١) سورة طه: الآية ٧٧.

(٤) أساس البلاغة: ص ١٨٦.

(٢) «ألف»: أو يتبعه.

قال الراغب: والمس: يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى، نحو قوله تعالى: «مُسْتَهُمُ الْبِأَسَاءِ وَالضَّرَاءِ» (١) إنتهى.

وأصله من مسه يمسه - من باب تعب، وقتل -: إذا أفضى إليه بيده من غير حائل.

وقوله «بي أو بسبي» يريد به ما كان مباشري أنا له، أو ما كان مباشرة غيري وكنت أنا السبب فيه، فالباء الأولى للإلصاق، لا للسببية. ومتعلقها قوله: «ظلم» أي لحقه ظلم ملتصق فعله بي، أو كائن بسبي. ولا داعي لجعل المتعلق قوله: «لحقه»، لما علمت غير مرة من أن المصدر إذا لم يكن منحلاً إلى أن وصلتها جاز تقديم معموله عليه.

قال ابن هشام: ومن ظن أن المصدر لا يتقدم معموله مطلقاً فهو واهم (٢). قوله عليه السلام: «ففتّه بحقه» الفوت: بعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذر عليه إدراكه.

قال في الأساس: فاتني بكذا سبقي به وذهب به عني (٣). وأصل السبق: التقدم في السير، ثم تجوز به في غيره، فإذا عُدّي بالباء كان بمعنى الفوت، يقال سبقه به وفاته به بمعنى. وإذا عُدّي بعلى كان بمعنى الغلبة.

قال في الكشاف: سبقته على الشيء إذا أعجزته وغلبته عليه ولم تمكنه منه. ومنه قوله تعالى: «مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نَبْدِلَ أَمْثَالَكُمْ» أي إنا قادرون على ذلك لا تغلبونني عليه (٤).

قال بعضهم: قوله عليه السلام «أو سبقته بمظلمته» عطف تفسيري على قوله:

(١) المفردات: ص ٤٦٧.

(٣) أساس البلاغة: ص ٤٨٣.

(٢) راجع مغني اللبيب: ج ١ ص ٤٠.

(٤) تفسير الكشاف: ج ٤، ص ٤٦٥.

«ففتّه بحقه» أو تأكيد له.

ويأباه العطف بـ «أو» فإن عطف الشيء على مرادفه من خواص الواو، دون سائر حروف العطف عند الجمهور خلافاً لابن مالك (١)، واستشهاده بقوله تعالى: «ومن يكسب خطيئةً أو إثماً» (٢) مدفوع بحمل الخطيئة على الصغيرة، أو على مالا عمد فيه، أو على ما بين العبد وبين ربه، والإثم على الكبيرة، أو على ما كان عن عمد، أو على مظالم العباد. على أن ابن مالك معترف بقلته.

فالأولى أن تجعل الفقرة الثانية تأسيساً، بحمل الفقرة الأولى على الفوت بحقه في دار الدنيا، بأن يكون قد مات، أو يكون بعيد الدار فلا يمكنه استرداد حقه، أو يكون ضعيفاً عن استرداده، والفقرة الثانية على السبق بالمظلمة إلى الدار الآخرة، أو بحمل الحق في الأولى على غير المظلمة، كحقوق الأخوة ونحوها، والمظلمة في الثانية على الحق الذي ظلمه إياه من مال ونحوه، فإن التأسيس خير من التأكيد. والمظلمة: بمعنى الظلامة.

قال في الأساس: عند فلان ظلامتي، ومظلمتي حقي الذي ظلمني (٣). والوجد - بالضم -: الغنى. ومنه اسمه «الواجد» تعالى أي الغني. ويعبر عنه بالجد أيضاً. وأصلها الوجد حذفت الواو وعوضت عنها الهاء.

والمعنى: أعطه من غنالك وسعتك حتى يرضى عني، فلا يطالبني بحقه. وأوفه حقه من عندك. أي أعطه إياه وافيّاً من فضلك، أو تفضلاً من عندك. وعند هنا مثلها في قوله تعالى: «فإن أتممت عشراً فمن عندك» (٤).

قال الفيومي: أي من فضلك (٥).

وقال الزمخشري: إني فهو منك تفضل وتبرّع، وإلا فلا عليك (٦). انتهى.

(٤) سورة القصص: الآية ٢٧.

(٥) المصباح المنير: ص ٥٩٠.

(٦) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ٤٠٥.

(١) مغنى اللبيب: ص ٤٦٧.

(٢) سورة النساء: الآية ١١٢.

(٣) أساس البلاغة: ٤٠٣.

ثُمَّ قَنِي مَا يُوجِبُ لَهُ حُكْمُكَ ، وَخَلِّصْنِي مِمَّا يَحْكُمُ بِهِ عَذْلُكَ ،
فَإِنَّ قُوَّتِي لَا تَسْتَقِيلُ بِنَقَمَتِكَ ، وَإِنَّ طَاقَتِي لَا تَنْهَضُ بِسُخْطِكَ ، فَإِنَّكَ
إِنْ تَكَاثَفْنِي بِالْحَقِّ تُهْلِكْنِي ، وَإِلَّا تَغَمَّدْنِي بِرَحْمَتِكَ تُوبِقْنِي .

وفائدة هذا القيد الاحتراز عن إيفائه حقه بمقاصته من حسناته .
كما ورد في الحديث: إِنَّ اللَّهَ يَقْتَصُ مِنْ حَسَنَاتِ الظَّالِمِ ، وَيُعْطِيهَا الْمَظْلُومَ بَازَاءَ
حَقِّهِ (١) . والله أعلم .

لما كان ظلم العباد يتضمن محظورين: أحدهما: الذهاب بحق الخلق .
الثاني: معصية الخالق بعدم الاجتناب لما نهى عنه، والتعدي لحكمه سبحانه .
وكان كل منهما يقتضي مكافأة وجزاء مستقلاً برأسه، ويوجب عقوبة ومواخذة
على حدة . سأل عليه السلام أولاً إسقاط حق خصمه، وإرضاءه عنه، ثم التجاوز
عما يوجب التعدي لحكمه تعالى . وإنما قدّم الأول وعقبه بالثاني لأن حقوق العباد
مبناها على الضئيلة والضيق، وحقوق الله تعالى مبناها على المسامحة . ولذلك جاء
بكلمة التراخي إيذاناً بفرط رحمته ومسامحته في حقوقه . وعن ذلك قدّم الفقهاء عند
تراحم الحقوق حقوق العباد على حقوق الله الغني الحميد .

وعلى هذا فاللام من قوله: «يوجب له» تعليلية، والضمير عائد إلى الظلم، أي
ما يوجب لأجل الظلم حكمك . ويجوز أن تكون اللام للتأكيد، وهي المعترضة بين
الفعل المتعدي ومفعوله . كقوله:

وملكت ما بين العراق ويشرب ملكاً أجاركم سلم ومعاهد (٢)

وعليه: حمل المبرد (٣) والزنجشري قوله تعالى: «ردف لكم» (٤) والأصل
ردفكم . قال في الكشف: زيدت اللام للتأكيد نحو قوله تعالى: «وَلَا تَلْقُوا

(١) لم نعر على نفيه بل ورد بضمونه في عقاب الأعمال: ص ٣٣٣ .

(٤) سورة النمل: الآية ٧٢ .

(٢) و (٣) مغني اللبيب: ص ٢٨٥ .

بأيديكم» والجمهور على أنه ضمن معنى اقتراب (١).

والضمير على هذا عائد إلى «ما» والأصل ما يوجب.

وأما ما قيل: من أن الضمير عائد إلى المظلوم، والمعنى قني ما يوجب للمظلوم حكمك، ويحكم به عدلك من أخذ حقه متي، لا إرضائه عني، وإيفائه حقه من فضلك فتأباه، بل تحيله كلمة التراخي من قوله: «ثم قني»، إذ لا معنى لسؤال الوقاية من مقتضى العدل - بعد سؤال المعاملة بالفضل - بكلمة «ثم»، كما هو ظاهر لاخفاء به.

واستقل بالشيء استقلالاً وأقله إقلالاً: رفعه وحمله. وأصله من القلة ضد الكثرة، كأن الحامل يجد ما يحمله قليل المحمل بالنسبة إلى قوته أي خفيفاً. ومنه قوله تعالى: «أقلت سبحانه ثقالاً» (٢) أي رفعته واحتملته فوجدته قليلاً باعتبار قوتها، ثم تجوز فيه، فاستعمل في المعاني، فقيل: فلان يستقل بهذا الأمر أي يقوى عليه ويطيعه.

قال في الأساس: ومن المجاز هو لا يستقل بهذا الأمر: أي لا يطيقه (٣).

والطاقة: القدرة اسم من أطق الشيء إطاقة: أي قدرت عليه، كالطاعة اسم من أطاع إطاعة.

وإلا تغمدني: أي إن لم تغمدني، كقوله تعالى: «إلا تنصروه فقد نصره الله» (٤)، وهي كلمتان إن الشرطية، ولا النافية. وتغمدني فعل مضارع حذف من أوله إحدى التائين، والأصل تغمدني، كقوله تعالى: «ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» (٥). وتغمده الله برحمته: غمره وستره بها.

(١) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ٣٨١.

(٥) سورة المائدة: الآية ٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٧.

(٣) أساس البلاغة: ص ٥٢١.

(٤) سورة التوبة: الآية ٤٠.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْهَبُكَ يَا إِلَهِي مَا لَا يُنْقِصُكَ بَذْلُهُ، وَأَسْتَخِيمُكَ مَا لَا يُبْهِضُكَ حَمْلُهُ، أَسْتَوْهَبُكَ يَا إِلَهِي نَفْسِي الَّتِي لَمْ تَخْلُقْهَا لِتَمْتَنِعَ بِهَا مِنْ سُوءٍ، أَوْ لِتَطْرُقَ بِهَا إِلَى نَفْعٍ، وَلَكِنْ أَنْشَأْتَهَا إِبْتَاتًا لِقُدْرَتِكَ عَلَى مِثْلِهَا، وَاحْتِجَاجًا بِهَا عَلَى شَكْلِهَا.

واوبقه الله: أهلكه.

وفي الحديث: ليس أحد يدخل الجنة بعمله. قيل: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا يتعمدني الله برحمته (١) هـ

استوهبته كذا: سألته أن يهبه لي. والهبه: العطاء من غير عوض. والنقص: الخسران في الحظ. يقال: نقص نقصاً - من باب قتل - ونقصاناً، ونقص يكون لازماً ومتعدياً إلى مفعول واحد وإلى مفعولين. يقال: نقص الشيء أي ذهب منه شيء بعد تمامه، ونقصت المال أي أذهبت منه شيئاً، ونقصت زيدا حقّه. ومنه عبارة الدعاء، أي ما لا ينقصك شيئاً. حذف المفعول الثاني لمجرد الاختصار مع قيام القرينة، لأنّ بذل الشيء لا يوجب نقصاً في الذات، وإنما يوجب نقصاً في الشيء من ملك الباذل.

والبذل: العطاء عن طيب نفس.

يقال: بذله بذلاً - من باب قتل - أي أعطاه، وسمح به.

واستحملت فلاناً ثقلي: سألته أن يحمله عني.

وبهضه الحمل بهضاً - من باب منع - : أثقله. وهو في بعض النسخ بالطاء المشالة، وفي بعضها بالضاد.

ونصّ في القاموس: إنه بالطاء أكثر (٢).

(١) كثر العمال: ج ٤ ص ٢٥٤ ح ١٠٤١٠ مع اختلاف يسير.

(٢) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٣٢٥.

أي أسالك أن تحمل عني ما لا يثقلك حمله. وهذا من باب التمثيل، مثل حال سؤاله تعالى محو ذنوبه التي قد فدحته، وعفوه عنها بحال من يسأل قوياً قادراً أن يحمل عنه ما قد أثقله من الحمل، إذ كان لا يثقله ولا يهبطه حمله، من غير ذهاب إلى جهة حقيقة بالنسبة إلى الله تعالى كما يذهب إليه المجسمة، أو مجاز بأن يراد بالاستحمال طلب العفو والإغضاء، من قولهم: حملت ما كان منه أي عفوت وأغضيت عنه. البهظ (١) ضيق الصدر، وكرب النفس، ونحو ذلك. وإنما المراد بالمفردات حقائقها في نفسها كما في قولهم: «أراك تقدّم رجلاً وتؤخرُ أخرى»، لكن لا بالنسبة إلى الممثل له، بل بالنسبة إلى الممثل به، وهذا النوع من التمثيل قد يعتبر عنه بالتخييل. وهو تمثيل خاص لإيقاعه في الخيال، وتصوير المعاني العقلية بصور الأعيان الحسية، لكونها أظهر حضوراً، وأكثر خطوراً. وهو باب جليل في علم البيان، عليه يحمل كثير من تشابهات القرآن والسنة، وقد أسلفنا الكلام عليه بأبسط من هذا فيما سبق.

قوله عليه السلام: «أستوهبك يا إلهي نفسي» جملة في محل رفع على البدلية من الجملة المرفوعة على الخبرية لـ «أن» من قوله: «إني أستوهبك». وإنما أبدلها منها لكونها أوفى من الأولى بتأدية المعنى المراد، لدالتها على المستوهب صريحاً، بخلاف الأولى فإن المستوهب فيها مبهم.

وفي التفسير أثر الإبهام من زيادة التقرير ما ليس في غيره.

وامتنع بالشيء: احتذى به. من المنع بمعنى الحماية.

والسوء: المكروه والضرر.

وتطرق بالشيء إلى كذا: جعلته طريقاً إليه. كما يقال: لتسببت به، أي جعلته سبباً. والأصل تتطرق بتاتين، لأنه فعل مضارع فحذفت إحدى التاتين

(١) «ألف»: بالبهظ.

تخفيفاً.

أي لم تخلقها لغرض يعود إليك من دفع ضرر أو جلب نفع.
«ولكن أنشأتها». أي أحدثتها وأوجدتها.

إثباتاً لقدرك: أي تحقيقاً لها وتقريراً على إنشاء مثلها.
واحتجاجاً بها: أي جعلها حجة ودليلاً.

على خلق شكلها: أي مثلها في الهيئة، وتعاطي الفعل.

قال الراغب: الشكل في الهيئة والصورة والقدر والمساحة، والتد: في الجوهرية والجنسية، والشبه: في الكيفية، والمساوي في الكمية فقط، والمثل: عام في ذلك كله. وقوله تعالى: «وآخر من شكله أزواج» أي مثل له في الهيئة، وتعاطي الفعل (١). انتهى.

وقال بعضهم: معنى الاحتجاج بها على شكلها أن من أنشأ مثلها كان قادراً حكيماً إلى غير ذلك مما يليق بجنابه المقدس، أو الاحتجاج بها عليها بأن ركب فيها من الآلات والعقل وغيرهما (٢) ما لا يبق لها معها عذر في التقصير والمخالفة انتهى.
والمعنى الثاني بعيد عن مدلول الألفاظ. والله أعلم.

تنبيهان

الأول: قد يستفاد من قوله عليه السلام: «لم تخلقها لتمتنع بها من سوء» إلى آخره. أنه تعالى لا يفعل لغرض عائد إليه من دفع مفسدة أو تحصيل منفعة، وهو كذلك.

وبرهانه: أنه لو فعل لغرض، لكان هو ناقصاً لذاته، مستكماً بتحصيل ذلك الغرض، لأنه لا يصلح غرضاً للفاعل إلا ما هو أولى به، وأصلح له من عدمه، وذلك

لأن ما استوى وجوده وعدمه بالنظر إلى الفاعل، أو كان وجوده مرجوحاً بالقياس إليه لا يكون باعثاً له على الفعل، وسبباً لإقدامه عليه بالضرورة. فكل ما كان غرضاً له وجب أن يكون وجوده أولى بالفاعل، وأصلح له من عدمه. وهو معنى الكمال. فإذا كان يكون الفاعل مستكماً بوجود الغرض، وناقصاً بدونه، وهذا أمر مجمع عليه. بقي أنه هل يجوز أن يفعل لغرض عائد إلى غيره أم لا؟

ذهبت الحكماء والأشاعرة إلى أنه لا يجوز لأن الغرض العائد إلى الغير من نفع وإحسان مثلاً، إن كان أولى بالنسبة إليه من عدمه عاد حديث الكمال والنقصان، وإن لم يكن أولى بل كان مساوياً أو مرجوحاً لم يصلح أن يكون غرضاً، لما مر من العلم الضروري.

وذهبت المعتزلة وجمهور الإمامية إلى أن نفي الغرض مطلقاً يستلزم العبث. وإن امتنع عود الغرض إليه عقلاً - كما تقدم بيانه - وجب أن يكون فعله سبحانه لغرض عائد إلى العبد، وهو إحسانه إليه. وادعاء العلم الضروري - بأنه إن لم يكن أولى به لم يصلح أن يكون غرضاً له - ممنوع، بل يكفي في كونه غرضاً له مجرد كونه أصلح للغير. وأيضاً إن أرادوا باستكمالهم بالغير حصول صفة الكمال بسبب الفعل فلا نسلم أن فعله لو كان لغرض كان ناقصاً لذاته، مستكماً بغيره، لجواز أن يكون كامل الذات، ويحصل له بحسب كل فعل كمال، ويتجدد له استحقاق الحمد والمدح لأجله. وإن أرادوا به غير ذلك فليبينوه. والمسألة ذات ذيل طويل فلتؤخذ من مظانها.

الثاني: لا يلزم من قوله عليه السلام: «ولكن أنشأتها إثباتاً لقدرتك على مثلها» إلى آخره. أن يكون إنشاؤها لغرض عائد إليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً، بل عائد إلى العبد، لأن دلالتها - على ثبوت قدرته على إنشاء مثلها عند العقول، وجعلها حجة ودليلاً على خلق شكلها الذي (١) النفوس - أمر يعود منفعتة إلى العباد، ليؤمنوا بعموم

وَأَسْتَخِيْلُكَ مِنْ ذُنُوبِي مَا قَدْ بَهَظَنِي حَمْلُهُ، وَأَسْتَغِيْنُ بِكَ عَلَى مَا
قَدْ فَدَحَنِي ثِقْلُهُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لِنَفْسِي عَلَى ظُلْمِهَا
نَفْسِي، وَوَكِّلْ رَحْمَتَكَ بِاخْتِمَالِ إِصْرِي، فَكَمْ قَدْ لَحِقَتْ رَحْمَتُكَ
بِالْمُسِيئِينَ، وَكَمْ قَدْ شَمَلَ عَفْوُكَ الْخَاطِئِينَ.

قدرته، ويوقنوا بجلاله وعظمته، فيوحدوه ويعبدوه، فيفوزوا برضاه ورحمته. كما قال سبحانه «وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون» (١). والله أعلم.

«مِنْ» في قوله: «(من ذنوبي)» مبيّنة للمبهم بعدها وهو «ما»، فقد مرّ غير مرّة بيان وجه جواز تقديمها عليه. والاستعانة: طلب المعونة. قال الشيخ أمين الإسلام الطبرسي: للرجوع إلى الله تعالى في طلب المعونة وجهان:

أحدهما: أن يسأل الله تعالى من الطافه ما يقوي دواعيه، ويسهل من الفعل عليه ما ليس بمحاصل.

والثاني: أن يطلب بقاء كونه قادراً على طاعاته المستقبلية، بأن يجدد له القدرة حالاً بعد حال عند من لا يقول ببقائها، وأن لا يفعل ما يضادّها وينفيها عند من قال ببقائها (٢). انتهى.

إذا عرفت ذلك فالاستعانة هنا من الوجه الأول، لأن الغرض منها سؤاله تعالى أن يفيض عليه قوة يستعدّ بها لغفران ذنوبه، ومحوسباته التي تعاضمه كثرتها، فأشبهت حاله حال من حمل على ظهره حملاً ثقیلاً فأثقله. يقال: فدحه الأمر فدحاً - من باب منع - أي أثقله.

والثقل - بالكسر، مخفف ثقل، كعنب - مصدر ثقل الشيء - بالضم - فهو ثقل .
و «على» بمعنى مع، أي مع ظلمها . مثلها في قوله تعالى : «وإن ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم» (١) «وأتى المال على حبه» (٢) .

ولما كانت النفس رهينة على الوفاء بالميثاق الذي واثقها الله تعالى به، والعهد
الذي أخذ عليها حين الإهباط إلى عالم الحس والخيال، أن ترجع إليه سالمة من
سخطه، عاملة بأوامره، غير منحرفة عن صراطه الموضوع على لسان رسوله صلى الله
عليه وآله، فإن وفّت بعهدا خرجت من وثاق الرهن، وضوعف لها الأجر، كما
قال تعالى (٣) : «ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً» (٤)، وإن
نكثت، وارتكبت ما نهيت عنه بقيت رهينة بعملها، كما قال تعالى : «كل نفس بما
كسبت رهينة» (٥) .

سأل (عليه السلام) ربه أن يمن عليه بفكك نفسه من رهانها وبها له .
والتوكيل : جعل الإنسان غيره قائماً بأمره، أو بأمر منها .
أي اجعل رحمتك قائمة باحتمال إصري، أي : بحمل ما أثقلني من الذنوب .
يقال : حمله حملاً واحتمله احتمالاً بمعنى .
والإصر : الحمل الثقيل الذي يأصر صاحبه، أي يحبس مكانه، فلا يستطيع
المشي به لثقله، استعير للذنوب العظيم . ومنه «ولا تحمل علينا إصراً» (٦) .
وقيل : هو الذنب الذي لا توبة له .
والمراد به هنا الذنوب الكثيرة التي قد أثقله حملها بقريضة ماقبله، جعلها كلها
حملاً واحداً .

و «الفاء» من قوله : «فكم» سبيّة، و «كم» خبريّة .

(١) سورة الرعد : الآية ٦ .

(٤) سورة الفتح : الآية ١٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .

(٥) سورة المدثر : الآية ٣٨ .

(٣) «ألف» : سبحانه .

(٦) سورة البقرة : الآية ١٨٦ .

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْنِي أَسْوَةَ مَنْ قَدْ أَنْهَضَتْهُ بِتَجَاوُزِكَ
عَنْ مَصَارِعِ الْخَاطِئِينَ، وَخَلَّصَتْهُ بِتَوْفِيقِكَ مِنْ وَرَطَاتِ الْمُجْرِمِينَ،
فَأُضْبَحَ ظَلِيقَ عَفْوِكَ مِنْ إِسَارِ سُخْطِكَ، وَعَتِيقَ صُغْبِكَ مِنْ وَثَاقِ
عَذْلِكَ.

ولحقت رحمتك بالمسيئين: أي أدركتهم وأصابتهم.
والمسيئين: الذين أساءوا وعملوا السوء، وهو كل ما يقبح شرعاً وعقلاً.
وشملهم الأمر- من باب تعب وقعد- شمولاً: عقمهم.
والخاطئين: أصحاب الخطايا. من خطئ الرجل إذا تعمد الذنب، وقصد فعله،
وهو من الخطأ المقابل للصواب، دون المقابل للعمد.
قال الراغب: الخاطيء: القاصد للذنب. وعليه قوله تعالى: «لَا يَأْكُلْهُ إِلَّا
الْخَاطِئُونَ» (١) إنتهى.
وقد جوز أن يراد بهم الذين يتخطون الحق، ويتعدون حدود الله. والله
أعلم.

«الفاء» لترتيب الدعاء والمندعوية على ما قبله، فإن كثرة لحوق رحمة بالمسيئين،
وشمول عفوه الخاطئين مما يقتضي طلب التجاوز والعفو.
والإسوة- بكسر الهمزة وضمها-: القدوة وهو من يقتدى به أي: يفعل مثل فعله
اقتداء به.

ونهض نهضاً ونهوضاً- من باب منع-: قام. وأنهضته أقتته.
وتجاوزت عن المسيء: عفوت عنه وصفحته (٢)
والصرع: الطرح على الأرض. والمصارع: مواضعه جمع مصرع. يقال: هذه
مصارع القوم، ولكل جنب مصرع.

شبه الخاطئين الذين أوبقتهم الخطايا بالمغلوبين الذين أثخنهم أعداؤهم جراحاً، وطرحوهم على الأرض، بجامع العجز عن الخلاص، فأثبت لهم المصارع، وهي استعارة مكنية مرشحة. والإنهاض أيضاً ترشيح. وهي من بديع الاستعارات، وأفصح الكلام. أي من قد نجته بعفوك عما يجب للخاطئين من العقوبات والنقم.

قال بعضهم: معنى جعله أسوة له أن ينهضه وينجيه قبله، بأن يبدأ بإنهاضه ونجاته، لأن الأسوة هو المبتدئ بالفعل الذي يتأسى به فيه، فهو من باب ذكر اللازم وإرادة الملزوم.

وقيل: معناه: أن يجعله بحيث يتأسى به، ويقتدى كل من أنهضه من صرعته، وخلّصه من ورطته، لحسن إنهاضه وتخليصه.

وخلص الشيء من التلف خلوصاً من باب قعد. وخلّصاً ومخلصاً: سليم ونجا. وخلّصته تخليصاً: سلّمته ونجّيته.

والورطات: جمع ورطة وهو الهلاك. وأصلها الوحل تقع فيه الغنم فلا تقدر على التخلص.

وقيل: أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها ترشد إلى الخلاص، وتورطت الغنم وغيرها: وقعت في الورطة، ثم استعمل في كلّ شدة وأمر شاق. وتورط فلان في الأمر إذا ارتبك فيه، فلم يسهل له المخرج منه (١).

وفي الحديث: إن من ورطات الأمور التي لا مخرج منها سفك الدّم الحرام بغير حلّه (٢).

قال الطيبي: هي جمع ورطة، وهي الهلاك (٣).

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٧٤.

(١) المصباح المنير: ص ٩٠٣.

(٣) حكاية الأزهري في تهذيب اللغة: ج ٤ ص ١٤، والفراهيدي في العين: ج ٧ ص ٤٤٦.

إِنَّكَ إِنْ تَفْعَلْ ذَلِكَ يَا إِلَهِي تَفْعَلْهُ بِمَنْ لَا يَجْحَدُ إِلَهِي حَقَّاقَ
عُقُوبَتِكَ ، وَلَا يُبَرِّئُ نَفْسَهُ مِنْ اسْتِجَابِ نِقْمَتِكَ . تَفْعَلْ ذَلِكَ يَا إِلَهِي
بِمَنْ خَوْفُهُ مِثْلَكَ أَكْثَرُ مِنْ ظَمْعِهِ فِيكَ ، وَبِمَنْ يَأْسُهُ مِنَ التَّجَاوِ أَوْكَدُ مِنْ
رَجَائِهِ لِلْخَلَاصِ ، لَا أَنْ يَكُونَ يَأْسُهُ قُتُوطًا ، أَوْ أَنْ يَكُونَ طَمَعُهُ اغْتِرَارًا ،
بَلْ لِقِلَّةِ حَسَنَاتِهِ بَيْنَ سَيِّئَاتِهِ ، وَضَعْفِ حُجَجِهِ فِي جَمِيعِ تَبَعَاتِهِ .

و «الفاء» من قوله : «فأصبح» للتعقيب .

وأصبح هنا : فعل ناقص بمعنى صار من غير اعتبار الزمان الذي دلّ عليه تركيب
الفعل ، أعني أصبح . نحو قوله سبحانه : «فأصبحتم بنعمته إخواناً» (١) .
والطلاق بمعنى المطلق : وهو الأسير الذي أطلق عنه إيساره وخلّى عنه ، فانطلق :
أي ذهب في سبيله .

والإسار : ككتاب ما يشد ويوثق به *بالتحقيق* كقولهم *أسروا* .

والعتيق : بمعنى المعتق ، من الإعتاق ، وهو تحرير العبد ، أي جعله حرّاً ، وتخليصه
من الرّق . ثم استعمل في التخليص مطلقاً .
والصنع : الإحسان ، كالصنيعة .

والوثاق - بالفتح ويكسر - بمعنى الإسار ، وهو ما يشد به .

والاستعارات في هذه الفقرات ظاهرة ، وقد تقدّم لها نظائر ، أغنى الكلام عليها
هناك عن إعادته هنا .

ذلك : إشارة إلى المذكور من جعله أسوة من أنهضه وخلّصه ، وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار إليه ، للإيذان بعلوّ درجته ، وبعد منزلته في الشرف
والفضل عنده .

و «تفعله» مجزوم في جواب الشرط . وهل العامل للجزم الأداة أو الشرط أو هما

معاً؟ خلاف.

وجحدت الأمر جحداً وجحوداً: أنكرته، قالوا: ولا يكون إلا على علم من الجاحد له.

ولا يبرئ نفسه: أي ينزهها، من برئ زيد من ذنبه يبرأ مهموزاً - من باب تعب - براءة: أي سقط عنه طلبه. وبرأته من العيب بالتشديد جعلته بريئاً منه. وتَفَعَّلُ - بالضم باتِّفاق النسخ - على الاستيناف.

وفي نسخة قديمة «بل تفعل ذلك» بزيادة بل الابتدائية. ومعناها الانتقال من غرض إلى آخر.

والخوف: توقع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة، أن الطمع توقع محبوب عن أمانة مظنونة، أو معلومة. وإذا علق كل منها بالذوات كما نقول: خفت زيدا، وطمعت فيه فعناه توقع مكروه أو محبوب يقع من جهة، وإلا فالذوات لا يتعلق بها خوف ولا طمع.

قال بعض العلماء: اعلم أن خوف الخائفين من الله تعالى قد يكون لأمر مكروهة لذاتها، وقد يكون لأمر مكروهة لأدائها إلى ما هو مكروه لذاته.

أما القسم الأول: فمثل أن يتمثل في نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت وشدة، أو سؤال القبر أو عذابه، أو هول الموقف بين يدي الله تعالى، والحياء من كشف الستر، والسؤال عن كل صغيرة وكبيرة، أو الخوف من المرور على الصراط وحدته، أو من النار وأهوالها وأغلاها، أو من حرمان الجنة، أو من نقصان الدرجات فيها، أو خوف الحجاب من الله تعالى. وكل هذه الأسباب مكروهة في أنفسها، ويختلف حال السالكين إلى الله فيها، وأعلاها رتبة خوف الفراق والحجاب عن الله عز وجل، وهو خوف العارفين. وما قبل ذلك فهو خوف العابدين والصلحاء والزاهدين.

وأما القسم الثاني: فأقسامه كثيرة كخوف الموت قبل التوبة، أو خوف نقض

التوبة، أو خوف الانحراف عن القصد في عبادة الله، أو خوف استيلاء القوى الشهوانية بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات المألوفة، أو خوف تبعات النفس عنده، أو خوف سوء الخاتمة أو خوف سبق الشقاوة في علم الله. وكل هذه ونحوها مخاوف عباد الله الصالحين، وأغلبها على قلوب المتقين خوف الخاتمة فإن الأمر فيه خطر (١). وأعلى الأقسام، وأدناها على كمال المعرفة خوف السابقة، لكون الخاتمة تبعاً لها، ومظهرة لما سبق في اللوح المحفوظ (٢)، كما تقدم بيانه في الروضة الحادية عشرة (٣).

قال بعض أرباب القلوب (٤): إذا سكن الخوف القلب أحرقت الشهوة، وطرده عنه الغفلة (٥).

قال بعضهم (٦): العلم قائد، والخوف سائق، والنفس مع ذلك حرون (٧) جموح، خداعة روَاعة فاحذرهما، وراعها سياسة العلم، وسقها بتهديد الخوف، لتقطع مفاوز الآفات، وتصل إلى دار الكرامات (٨).

وقال بعضهم (٩): خلق الله القلوب مساكن لذكره، فصارت مساكن

(١) وفي الأصل: مخطر. وهذا أولى.

(٢) المحجة البيضاء: ج ٧ ص ٢٧٣ - ٢٧٥ مع تقديم وتأخير، والأختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) ج ٢ ص ٤٤٦.

(٤) وهو أبو سليمان الداراني.

(٥) آداب النفس: ج ٢ ص ٢.

(٦) وهو عمر بن عثمان المكي.

(٧) وفي المصدر: والنفس حرون بعد ذلك جموح. وهذا هو الأصح. ولفظ «حرون» بمعنى غير

منقادة. ولفظ «جموح» بمعنى استعصى حتى عليه.

(٨) آداب النفس: ج ٢ ص ٣.

(٩) وهو عبد الله النكاكي.

الشهوات، فلا يمحوا الشهوات منها إلا خوف مزعج، أو شوق مقلق (١).
وقال بعضهم (٢): كل خائف إذا خاف من شيء من الأشياء هرب منه،
ومن خاف الله هرب إليه (٣).

وقال آخر (٤): الخائف يهرب من ربه إلى ربه (٥).
والياس: انقطاع الرجاء والطمع، يشي يئس - من باب تعب - يأساً.
والرجاء: قيل ظن يقتضي حصول مافيه مسرة.
وقيل: تعلق النفس بحصول محبوب في المستقبل.
وكما أن الخوف على أقسام، فالرجاء أيضاً على أقسام:
رجاء لمغفرته تعالى مع عدم التوبة كما قال: «وإن ريتك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم» (٦).

ورجاء لقبول التوبة عن السيئات، ورجاء لقبول الحسنات، ورجاء للتفضل.
ولما كان حمل النفس على الخوف دون الرجاء يوهم القنوط - كما قيل: من
حمل نفسه على الرجاء تعطل، ومن حمل نفسه على الخوف قنط - احتترز عليه السلام
عن ذلك بقوله: «لا أن يكون يأسه قنوطاً» أي لا لأن يكون، فحذف لام التعليل
لاطراد حذف الجار مع أن المصدرية، أي ليس كون خوفه أكثر من طمعه، ويأسه
أؤكد من رجائه، لكون يأسه قنوطاً، أي: يأساً من رحمة الله تعالى، فهو أخص من
اليأس.

ولما كان أكثرية الخوف، وزيادته على الطمع، وأوكدية اليأس، ورجحانه على
الرجاء، يوهم كون الطمع والرجاء في رحمة الله غروراً - أي سكوناً إلى الباطل، وما
لاحقيقة له - احتترز بقوله: «أو يكون طمعه اغتراراً». يقال: غره يغره غراً وغروراً،

(١) آداب النفس: ج ٢ ص ٣.

(٤) وهو الثوري.

(٢) وهو أبو القاسم الحلبي.

(٥) آداب النفس: ج ٢ ص ٢.

(٣) آداب النفس: ج ٢ ص ٢.

(٦) سورة الرعد: الآية ٦.

وغرة بالكسر: أي أطمعه بالباطل، وخذعه. فاغترّ هو اغتراراً.
 أي «ليس كون خوفه أكثر من طمعه» ويأسه أوكد من رجائه، لكون طمعه
 طمعاً في ما لاحققة له، فيكون اغتراراً.
 «بل لقلة حسناته» - أي بل هو لأجل قلة حسناته - قيل: إضراب عما يدلّ عليه
 ماسبق، وإبطال له.

أي ليس الأمر كذلك، بل سببه كون حسناته قليلة بين سيئاته أي: في
 وسطها. فهو إما ظرف لغو متعلق بقلة، أو مستتر متعلق بمحذوف حال من حسناته،
 أي حال كونها بين سيئاته.

و«بين» هنا: للمكان المجازي.

وقلة الحسنات بين السيئات: كناية عن اتصال السيئات غالباً بحيث
 لا تتخللها حسنة إلا نادراً، لأن «بين» موضوعة للخلل والفرجة بين الشيئين، فإذا
 كانت الحسنات قليلة بينها كانت في الغالب متصلة لا يفصل بين السيئة، والسيئة
 فاصل بل صدر هذي بعجز تلك وهلم جرأ، وهذا من بليغ الكلام وبديع البراعة في
 البلاغة.

ويحتمل أن يكون المراد بالقلة العدم، كما يقال: فلان قليل الخير أي لا يكاد
 يفعل.

وغرضه أنه لا يخالط سيئاته حسنة، فلا يكون ممن قال الله سبحانه فيهم:
 «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم،
 إن الله غفورٌ رحيم» (١). كل ذلك لعدم اعتداده عليه السلام بحسناته، وكمال
 اعتناؤه واهتمامه بما يعتقد في نفسه، ويعده سيئة. والله أعلم بمقاصد أوليائه.

والضعف - بالفتح - لغة تميم، و- بالضم - لغة الحجاز. ومنهم من يجعل المفتوح

في الرأي، والمضموم في الجسد، واتفقت النسخ هنا على الفتح. ثم هوتارة يستعمل في خلاف القوة، وتارة في خلاف الصحة، وهو المراد هنا.

والحجج: جمع حجة، وهي البيّنة الواضحة.

وقيل: هي الدلالة المبيّنة للقصد الصحيح الذي تقتضي صحة أحد النقيضين، قال الله تعالى: «فلله الحجة البالغة» (١)، وقد تطلق على العذر.

ومنه حديث: من خلع يداً من طاعة الله لقي الله لا حجة له (٢).

قال النووي في شرح مسلم: أي لا حجة له في فعله، ولا عذر له ينفعه (٣).

والتبعات: جمع تبة، على وزن كلمة.

قال في المحكم: التبعة والتباعة ما أتبع به صاحبك من ظلامة ونحوها. والتبعة والتباعة مافيه إثم يتبع به (٤) انتهى.

والمعنى الثاني قلّ من نبيه عليه من أهل اللغة، وإرادته هنا متعيّنة، وإن أمكن الحمل على المعنى الأول بضرب من التأويل.

تنبيه

قال بعض الأصحاب: إعترافه عليه السلام يكون خوفه أكثر من طمعه ويأسه أوكد من رجائه ينافي بالظاهر مارواه في الكافي من جملة حديث: أنه ليس من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نوران نور خيفة، ونور رجاء. لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا (٥).

فإنما أن يراد به غير المعصوم، أو أن المقام هنا - وهو التذلل والخضوع - يقتضي

(١) سورة الانعام: الآية ١٤٩.

(٢) و (٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٢٤٠.

(٤) محكم اللغة: ج ٢ ص ٤٣.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٦٧ ح ١ و ص ٧١، ح ١٣.

ذلك، أو أنّ مساواة النورين لا يستلزم الخوف والرجاء، أو لما ذكره عليه السّلام من قلّة الحسنات بين السيئات، أو أنّ الخوف يزيد بمخاطبة الخوف منه ومشاهدته (١). انتهى.

قلت: قد علمت أنّاً من بيان أقسام الخوف أنّ أعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى، وهو خوف العارفين. ولما كان عليه السّلام سيّد العابدين، وإمام الزاهدين وجب حل خوفه على هذا القسم من الخوف، وهذا غير الخوف الذي يجب أن يكون مساوياً للرجاء، فإنّ العارف مادام في هذه النشأة لا يزال ملتبساً بأحكام البشريّة، وأوصاف الإنسانيّة مع ما مزجت به الطينة من النقص والقصور، وحقت به الأحوال من الشوائب والنوائب. فإذا رأى ما هو عليه من ذلك، وإستشعر عظمة ذي الجلال وتزهره، وتقدّسه عن أن يلمّ بساحة قدسه من يشمّ منه رائحة البشريّة. كما قيل: *بما للثراب وربّ الأرباب اشتدّ خوفه وكثر* وقلّ طمعه وقصر، وتأكّد يأسه وضعف رجائه، وتقطعت من الحزن والجزع أحشاؤه.

ومن هنا قال بعضهم: إنّ الخوف والرجاء من بقايا الاحساس بأحكام البشريّة، وأوصاف الإنسانيّة، وهذه السيئات التي أشار إليها عليه السّلام بقوله: «بل لقلّة حسناته بين سيئاته» هي بعينها حسنات الأبرار، وهذه التبعات هي صوالح أعمال الأخيار.

كما ورد: حسنات الأبرار سيئات المقرّين، وأنوار الصادقين ظلم في حق الصّديقين (٢).

وإلى هذا المقام وصاحبه أشار أمير المؤمنين عليه السّلام وسيد الوصيّين صلوات الله وسلامه عليه بقوله من خطبة له: عباد الله، إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً

فَأَمَّا أَنْتَ يَا إِلَهِي فَأَهْلٌ أَنْ لَا يَغْتَرِبَكَ الصَّدِيقُونَ، وَلَا يَيَأْسَ مِنْكَ
الْمُجْرِمُونَ، لِأَنَّكَ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَمْنَعُ أَحَدًا فَضْلَهُ، وَلَا
يَسْتَقْصِي مِنْ أَحَدٍ حَقَّهُ.

أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في
قلبه... إلى آخر ما قال. وهو مذكور في نهج البلاغة (١).

فتراه عليه السلام كيف جعل استشعاره الحزن، وتجلببه الخوف، متسبباً عن
إعانة الله تعالى له على نفسه، ولم يجبر للطمع، ولا للرجاء معه ذكر. وهذا هو الخوف
الذي عناه سبطه عليه السلام في دعائه، فافهم ذلك. والله يقول الحق، وهو يهدي
السبيل..

يقال فلان أهل لكذا: أي جدير به، ومستحق له.
واغتررت به: ظننت الأمن، فلم أتحفظ.

والصدّيقون: جمع صديق - بالكسر والتشديد - وهو الملازم للصدق.
وقال ابن الأثير: هو فعيل، للمبالغة في الصدق، ويكون للذي يصدق قوله
بالفعل (٢).

وقال الراغب: الصديق: يقال لمن كثر منه الصدق، وقيل: بل لمن لم يكذب
قط، وقيل: بل لمن لم يتأت منه الكذب لتعوده الصدق، وقيل: بل لمن صدق بقوله
وإعتقاده، وحقّق صدقه بفعله، قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: «إِنَّهُ كَانَ
صَدِيقًا نَبِيًّا» (٣) وقال: «أُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» (٤). والصدّيقون قوم دون الأنبياء في
الفضيلة (٥). انتهى.

(٤) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٥) المفردات: ص ٢٧٧.

(١) نهج البلاغة: ص ١١٨، الخطب ٨٧.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ١٨.

(٣) سورة مريم: الآية ٤١.

تَعَالَى ذِكْرُكَ عَنِ الْمَذْكُورِينَ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ عَنِ
الْمُنْسُوبِينَ، وَفَشَتْ نِعَمَتُكَ فِي جَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى
ذَلِكَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وقال بعضهم: لا واسطة بين الصديق والنبى ولذلك قال تعالى في هذه الآية:
«من النبيين والصديقين» وفي صفة إبراهيم «إنه كان صديقاً نبياً» يعني إنك إن
ترقيت من الصديقين وصلت إلى النبيين، وإن نزلت عن النبيين وصلت إليهم.
واستقصيت الأمر وتقصيته: بلغت الأقصى في البحث عنه، واستقصى حقه
أخذه كله ولم يترك منه شيئاً.

وقوله عليه السلام: «لأنك الرب العظيم» إلى آخره تعليل لكونه أهلاً أن
لا ييأس منه المجرمون، لا المضمون الفقيرتين معاً.
وفي معنى هذا الفصل من الدعاء قول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في
نهج البلاغة: لا تأمنن - على خير هذه الأمة - عذاب الله، لقول الله سبحانه: «فلا
يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون» ولا تيأسن لشر هذه الأمة من روح الله لقول
الله سبحانه: «إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» (١).

قال الإمام الطبرسي: مكر الله: عذابه. سمي مكرأ لنزوله بمستحقه من حيث
لا يشعر. وقد يسأل فيقال: إن الأنبياء والمعصومين عليهم السلام أمنوا مكر الله وليسوا
بخاسرين. وجوابه: إن معناه لا يأمن عقاب الله جهلاً بحكمته إلا الخاسرون. إنتهى
ملخصاً بالمعنى (٢) .

تعالى: أي ارتفع وتنزه، من العلو. وصيغة التفاعل للمبالغة، وهو إنشاء في
صورة الخبر، لأن الغرض منه استعظام ذكره، وتنزيهه عن مساواته لذكر المذكورين.
والمراد بذكره تعالى: إما ذكره بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد والثناء

عليه، فيكون المراد تنزهه وتعاليه عن ذكر من يذكر بالمفاخر والمحامد والمحاسن من المخلوقين، لأن ذكره تعالى شرف للذاكرين، وغايته سعادة الدارين، وما يترتب عليه من الفوائد والنتائج أمر محقق متيقن لا ريب فيه، ودائم مستمر لا إنقطاع ولا زوال له. وذكر غيره إزاء بالذكر، وغايته إن أريد به المفاخرة، فتضييع وحرمان، وإن أريد به العارفة (١) والمشوبة، فأمر مشكوك حتى يقع. فإذا وقع فهو قليل منقطع زائل.

أو يكون المراد؛ إن ما يذكر به سبحانه من المحامد والمادح منزه عن أن يذكر به المخلوقون، لعدم استحقاقهم له.

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في آخر خطبة له: هذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هولك، ولم ير مستحقاً هذه المحامد والمادح غيرك (٢).
فالذكر على الأول مراد به الحاصل بالمصدر، وعلى الثاني المذكور به.

وإما أن يكون المراد: «بذكره تعالى» شرفه وعلوه وعظمته، من قولهم «لفلان ذكر في الناس» أي شرف ونباهة وصيت، وهذا المعنى فُسِّرَ قوله تعالى: «وإنه لذكر لك ولقومك» (٣).

قال الزمخشري: أي إن الذي أوحى إليك لشرف لك ولقومك (٤).
ويقال: فلان مذكور: أي ذو شرف ونباهة وشهرة. ومنه قوله سبحانه.
«والقرآن ذي الذكر» (٥).

قال في الكشف: والذكر: الشرف والشهرة، من قولك: فلان مذكور (٦).
فيكون المراد: «بالمذكورين» أولي الشرف والنباهة، أي تعالى شرفك، وتنزهت عظمته عن شرف أولي الشرف، لتعالیه تعالى عن صفات المخلوقين، إذ

(١) «ألف»: الصارفة.

(٤) تفسير الكشف: ج ٤ ص ٢٥٤.

(٢) نهج البلاغة: ص ١٣٦، الخطب ٩١.

(٥) سورة ص: الآية ١.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

(٦) تفسير الكشف: ج ٤ ص ٧٠.

لأنسبة بين الربِّ والمربوب في صفة من الصفات.
وتقدّست: أي تنزّهت. وأصله من القدس - بالضمّ وبضمّتين - وهو الطهر، ثمّ
استعمل تقدّس، والتقدّيس، بمعنى التنزّه والتنزيه.
يقال: تقدّس الله. أي تنزّه عن كلّ ما لا يليق بشأنه.
والمراد بأسمائه تعالى: أسماؤه الحسنی الدالة على معاني الكمال ونعوت الجلال.
قالوا: وهي محصورة في نوعين: عدم افتقاره إلى غيره، وثبوت افتقار غيره إليه.
والمراد: «بالمنسوبين»؛ إمّا أولو الحسب والنسب من قولهم: فلان نسيب
ومنسوب أي ذو حسب ونسب. فيكون المعنى تنزّهت أسماؤك أن يسمّى بها غيرك
من أولي الشرف والحسب والنسب.
وإمّا أولو القرابة، وأولو صلة. فيكون المعنى تنزّهت أسماؤك عن أن يسمّى بها
أحد من الناس. ومن البين أنّ أسماءه تعالى مختصة به، متعالية عن أن يسمّى بها
غيره. وأمّا إطلاق مثل الرحيم والكریم والعزیز على غيره فليس معناها في حقّه تعالى
هو معناها في حقّ غيره، بل هو بحسب اشتراك الاسم لا غير.
وإيثار عنوان المنسوبيّة لإفادة كمال التباين بينه وبين غيره، لتفرّده بعدمها
واشتراك من عداه فيها.
وفشا الشيء فشواً: ظهر وكثر وانتشر.
و«الفاء» من قوله: «فلك الحمد» لترتيب اختصاص الحمد به تعالى على
ما قبله، فإنّ فشواً نعمته في جميع المخلوقين من موجباته ودواعيه. ووصفه تعالى بربوبية
العالمين لا يخفى مناسبتُهُ لفشواً نعمته سبحانه في جميع المخلوقين.
هذا آخر الروضة التاسعة والثلاثين من رياض السالكين، وفق لإكمالها
واجتلاء بدر كمالها غرة ذي الحجّة الحرام، آخر شهور سنة أربع ومائة وألف، والله
الحمد.



مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی



الروضة الأربعون

مركز بحوث وتطوير علوم إلكترونية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ عَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا رَعَى الْيُسْرِيَّةَ ذَكَرَ الْمَوْتَ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَافْعَلْنَا طَوْلَ الْأَمَلِ وَقَصِيرَةَ عِشَا
بِصِدْقِ الْعَمَلِ حَتَّى لَا نُؤَمِّلَ اسْتِمَامَ سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ وَلَا
اسْتِيفَاءَ يَوْمٍ بَعْدَ يَوْمٍ وَلَا اتِّصَالَ نَفْسٍ بِنَفْسٍ وَلَا لُحُوقَ قَدَمٍ
بِقَدَمٍ وَسَلِّمْنَا مِنْ غُرُورِهِ وَأَمِثْنَا مِنْ شُرُورِهِ وَانصِبِ الْمَوْتَ بَيْنَ
أَيْدِينَا نَضْبًا وَلَا تَجْعَلْ ذِكْرَنَا لَهُ غِبًا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ
عَمَلًا تَسْتَبْطِئُ مَعَهُ الْمَصِيرَ إِلَيْكَ وَتُخْرِصُ لَهُ عَلَى وَشَاةَ الْحَقِ
بِكَ حَتَّى يَكُونَ الْمَوْتُ مَا كُنَّا الَّذِي نَأْتِسِرُ بِهِ وَمَا كُنَّا الَّذِي كُنَّا
إِلَيْهِ وَحَاسَتَنَا الَّتِي تُحِبُّ الدُّنْيَا مِنْهَا فَادًّا أَوْرَدَتْهُ عَلَيْنَا وَأَتْرَكَتْهُ بِنَا
فَاسْعِدْنَا بِهِ زَانِرًا وَالْإِسْنَاءَ بِهِ فَادِمًا وَلَا تُشْقِنَا بِضِيَّافِهِ وَلَا تُخْرِجْنَا
بِرِيَا رَيْدِهِ وَاجْعَلْهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ مَغْفِرَتِكَ وَمِفْتَاحًا مِنْ مَفَاتِيحِ
رَحْمَتِكَ أَمِثْنَا مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ طَائِعِينَ غَيْرَ مُسْتَكْرِمِينَ
تَائِبِينَ غَيْرَ عَاصِينَ وَلَا مُصِرِّينَ بِأَضَائِنِ جَزَائِهِ
الْحَسَنِينَ وَمُسْتَصْلِحَ عَمَلِ الْمُقْدِسِينَ



بسم الله الرحمن الرحيم
وإياه نستعين

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة، وأحصى الأحياء والاموات، والصلاة والسلام على نبيّه الذي شرفه على كل ميّت وحَيّ، وبعثه من أشرف بيت (١) وحَيّ، وعلى أهل بيته الذين بآثارهم يقتدي المقتدون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون.

وبعد: فهذه الروضة الأربعون من رياض السالكين، تتضمن شرح الدعاء الأربعين من صحيفة زين العابدين وسيد الزاهدين، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الصادقين، إملأء راجي فضل ربّه السنيّ عليّ صدرالدين الحسيني الحسيني، لطف الله به ميّتاً وحياً، وأكرمه في الدارين بفضله.

(١) «ألف»: ميت.

شرح الدعاء الأربعين

«وكان من دعائه عليه السلام»
إذا نُعِيَ إِلَيْهِ مَيِّتٌ أَوْ ذَكَرَ الْمَوْتُ.

نُعِيتَ الْمَيِّتَ (١) نَعِيًّا - من باب منع - : أَخْبِرْتَ بِمَوْتِهِ، فَهُوَ مَنْعِيٌّ .
قال الجوهري: أَصْلُ مَيِّتٍ: مَيُوتُ عَلَى فِعْلٍ، ثُمَّ أُدْغِمَ، ثُمَّ يَخَفَّفُ فَيَقَالُ مَيِّتٌ،
حيث قال الشاعر وقد جمعهما في بيت واحد: *مَيِّتٌ وَمَيُوتٌ وَاحِدٌ*
ليس مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ أَنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ (٢) انتهى
وفَرَّقَ بعضهم بينهما فقال الْمَيِّتُ بالتشديد يطلق على الْحَيِّ الَّذِي سَيَمُوتُ، قال
تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (٣) وبالتخفيف يطلق على مَنْ قَدِمَات، ونظم
بعضهم ذلك فقال:

تسألني تفسير مَيِّتٍ ومَيِّتٍ فهناك صحيح القول إن كنت تعقل
فمن يك ذا روح فذلك مَيِّتٍ وما المَيِّت إلا من إلى القبر ينقل
والصحيح: أَنَّ الْمَيِّتَ بالتشديد يطلق على مَنْ (٤) مَاتَ وَعَلَى مَنْ سَيَمُوتُ،
والمَيِّت لا يطلق إلا على مَنْ قَدِمَات. والموت عدم الحياة عمَّا اتَّصَفَ بِهَا، وقيل:
كَيْفِيَّةٌ وَجُودِيَّةٌ يَخْلُقُهَا اللَّهُ فِي الْحَيِّ فَهُوَ ضِدُّهَا، لقوله تعالى: «خَلَقَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَاةَ» (٥). وَالْخَلْقُ لِكَوْنِهِ بِمَعْنَى الْإِيجَادِ لَا يَتَصَوَّرُ إِلَّا فِيهَا لَهُ وَجُودٌ.

(١) «ألف»: الموت. (٢) الصحاح: ج ١ ص ٢٦٧. (٣) الملك: الآية ٢.
(٤) «ألف»: مَنْ قَدِمَات. (٥) الزمر: الآية ٣٠.

قال صلوات الله وسلامه عليه:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنَا طُولَ الْأَمَلِ، وَقَصِّرْهُ عَنَّا بِصِدْقِ

وأجيب: بأن معنى الخلق هنا التقدير لا الإيجاد. وتقدير الأمور العدمية جائز كتقدير الوجوديات. ولو سلم؛ فالمراد بخلق الموت إحداث أسبابه على حذف المضاف، وهذا وإن كان خلاف الظاهر، لكنه كافٍ في دفع الاحتجاج.

فائدة

قد يطلق الموت على معانٍ أخر مجازاً، كما تطلق الحياة على غير الصفة التي تقتضي الحس والحركة الإرادية، وتفتقر إلى الروح والبدن، مجازاً أيضاً.

قال الراغب: أنواع الموت بحسب أنواع الحياة خمسة:

الأول: ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوان والنبات، نحو قوله

تعالى: «وأخينا به بلدة ميتاً» (١)، كقوله تعالى: «وَيَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْمُبِينُ

الثاني: زوال القوة الحساسة. قال سبحانه: «أَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَخْرُجْ حَيًّا» (٢).

الثالث: زوال القوة العاقلة، وهي الجهالة. نحو: «أَوَمِنْ كَانَ مَيْتًا

فَأَحْيَيْنَاهُ» (٣) وإياه قصد بقوله تعالى: «إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى» (٤).

الرابع: الحزن المكدر للحياة. وإياه عني بقوله تعالى: «وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ

مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ» (٥).

الخامس: المنام. فقد قيل: النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل. وعلى هذا

النحو سمّاهما الله توقياً فقال: «اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي

مَنَامِهَا» (٦). (٧) إنتهى ٥

(٥) سورة إبراهيم: الآية ١٧.

(٦) سورة الزمر: الآية ٤٢.

(٧) المفردات: ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

(١) سورة ق: الآية ١١.

(٢) سورة مريم: الآية ٦٦.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

(٤) سورة النمل: الآية ٨٠.

الْعَمَلِ حَتَّى لَا نُؤَمَّلَ اسْتِثْمَامَ سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ، وَلَا اسْتِيفَاءَ يَوْمٍ بَعْدَ يَوْمٍ،
وَلَا اتِّصَالَ نَفْسٍ بِنَفْسٍ، وَلَا لُحُوقَ قَدَمٍ بِقَدَمٍ، وَسَلَّمْنَا مِنْ غُرُورِهِ وَآمِنَّا
مِنْ شُرُورِهِ.

الأمل: تعلق النفس بمحصل محبوب في المستقبل. ويرادفه الطمع والرجاء، غير
أنَّ الأمل أكثر ما يستعمل فيما يستعبد حصوله، والطمع فيما قرب حصوله والرجاء بين
الأمل والطمع، وقد يستعمل أحدهما مكان الآخر. وفرق بعضهم بين الأمل
والرجاء بأنَّ الأمل: يكون في الممكن والمستحيل، والرجاء يختص بالممكن.
والصحيح. أنَّ هذا الفرق بين التمني والرجاء، وأمَّا الأمل فلا يكون في المستحيل.
وطول الأمل: عبارة عن توقع أمور دنيوية يستدعي حصولها مهلة في الأجل،
وفسحة من مستقبل الزمان.

والصدق: خلاف الكذب، وأصلهما في القول، فالصدق فيه مطابقة ما تضمنه
من الحكم للواقع، والكذب عدم مطابقته له. وقد يستعملان في أفعال الجوارح،
فيقال: صدق زيد القتال، وصدق في القتال: إذا وقاه حقه، وفعل فيه ما يجب على
ما يجب وكما يجب. وكذب في القتال إذا كان بخلاف ذلك.

ومن هذا الباب عبارة الدعاء فصدق العمل: عبارة عن تأدية حقه بالاجتهاد
فيه وفعله كما يجب وعلى ما يجب.

والعمل: كل فعل من الحيوان بقصد. فهو أخص من الفعل، وهو يستعمل في
الأعمال الصالحة والسيئة قال تعالى: «خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً» (١). والمراد
به (٢) العمل الصالح بقرينة المقام. و«الباء» من أقوله: «بصدق العمل» إما
للاستعانة، فالظرف لغو متعلق بقصره، وإما للملابسة، فالظرف مستقر متعلق
بمحذوف هو حال من الضمير المجرور بعن، أي قصره عتاً ملتبسين بصدق العمل.
واستتممت (٣) الشيء: أي أتممته.

(٣) «ألف» استتمت.

(٢) «ألف»: به هنا.

(١) التوبة: الآية ١٠٢.

قال الجوهري: تم الشيء تماماً وأتمه غيره، وتَمَّمه، واستتمَّه بمعنى (١)، أي لا نؤمل (٢) إتمام ساعة بعد ساعة، والساعة جزء من أجزاء الزمان، والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت من ليل أو نهار وإن قلَّ. وعليه قوله تعالى: «لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً» (٣).

واستيفاء الشيء: أخذه وافياً. وإيقاعه هنا على اليوم مجاز عن الظلول فيه إلى آخره.

واليوم: أوله من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.
والاتصال: اتحاد الأشياء بعضها ببعض كاتحاد طرفي الدائرة. وضده الانفصال وهو هنا عبارة عن تتابع الأنفاس بعضها. إثر بعض حتى كأنها متصلة ومتحدة.

والنفس بفتحتين: الريح الداخلة والخارجة في البدن من المنخر والفم. وهو كالغذاء للنفس، ويانقطاعه يكون بطلانها.
ولحق به لحوقاً: تبعه، فوصل إليه، وأدركه كلحقه.
والقدم من الانسان: معروفة وهي مؤنثة وتصغيرها قديمة بأهاء وجمعها الأقدام.
والغرور: الخديعة. يقال: غرَّه الدنيا غروراً. من باب قعد. أي خدعته بزینتها.

والشرور: جمع شر، وهو السوء والفساد، والمراد به هنا: ما يترتب على طول الأمل من المفاصد الدينية. هذا وإنما استكنى عليه السلام ربه طول الأمل ورعب إليه في المبالغة في تقصيره لما يترتب عليه من المضار الدينية والمفاصد الأخروية، وقد ورد من الآثار والأخبار في التحذير منه، والتنفير عنه دائرة الاحصاء وتقصر عن

(١) الصحاح: ج ٥ ص ١٨٧٧.

(٢) «ألف»: نؤمل.

(٣) سورة الاعراف: الآية ٣٤ و سورة النحل: الآية ٦١.

قطع مسافته قدم الاستقصاء، وكفى في ذلك قوله تعالى: «ربما يؤذ الذين كفروا لو كانوا مسلمين. ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون» (١) فنبه سبحانه على أن إثارة التلذذ والنعم ما يؤدي إليه طول الأمل من أخلاق الكافرين لامن أخلاق المؤمنين.

وأما الآثار والأخبار: فمن ذلك ما ورد في الحديث القدسي: يا موسى لا تطول في الدنيا أملك فيقسل لذلك قلبك، وقاسي القلب مني بعيد (٢). وفي وصيته صلى الله عليه وآله لأبي ذر: يا أباذر: إياك والتسويق بأهلك، فانك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن لك غد فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غد، لم تندم على ما فرطت في اليوم.

يا أباذر: كم من مستقبل يوماً لا يستكمل، ومنتظر غداً لا يبلغه.
يا أباذر: لو نظرت إلى الأجل ومضيته لأبغضت الأمل وغروره.
يا أباذر: كن كأنك في الدنيا غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أصحاب القبور.

يا أباذر: إذا أصبحت لا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح (٣).

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خط خطاً وقال: هذا الإنسان. وخط إلى جنبه وقال: هذا أجله. وخط آخر بعيداً منه فقال: هذا الأمل. فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب (٤).

وفي خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام: إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان؛

(١) سورة الحجر: الآية ٢ و ٣.

(٢) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية: ص ٣١.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٤٥٩.

(٤) غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ج ٢ ص ٣٩٤.

اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصُدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة (١).

وفي خطبة أخرى: واعلموا أنَّ الأمل يسهي العقل، وينسي الذكر فاكذبوا الأمل فإنه غرور، وصاحبه مغرور. فهى عليه السَّلام عن الأمل وبين مضاره وشروره (٢).

وروي أن اسامة بن زيد اشترى وليدة بمائة دينار إلى شهر، فبلغ النبي صلى الله عليه وآله فقال لا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر، ان اسامة لطويل الأمل (٣).

وفي رواية: إنه اجتمع عبدان من عباد الله فقال أحدهما للآخر: ما بلغ من قصر أملك؟ فقال: أمني إذا أصبحت أن لا أمسي، وإذا أمسيت أن لا أصبح. فقال: إنك لطويل الأمل. أما أنا فلا أوئل أن يدخل لي نفس إذا خرج، ولا يخرج لي نفس إذا دخل (٤).

وقال رجل لبعض الصالحين: انا خارج الى بغداد فهل لك من حاجة؟ فقال: ما أحب أن أبسط أمني حتى تذهب إلى بغداد وتجيء (٥).

وحضر بعض الصوفية (٦) في دعوة مع أصحابه فمَدَّ يده إلى جام فيه خبيص (٧) نحو الصومعة من السكر، فقال: له بعض من حضر: ارفق قليلاً حتى تبلغ من ناحيتك إليها. فقال: أمني أقصر من أن أحدث نفسي ببلوغ ذلك المكان. فبكى قوم من لفظه، وضحك آخرون من نادرته (٨).

وبالجملة فإنَّ مضارَّ طول الأمل وشروره لا تحصى على من، هدى الله قلبه. لو

(٥) آداب النفس: ج ٢ ص ٣٠.

(٦) وهو البوشنجي.

(٧) الخبيص والخبيصة: الحلواء.

(٨) آداب النفس: ج ٢ ص ٣٠.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٥ ح ٣.

(٢) نهج البلاغة: ص ١١٨ الخطب ٨٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ١٦٦ ح ١٢٧، مشكاة الأنوار: ص ٨٧.

(٤) راجع آداب النفس: ج ٢ ص ٢٧.

«وَانْصِبِ الْمَوْتَ بَيْنَ أَيْدِينَا نَضْبًا، وَلَا تَجْعَلْ ذِكْرَنَا لَهُ غِيًّا، وَاجْعَلْ

لم يكن فيه إلا نسيان الآخرة الذي أشار أمير المؤمنين عليه السلام إليه بقوله: «وأما طول الأمل فينسي الآخرة» (١) لكفى.

وبيانه: أن طول الأمل توقع الأمور المحبوبة الدنيوية توجب دوام ملاحظتها. ودوام ملاحظتها مستلزم لدوام إعراض النفس عن ملاحظة أحوال الآخرة. وهو مستعقب لإفحام تصوورها في الذهن. وذلك معنى النسيان لها. وبه يكون الهلاك السرمدى والشقاء الأبدى نعوذ بالله من ذلك.

قال بعضهم: وسبب طول الأمل هو حب الدنيا، فإن الإنسان إذا أنس بها وبلذاتها ثقل عليه مفارقتها، وأحب دوامها، فلا يتفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، فإن من أحب شيئاً كره الفكر فيما يزيله ويبطله، فلا يزال يمتني نفسه البقاء في الدنيا، ويقدر حصول ما يحتاج إليه من أهلي ومال وأدوات وأسباب، ويصير فكره مستغرقاً في ذلك، فلا يخطر الموت بباليه، وإن خطر بخاطره الموت والتوبة والإقبال على الأعمال الأخروية أخر ذلك من يوم إلى يوم، ومن شهر إلى شهر، ومن عام إلى عام. وقال: إلى أن اكتهل ويزول سنّ الشباب. فإذا اكتهل قال: إلى أن أصير شيخاً. فإذا شاخ قال: إلى أن أتم عمارة هذه الدار، وأزوج ولدي فلاناً، أو إلى أن أعود من هذا السفر، وهكذا يسوّف التوبة. كلّما فرغ من شغلٍ عرض له شغل، بل أشغال، حتى يختطفه الموت وهو غافل عنه، غير مستعدّ له، مستغرق القلب في أمور الدنيا، فتطول في الآخرة حسرته، وتكثر ندامته، وذلك هو الخسران المبين (٢). نعوذ بالله منه.

نصبت الشيء نصباً - من باب ضرب - ألقته. ونصب الموت بين اليدين عبارة عن جعله على ذكر بحيث لا يغيب عن الذهن لحظة. وهو تمثيل بحال ما ينصب أمام

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٢٥ ح ٣.

(٢) سراج القلوب بهامش قوت القلوب: ج ١ ص ١٧٥ - ١٧٦. مع اختلاف يسير.

لَنَا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ عَمَلًا نَسْتَبْطِئُ مَعَهُ الْمَصِيرَ إِلَيْكَ، وَنَخْرِصُ لَهُ عَلَى وَشَكِّ اللَّحَاقِ بِكَ، حَتَّى يَكُونَ الْمَوْتُ مَأْنَسًا الَّذِي تَأْنَسُ بِهِ، وَمَأْلَفْنَا الَّذِي نَشْتَأِقُ إِلَيْهِ، وَحَامَتْنَا الَّتِي نُحِبُّ الدُّنْيَا مِنْهَا».

الإنسان، فهو لا يغيب عن نظره وقتاً مآ. وهذا كما يقال هو نُصِبَ عيني.

قال في القاموس: هو بالضمّ والفتح أو الفتح لحن (١).

وفي نسخة بين أعيننا، ونصباً: مفعول مطلق مؤكد لعامله.

والغيب - بالكسر - أن ترد الإبل الماء يوماً، وتدعه يوماً. ومنه حمى الغيب وفي

الحديث: «زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حَبًّا» (٢).

وعن الحسن: الغيب في الزيارة أن يكون كل أسبوع (٣).

وقال ابن الأثير في النهاية: الغيب من أوراد الإبل فنقل إلى الزيارة، وإن جاء

بعد أيام. يقال: غِيبَ الرجل: إذا جاء زائراً بعد أيام (٤).

وقال في شرح جامع الأصول: ومنه «مَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا غَيْبًا» أي لا يداومون

على أكله. وهو في أوراد الإبل أن تشرب يوماً، وتدعه يوماً. وفي غيره أن تفعل

الشيء يوماً، وتدعه أياماً (٥) إنتهى.

والمراد هنا: طلب المداومة على ذكر الموت بحيث لا يترك ذكره يوماً أو أياماً.

وقد تواترت الأخبار بالحض على الاكثار من ذكر الموت. ومن ذلك: «أَكْثَرُوا مِنْ

ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ» وذلك لاستلزامه تقصير الأمل، والجد في العمل، والعزوف عن

دار الغرور، والسعي لدار النعيم والسرور. قال بعض العلماء: حق العاقل أن يكثر

من ذكر الموت، فذكره لا يقرب أجله، ويفيده ثلاثاً: القناعة بما رزق، والمبادرة

بالتوبة، والنشاط في العبادة. ولذلك قال عليه السلام: «أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ

(١) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٣٣.

(٢) و (٣) و (٤) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٣٣٦.

(٥) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

اللذات» فإنه ما ذكره أحد في ضيق الآ وتسعه عليه، ولا في سعة إلا ضيقها عليه (١).

وقيل: ذكر الموت يطرد فضول الأمل، ويكف عزب (٢) المني وهون المصائب، ويحول بين الإنسان والطغيان.

قوله عليه السلام: «واجعل لنا» اجعل هنا بمعنى الإيجاد، وهو متعة إلى واحد. واللام معتلة به، أي وفقنا للإتيان بعمل من صالح الأعمال، وإسناد الجعل إليه تعالى لأنه السبب الأول.

واستبطأت الأمر: عدته ورأيته بطيئاً.

والمصير: مصدر ميمي من صار إليه بمعنى رجع وانتهى، أي المصير إلى ثوابك. قال الإمام الطبرسي في قوله تعالى: «واليك المصير» معناه وإلى جزائك المصير، فجعل مصيرهم إلى جزائه مصيراً إليه. *بسم الله الرحمن الرحيم* كقول إبراهيم عليه السلام «إني ذاهب إلى ربّي سيّدين» ومعناه إلى ثواب ربّي أو إلى ما أمرني به (٣) إنتهى.

وحرص على الشيء - من باب ضرب - حرصاً: رغب فيه رغبة شديدة. قال الراغب: الحرص: فرط الإرادة قال تعالى: «إنّ تحرص على هديهم» أي أن تفرط إرادتك على هدايتهم (٤).

والوشك - بالفتح والضم - السرعة. ومنه وشك البين أي سرعة الفراق. واللاحاق به تعالى عبارة عن الوصول إلى ثوابه ورحمته، يقال: لحق فلان بالله إذا مات، أي أدرك رحمة الله، ووصل إليها، كأنه كان طالباً لها، ساعياً خلفها، حتى أدركها ولحقها.

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ١٧٦.

(٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٤١٢.

(٢) «ألف»: غرب.

(٤) المفردات: ص ١١٣.

وحتى: يجوز أن تكون تعليلية بمعنى كي، وأن تكون لانتهااء بمعنى إلى، فيكون المراد بها حينئذ الدوام. ومثلها قوله تعالى: «فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله» (١).

والمأنس: الموضع الذي يأنس به الإنسان، ويسكن إليه قلبه، ولا ينفر منه، ولا يستوحش فيه. يقال: أنس به أنساً - من باب علم - إذا سكن قلبه إليه، ولم ينفر عنه.

والمألف: الموضع الذي يألفه الإنسان ويأنس به ويحبه. وكون الموت مأناً ومألفاً من باب التشبيه البليغ على الصحيح، لأن الطرفين مذكوران، لا من الاستعارة، لأن الاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له كما حققه صاحب الكشف وغيره من المحققين. وكذا قوله عليه السلام: «وحامتنا» أي خاصتنا. وحامة الرجل: خاصته من أهله، وولده الذين يشفقون عليه ويشفق عليهم، ومنه حديث: هؤلاء أهل بيتي وحامتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً (٢).

تبصرة

اعلم: أن الذي نطق به الاخبار، وشهد به الاعتبار أن الموت ليس إلا عبارة عن تغير حال - وهو مفارقة الروح لهذا البدن الجاري مجرى الآلة لذي الصنعة - وأن الروح باقية بعده، كما شهدت به البراهين العقلية المذكورة في مظانها، والآثار النبوية المستواترة. ومعنى مفارقتها له انقطاع تصرفها فيه، لخروجه عن حد الانتفاع به. فما كان من الأمور المدركة لها يحتاج في إدراكه إلى آلة فهي متعطلة عنه بعد مفارقة البدن، إلى أن تعاد إليه في القبر أو يوم القيامة. وما كان مدركاً لها بنفسها

من غير آلة فهو باق معها، تتنعم به وتفرح أو تحزن، من غير حاجة إلى هذه الآلة في بقاء تلك العلوم والإدراكات الكلية لها هناك . وقد ضرب للمفارقة التي سميناهما بالموت مثل، فقيل كما أن بعض أعضاء المريض يتعطل - بحسب فساد مزاج يقع فيه، أو بحسب سدة (١) تعرض للأعصاب، فتمتنع (٢) نفوذ الروح فيها، فتكون النفس مستعملة لبعض الأعضاء دون ما استعصى عليها منها - فكذلك الموت عبارة عن استعصاء جميع الأعضاء كلها وتعطلها . وحاصل هذه المفارقة يعود إلى سلب الإنسان عن هذه الأعضاء والآلات والقنيات الدنيوية من الأهل والمال والولد ونحوها.

ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء عن الإنسان، أو يسلب هو عنها إذا كان المؤلم هو الفراق. وقد يحصل ذلك بنهب مال الرجل وسبي ذريته، وقد يحصل بسلبه ونهبه عن أهله وماله. فالموت في الحقيقة هو سلب الإنسان عن أمواله إلى عالم آخر فإن كان له في هذا العالم شيء يأنس به، ويستريح إليه، فيقدر عظم خطره عنده يعظم تحسره عليه في الآخرة. ويكون سبب عظم خطره عند ضعف تصوّره لما أعدّ للأبرار المتقين في الآخرة، مما يستحقّ في القليل منه أكثر نفائس الدنيا. فأما إن كان عين بصيرته مفتوحة حتى لم يفرح إلا بذكر الله، ولم يأنس إلا به، عظم نعيمه وتمت سعادته، إذ خلّي بينه وبين محبوبه، قطع علائقه وعوائقه الشاغلة له عنه، ووصل إليه، وانكشف له هناك ما كان يدركه من السعادة - بحسب الوصف - انكشاف مشاهدة، كما يشاهد المستيقظ ما رآه في النوم، «الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا»، ولذلك كان الموت راحة للمؤمنين ومحجوباً للمتقين، كما أشار إليه سيّد المرسلين: صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله الطاهرين «ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله» (٣) وذلك لكونه وسيلة لهم إلى ما أعدّ لهم من السعادة الأخروية التي هي حياة

(١) «ألف»: شدة. (٢) «ألف»: فتمتنع.

(٣) كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق بهامش الجامع الصغير ج ٢ ص ٧٨.

يلا موت، وغنى بلا فقر، ونعيم بلا شقاء، وأعظم من ذلك الفوز باللقاء الخالص
لمحبوبهم الأقصى. وإليه الإشارة بقوله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنَّ زَعْمَتُمْ
أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (١) دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى
أَنَّ الصَّادِقَ فِي الْوَلَايَةِ لِلَّهِ يَتَمَنَّى الْمَوْتَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ
الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (٢).
وَمِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَاللَّهِ لَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ آتَسَ بِالْمَوْتِ مِنْ
الطِّفْلِ بِشَدَى أُمِّهِ» (٣).

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفِينِ فِي غِلَالِهِ: فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ الْحُسَيْنُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا هَذَا بَزِي الْمَحَارِبِينَ فَقَالَ: يَا بَنِي لَا يَبَالِي أَبُوكَ عَلَى الْمَوْتِ سَقَطَ، أَمْ
سَقَطَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ (٤).

وَمِنْ كَلَامِ لَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ: وَاللَّهِ مَا فُجِئَ بِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدَ فِكْرِهِتِهِ، وَلَا طَالَعَ
انْكِرَتِهِ، وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدٍ، وَطَالِبٍ وَجَدٍ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْإِبْرَارِ (٥).
وَعَنْ حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ يَتَمَنَّى الْمَوْتَ، فَلَمَّا احْتَضَرَ قَالَ:
حَبِيبُ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ. لَا أَفْلَحُ مِنْ نَدَمٍ (٦) يَعْنِي عَلَى التَّمَنَّى.

وَقَالَ أَهْلُ التَّحْقِيقِ: لَا يَبْعُدُ مِنَ الرَّجُلِ الْعَاقِلِ إِذَا كَمَلَ عَقْلُهُ أَنْ تَعْظُمَ رَغْبَتُهُ
فِي الْمَوْتِ لَوَجْهِهِ:

مِنْهَا: أَنَّ مَرَاتِبَ الْمَوْجُودَاتِ ثَلَاثَةٌ؛ الْمَوْثَرُ الَّذِي لَا يَتَأَثَّرُ وَهُوَ الْإِلَهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ،
وَالْمَتَأَثَّرُ الَّذِي لَا يُوَثَّرُ وَهُوَ عَالَمُ الْأَجْسَادِ، فَإِنَّهَا قَابِلَةٌ لِلتَّشْكِيلِ وَالتَّصْوِيرِ وَالصِّفَاتِ
الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَعْرَاضِ الْمُتَضَادَّةِ. وَيَتَوَسَّطُهُمَا قِسْمٌ ثَالِثٌ وَهُوَ عَالَمُ الْأَرْوَاحِ، لِأَنَّهَا تَقْبَلُ

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٣ ص ١٩٠.

(٥) نهج البلاغة: ص ٣٧٨ الرسالة ٢٣.

(٦) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ٧٠.

(١) سورة الجمعة: الآية ٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٤.

(٣) نهج البلاغة: ص ٥٢.

الأثر والتصرف من العالم الإلهي، ثم إذا أقبلت على عالم الأجساد، تصرفت وأثرت.

وللنفوس في التأثير والتأثر مراتب غير متناهية، لأن تأثيرها بحسب تأثيرها عما فوقها. والكمال الآلهي غير متناه. فإذا لا تنفك النفس من نقصان ما، والناقص إذا حصل له شعور بنقصانه، وقد ذاق لذة الكمال، بقي في القلق وألم الطلب، ولا سبيل له إلى رفع هذا القلق والألم إلا الموت. فحينئذ يتمنى الموت.

ومنها: أن سعادات الدنيا ولذاتها سريعة الزوال، مشرفة على الفناء، والألم الحاصل عند زوالها، أشد من اللذة الحاصلة عن وجدانها. ثم أنها مخلوطة بالمنغصات، والأراذل من الخلق يشاركون الأفاضل فيها، بل ربما كانت حصة الأراذل أكبر. فلا جرم تمضي العاقل موته ليتخلص من هذه الآفات.

ومنها: أن اللذات الجسمانية: لا حقيقة لها، لأن حاصلها يرجع إلى دفع الآلام، فإن الأكل لدفع ألم الجوع، والشرب لدفع ألم العطش، والنكاح لدفع ألم العزوبة، فكان الموت مخلصاً من هذه الآلام والاشتغال بدفعها.

ومنها: أن مداخل اللذات الدنيوية ثلاثة: لذة الأكل، ولذة الوقاع، ولذة الرئاسة. ولكل منها عيوب، فلذة الأكل، مع أنها غير باقية بعد البلع، فإن الماكول يختلط بالبصاق المجتمع في الفم، ولا شك أنه شيء منفّر. ثم كما يصل إلى المعدة يستحيل إلى ما ذكره منفّر، فكيف به؟ ومن هنا قالت العقلاء: «من كانت همته ما يدخل في جوفه كانت قيمته ما يخرج من بطنه». هذا مع إشتراك الحيوانات الخمسة فيها.

وأيضاً اشتداد الجوع حاجة، والحاجة نقص. وكذا الكلام في لذة النكاح وعيوبها، مع أن فيها احتياجاً لزيادة المال، والنفقة للزوج والولد وما يلزمهما. والاحتياج للمال يلقي المرء في مهالك الاكتساب، ومهاوي الانتجاع. ولذة الرئاسة أوفى عيوبها أن كل واحد يكره بالطبع أن يكون خادماً مأموراً،

ويحب أن يكون مخدوماً آمراً. فسعي الإنسان في الرئاسة سعي في مخالفة كل من سواه. ولا ريب أن هذا الأمر صعب الحصول، منيع المرام، وإذا ناله كان على شرف الزوال في كل حين وأوان، لأن كثرة الأسباب توجب قوة حصول الأثر، فيكون دائماً في الخوف والحزن.

فإذا تأمل العاقل في هذه المعاني علم قطعاً أنه لا صلاح في اللذات العاجلة. ولكن النفس جبلت على طلبها، والرغبة فيها، فيكون دائماً غريقاً في بحر الآفات، وغمرات الحسرات. فحينئذ يتمنى زوال هذه الحياة.

تسمية

قال بعض العلماء: الناس في محبة الموت ثلاثة أضرب:

الأول: حكيم يعلم أن الحياة تسترقه والموت يعتقه، وأن الإنسان في هذا المآل - وإن طال فيه لبثه - كخطفة برق لمعت في أكناف السماء ثم عادت للاختفاء، وأنه في دنياه كمبعوث إلى ثغر يحوطه، وبلد يسوسه، يراعي ما استرعى، ويسر إذا دعى، ولا يتكاده خروجه منها إلا بقدر ما يفوته من خدمة ربه، والازدياد من قربه. ولهذا المعنى ورد في بعض الأخبار مدح الحياة والتهني عن تمتي الموت.

والثاني: رجل أنس بهذا العالم فألفه وإن كرهه، فسبيله سبيل من ألف بيتاً مظلماً قدراً ولم يرغبه، فهو يكره الخروج منه وإن كان قد كره الدخول فيه. كما قال الشاعر:

دخلنا كارهين لها فلمّا ألفناها خرجنا مكرهينا
وما حبّ البلاد بنا ولكن أمر العيش فرقة من هويننا
فهذا حتى خرج عن دنياه، واطلع على ما أعد للصالحين - ممّا لا عين رأت، ولا
أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر - سرّاً بخلاصه كما حكى الله تعالى عمّن استقرّ
بهم القرار في جنة النعيم، حيث قالوا: «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا

فَإِذَا أَوْرَدْتَهُ عَلَيْنَا، وَأَنْزَلْتَهُ بَنًا فَأَسْعِدْنَا بِهِ زَائِرًا، وَآيَسِّنَا بِهِ قَادِمًا، وَلَا تُشْقِنَا بِضِيَافَتِهِ، وَلَا تُخْزِنَا بِزِيَارَتِهِ، وَاجْعَلْهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ مَغْفِرَتِكَ، وَمِفْتَاحًا مِنْ مَفَاتِيحِ رَحْمَتِكَ.

لغفور شكوره الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسننا فيها نصب ولا يمسننا فيها لغوب» (١).

والثالث: رجل أعمى البصيرة، متلطف السريرة، بما ارتكبه من أنواع الجريرة، رضي بالحياة الدنيا، واطمأن بها، ويش من الآخرة، كما يش الكفار من أصحاب القبور. فإذا خرج منها إلى دار الخلود أضرب ذلك به كما تضرب رياح الورد بالجمل، فإذا خرج من قاذورات الدنيا لم يوافق عالم العليا ومصاحبة الملأ الأعلى، ومنادمة أولي العلي، كما قال تعالى: «وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا» (٢). والله أعلم بمراتب العلم.

«الفاء»: للترتيب في الذكر.

وأوردته عليه: أحضرته لديه، يقال: ورد زيد علينا أي حضر. وأصل الورد: بلوغ الإبل الماء وموافاتها إياه، ثم استعمل في غيره مجازاً. قال في الأساس ومن المجاز ورد عليه أمر لم يطقه، وأوردت علي ما غمني (٣). وأنزلت به الأمر: أوقعته به. يقال: نزل به مكروه: أي وقع به وحصل عليه. وأصله من النزول، وهو انحطاط من علو. وأسعده الله: صيره سعيداً، والباء للسببية.

وزائراً: الحال من الضمير المجرور، وهو اسم فاعل من زاره يزوره زوراً، وزيارة: أي قصده، ثم خصت الزيارة في العرف بقصد المزور اكراماً له واستيناساً به.

(٣) أساس البلاغة: ص ٦٧١.

(١) سورة فاطر: الآية ٣٤ و ٣٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٢.

وأنست زيداً بكذا ايناساً: جعلته يأنس به، ويسكن إليه، ولا يستوحش معه.
والقادم: اسم فاعل من قدم الرجل البلد - من باب تعب - قدوماً إذا ورده
وحصل فيه.

وشقي يشقى - من باب علم - شقاء، ضدّ سعد، فهو شقيّ. وأشقاء الله
- بالألف -.

والضيافة: اسم من أضيفته إذا أنزلته وقربته. قال ثعلب: ضفته إذا نزلت به
وأنت ضيف عنده، واضفته - بالألف - إذا أنزلته عليك ضيفاً (١).

لما شبه عليه السلام الموت بالزائر والقادم أثبت له ما هو من لوازمها، وهو
الضيافة، فهو من باب الاستعارة التخيلية. والمراد بالشقاء بضيافته فقدان العمل
الصالح الذي يصلح أن يكون قرى له. وكأن الشرف البوصيري نظر إلى هذا المعنى
حيث قال:

فإنّ أمارتي بالسوء ما تعظت عن جهلها بنذير الشيب والهرم
ولا أعدت من الفعل الجميل قرئ ضيف ألم برأسي غير محشم
وأخزاه الله: الحق به الخزي، وهو الذل والهوان المقارن للفضيحة والانكسار.
ومنه: «ربّنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته» (٢).

والباب: مدخل الشيء. وأصل ذلك مداخل الأبنية كباب المدينة والدار، ثم
تجوّز فيه، فاستعمل فيما يتوصّل به إلى الشيء. ومنه: «أنا مدينة العلم وعليّ
بابها» (٣) أي به يتوصّل إليه.

وأبواب المغفرة: الأسباب التي يتوصّل بها إليها.
والفتاح: آلة الفتح وهو إزالة الإغلاق، ثم استعير لما يتوصّل به إلى الأمر. ومنه

(١) المصباح المنير: ص ٥٠١ نقلاً عنه.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩٢.

(٣) عوالي اللثالي: ج ٤ ص ١٢٣، والجامع الصغير: ج ١ ص ١٠٨.

أَمِثْنَا مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ، طَائِعِينَ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينَ، تَائِبِينَ غَيْرَ عَاصِينَ وَلَا مُصِرِّينَ، يَاضَامِينَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ، وَمُسْتَضْلِحَ عَمَلِ الْمُفْسِدِينَ.

قوله تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ» (١).

قال الراغب: يعني ما يتوصل به إلى غيبه المذكور في قوله تعالى: «لَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا» (٢) إنتهى.

ولما كان الموت وسيلة لحصول المغفرة والرحمة بالفعل لمن شاء الله سأل عليه السلام أن يجعل موته باباً يدخل به إلى مغفرته، ومفتاحاً يصل به إلى رحته. والله أعلم.

الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً كأنه سأل كيف أسعدكم به زائراً؟ فقال: «أَمِثْنَا مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ»، فإن حصول السعادة بسبب الموت إنما يكون إذا مات الإنسان مهتدياً غير ضالاً، وطائعاً، غير مستكره... إلى آخره.

والمراد بالاهتداء: الاهتداء إلى كل حق وصواب، والقبول له، والعمل به، وعدم الرجوع معه إلى باطل وخطأ، ولذلك قيده بقوله: غير ضالين لأنه حال متداخلة.

١ قال الراغب: الاهتداء يختص بما يتحرّاه الإنسان من الهدى على طريق الاختيار إما في الأمور الدنيوية أو الأخروية. قال الله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا» (٣)، ويقال ذلك لطلب الهداية نحو قوله تعالى: «قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» (٤)، ولتحذّي الهداية نحو: «وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (٥)، ويقال المهتدي لمن يقتدي بعالم نحو «أَوَلَوْ كَانَ

(٤) سورة الانعام: الآية ٥٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ٥٣.

(١) سورة الانعام: الآية ٥٩.

(٢) المفردات في غرائب القرآن نص ٣٧١.

(٣) سورة الانعام: الآية ٩٧.

آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ» (١) تنبيهاً على أنهم لا يعلمون بأنفسهم، ولا يقتدون بعالم.

وقوله تعالى: «فَن اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» (٢) يتناول وجوه الاهتداء من طلب الهداية، ومن الاقتداء، ومن تحررها. وقوله تعالى: «وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى» (٣) معناه ثم أدام طلب الهداية، ولم يفتر عن تحررها، ولم يرجع إلى المعصية. وقوله: «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (٤) أي الذين تحروا الهداية وقبلوها وعملوا بها (٥) إنتهى.

والضلال: العدول عن الصراط المستقيم، وهو ضد الهدى، ويقال لكل عدول عن النهج عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كبيراً، فإن الصراط المستقيم الذي هو المرضي صعب جداً، ولهذا قال عليه السلام: «استقيموا ولن تحصوا» (٦).

وطائعين: أي منقادين لأمر الله عن طيب نفس وإخلاص في امتثال الأمر. غير مستكرهين: أي غير حاملين أنفسنا بالكراهة على الطاعة، على رواية مستكرهين بصيغة اسم الفاعل، أو غير حاملين لنا خوف العقاب ونحوه بالكراهة على الطاعة، على رواية مستكرهين بصيغة اسم المفعول. وهذا المعنى فسره قوله تعالى: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» (٧) في أحد الوجوه. أي لا اعتداد في الآخرة بما يفعل الإنسان في الدنيا من الطاعة كرهاً، فإن الله يعتبر السرائر، ولا يرضى إلا بالإخلاص ولهذا قال، صلى الله عليه وآله وسلم: الأعمال بالنيات (٨) وقال: أخلص، يكفيك القليل من العمل (٩).

(٦) «ألف»: تحصلوا.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٨) تهذيب الاحكام: ج ١ ص ٨٣ ح ٦٧.

(٩) لم نعر عليه.

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٠.

(٢) سورة يونس: الآية ١٠٨.

(٣) سورة طه: الآية ٨٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٧.

(٥) المفردات: ص ٥٤١.

ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى قوله تعالى: «وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً» (١) على أن المراد بمن أسلم طوعاً من شاهد الميثب والمعاقب، فانقاد له، وبمن أسلم كرهاً من شاهد الثواب والعقاب، فانقاد وأسلم رغبة ورهبة. وتائبين: أي تاركين للذنوب لقبحها، نادمين عليها، مغتَمِّين أشدَّ الاغتمام لارتكابها، عازمين على ترك المعاودة لها.

وغير عاصين: أي غير خارجين عن الطاعة. وأصل العصيان من تمتع الإنسان بعصاه. و«لا» من قوله: «ولامصرتين» مزيدة لتأكيد ما أفاده «غير» من معنى النفي، كأنه قيل: «لا عاصين ولا مصرتين» والإصرار في الأصل من الصر، وهو الشدَّ والربط، ثم أطلق على الإقامة على الذنب (٢) دون استغفار، كأن المذنب ارتبط بالإقامة عليه والمداومة له. وقد مرَّ الكلام عليه مبسوطاً فأغنى عن الاعداد. قوله عليه السلام: «يا ضامن جزاء المحسنين» من ضمن زيد المال، وبه - من باب علم - ضماناً: أي التزمه، فهو ضامن. فهو تلميح إلى قوله تعالى في غير موضع من كلامه المجيد: «إن الله لا يضيع أجر المحسنين» (٣) أي الذين يعملون الأعمال الحسنة التي يستحق بها الثواب والمدح.

و«مستصلح عمل المفسدين»: أي طالب صلاح عملهم بأن يبدلوا الفساد بالصلاح، وذلك إما بالأمر والنهي كما هو الواقع. قال الزمخشري في الأساس: أمر الله ونهى لاستصلاح العباد (٤). وإما بحسم أسباب الفساد، وعدم الإعداد له، وإفاضة توفيقه عليهم، يستبدلوا بأعمالهم السيئة أعمالاً حسنة، وذلك لمن تاب إليه وأناب وسبقت له منه الحسنى.

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٠.

(٢) «ألف»: من دون.

(٤) أساس البلاغة ص ٣٥٩.

ويرجع المعنى الأول: أن الجمع المعرف بالألف واللام يفيد الاستغراق والعموم.

وجواز الثاني: لتخصيص المفسدين بالمفسدين من المؤمنين حالاً أو مآلاً، وفي رواية «مصلح (١) عمل المفسدين»: من أصلح الشيء إذا جعله صالحاً، وذلك بإفاضة لطفه وتوفيقه عليهم وإعدادهم لهم بمعاونته على تبديل الفساد بالصالح. وهذا لا ينافي قوله تعالى في سورة يونس: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُسْرِئِينَ» (٢) لأن المراد بعدم إصلاحه فيه عدم إثباته وإمضائه.

قال العمادى: ليس المراد بعدم إصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صالحاً، بل عدم إثباته وإتمامه، أي لا يثبته (٣) ولا يكلمه (٤)، ولا يديمه، بل يحقه وهلكه ويسلّط عليه الدمار (٥).

وقال العلامة الطبرسى: «معناه إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي عَمَلًا مِنْ قَصْدِ فَسَادٍ فِي الدِّينِ، وَلَا يَمْضِيهِ بَلْ يَبْطُلُهُ حَتَّى يَظْهَرَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْمَحْقُوقُ مِنَ الْمَبْطُولِ» (٦) إنتهى. فلا منافاة بين الآية وعبارة الدعاء لتغاير المعنى، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الأربعين من رياض السالكين، وفق الله لإتمامها وحسن ختامها عشية يوم الأحد، لست مضين من ذي الحجة الحرام، آخر شهر رمضان، ١١٠٤، والله الحمد.

(١) «ألف» ومصلح.

(٢) سورة يونس: الآية ٨١.

(٣) و (٤) هكذا في الأصل، ولكن الصحيح لا يثبت ولا يكلمه كما في المصدر.

(٥) تفسير أبي السعود: ج ٤ ص ١٧٠.

(٦) مجمع البيان: ج ٦ ص ١٢٦.

الروضة الحادية والأربعون

مركز تحقيقات كمبيوتر علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ عَائِدَةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَلَبِ السِّرِّ وَالْوَقَايَةِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَافْرِشْنِي مَهَادِ كَرَامَتِكَ وَأُورِدْنِي
مَسَارِعَ رَحْمَتِكَ وَأَخْلِقْ لِي بِجُودِكَ جَنَّتَكَ وَلَا تَقْصِرْ عَنِّي بِالرَّحْمَةِ
وَلَا تَحْرِمْ عَنِّي بِالْخَبِيرَةِ مِنْكَ وَلَا تُفَاقِصْنِي بِمَا اجْتَرَحْتُ وَلَا تُفَاقِصْ
بِمَا اكْتَسَبْتُ وَلَا تُبْرِزْ مَكْتُومِي وَلَا تُكْثِفْ مَسْتُورِي وَلَا تُجْلِ
عَلَى مِيزَانِ الْإِنصَافِ عَلِيٍّ وَلَا تُعْلِنَ عَلَى عُيُونِ الْمَلَائِكَةِ أَخْفِيَ عَنْهُمْ
مَا بَكُونُ تُسَرِّهُ عَلَى عَارَا وَأَطِيعُهُمْ مَا يُلْحِقُونِي عِنْدَكَ شَرًّا أَسْرَفَ
تَدَجَّيْتُ بِرِضْوَانِكَ وَأَجِلْتُ كَرَامَتِي بِغُفْرَانِكَ وَأَنْظِمْنِي فِي أَصْحَابِ
الْيَمِينِ وَوَجِّهْنِي فِي مَسَالِكِ الْأَمِينِ وَاجْعَلْنِي فِي
فَوْجِ الْفَائِزِينَ وَاعْمُرْنِي بِجَالِسِ الصَّالِحِينَ
أَمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ



مركز تحقيقات كميّات علوم إسلاميّة

الروضة الحادية والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم
وإياه نستعين

الحمد لله مسبل جلايب السر والوقاية، الناهج منهاج الرشد والهداية،
والصلاة والسلام على نبيّه المخصوص بأسرار الغاية، وعلى أهل بيته القائمين بأعباء
الإمامة والولاية.

وبعد: فهذه الروضة الحادية والأربعون من رياض السالكين في شرح الدعاء
الحادي والأربعين، من صحيفة سيّد العابدين صلّى الله وسلّم عليه وعلى آبائه
وأبنائه الصالحين، إملاء راجي فضل ربّه السنّي عليّ الصدر الحسينيّ الحسنّي،
ألحقه الله بستر وقايته، وبلغه من حسن الأمل منتهى غايته.

شرح الدعاء الواحد والأربعين

«وكان من دعائه عليه السّلام»

في طلب السّتر والوقاية



السّتر- بالفتح- تغطية الشيء من ستره سترأ- من باب قتل-: أي غطاه.
وبالكسر ما يستتر به، كالستارة- بالكسر- والسترة- بالضم-.

والوقاية: حفظ الشيء ممّا يؤذيه ويضرّه. يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية
ووقاء. قال تعالى: «فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم» (١).

والمراد بالسّتر المطلوب إخفاء الأعمال الفاضحة عن غير الله سبحانه في الدنيا
والآخرة، أمّا في الدنيا: فبتوقيفه للاستتار بها، وحسم أسباب اطلاع الخلق عليها.
وفائدته استبتاع غفرانها كما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن الرضا
عليه السّلام: أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المستتر بالحسنة تعدل
سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بالسيئة مغفور له (٢).

وأما في الآخرة فباخفائها عن الملائكة والأنبياء وجميع الخلق، كما روي عن
الصادق عليه السّلام: إذا كان يوم القيامة تجلّى الله تعالى لعبده المؤمن فيقفه على
ذنوبه ذنباً ذنباً، ثم يغفر له، لا يطلع على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأ، ويستتر

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٢٨ ح ٢ باب ستر الذنوب.

(١) الإنسان: الآية ١١.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَفْرِشْنِي مِهَادَ كَرَامَتِكَ . وَأَوْرِثْنِي
مَشَارِعَ رَحْمَتِكَ وَأَخْلِلْنِي بِخُبُوحَةِ جَنَّتِكَ .

عليه مايكره أن يقف عليه أحد، ثم يقول لسيئاته كوني حسنات (١).
والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

والمراد بالوقاية الوقاية من السيئات وتبعاتها، كما يدل عليه متن الدعاء، وهي
الوقاية التي ليسألها حملة العرش ومن حوله للمؤمنين بقولهم: «وقهم السيئات ومن
تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم» (٢).

فرشت البساط وغيره فرشاً - من باب قتل - وفي لغة - من باب ضرب - بسطته .
وأفرشه إياه إفراشاً: بسطته له . وهو الفراش - بالكسر - بمعنى مفروش ككتاب بمعنى مكتوب
والمهاد - بالكسر - الفراش . وجهه مهد ككتاب وكتب . ويكون المهاد جمع مهد
أيضاً كسهم وسهام، ويجمع على مهد أيضاً كفلس وفلوس .

قال الفيتومي: المهد والمهاد: الفراش (٣).

والكرامة: اسم من الإكرام، وهو الإعزاز.
وأوردته الماء: أبلغته إياه.

والمشارع: جمع مشرعة - بفتح الميم والراء - وهي مورد الناس للاستقاء.

وقال الأزهري: لا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء لانقطاع له كماء
الأنهار، ويكون ظاهراً معيناً، أي جارياً على وجه الأرض، لا يستقي منه برشاء (٤).
وفي كل من الفقرتين استعارة مكنية تخيلية، فإنه أضمر في نفسه تشبيه الكرامة
بالمكان الصالح للقعود فيه، والرحمة بالماء العذب الذي يروى به من يرده بجامع
الراحة واللذة فيها. وهذا هو الاستعارة بالكناية، ثم أثبت لها ما به قوام المشبه به من
لوازمه المناسبة وهو المهاد في الأولى، والمشارع في الثانية، وهذا هو التخييل.

(١) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٨٧.

(٣) المصباح المنير: ص ٨٠٠.

(٢) غافر: الآية ٩.

(٤) تهذيب اللغة: ج ١ ص ٤٢٥ مادة شرع.

وَلَا تُسْمِنِي بِالرَّذْ عَنكَ ، وَلَا تَحْرُمْنِي بِالْخَيْبَةِ مِنْكَ ، وَلَا تُقَاصِّنِي
بِمَا اجْتَرَحْتُ ، وَلَا تُنَاقِشْنِي بِمَا اكْتَسَبْتُ ، وَلَا تُبْرِزْ مَكْتُومِي ، وَلَا
تَكْشِفْ مَسْتُورِي .

وأحلت زيدا المكان، وبه: أنزلته فيه. من حل بالبلد وحلّه من باب قعد إذا نزل به.

وبجوحة المكان: وسطه ووزنها فعلولة.

قال بعض أرباب القلوب: جنته تعالى في الآخرة دار ثوابه، وفي الدنيا مقام
الرضا والتسليم. والله أعلم.

سُمته ذُلاً: أي أوليته إياه، ومنه «يسومونكم سوء العذاب» (١). وإنما عذاه
عليه السلام بالبلاء لتضمينه معنى الإهانة كما عذوا «سمع» باللام في قوله لهم:
«سمع الله لمن حمده» (٢) لتضمينه معنى استجاب. وإنما أصله أن يتعدى بنفسه
مثل «يوم يسمعون الصيحة» (٣). وفي نسخة «ولا تسمني» بكسر السين وهو من
السمة بمعنى العلامة.

مركز تحقيق مكتبة نور

ورده عنه رذاً: صرفه ومنعه. وهو كناية عن الحرمات، ومنع المعروف. ومنه ردّ
السائل إذا حرّمه، ولم يعطه شيئاً، وحرمت زيدا كذا أحرّمته. من باب حَرَبَ،
يتعدى إلى مفعولين. حرماناً وحرمه. بالكسر فيهما: منعه إقام. وكثيراً ما يحذف
المفعول الثاني لقصد العموم، فيقال: حرمت زيدا أي لم أعطه شيئاً.

والخيبة: عدم الظفر بالمطلوب.

وقوله: «منك» يحتمل تعلّقه بالفعل، أو بالخيبة. فيكون لغواً، ويحتمل تعلّقه
بمحذوف حال من الخيبة فيكون مستقراً و«من» ابتدائية.

وقاصصت زيدا بما كان لي عنده قصاصاً ومقاصّة: أي حبست عليه مثل ذلك
واجترحت الأثم: اكتسبته. أي لا تحبس عليّ من الثواب مثل ما اكتسبته من المأثم.

(١) سورة البقرة: الآية ٤٩.

(٢) وسائل الشريعة: ج ٤ ص ٦٨٠ وصحيح مسلم كتاب الصلاة باب استحباب رفع اليدين.

(٣) سورة ق: الآية ٤٢.

وَلَا تَحْمِلْ عَلَى مِيزَانِ الْإِنْصَافِ عَمَلِي، وَلَا تُغْلِنْ عَلَى عُيُونِ الْمَلَأِ
خَبْرِي، وَأَخْفِ عَنْهُمْ مَا يَكُونُ نَشْرُهُ عَلَيَّ عَارًا، وَأَطْوِ عَنْهُمْ مَا يُلْحِقُنِي
عِنْدَكَ شَنَارًا.

وناقشته مناقشة: استقصيت في حسابه.

وبرز الشيء بروزاً - من باب قعد - : ظهر. ويتعدى بالهمزة فيقال: أبرزته فهو
مبرز، وهذا من النوادر التي جاءت على مفعول من أفعّل، كمحبوب من أحبّ،
ومسعود من أسعد.

وكتمت السرّ والحديث كتماناً - من باب قتل - وكتماناً - بالكسر - . سترته فهو
مكتوم ويتعدى إلى مفعولين. ومنه «ولا يكتمون الله حديثاً» (١).

والكشف كالضرب: الاظهار، ورفع الشيء عما يواريه، ويغطيه. ومنه:
«فكشفنا عنك غطاءك» (٢).

وسترت الشيء سترأ - من باب قتل - : غطيته فهو مستور.

قال بعضهم: وهذه الفقرة عطف تفسير لما قبلها. وليس كذلك فإنّ قوله
عليه السلام: «ولا تبرز مكتومي» يختص بالمعاني كالأسرار والأخبار، لأنّ
الكتمان لا يستعمل إلا فيها.

وقوله عليه السلام: «ولا تكشف مستوري» يختص بالجثث والأعيان، لأنّ
الأصل في السرّ تغطية الشيء بغطاء، ثم استعمل في غيرها تجوّزاً، فهو إما من باب
عطف الشيء على مغايره، أو من باب عطف العام على الخاص، لا من باب
عطف التفسير، والله أعلم.

جملته على كذا: أي ألزمته به. وأصله من الحمل على الدابة كأنك جعلته لازماً
له لزوم الراكب لمركوبه، وهو من باب التمثيل.

(١) سورة النساء: الآية ٤٢.

(٢) سورة ق: الآية ٢٢.

والميزان: آلة الوزن. وأصله موزان قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، ولذلك يجمع على موازين.

والوزن في اللغة: هو مقابلة أحد الشيئين بالآخر حتى يظهر مقداره.
والإنصاف في المعاملة: العدالة. وذلك أن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا مثل ما يعطيه، ولا يناله من المضار إلا مثل ما يناله.
والمراد بالعمل هنا مطلقه، حسناً كان أو سيئاً.

وميزان الإنصاف فيه: أن يجازيه بالإحسان إحساناً، وبالسّيئة سيئة، كما قال الله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» (١).
ومن البين أن في ذلك هلاك العبد، لقلة حسناته، وكثرة سيئاته، وأين يقع الواحد من الدهماء، والفطرة (٢) من الدأماء؟! ولذلك ورد في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» إذا كان من أهل الجنة، رأى ذلك الشر، ثم غفر له (٣).

وقال الإمام الطبرسي: الآية مخصوصة بلا خلاف، فإن التائب معفو عنه بالإجماع (٤).

وآيات العفو دالة على جواز العفو عما دون الشرك، فجاز أن يُشترط في المعصية التي يؤاخذ بها، ألا يكون مما قد عفي عنه (٥).

تبصرة

قد تكرر في الآيات والروايات ذكر الوزن والميزان يوم القيامة، كقوله تعالى في

(١) سورة الزلزلة: الآية ٧ و ٨.

(٢) «ألف»: القطرة.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ٢ ص ٤٣٣.

(٤) و (٥) مجمع البيان: ج ٩ و ١٠، ص ٥٢٦.

سورة الأعراف: «والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون» (١) «ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون» (٢) وقوله تعالى في سورة الأنبياء: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين» (٣) إلى غير ذلك من الآيات.

وفي الصحيح في خطبته صلى الله عليه وآله لإقبال شهر رمضان: من أكثر فيه الصلاة عليّ ثقل الله ميزانه يوم تحفّ الموازين (٤).
وعنه صلى الله عليه وآله: يجاء بالعبد يوم القيامة، فتوضع حسناته في كفة وسيئاته في كفة. الحديث (٥).

وقد اختلف أهل الاسلام في الوزن المذكور وهل هو كناية عن العدل والإنصاف والتسوية، أو المراد به الوزن الحقيقي؟ إلى كل من القولين ذهب طائفة. والخلاف في ذلك واقع بين أصحابنا أيضاً، فممن (٦) ذهب منهم إلى القول الأول شيخنا المفيد قدس سره فإنه قال: الوزن والموازين هو التعديل بين الأعمال والجزاء عليها، ووضع كل منها في موضعه، وإيصال كل ذي حق حقه. وليس الأمر في معنى ذلك على ما ذهب إليه أهل الحشو- من أنّ في القيامة موازين كموازين الدنيا لكل ميزان كفتان، توضع الأعمال فيها- إذ الأعمال أعراض، والأعراض لا يصح وزنها، وإنما توصف بالثقل والحقّة على وجه المجاز. والمراد بذلك أنّ ما ثقل منها هو ما كثر واستحقّ عليه عظيم الثواب، وما خفّ منها ما قلّ قدره ولم يستحقّ عليه جزيل الثواب. والذي ذكره الله تعالى في الحساب هو الموافقة على الأعمال، لأنّ من وُفق على أعماله لم يتخلّص من تبعاتها، ومن عفا الله عنه في ذلك فاز بالنجاة، ومن

(١) سورة الأعراف: الآية ٨.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٠٣.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

(٤) روضة الواعظين: ص ٣٤٦.

(٥) الكشكول للشيخ البهائي: ص ٦٦.

(٦) «ألف»: فن.

ثقلت موازينه بكثرة استحقاقه الثواب «فأولئك هم المفلحون» (١) ومن خفت موازينه بقلّة اعمال الطاعات «فأولئك الذين خسروا أنفسهم» «وفي جهنم خالدون».

والقرآن إنما نزل بلغة العرب، وحقيقة كلامها ومجازها، ولم ينزل على ألفاظ العامة، وماسبق إلى قلوبها من الأباطيل (٢). إنتهى.

وممن ذهب إلى القول الثاني شيخنا البهائي طاب ثراه في شرح الأربعين فإنه قال: جمهور أهل الإسلام على هذا القول، للموصف بالخفة والثقل في القرآن والحديث، وأنّ الموزون: صحائف الأعمال، أو الأعمال أنفسها بعد تجسيمها في تلك النشأة.

والحق: أنّ الموزون فيها هو نفس الأعمال، لاصحائفها.

وما يقال من أنّ تجسيم العرض طور وراء طور العقل، فكلام ظاهري عامي. والذي عليه الخواص من أهل التحقيق: أنّ سنخ الشيء وحقيقته أمر مغاير للصورة التي يتجلى بها على المشاعر الظاهرة، ويلبسها لدى المدارك الباطنة، وأنه يختلف ظهوره في تلك الصور بحسب اختلاف المواطن والنشآت، فيلبس في كل موطن لباساً، ويتجلبب في كل نشأة بجلباب، كما قالوا: إنّ لون الماء لون إنائه.

وأما الأصل الذي تتوارد هذه الصور عليه ويعبرون عنه تارة بالسنخ، وتارة بالوجه، وأخرى بالروح، فلا يعلمه إلاّ علام الغيوب، فلا بعد في كون الشيء في موطن عرضاً، وفي آخر جوهرراً. ألا ترى إلى الشيء المبصر فإنه إنما يظهر لحس البصر إذا كان محفوفاً بالجلايبب الجسمانيّة، ملازماً لوضع خاص، وتوسط بين القرب والبعد المفرطين وأمثال ذلك. وهو يظهر في الحس المشترك عريّاً عن تلك

(١) سورة الأعراف: الآية ٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٥٢ نقلاً عن المفيد قدس سره.

الأُمُور التي كانت شرط ظهوره. لذلك، ألا ترى إلى ما يظهر في اليقظة من صورة العلم، فإنه في تلك النشأة أمرٌ عرضي، ثم إنه يظهر في النوم بصورة اللبن. فالظاهر في الصورتين سنخ واحد تجلّى في كل موطن بصورة، وتجلّى في كل نشأة بجلية، وتزيًا في كل عالم بزي، وتسمّى في كل مقام باسم، فقد تجسّم في مقام ما كان عرضاً في مقام عرضاً في مقام آخر وتجسّم العمل في النشأة الأخروية، وقد ورد في أحاديث متكررة من طرق المخالف والمؤالف (١). انتهى.

وفي المقام كلام طويل طويناه على غره، وقد آلف بعض أصحابنا المتأخرين في هذا المقام رسالة جيّدة، سمّاها ميزان الآخرة، استوفى الكلام فيها على هذا المطلب. فن أراد تحقيق المرام فيه فعليه بها. قوله عليه السلام: «ولا تعلن على عيون الملائكة خبري».

علن الأمر علوناً - من باب «قعد» - : ظهر وانتشر فهو عالن. وعلن علنا - من باب تعب لغة - فهو علن، والاسم العلانية - مخففة - . وأعلنته - بالألف - أظهرته. ومنه قوله تعالى: «ثمّ إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً» (٢). والملائكة: أشرف الناس ورؤساؤهم ومقدّموهم، وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه. كالقوم.

قال الراغب: الملائكة: جماعة يجتمعون على رأي، فيملأون العيون والنفوس جلاله وهاء (٣).

قال الله تعالى: «ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل» (٤). وقال الفيومي: الملائكة - مهموز - : أشرف القوم، سُموا بذلك لملاعتهم بما يُلمَس عندهم من المعروف، وجودة الرأي، ولأنّهم يملأون العيون أبهة، والصدور هيبة (٥).

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٦.

(٥) المصباح المنير: ص ٧٩٥.

(١) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص ٦٣ و ٦٤.

(٢) سورة نوح: الآية ٩.

(٣) المفردات: ص ٤٧٣.

إنتهى .

وما وقع لغير واحد من المترجمين من تخصيص الملائكة هنا بالملائكة لاوجه له .
والظرف من قوله: «على عيون الملائكة» إما لغو متعلق بـ «تعلن»، أو مستقر
متعلق بمحذوف حال من خبري قدمت عليه لرعاية الفاصلة، والأصل ولا تعلن
خبري ظاهراً على عيون الملائكة أو برأى منهم ومنظر، و «على» هنا بمنزلة في قوله
تعالى: «فأتوا به على أعين الناس» (١).

قال الزمخشري في الكشف: معنى الاستعلاء في «على» وارد على طريق
التمثيل. أي يثبت إثباته في الأعين، ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه
منه (٢). إنتهى .

فإن قلت: هذا المعنى لا يناسب الخبر، لأن الخبر إنما يتمكن في السمع، لا في
العيون.

قلت: المراد بالخبر هنا: المخبر عنه وهو الحال أو العمل فإنهم قد يكتون به عنها.
قال الراغب: قوله تعالى: «قد نبأنا الله من أخباركم» أي من أحوالكم التي
يخبر عنها (٣).

وقال الزمخشري في قوله تعالى: «ونبلوا أخباركم»: أي ما يحكى عنكم وما
يخبر به عن أعمالكم، لنعلم حسنها من قبيحها، لأن الخبر على حسب المخبر عنه، إن
حسناً فحسن، وإن قبيحاً فقبيح (٤).

قال السعد التفتازاني: يريد أن بلاء الأخبار كناية عن بلاء الأعمال، والمعنى
نبلوا أخباركم أي ما نخبر به عن أعمالكم، ليميز حسنه عن قبيحه، فيتميز حسن
الأعمال المخبر عنها عن قبيحها (٥)، لأن الخبر عن الشيء على حسب المخبر عنه، إن

(٤) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٣٢٨.

(٥) «ألف»: قبيحها.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٦١.

(٢) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ١٢٤.

(٣) المفردات: ص ١٤٢ وفيه خبر.

حسن حسن، وإن قبح قبح (١). انتهى.

وقال السراج الفارسي في الكشف: قوله: لأنّ الخبر على حسب الخبر عنه، وهو العمل كذلك. فصّح أن يجعل كناية عن بلاء الأعمال، ويكون أبلغ (٢). انتهى.

إذا عرفت ذلك فإن حملت الخبر على العمل في الآخرة، أمكن أن يستأنس بهذه العبارة على تجسّم الأعمال في تلك الدار، لأنّها إذا تجسّمت تعلّقت بالعيون لا بالأسماع، ولذلك قال عليه السّلام: «على عيون الملائكة» ولم يقل على أسماعهم، فتأمل، فإنّه نفيس جداً.

قوله عليه السّلام: «وأخف عنهم ما يكون نشره عليّ عاراً».

الإخفاء: يقابل الإبداء والإعلان.

قال تعالى: «إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها» (٣)، وقال: «وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم» (٤). مركز تحقيق علوم رسيدي

ونشر الخبر نشرأ - من باب قتل - : بثّه وأشاعه. وأصله من نشر الثوب وهو بسطه.

وفي الأساس: نشر الخبر: أذاعه، وانتشر الخبر في الناس (٥).

والعار: كل شيء يلزم منه عيب ومذمة. وأصله الياء.

وطوى عني الحديث: كتمه. وأصله من طوى الثوب.

والشّار - بالفتح -: أقبح العيب والعار، والأمر المشهور بالشنعة، كذا في

القاموس (٦).

وعندك: أي في حكمك كقوله تعالى: «إن كان هذا هو الحق من عندك» (٧)

وكأنّه احتراز عما يعدّه الجهلاء عيباً وعاراً، وليس به بأس عند الله تعالى. والله اعلم.

(٥) أساس البلاغة: ص ٤٥٦.

(٦) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٦٤.

(٧) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

(١) و (٢) لم نعر على كتابه.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧١.

(٤) سورة المنتحنة: الآية ١.

شَرَّفْ دَرَجَتِي بِرِضْوَانِكَ ، وَ اكْمِلْ كَرَامَتِي بِغُفْرَانِكَ ، وَأَنْظِمْنِي فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، وَوَجِّهْنِي فِي مَسَالِكِ الْآمِنِينَ ، وَاجْعَلْنِي فِي فَوْجِ الْفَائِزِينَ ، وَاعْمُرْ بِي مَجَالِسَ الصَّالِحِينَ ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

الشَّرَف - بفتح حين - : العُلُو شَرَفٌ : ككُرْم فهو شريف ، وشرّفه تشريفاً أعلاه . وأصله من الشرف ، وهو المكان المشرف العالي ، ثم استعمل في القدر والمنزلة مجازاً . قال في الأساس : ومن المجاز ، لفلان شرف - وهو علو المنزلة - وشرّفه الله (١) .

والدرجة : واحدة الدرج ، وهي المرقاة ، كقصة وقصب .

قال الراغب : الدرجة نحو المنزلة ، لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود ، دون الامتداد على البسيطة ، كدرجة السطح والسلم ، ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة . قال الله تعالى : « وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهَا دَرَجَةٌ » تنبيه لرفعة درجة الرجال عليهن في العقل والسياسة ، وقال تعالى : « هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ » أي أولوا درجات (٢) .

والرضوان - بكسر الراء ، وقيس وتميم يضمونها - : قيل : هو بمعنى الرضا ، وقيل . هو الكثير من الرضا ، ولذلك خص في القرآن بما كان من الله تعالى ، لما كان أعظم الرضا رضاه سبحانه .

وكمل الشيء كمولاً - من باب قعد - تم ، والاسم الكمال .

وقيل : الكمال : أمر زائد على التمام ، لأن التمام يرد على الناقص فيتمه ، والكمال يرد على التمام (٣) فيكمل أوصافه .

وقيل : كمال الشيء حصول ما فيه الغرض منه ، فاذا قيل : كمل فعناه حصل ما هو الغرض منه ، قال تعالى : « وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ » (٤)

(١) أساس البلاغة : ص ٣٢٧ .

(٢) المفردات : ص ١٦٧ مع اختلاف يسير في بعض الفاظ العبارة .

(٣) « ألف » : التام .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .

تنسبها على أنَّ ذلك غاية ما يتعلق به إصلاح الولد. ويتعدى كمل بالهمزة والتضعيف، فيقال: أكملته إكمالاً، وكملته تكميلاً.

والكرامة: اسم من أكرمه أي أعزّه وعظمه. وله عليّ كرامة: أي عزازة وإجلال.

ويقال: أكرمه بالشيء: إذا أعطاه إياه عطاء على وجه الإعزاز والإجلال. وقوله عليه السلام: «بغفرانك» يحتمل تعلّقه بالفعل، وبالكرامة، وهما معاً على طريق التنازع.

ونظمت الدر نظماً - من باب ضرب - : جعلته وجمعه في سلك، وهو الخيط. أي اجعلني مع أصحاب اليمين واجمعيهم. وهو إما استعارة مكنية، أو تبعية. وأصحاب اليمين خلاف أصحاب الشمال، وقد تكلّموا في الفريقين، فقليل أصحاب اليمين: أصحاب المنزلة العالية، وأصحاب الشمال أصحاب المنزلة الدنية، من قولهم. فلان متي باليمين إذا وصفته بالرفعة عندك، وعليه قول الشاعر:

وقد كنت في يميني يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا
وقول (١) ابن الدمينية:

أبيني في يميني يديك جعلتني فأفرح أم صيرلتي في شمالكا
ومن ذلك تيمّنهم بالميامن، وتشاؤمهم بالشمال.

وقيل: الذين يؤتون صحائفهم بأيمنهم، والذين يؤتونها بشمالهم. وقيل: الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار.

وقيل: أصحاب اليمين (٢) وأصحاب الشؤم، فإنّ السعداء ميامين على أنفسهم بطاعاتهم، والأشقياء مشائم على أنفسهم بمعاصيهم. فإن قلت: كيف لم يسأل عليه

(٢) «ألف»: اليمن.

(١) «ألف»: قال.

السَّلامَ نظمهم في السابقين الذين هم أعلى درجة من أصحاب اليمين، كما دلَّ عليه قوله تعالى: «وكنتم أزواجاً ثلاثة» فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة * والسَّابقون السابقون * أولئك المقربون» (١).

وكما ورد في الحديث إنَّ السابقين هم رُسل الله عليهم السَّلام، وخاصة الله من خلقه، وأصحاب اليمين هم المؤمنون (٢).

ولا شك أنه عليه السَّلام من أقرب المقرَّبين، وأشرف خاصَّة ربِّ العالمين، وهل يليق بالأعلى منزلة أن يسأل دون مقامه؟ قلت: يحتمل أنه عليه السَّلام أدمج سؤال نظمهم في السابقين في سؤال نظمهم في أصحاب اليمين، فإنَّ السابقين من جملة أصحاب اليمين، إلَّا إنهم أرفع طبقة، وأقرب منزلة من سائرهم، كما يدلُّ عليه ما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره، بسنده إلى حذيفة بن اليمان (٣)، ورئيس المحدثين بسنده إلى ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّ الله عزَّ وجلَّ قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً وذلك قوله تعالى في ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وأناخير أصحاب اليمين. ثم قسم القسمين ثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً لقوله عزَّ وجلَّ: «فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة، والسَّابقون السَّابقون» وأناخير السابقين (٤). الحديث.

فيكون إشاره عليه السَّلام لسؤال نظمهم في أصحاب اليمين، دون السابقين لأمرين:

أحدهما: التواضع والهضم لنفسه الشريفة من ترشيحها لذلك، كما هو دأبه

(٣) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ٢ ص ٣٤٧.

(١) سورة الواقعة: الآية ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠.

(٤) البرهان في تفسير القرآن: ج ٤ ص ٢٧٥ ح ٥.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ج ٤ ص ٢٧٤ ح ٣.

عليه السّلام في دعائه.

الثاني: كون أصحاب اليمين أكثر من السابقين، كما قالوا في قول يوسف عليه السّلام «تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ» (١). إنّه إن أراد بالصالحين الصالحين من آبائه فظاهر، وإن أراد الإلحاق بعامة الصالحين، فوجهه إن اجتماع النفوس المشرقة (٢) بالأنوار الإلهية له أثر عظيم، وفوائد جمّة، كالمرآيا المستنيرة المتقابلة التي تتعكس أضواؤها، وتتكامل أنوارها، إلى حيث لا تطيقها العيون الضعيفة، وكلّما كانت أكثر كانت (٣) الإشراق أظهر. فلا يرد أنّ الصلاح أول درجات الصالحين، فكيف يليق بمن رتبته النبوة أن يطلب البداية؟! والله أعلم بمقاصد أوليائه.

قوله عليه السّلام: «ووجهني في مسالك الآمين». ووجهت الشيء: أرسلته في جهة.

والمسالك: جمع مسلك، وهو موضع السلوك، وهو النفاذ في الطريق. يقال: سلكت الطريق سلوكاً - من باب قعد - أي ذهبت فيه.

والآمين: جمع آمن، من آمن أمناً - من باب منع - إذا اطمأنت نفسه، وزال خوفه، وكأنّه تلميح إلى قوله تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ» ادخلوها بسلام آمين (٤)، ويجوز أن يراد بهم الآمنون من آفات الدنيا وعقوبات الآخرة. والفوج: الجماعة من الناس. وقيل: الجماعة المارة المسرعة.

والفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة، ولذلك قال تعالى: «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ» (٥) لظفرهم بكلّ خير، وسلامتهم من كلّ شر.

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٤) سورة الحجر: الآية ٤٥ و ٤٦.

(٢) «ألف»: المشرقة.

(٥) سورة الحشر: الآية ٢٠.

(٣) «ألف»: كان.

والعمارة: نقيض الخراب، يقال عمرت الدار - من باب قتل - إذا بنيتها
أوجدت ما استتر منها. وعمر المنزل أهله إذا سكنوه، وأقاموا به، فعمر هو بهم،
يتعدى ولا يتعدى، والجميع من باب قتل.
وعمارة مجالس الصالحين: عبارة عن (١) لزومها، وكثرة إتيانها وغشيانها، لمعاشرتهم
وصحبتهم ومعاونتهم على الصلاح والبر والتقوى.
والصالح: قيل: هو الخالص من كل فساد. وقيل: هو المقيم بما يلزمه من حقوق
الله وحقوق الناس.
وكذا قال الزجاج في معاني القرآن: الصالح هو الذي يؤدي ما افترض الله عليه،
ويؤدي إلى الناس حقوقهم (٢).
وآمين بالمد والقصر: أي استجب، وقد سبق الكلام عليه مبسوطاً. والله أعلم.
هذا آخر الروضة الحادية والأربعين من رياض السالكين، وفق الله لإتمامها،
وتأليف در نظامها، عشية يوم الجمعة، ثاني أيام التشريق، من سنة أربع ومائة
وألف، والله الحمد.

(١) «ألف»: من.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأول. من القسم الثاني ص ١٧٩ نقلاً عنه.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



الروضة الثانية والأربعون

مركز تحقيقات كمبيوتر علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ سَمِ الْفَرَسِ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْنَيْتَنِي عَلَى خَيْرِ كِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ نُورًا وَجَعَلْتَهُ
مُهَيِّمًا عَلَى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ وَفَضَّلْتَهُ عَلَى كُلِّ حَدِيثٍ قَصَصْتَهُ
وَقُرْآنًا فَارَقْتَهُ بِهِ بَيْنَ حَلَالِكَ وَحَرَامِكَ وَقُرْآنًا أَعْرَيْتَ بِهِ عَنْ
شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ وَكِتَابًا فَضَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلًا وَوَحْيًا أَنْزَلْتَهُ
عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَتْرِبًا وَجَعَلْتَهُ نُورًا أَهْتَدَى
مِنْ ظُلُمِ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ بِاتِّبَاعِهِ وَشِفَاءً لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ الْقَصْدِ
إِلَى اسْتِمَاعِهِ وَمِيزَانٍ قَنِطَرٍ لَا يَخْفَى عَنْ الْحَقِّ لِسَانُهُ وَنُورٌ هَدَى لَا
يُطْفَأُ عَنِ الشَّاهِدِينَ بِرَهَائِهِ وَعِلْمٌ بَحَّاهُ لَا يَصِلُ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنَّتِهِ
وَلَا نَسَالَ أَبْدَى أَهْلِكَاتٍ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ اللَّهُمَّ فَإِنَّا ذُنُوبًا
الْمَعُونَةَ عَلَى بِلَاوِيهِ وَسَهَّلْتَ جَوَابِي السِّنِّيَ بِحُسْنِ عِبَارَتِهِ فَلَجَعَلْنَا
مِنْ بَرْعَاهُ حَقَّ رِعَائِيهِ وَبَدِينُكَ لَكَ بِاعْتِقَادِ التَّسْلِيمِ لِلْحُكْمِ يَا بَرُّ وَتَفَرُّعُ
إِلَى الْأَقْرَارِ بِمُتَشَابِهِهِ وَمَوْضِعَاتِ بَيْنَانِهِ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَهُ عَلَى
نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُجَلَّدًا وَآهَمْتَهُ عِلْمَ عَجَائِيهِ مُكَلَّمًا
وَوَدَّتُنَا عَلَيْهِ مُفَسِّرًا وَفَضَّلْتَنَا عَلَى مَنْ جَهِلَ عَلَيْهِ وَقَوَّيْنَا عَلَيْهِ

لِرَفْعِنَا قَوْفَ مَنْ لَمْ يُطِيقْ حِمْلَهُ اللَّهُمَّ فَكَمَا جَعَلْتَ قُلُوبَنَا لِحِمْلِهِ وَعَزَّ قَسْنَا
بِرَحْمَتِكَ شَرَفَهُ وَفَضْلَهُ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ الْخَطِيبِ بِهِ وَعَلَى آلِهِ الْخَرَنِ
لَهُ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَعْرِفِ بَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّى لَا يَعَارِضَنَا الشَّكُّ فِي
تَصَدِيقِهِ وَلَا يَخْتَلِجَنَا الرِّبْغُ عَنْ قَصْدِ طَرِيقِهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَعْتِمْ بِحَبْلِهِ وَبَاوِي مِنَ الْمُنْتَاجَاتِ إِلَى
حِزْزِ مَعْقِلِهِ وَتَيْكُنْ فِي ظِلِّ جَنَاحِهِ وَهَيْدَى بَصْوَةِ صَبَاحِهِ وَتَهْتَدِ
بِتَبْلِجِ إِسْفَارِهِ وَيَتَضَيَّعُ بِمُصْبَاحِهِ وَلَا يَلْتَمِسُ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ اللَّهُمَّ وَ
كَمَا نَصَبْتَ بِهِ مُحَمَّدًا عَلِيًّا لِلدَّيَالَةِ عَلَيْكَ وَأَنْهَجْتَ يَا إِلَهَ سُبُلِ الرِّضَا إِلَهًا
فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ وَسِيلَةً لَنَا إِلَى أَشْرَفِ مَنَازِلِ
الْكَرَامَةِ وَسَلَامًا نَعْرُجُ فِيهِ إِلَى مَحَلِّ السَّلَامَةِ وَسَبَبًا نَجْزِي بِهِ
الْجَاهَةَ فِي عَرِصَةِ الْقِيَامَةِ وَذَرِيعَةً نَقْدُمُ بِهَا عَلَى نَعِيمِ دَارِ الْمَقَامَةِ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاخْطُطْ بِالْقُرْآنِ عَنَّا ثِقْلَ الْأَوْزَارِ
وَمَبِّ لَنَا حُسْنَ ثِمَاتٍ لِأَكْبَرِ أَرْوَاقِ بِنَا أَثَارَ الَّذِينَ قَامُوا إِلَيْكَ بِهِ
إِنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ حَتَّى يُطَهَّرْنَا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ يُظْهِرُهُ وَتَقْفُو
بِنَا أَثَارَ الَّذِينَ اسْتَضَاءُوا بِوُجْهِهِ وَلَمْ يُلْهِمِهِمْ إِلَّا مَلْعُوعَ الْعَرَمِ فَقَطَعَهُمُ

يَجْمَعُ غُرُوبَ اللَّهِ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ لَنَا فِي ظُلْمِ
 اللَّيْلِ مَوْسَاوَمِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَخَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ حَارِسًا وَ
 لَا مَدَامِنَا عَنْ تَقْلِيلِهَا إِلَى الْمَعَاصِي حَاطِسًا وَلَا لِسِنْدِنَا عَنْ التَّخَوُّصِ فِي الْبَاطِلِ
 مِنْ غَيْرِ مَا أَفَقَ مَحْزَسًا وَبِحَوَارِجِنَا عَنْ اقْتِرَافِ الْأَثَامِ زَاجِرًا وَمَا طَوَّلَ الْغِنَاءُ
 عَنَّا مِنْ تَصَفِّحِ الْأَصْنِيبِ رَاشِرًا حَتَّى تُوَصِّلَ إِلَى قُلُوبِنَا فَهَمَّ غَاجِسُهُ وَزَوَاجِرُ
 أَمثَالِهِ الْبَنَى ضَعُفَاتِ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي عَلَى صَلَاتِهَا عَنْ اخْتِمَالِهِ اللَّهُمَّ
 صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَآدِمِ بِالْقُرْآنِ صَلَاحَ ظَاهِرِنَا وَاجْتِبَاهَ خَطَرِنَا
 الْوَسَاوِسِ عَنْ صِحَّةِ خَمَانِنَا وَاعْغِثْ بِمَدْرَنِ قُلُوبِنَا وَعِلَاقِ أَوْرَاقِنَا
 وَاجْمَعْ بِهِ مُنْتَشِرَ أُمُورِنَا وَآزِوِيهِ فِي مَوْقِفِ الْفَرَضِ عَلَيْكَ ظَمًا هَوَاجِرِنَا
 وَاكْتِنَا بِهِ حُلَّ الْأَمَانِ يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ فِي نُشُورِنَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْتَبِرْ بِالْقُرْآنِ خَلْسًا مِنْ عَدَمِ الْإِمْلَاقِ وَنُوقِ الْبِنَايَةِ رَغْدَ
 الْعَيْشِ وَخَضَبَ سَعَةِ الْأَرْزَاقِ وَجَنِّبْنَا بِهِ الضَّرَائِبَ الْمَذْمُومَةَ وَ
 مَدَانِي الْأَخْلَاقِ وَاعْصِمْنَا بِهِ مِنْ هَوَاةِ الْكُفْرِ وَدَوَاعِي الْبَغَاكِ حَتَّى
 يَكُونَ لَنَا فِي الْغِيَا مَتْنٌ إِلَى رِضْوَانِكَ وَجَنَانِكَ قَائِدًا وَلَنَا فِي الدُّنْيَا عَنْ
 تَخْطِيطِكَ وَتَعْدِي حُدُودِكَ ذَائِدًا وَلِمَا عِنْدَكَ تَجْلِيلٌ حَلَالِهِ وَتَحْرِيمٌ جَرَّاءِ

شَاهِدَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَيِّئْ بِالْقُرْآنِ عِنْدَ الْمَوْتِ
عَلَى أَنْفُسِنَا كَرَبَ السِّيَاقِ وَجَهْدَ الْأَنْفُسِ وَتَرَادُفَ الْحَتَّارِ إِذَا بَلَغَتْ
النُّفُوسُ الرَّاقِيَّ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَتَحَلَّى مَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِهَا مِنْ حُجْبِ
الْغُيُوبِ وَرَمَاهَا عَنْ قَوْسِ الْمَنَابِلِ بِأَسْهَامِ وَخَشَّةِ الْفِرَاقِ وَدَافَ لَهَا مِنْ
ذُعَافِ الْمَوْتِ كَأَسَا مَسْمُومَةٍ الْمَذَاقِ وَدَفَى مِنَّا إِلَى الْآخِرَةِ وَرَحِيلٍ وَ
انْطِلَاقٍ وَصَارَتْ الْأَعْمَالُ فَلَانْدَ فِي الْأَعْنَاقِ وَكَانَتْ الْقُبُورُ هِيَ الْمَأْوَى
إِلَى مِيقَاتِ يَوْمِ التَّلَاقِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَبَارِكْ لَنَا فِي
حُلُولِ دَارِ الْبَلَى وَطُولِ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وَاجْعَلِ الْقُبُورَ بَعْدَ
فِرَاقِ الدُّنْيَا خَيْرَ مَنَازِلِنَا وَافْتَحْ لَنَا بِرَحْمَتِكَ فِي ضَيْقِ مَا أَحْدَثْنَا وَلَا
تَقْضَعْنَا فِي حَاضِرِ الْقِيَامَةِ بِمُؤَبَّاتِ آثَامِنَا وَارْحَمْ بِالْقُرْآنِ فِي مَوْقِفِ
الْغُرُخِ عَلَيْكَ ذَلِكَ مَقَامِنَا وَثَبَّتْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جِسْرِ تَهْنَمِ يَوْمِ الْحِجَازِ
عَلَيْهَا زَلْزَلُ آثَامِنَا وَتَجَنَّبَ بِهِ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشَدَّ أُنْدَ
أَهْوَالِ يَوْمِ الطَّامَةِ وَبَيَّضَ وَجُوهَنَا يَوْمَ تَسْوَدُ وَجُوهُ الظُّلَمَةِ فِي يَوْمِ
الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَاجْعَلْ لَنَا فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ وَدَاوِلَ الْجَنَّةِ الْخِيَامَ
عَلَيْنَا نَكِدَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا بَلَغَ رِسَالَتُكَ صَدَقَ

بِأَمْرِكَ وَتَعَمَّ لِعِبَادِكَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَبِيَّنَا صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقْرَبَ النَّبِيِّينَ مِنْكَ بِمَجْلِسٍ وَأَمَكَّهُمْ مِنْكَ بِشَفَاعَةٍ
وَأَجَلَّهُمْ عِنْدَكَ قَدْرًا وَأَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ جَاهًا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ
بَنِيَانَهُ وَعَظِيمُ بُرْهَانَهُ وَثِقَلُ مِيزَانَهُ وَتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ وَقَرِّبْ
وَسِيلَتَهُ وَبَيِّضْ وَجْهَهُ وَأَتِمِّ تَوْرَهُ وَارْزُقْ دَرَجَتَهُ وَأَخِينَا عَلَى
وُفْقَانَا عَلَى مِلَّتِهِ وَخُذْ بِنَامِنَاهَا جَهْ وَأَسْلِكْ بِنَاسِيبِلِهِ وَاجْعَلْنَا
مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ وَاخْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ وَأَوْرِثْنَا حَوْضَهُ وَاسْقِنَا بِكَامُلِهِ
وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَواتُكَ تَبْلُغُهُ بِهَا أَفْضَلُ مَا يَأْمُلُ
مِنْ خَيْرِكَ وَفَضْلِكَ وَكَرَامَتِكَ إِنَّكَ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَفَضْلٍ
كَرِيمٍ اللَّهُمَّ اخْزِهِ بِمَا بَلَغَ مِنْ رِسَالَاتِكَ وَأَذَى مِنْ آيَاتِكَ وَنَصَحَ
لِعِبَادِكَ وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِكَ أَفْضَلُ مَا جَزَيْتَ خَدَّامِينَ مَلَائِكَتِكَ
الْمُقَرَّبِينَ وَأَنْبِيَاءَكَ الْمُرْسَلِينَ الْمُصْطَفَيْنَ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
الطَّيِّبِينَ الظَّاهِرِينَ وَرَحْمَةُ
اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

الروضة الثانية والأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وإياه نستعين

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس، وبيّنات من الهدى والفرقان،
والصلاة على نبيه الفاتح الخاتم، سيد ولد عدنان، الذي ختم بشريعته الشرائع،
ونسخ بدينه الأديان، وعلى أهل بيته الذين ختم طاعتهم على الأنس والجان، وأقام
بهم أساس الدين، وعماد اليقين، وكهف الإيمان.

فهذه الروضة الثانية والأربعون من رياض السالكين، في شرح صحيفة سيد
العابدين صلى الله عليه وعلى آبائه (١)، وأبنائه الأئمة الهادين. إملاء راجي فضل
ربه السني، علي صدرالدين الحسيني الحسيني، ختم الله بالحسنى عمله، وبلغه في
الدارين أمله، إنه وليّ ذلك.

(١) «ألف»: صلى الله عليه وآله.

شرح الدعاء الثاني والأربعين

وكان من دعائه عليه السّلام عند ختم القرآن

القرآن: اسم للكتاب المنزل على نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، كما أنّ التوراة اسم للكتاب المنزل على موسى عليه السّلام، والإنجيل اسم للكتاب المنزل على عيسى عليه السّلام، والزبور اسم للكتاب المنزل على داود عليه السّلام. وعرف بأنه كلام منزل للإعجاز بسورة من مثله. واختلف العلماء في لفظه: فقال جماعة: هو اسم علم غير مشتق، خاص بكلام الله، فهو غير مهموز وبه قرأ ابن كثير (١).

وقال قوم: هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر. وسمي به لقران السور والآيات والحروف فيه (٢). وقال الفراء: هو مشتق من القرائن، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً وهي قرائن. وعلى القولين هو بلا همز أيضاً ونونه أصلية (٣). وقال الزجاج: هذا القول سهو، والصحيح إنّ ترك الهمز فيه من باب التخفيف، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها (٤).

(٢) تفسير روح المعاني: ج ١ ص ٨.

(١) روح المعاني: ج ١ ص ٨.

(٣) و(٤) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الثاني من القسم الثاني ص ٨٤.

واختلف القائلون بأنه مهموز، فقال قوم منهم اللحياني: هو مصدر لقرأت كالرجحان والغفران، سمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر (١).

وقال آخرون منهم الزجاج: هو وصف على فعلاَن مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه قرأت الماء في الحوض، أي جمعه (٢).

قال أبو عبيدة: وسمي بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض (٣).

وقال الراغب: لا يقال لكل جمع قرآن، ولا لجمع كل كلام قرآن. قال: وإنما سمي قرآناً، لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة، وقيل لأنه جمع أنواع العلوم كلها (٤).

وحكى قطرب قولاً: إنه إنما سمي قرآناً، لأن القارئ يظهره ويبينه من فيه، أخذاً من قول العرب ما قرأت الثقة على قط أي مارمت بولد أي ما سقطت ولداً، أي ما حلت قط (٥) والقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه، فسمي قرآناً.

قال الجاحظ: سمي الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمي العرب كلامهم على الجمل والتفصيل، سمي جملة قرآناً كما سمي ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية (٦). انتهى.

وللقرآن أسماء أخر سياقي ذكرها في صدر الدعاء، واشتهر تسميته بالمصحف.

قال في القاموس: المصحف - مثناة الميم - من أصحف - بالضم - أي جعلت فيه

(١) تفسير روح المعاني: ج ١ ص ٨.

(٢) تفسير روح المعاني: ج ١ ص ٨ نقلاً عنه.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ١ ص ١ - ٢ (الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م) بمصر.

(٤) المفردات: ص ٤٠٢.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الثاني من القسم الثاني ص ٨٤.

(٦) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الثاني من القسم الثاني ص ٨٤.

الصحف (١).

وقال الراغب: المصحف ما جعل جامعاً للمصحف المكتوبة وجمعه

مصاحف (٢).

وقال الفيومي: ضمّ الميم أشهر من كسرهما (٣)، ولم يذكر الفتح.

وفي المقام مسائل:

الأولى: قال الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي

قدس سرّه في كتاب الاعتقاد (٤) مانقصة:

إعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما بين اللفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك. ومبلغ سورة عند الناس مائة وأربع عشرة سورة، وعندنا أنّ الضحى وألم نشرح سورة واحدة، وإلّا يلاف وألم تركيف سورة واحدة، ومن نسب إلينا بأننا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب (٥)، إنتهى.

وقال أمين الإسلام الطبرسي: أما الزيادة في القرآن فجمع على بطلانه، وأما النقصان منه فقد روى بعض أصحابنا وقوم من حشوية العامة أنّ في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه، وذكر أنّ القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجموعاً مؤلفاً على ما هو الآن عليه، واستدلّ على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتّى عيّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له،

(١) القاموس المحيط: ج ٣، ص ١٦١.

(٢) المفردات: ص ٢٧٥.

(٣) المصباح المنير: ص ٤٥٦.

(٤) هكذا في الاصل. والصحيح الاعتقادات.

(٥) الاعتقادات (للصدوق ره): في ضمن شرح باب الحادي عشر: ص ٩٣.

وأنه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتلى عليه، وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عليه السلام عدة ختمات. وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً، غير مبتور ولا مبثوث، وذكر أن من خالف في ذلك من الأمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته (١). انتهى.

وقال بعض المتأخرين من أصحابنا: إسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر معنى، كما يظهر لمن تأمل في كتب الأحاديث من أولها إلى آخرها، ودلت الأخبار على وجود مصحف غير هذا المشهور بين الناس، وهو موجود عند أهله، والظاهر أن مأمورين بقراءة ما في هذا القرآن ولا يجوز لنا الزيادة على ما فيه بما ورد في بعض الروايات أنه أسقط منه (٢). انتهى.

وأما العامة فرووا أخباراً كثيرة في وقوع النقصان من القرآن، فمن ذلك ما رواه أبو عبيد بسنده عن ابن عمر، قال: لا يقول أحدكم قد أخذت القرآن كله، وما يدره ما كله، قد ذهب منه قرآن كثير. ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر (٣).

وبسنده عن عائشة قالت كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبي صلى الله عليه وآله مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا ما على ما هو الآن (٤).

وبسنده عن زر بن حبیش قال: قال لي أبي بن كعب: كائن تعد سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وستين آية، أو ثلاثاً وستين آية قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة (٥).

(١) مجمع البيان: ج ١ و ٢ ص ١٥. (٣) البيان في تفسير القرآن: ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٢) التبيان: ج ١ ص ٣. (٤) و (٥) تفسير روح المعاني: ج ٢١ ص ١٤٢ مع اختلاف.

وروى السيوطي في الدر المنثور، ومنه نقلت قال: أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بلغ ما أنزل إليك من ربِّك إِنَّ عَلَيَّ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ، والله يعصمك من الناس (١).

والروايات من طرقهم في هذا المعنى كثيرة جداً، لكنهم أجمعوا على ما تضمنته هذه المصاحف المشهورة بين الناس، وترك ما خالفها من زيادة ونقص، وإبدال كلمة بأخرى ممّا لم يثبت ثبوتاً مستفيضاً أنّه من القرآن. والله أعلم.

الثانية: اتفقت العاقبة على أن القرآن نزل على سبعة أحرف، ورووا في ذلك حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ (٢). ونصّ أبو عبيدة على تواتره (٣). واختلفوا في معناه على نحو أربعين قولاً:

أحدها: أنّه من المشكل الذي لا يدرى معناه، لأنّ الحرف يصدق لغة على حرف المهجاء، وعلى الكلمة، وعلى المعنى، وعلى الجهة (٤).

وقال أبو شامة: ظنّ قوم أنّ القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث. وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنّما يظنّ ذلك بعض أهل الجهل (٥).

وقال محمد بن أبي الصفرة: القراءات السبع التي يقرأها الناس، إنّها هو حرف واحد من تلك الأحرف السبعة (٦).

(١) الدر المنثور: ج ٢، ص ٢٩٨.

(٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ١٢، تفسير الطبري ج ١ ص ١١.

(٣) تفسير روح المعاني، ج ١ ص ٢٠.

(٤) تفسير روح المعاني: ج ١ ص ٢٠.

(٥) نقله عنه السيوطي في الاتقان: ج ١ ص ٢٧٤. ط أمير

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ج ١ ص ٤٦.

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن، أو صحيح عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يقولون إن القرآن نزل على سبعة أحرف. فقال: كذبوا أعداء الله، ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد (١).
وروى بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة (٢).

قال بعض أصحابنا: دلّ هذا الحديث على أن ذلك الحرف الواحد المنزل التبس بغيره على الأمة لأجل اختلاف الرواة، فيجوز لهم القراءة بأحد هذه القراءات المشهورة، حتى يظهر الأمر، كما دلّ عليه حديث سفيان بن السمط قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تنزيل القرآن قال: اقرأوا كما علمتم (٣).
وحديث سالم بن سلمة عنه عليه السلام: اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام القائم قرأ كتاب الله عز وجل على حدة (٤).

والرواية عن أبي الحسن عليه السلام: اقرأوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم (٥).
وقال أمين الأسلام الطبرسي: الظاهر من مذهب الإمامية أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء بينهم من القراءات، إلا أنهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة. والشائع بينهم أن القرآن نزل بحرف واحد (٦) انتهى.
الثالثة: روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن محمد بن عبد الله قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أقرأ القرآن في ليلة؟ قال: لا يعجبني أن تقرأه في أقل من شهر (٧).
وبسنده عن علي بن أبي حمزة قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال له

(١) الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١٣.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١٢.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٦٣١، ح ١٥.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٦٣٣، ح ٢٣.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٤، ص ٨٢١، ح ٢.

(٦) مجمع البيان: ج ١، ص ١٢.

(٧) الكافي: ج ٢، ص ٦١٧، ح ١.

أبو بصير: جعلت فداك أقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ فقال: لا. قال: ففي ليلتين؟ قال: لا، قال: ففي ثلاث؟ قال: ها، وأشار بيده. ثم قال: يا أبا محمد، إنَّ لرمضان حقاً وحرمة لا يشبهه شيء من الشهور، وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقرأون (١) القرآن في شهر أو أقل. إنَّ القرآن لا يقرأ هذرمة، ولكن يرتل ترتيلاً، وإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها واسأل الله الجنة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوذ بالله من النار (٢).

قال الجوهري: الهذرمة: السرعة في القراءة (٣).

وقال الزمخشري: هي السرعة في الكلام والمشى (٤).

الرابعة: روى ثقة الأسلام في الكافي بسنده عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: وقد روي هذا الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من استمع حرفاً من كتاب الله العزيز من غير قراءة، كتب الله عز وجل له به حسنة، ومحا عنه سيئة، ورفع له درجة. ومن قرأه نظراً من غير صلاة، كتب الله له بكل حرف حسنة، ومحا عنه سيئة، ورفع له درجة. ومن تعلم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات. قال: لا أقول بكل آية، ولكن بكل حرف باء أو تاء أو شبيههما. قال: ومن قرأ حرفاً وهو جالس في صلاته، كتب الله له به خمسين حسنة، ومحا عنه خمسين سيئة، ورفع له خمسين درجة. ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاة كتب الله له مائة حسنة، ومحا عنه مائة سيئة، ورفع له مائة درجة. ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخرة أو معجلة. قال: قلت جعلت فداك ختمه كله؟ قال: ختمه كله (٥).

(٤) الفائق في غريب الحديث: ج ٤، ص ٩٩.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٦١٢، ج ٦.

(١) وفي المصدر: يقرأ أحدهم.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٦١٧، ح ٢.

(٣) الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٥٧.

وعن الحسين بن علي عليهما السلام قال: من قرأ آية من كتاب الله عز وجل في صلاته قائماً يكتب له بكل حرف مائة حسنة، فإن قرائتها في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات وإن استمع القرآن كتب الله له بكل حرف حسنة، وإن ختم القرآن ليلاً صلّت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن ختمه نهاراً صلّت عليه الحفظة حتى يمسي، وكانت له دعوة مجابة، وكان خيراً له ممّا بين السماء (١) والأرض (٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: من ختم القرآن بمكة من جمعة إلى جمعة، أو أقل من ذلك أو أكثر، وختمه في يوم جمعة كتب له من الأجر والحسنات من أول جمعة كانت في الدنيا إلى آخر جمعة يكون فيها. وإن ختمه في سائر الأيام فكذلك (٣).

الخامسة: روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن الزهري قال: قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام: أي الأعمال أفضل؟ قال: الحال المرتحل، قلت: وما الحال المرتحل؟ قال: فتح القرآن وختمه كلما جاء بأوله ارتحل في آخره، أي عمل الحال المرتحل (٤)، فالكلام على حذف مضاف.

وروت العامة هذا الحديث بعدة طرق ومتون مختلفة عن النبي صلى الله عليه وآله.

فعن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: عليك بالحال المرتحل، قال وما الحال المرتحل؟ قال: فتح القرآن وختمه، صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله، كلما حل ارتحل (٥).

وعن أبي هريرة إن رجلاً قام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله:

(١) «ألف»: إلى الأرض.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦١١ ح ٣.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦١٢ ح ٤.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٠٥ ح ٧.

(٥) النشر في القراءات العشر: ج ٢ ص ٤٤٥.

أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الْحَالَةُ الْمُرْتَحِلِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَمَا الْحَالَةُ الْمُرْتَحِلِ؟ قَالَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ إِلَى أَوَّلِهِ كُلَّمَا حَلَّ أُرْتَحِلَ (١).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: الْحَالَةُ الْمُرْتَحِلِ (٢).

قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: الْحَالَةُ: هُوَ الْخَاتَمُ لِلْقُرْآنِ شَبَّهَ بِرَجُلٍ سَافِرٍ، فَسَارَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْمَنْزَلَ حَلَّ بِهِ. كَذَلِكَ تَالِي الْقُرْآنِ يَتْلُوهُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ آخِرَهُ وَقَفَ عِنْدَهُ. وَالْمُرْتَحِلُ: الْمَفْتَتِحُ لِلْقُرْآنِ، شَبَّهَ بِالْمُرْتَحِلِ أَرَادَ سَفَرًا فَافْتَتَحَهُ بِالْمَسِيرِ (٣).

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْفَائِقِ: أَرَادَ بِالْحَالَةِ الْمُرْتَحِلِ الْمَوَاصِلَ لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الَّذِي يَخْتِمُهُ ثُمَّ يَفْتَتِحُهُ، شَبَّهَهُ بِالْمَسْفَارِ الَّذِي لَا يَقْدُمُ عَلَى أَهْلِهِ فَيَحِلُّ إِلَّا أَنْشَأَ سَفَرًا آخَرَ فَارْتَحِلَ (٤).

وَأَخْرَجَ الدَّانِي بِسَنَدِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي بَنْدَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ إِذَا قَرَأَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ افْتَتَحَ مِنَ الْحَمْدِ، ثُمَّ قَرَأَ مِنَ الْبَقَرَةِ إِلَى «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»، ثُمَّ دَعَا بِدَعَاءِ الْخَتْمَةِ، ثُمَّ قَامَ (٥).

قَالَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَزَرِيِّ: وَصَارَ الْعَمَلُ عَلَى هَذَا فِي أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى لَا يَكَادُ وَاحِدٌ يَخْتِمُ خَتْمَةً إِلَّا وَشَرَعَ فِي الْآخَرِ، سِوَا خَتْمِ مَا شَرَعَ فِيهِ أَوْ لَمْ يَخْتِمْهُ، نَوَى خَتْمَهَا أَوْ لَمْ يَنْوِ، بَلْ جَعَلَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ سُنَّةِ الْخَتْمِ، وَيَسْمَوْنَ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا الْحَالَةَ الْمُرْتَحِلِ، أَيِ الَّذِي يَحِلُّ فِي قِرَاءَتِهِ آخِرَ الْخَتْمَةِ وَارْتَحِلَ إِلَى خَتْمَةٍ أُخْرَى.

وَعَكْسَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا هَذَا التَّفْسِيرَ كَالسَّخَاوِيِّ وَغَيْرِهِ فَقَالُوا: الْحَالَةُ الْمُرْتَحِلِ

(١) وَ (٢) النُّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرَةِ: ج ٢ ص ٤٤٧. (٤) الْفَائِقُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ: ج ١ ص ٣٠٨.

(٣) النُّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرَةِ: ج ٢ ص ٤٤٧ - ٤٤٨. (٥) النُّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرَةِ: ج ٢ ص ٤٤٤.

الذي يحلّ في ختمه عند فراغه من أخرى. والأول أظهر وهو الذي يدلّ عليه تفسير الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أفضل الأعمال الحاله المرتحل (١). إنتهى كلام ابن الجزري.

قلت: تفسير السخاويّ وغيره أوفق (٢) بالحديث المرويّ عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام كما لا يخفى. وحاول بعض الأصحاب تطبيقه على التفسير الأوّل، فقال: كأنّ قوله عليه السّلام في آخره ظرف للانتقال منه إلى أوّله، ولو كانت في بمعنى من لكان أظهر. والله أعلم.

السادسة: لاريب في استحباب الدعاء عند قراءة القرآن، وعند ختمه، كما وردت به روايات عن أرباب العصمة عليهم السّلام.

أمّا الدعاء عند قراءته فعقد له ثقة الإسلام في الكافي باباً وذكر فيه دعاء طويلاً قال: كان أبو عبد الله عليه السّلام يدعو به عند قراءة كتاب الله عز وجل (٣).

وذكر السيّد عليّ بن طاووس بَرَدَ الله مضجعه في كتاب الإقبال قال: روينا بإسنادنا إلى يونس بن عبد الرحمن، عن عليّ بن ميمون الصائغ أبي الأكراد، عن أبي عبد الله عليه السّلام أنه كان من دعائه إذا أخذ مصحف القرآن الجامع قبل أن يقرأ القرآن، وقبل أن ينشره، يقول حين يأخذ (٤) بيمينه: بسم الله، اللهمّ إني أشهد أنّ هذا كتابك المنزل من عندك على رسولك عمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله، وكتابك الناطق على لسان رسولك، وفيه حكمك وشرائع دينك، أنزلته على نبيّك، وجعلته عهداً منك إلى خلقك، وجبلاً متصلاً فيما بينك وبين عبادك. اللهمّ إني نشرت عهدك وكتابك، اللهمّ فاجعل نظري عبادة، وقراءتي تفكيراً، وفكري اعتباراً، واجعلني ممن أتعظ ببيان مواعظك فيه، وأجتنب معاصيك، ولا تطيع عند

(١) النشر في القراءات العشر: ج ٢ ص ٤٤٤.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٥٧٣، ح ١.

(٤) «ألف»: يأخذه.

(٢) «ألف»: أوفق.

قراءتي كتابك على قلبي، ولا على سمعي، ولا تجعل على بصري غشاوة، ولا تجعل قراءتي قراءة لا تدبر فيها، بل اجعلني أتدبر آياته وأحكامه، آخذاً بشرائع دينك، ولا تجعل نظري فيه غفلة، ولا قراءتي هزيمة، إنك أنت الرؤوف الرحيم (١).

وأما الدعاء عند ختمه فوردت به روايات من طرق العامة والخاصة.

أما من طرق العامة فأحسنها ما رواه فخرخوارزم الموفق بن أحمد أبو المؤيد في كتاب المناقب، بسنده المتصل عن عاصم، عن زر بن حبیش قال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره، في مسجد الجامع بالكوفة، على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما بلغت الحواميم قال لي: قد بلغت عرائس القرآن، فلما بلغت رأس العشرين من «حم عسق» و «الذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير» بكى حتى ارتفع نحيبه، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يا زراًقن على دعائي ثم قال: «اللهم إني أسالك إخبات المحبتين، وإخلاص الموقنين، ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقائق الإيمان، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، ووجوب رحمتك، وعزائم مغفرتك، والفوز بالجنة، والنجاة من النار». يازر إذا ختمت فادع بهذا فإن حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرني أن أدعوهن عند ختم القرآن (٢).

وأما من طرق الخاصة فأشهرها دعاء الصحيفة الكاملة الذي نحن بصدد

شرحه.

وذكر السيد علي بن طاووس قدس الله روحه (٣) بإسناده المتقدم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقول عند الفراغ من قراءة بعض القرآن العظيم: اللهم إني قرأت ما قضيت من كتابك الذي أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه

(٣) «الف»: قدس الله سره.

(١) الإقبال: ص ١١٠.

(٢) للمناقب للخوارزمي: ص ٤٣.

ورحمتك، فلك الحمد ربنا، ولك الشكر والمنة على ما قدرت ووفقت. اللهم اجعلني ممن يحلّ حلالك، ويحرم حرامك، ويجتنب معاصيك، ويؤمن بحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، واجعله لي شفاء ورحمة، وحرزاً وذخراً. اللهم اجعله لي أنساً في قبري، وأنساً في حشري، وأنساً في نشري، واجعل لي بركة بكل آية قرأتها، وارفع لي بكل حرف درسته درجة في أعلى عليين، آمين يارب العالمين، اللهم صلّي على محمد نبيّك وصفيّك، ونجيبك ودليلك (١)، والداعي إلى سبيلك، وعلى أمير المؤمنين وليّك وخليفتك من بعد رسولك، وعلى أوصيائهما المستحفظين دينك (٢)، المستودعين حقك، وعليهم أجمعين السلام ورحمة الله وبركاته (٣).

السابعة: القراءة في المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب، لأنّ النظر فيه عبادة مطلوبة.

روى ثقة الإسلام في الكافي، بسنده عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إنّي أحفظ القرآن على ظهر قلبي، فأقرأه على ظهر قلبي أفضل، أو أنظر في المصحف؟ قال: فقال لي: بل اقرأه، وانظر في المصحف فهو أفضل. أما علمت أنّ النظر في المصحف عبادة (٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: من قرأ في المصحف متّع ببصره، وخفف على والديه، وإن كانا كافرين (٥).

الثامنة: لا بأس بتكرير الآية وترديدتها فقد روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قام بآية يرّدها حتى أصبح «إن تعذبهم فإنهم عبادك» (٦) الآية.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦١٣-٦١٤، ح ٥.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٦١٣، ح ١.

(٦) الدر المنثور: ج ٢، ص ٣٥٠.

(١) «ألف»: ووليّك.

(٢) «ألف»: بدينك.

(٣) الإقبال: ص ١١١.

وعن الزهري: كان علي بن الحسين عليهما السلام إذا قرأ «مالك يوم الدين» يكررها حتى كاد أن يموت (١).

وروي عن الصادق عليه السلام أنه كان يصلي في بعض الأيام، فخر مغشياً عليه في أثناء الصلاة، فسئل عن ذلك فقال: مازلت أردد هذه الآية حتى سمعتها من قائلها (٢).

قال بعض العارفين: إن لسان الصادق عليه السلام كان في ذلك الوقت كشجرة الطور عند قوله: «إني أنا الله» (٣).

التاسعة: يستحب التوسط في القراءة بين الإخفاء والجهر، كما قال تعالى: «ولا تجهربصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً» (٤).

فمن الصادق عليه السلام: الجهر: رفع الصوت عالياً، والخافتة: ما لم تسمع نفسك (٥).

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام إذا قرأت القرآن فرفعت به صوتي جاءني الشيطان، فقال: إنما تراني. بهذا أهلك والناس، قال: يا أبا محمد؛ اقرأ قراءة ما بين القراءتين تسمع أهلك، ورجع بالقرآن صوتك فإن الله عز وجل يحب الصوت الحسن، يرجع ترجيعاً (٦).

العاشرة: يستحب البكاء عند قراءة القرآن، والتباكى لمن لا يقدر عليه، والحزن والخشوع. قال تعالى: «ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً» (٧)،

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «إن القرآن نزل بالحزن، فاقرأوه بالحزن» (٨).

وعن حفص بن غياث: ما رأيت أشد خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر

(٥) وسائل الشيعة: ج ٤، ص ٧٧٤، ح ٦.

(٦) الكافي: ج ٢، ص ٦١٦، ح ١٣.

(٧) الإسراء: الآية ١٠٩.

(٨) الكافي: ج ٢، ص ٦١٤، ح ٢.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٦٠٢، ح ١٣.

(٢) فلاح السائل لابن طاووس: ص ١٠٣-١٠٤.

(٣) طه: الآية ١٤.

(٤) الإسراء: الآية ١١٠.

عليهما السلام، ولا أرجأ للناس منه، وكانت قراءته حزناً، فإذا قرأ فكأنه يخاطب إنساناً (١).

الحادية عشرة: يسنّ الترتيل في قراءة القرآن قال تعالى: «ورتل القرآن ترتيلاً» (٢).

روى ثقة الأسلام بسنده عن عبدالله بن سليمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل «ورتل القرآن ترتيلاً» قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: بينه تبياناً، ولا تهذه هذ الشعر، ولا تنثره نثر الرمل، ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية، ولا يكون هم أحدكم آخر السورة (٣).

وعن أم سلمة رضي الله عنها: أنها نعتت قراءة النبي صلى الله عليه وآله قراءة مفسرة حرفاً حرفاً (٤).

واعلم أنه لا خلاف بين العلماء أن هذه القراءة وهو الإسراع فيها، إذا أفضى إلى لفت الكلمات، وعدم إقامة الحروف، لا يجوز لأنه لحن. وأما بعد إقامتها فالأفضل عندنا وعند أكثر العامة الترتيل.

قال في شرح المذهب: واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع. قالوا: وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزءين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل. قالوا: واستحباب الترتيل للتدبر، ولأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير، وأشد تأثيراً في القلب. ولهذا يستحب للأعجمي الذي لا يفهم معناه (٥). انتهى.

قال بعضهم: وكمال الترتيل تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه، وأن لا يدغم حرفاً في حرف.

وقيل: هذا أقله، وأكمله أن يقرأه على منازله، فإن قرأ تهديداً لفظ به لفظ

(٤) سنن الترمذي: ج ٥ ص ١٨٢ ح ٢٩٢٣.

(٥) شرح المذهب: ج ٢ ص ١٦٥.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٦٠٦، ح ١٠.

(٢) سورة المزمل: الآية ٤.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٦١٤، ح ١.

المتهدد، أو تعظيماً لفظ به على التعظيم.

الثانية عشرة: يستحبّ تحسين الصوت بالقراءة، كما وردت به أخبار كثيرة من طرق العامة والخاصة.

قال السيوطي في الإتيان: أخرج البزار وغيره حديث «حسن الصوت زينة القرآن» وفيه أحاديث صحيحة كثيرة (١). انتهى.

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لكل شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن (٢).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، وإتيانكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر، فإنه سيحجيء من بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية، لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة، وقلوب من يعجبه شأنهم (٣).

وعنه عليه السلام قال: كان علي بن الحسين صلوات الله عليه أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان السقاءون يملّون، فيقفون ببابه يسمعون قراءته (٤).

وعن علي بن محمد النوفلي، عن أبي الحسن عليه السلام قال: ذكرت الصوت عنده فقال: إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ قريباً مرّبه المارّ فيصعق من حسن صوته، وإن الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس، قلت: ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يُحمّل الناس من خلفه ما يطيقون (٥).

وقد تقدّم في الفائدة التاسعة قول أبي جعفر عليه السلام لأبي بصير: رجّع بالقرآن صوتك فإن الله عزّ وجلّ يحبّ الصوت الحسن يرجع ترجيعاً (٦).

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٦١٦، ح ١١.

(٥) الكافي: ج ٢، ص ٦١٥، ح ٤.

(٦) الكافي: ج ٢، ص ٦١٦، ح ١٣.

(١) الإتيان: ج ١، ص ١٠٧.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٦١٥، ح ٩.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٦١٤، ح ٣.

واعلم أنَّ المراد بتحسين الصوت، وترجييعه والتغني به في القرآن هو تجويد اللفظ، وتقويم الحروف، وحسن الأداء، وتلطيف النطق بالحرف على حال صيغته وكمال هيئته، من غير إسرافٍ ولا تعسفٍ، ولا إفراطٍ ولا تكلفٍ، ولا تمطيطٍ له كما يفعله أهل الفسق وأرباب الألحان الموسيقية، فإنَّ ذلك حرام يفسق به القارئ، ويأثم المستمع بإجماع المحققين من الفريقين، ولا رخصة فيه بوجه، كما نصَّ عليه قوله عليه السَّلام: «وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر» (١) الحديث المتقدم ذكره، ومن ظنَّ، أو اعتقد غير ذلك فليتهم فهمه.

قال خاتمة القراء شمس الدين بن الجزري: جرت سنَّة الله تبارك وتعالى فيمن يقرأ القرآن متجوداً مصححاً أن تلتذ الأسماع بتلاوته، وتخضع القلوب عند قراءته، حتَّى يكاد أن يسلب العقول، ويأخذ بالألباب، بسرٍّ من أسرار الله يودعه من يشاء من خلقه. ولقد أدركنا من شيوخنا من ليس له حسن صوت، ولا درية له بالألحان، إلَّا أنَّه كان جيِّد الأداء، قيِّماً بالألفاظ فكان إذا قرأ أطرب السامع، وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلق يجتمعون عليه، ويزدحمون على الاستماع إليه أمم من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربي، ومن لا يعرفه من سائر الأنعام، مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان، لخروجهم عن التجويد والإتقان، وأخبرني جماعة من شيوخنا وغيرهم أخباراً بلغ التواتر عن شيخهم الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الصائغ المصري، وكان أستاذاً في حسن الأداء، وتجويد القراءة أنَّه قرأ يوماً في صلاة الصبح «وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد» (٢) الآية، وكرَّر هذه الآية فنزل طائر فوق على رأس الشيخ يستمع قراءته حتَّى أكملها، فنظروا إليه، فإذا هو هدهد (٣). انتهى.

(٣) النشر في القرآن العشر: ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٣.

(١) الكافي: ج ٢، ص ٦١٤ ح ٣.

(٢) سورة النمل: الآية ٢٠.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْنَتَنِي عَلَى خَتْمِ كِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ نُورًا، وَجَعَلْتَهُ
مُهَيِّمًا عَلَى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ، وَفَضَّلْتَهُ عَلَى كُلِّ حَدِيثٍ قَضَضْتَهُ،
وَفَرَّقَانَا فَرَقْتَ بَيْنَ حَلَالِكَ وَحَرَامِكَ، وَقُرْآنَا أَغْرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرَائِعِ
أَحْكَامِكَ، وَكِتَابًا فَضَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلًا، وَوَحْيًا أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ
مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنْزِيلًا،

تَمَمَّة

يكره كتابة القرآن بماء الذهب لحديث محمد الوراق الكوفي قال: عرضت على
أبي عبد الله عليه السلام كتاباً فيه قرآن مختم معطر بالذهب، وكتبت في آخره سورة
بالذهب، فأرسته إياه، فلم يُعِبْ فيه شيئاً إلا كتابة القرآن بالذهب، وقال:
لا يعجبني أن يكتب القرآن إلا بالسواد، كما كتب أول مرة (١)؛ فأخرجه ثقة الإسلام
في الكافي.

وهذا حين نشرع في المقصود من شرح الدعاء.

قال صلوات الله وسلامه عليه (٢).

إعانة الله تعالى: عبارة عن توفيقه وإعداده سبحانه لعبده أن يتحرى ما فيه رضاه
من طاعته، والقيام بها كما وفقه عليه السلام لختم كتابه، وهو قراءته جميعه من أوله
إلى آخره.

والكتاب: إما مصدر سُمِّيَ به المفعول مبالغة كالحلق للمخلوق، وإما فعال
بُني للمفعول كاللباس، وهو من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها إلى بعض
وأصله الجمع والضم في الأشياء الظاهرة للحس البصري. ومنه: الكتيبة للعسكر،
وإطلاق الكتاب على المنظوم عبارة، لما أن ماله الكتابة.

والنزول: انتقال من علو إلى سفلى. يقال: نزل نزولاً - من باب ضرب -

ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أنزلته إنزالاً ونزلته تنزيلاً. وأما تعديته بالباء فلا يقال: نزل به إلا إذا كان مصاحباً له في النزول. ولهذا لا يقال «نزل الله بالقرآن» مثلاً كما يقال: «أنزل الله بالقرآن، ونزله»، وقال تعالى «نزل به الروح الأمين» (١).

فما وقع للفيومي في المصباح- من قوله: يتعدى بالحروف والهمزة والتضعيف، فيقال: نزل به وأنزلته ونزلته (٢)- غير صواب لإيهامه تساوي التعدية بالوجه الثلاثة، وليس كذلك لما عرفت. وسيأتي بيان الفرق بين الإنزال والتنزيل (٣).

قال شيخنا البهائي قدس سره: ووصف الكتاب بمعنى القرآن بالنزول والإنزال الذي لا يتصف به إلا المتحيز بالذات دون الأعراض، وسيما الغير القارات كالأصوات، إنها هو بتبعية (٤) محله سواء أخذ حروفاً ملفوظة أو معاني محفوظة، وهو الملك الذي يتلقف الكلام من جناب الملك العلام تلقفاً سماعياً، أو يتلقاه تلقياً روحانياً، أو يحفظه من اللوح المحفوظ، ثم ينزل به على الرسول صلى الله عليه وآله. وأنت خبير بأن هذا إنما يتمشى على القول بجسمية الملائكة، كما هو مذهب الأكثرين.

وأما على القول بتجردهم كما أطبق الحكماء عليه، وذهب بعض علماء أهل الإسلام إليه فلا. اللهم إلا أن يسمى ظهورهم للأنبياء عليهم السلام في صورة الماديات نزولاً، تشبيهاً للنزول العقلي المرتئي، بالحس المكاني، فيكون قولنا نزل الملك استعارة تبعية (٥). انتهى.

وقوله عليه السلام: «نوراً» نصب على الحال من الضمير العائد إلى الكتاب، وفيه تلميح إلى قوله تعالى في سورة النساء: «وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً» (٦)، قيل:

(١) سورة الشعراء: الآية ١٩٣. (٢) المصباح المنير: ص ٨٢٤. (٣) «ألف» التنزيل عرفاً.

(٤) «ألف» تبعية. (٥) راجع العروة الوثقى للشيخ البهائي: ص ٣٨٧، بالمعنى ولم نجد معانص عليه المصنف.

(٦) سورة النساء: الآية ١٧٤.

لأنه سبب وقوع نور الإيمان في القلب. وقيل: لأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام.

وقال الراغب: النور: الضوء المنتشر الذي يعين على الأبصار، وهو ضربان دنيوي وأخروي: فالدنيوي: ضربان: معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الأنوار الألهية كنور العقل، ونور القرآن ومنه: «قد جاءكم من الله نور» ومحسوس بعين البصر وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم النيرات، ومنه «هو الذي جعل الشمس ضياء، والقمر نورا». ومن النور الأخروي قوله تعالى: «يسعى نورهم بين أيديهم» (١) إنتهى.

وفي المهيمن: خلاف. قال الخليل وأبو عبيدة: هو اسم فاعل من هيمن على كذا، يهيمن أي صار رقيباً عليه وحافظاً (٢). وقال الزمخشري المهيمن: الرقيب على كل شيء، الحافظ له، مفعول من الأمن إلا أن همزته قلبت هاء (٣).

قال صاحب الكشف: وتحقيقه أن أمن على فيعل مبالغة أمن من العدو، والزيادة في الياء. وإذا قلت: أمن الراعي الذئب على الغنم، مثلاً دلّ على كمال حفظه ورقبه. فالله آمن كل شيء سواء على خلقه وملكه، لإحاطة علمه وكمال قدرته، ثم استعمل مجرد الدلالة بمعنى الرقيب والحفيظ على الشيء من غير ذكر المفعول للمبالغة في كمال الحفظ وهو أولى من جعله من الأمانة نظراً إلى أن الأمين على الشيء حافظ له إذ لا ينبئ من المبالغة ولا عن شمول العلم والقدرة.

وجعله الجوهري من آمن غيره من الخوف قال: وأصله أأمن فهو ما أأمن بهمزين فليئت (٤) الهمزة الثانية كراهة لاجتماعها فصار ما يمين، ثم صيرت الأولى هاء كما قالوا: هراق الماء وأراقه كآته تعالى: يحفظه إيتاهم صيرهم آمين، وحرف

(٣) تفسير الكشاف: ج ٤، ص ٥٠٩.

(١) المفردات: ص ٥٠٨.

(٤) «ألف»: قلبت.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٢٩ ص ٢٩٣.

الإستعلاء لتضمنين معنى الإطلاع ونحوه، وأنت تعلم أن الإشتقاق على ما ذكره العلامة أولى والخروج من القياس فيه أقل (١) إنتهى .
وفي الدعاء تلميح إلى قوله تعالى في المائدة: «وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه» (٢).

قال في الكشف: التعريف في الكتاب الأول للعهد لأنه عني به القرآن، وفي الثاني للجنس لأنه عني به جنس الكتب المنزلة، ويجوز أن يقال: هو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن، ومهيمناً: أي رقيباً على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات (٣) إنتهى .

وقال العمادي: مهيمناً عليه أي رقيباً على الكتب المحفوظة عن التغيير لأنه يشهد لها بالصحة والثبات. ويقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب، وإنقضاء وقت العمل بها، ولا ريب في تمييز أحكامها الباقية على المشروعية أبداً عما إنتهى وقت مشروعيتها وخرج عنها من أحكامه كونه مهيمناً عليه (٤) إنتهى .
وفضله على غيره تفضيلاً: صيرته أفضل منه أو حكمت واعتقدت بأنه أفضل منه، وتفضيل (٥) القرآن على غيره وقع منه تعالى بالمعنيين كما سنبينه.
والحديث: ضد القديم، يستعمل في قليل الكلام وكثيره لأنه يحدث شيئاً فشيئاً.

قال الراغب: يقال لكل ما قرب عهده: حديث فعلاً كان أو مقالاً، وكل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته ومنامه يقال له حديث،

(١) لم نتحققه. (٣) تفسير الكشف: ج ١، ص ٦٣٩ - ٦٤٠.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨. (٤) تفسير أبي السعود: ج ٣ ص ٤٥. (٥) «ألف»: تفضل.

وسمى تعالى كتابه حديثاً فقال: «فليأتوا بحديث مثله» وقال تعالى: «أفمن هذا الحديث تعجبون» (١).

وقصصت الحديث قصاً: حدثته على وجهه وأخبرت به كما هو، من قص أثره إذا تبعه لأن من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً كما يقال: تلا القرآن لأنه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية.

وفي هذه الفقرة من الدعاء تلميح إلى قوله تعالى في الزمر: «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً» (٢) الآية، وقوله في يوسف «نحن نقص عليك أحسن القصص» (٣).

قال النظام النيسابوري: ووجه كونه أحسن الحديث لفظاً ومعنى مما لا يخفى على ذي طبع فضلاً عن ذي لب (٤).

وقال العلامة الطبرسي: هو أحسن الحديث لفرط فصاحته وإعجازه واشتماله على جميع ما يحتاج المكلف إليه من التنبيه على أدلة التوحيد والعدل وبيان أحكام الشرع وغير ذلك من المواعظ وقصص الأنبياء والترغيب والترهيب (٥).

وقيل: سمي القرآن أحسن القصص لأنه بلغ النهاية في الفصاحة وحسن المعاني وعذوبة الألفاظ مع التلاؤم المنافي للتنافر والتشاكل بين المقاطع والفواصل.

وقيل: لأن فيه ذكر أخبار الأمم الماضية، وأخبار الكائنات الآتية، وجميع ما يحتاج إليه العباد إلى يوم القيامة بأعذب لفظ وتهذيب في أحسن نظم وترتيب (٦) انتهى.

(١) المفردات: ص ١١٠.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٣) سورة يوسف: الآية ٣.

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٣ ذيل الآية ٢٣ من سورة الزمر.

(٥) مجمع البيان: ج ٧-٨، ص ٤٩٥.

(٦) مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٢٠٧.

فظهر إنّه سبحانه فضّل القرآن على كل حديث قصّه بأن حكم بأنّه أحسن الحديث وأحسن القصص وفضّله بما خصّه به من المزايا والفضائل المذكورة التي إقتضت كونه أحسن من كل حديث وقصص.

والفرقان: قيل: في الاصل، مصدر فرقت بين الشيئين فرقاً وفرقناً من باب قتل- أي فصلت ثم اطلق على الفاعل مبالغة فهو بمعنى الفارق.

وقال الراغب: الفرقان: أبلغ من الفرق لأنه يستعمل في الفرق بين الحقّ والباطل، وتقديره كستقدير رجل قنعان يقنع به في الحكم، وهو اسم لامصدر فيما قيل والفرق: يستعمل في ذلك، وفي غيره. والفرقان: كلام الله لفرقه بين الحقّ والباطل في الاعتقاد والصدق والكذب في المقال والصالح والطالح في الأعمال (١) إنتهى.

والفرق بين الشيئين قد يكون مدركاً بالبصر كالفرق بين النور والظلمة، وقد يكون مدركاً بالبصيرة كالفرق بين الحقّ والباطل والحلال والحرام.

وحلال الله تعالى: ما أطلق فعله، وحرامه: ما منع منه وحكمه أن يأثم المرء بفعله ويشاب على تركه بنية التقرب إلى الله تعالى فيشمل الحلال والحرام أقسام الحكم الخمسة وهي: الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام ولا يجوز لأحد الحكم بتحليل شيء وتحريمه إلا ما وجدّه في القرآن أو أخذه من العالم به.

وفصلت الشيء تفصيلاً: جعلته فصولاً متميزة وهو من الفصل بمعنى إبانة أحد الشيئين عن الآخر حتّى يكون بينهما فرجة، وفيه تلميح إلى قوله تعالى في حم السجدة: «كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون» (٢) وفي هود: «كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» (٣).

قال الزمخشري: فصلت: أي ميّزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك (٤).

(١) المفردات: ص ٣٧٨.

(٢) سورة هود: الآية ١.

(٣) سورة فصلت: الآية ٣.

(٤) تفسير الكشاف: ج ٤، ص ١٨٤.

وقال أمين الأسلام الطبرسي: وصف الكتاب بالتفصيل دون الإجمال لأن التفصيل يأتي على وجوه البيان أي بينت آياته بياناً تاماً.

والتبيين: قيل على وجوه منها: تبين الواجب ممّا ليس بواجب وتبين الأولى في الحكمة ممّا ليس باولى، وتبين الجائز ممّا ليس بجائز، وتبين الحق من الباطل، وتبين الدليل على الحق ممّا ليس بدليل، وتبين ما يرغب فيه ممّا لا يرغب فيه، وتبين ما يحذر منه ممّا لا يحذر منه إلى غير ذلك من الوجوه.

وقيل: فصلت آياته بالأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والحلال والحرام والمواظظ والأمثال.

وقيل: فصلت آياته أي نظمت على أحسن نظام وأوضح بيان (١) إنتهى.
وبالجملة فالمراد بتفصيل القرآن جعل بعضه في الواجبات وبعضه في المحرمات وبعضه في المندوبات وبعضه في المكروهات وبعضه في المباحات وبعضه في العقوبات وبعضه في الاخلاق والآداب وبعضه في المواظظ والنصائح وبعضه في أخبار من تقدّم وأنباثهم، وبعضه في أخبار ماسيأتي، وبعضه في أحوال الجنة ومن يدخلها، وبعضه في أحوال النار ومن يسكنها، إلى غير ذلك مع بيان كل ذلك وإيضاحه بحيث لا يشتبه شيء منها بالآخر، وهذا هو معنى التفصيل كما قال تعالى: «وكلّ شيء فصلناه تفصيلاً» (٢) أي بيناه في القرآن الكريم بياناً بليغاً لا إلتباس معه كقوله تعالى: «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء» (٣).

والوحي: الإشارة، والكتابة والكتاب والرسالة والإلهام والكلام الخفي.
قال ابن فارس: وكل ما ألقىته إلى غيرك لتعلمه وحي (٤) وهو مصدر وحي

(١) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠، ص ٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٢.

(٣) سورة النحل: الآية ٨٩.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ج ٦ ص ٩٣. وفيه: «حتى علمه».

وَجَعَلَتْهُ نَوْراً تَهْتَدِي مِنْ ظُلَمِ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ بِاتِّبَاعِهِ، وَشِفَاءً لِمَنْ
أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيقِ إِلَى اسْتِمَاعِهِ، وَمِيزَانَ قِسْطٍ لَا يَحْيِفُ عَنْ الْحَقِّ

إِلَيْهِ يَحْيِي مِنْ بَابِ -وَعَدَ-، وَأَوْحَى إِلَيْهِ بِالْأَلْفِ مِثْلَهُ ثُمَّ غَلَبَ اسْتِعْمَالُهُ فِيمَا يُلْقَى إِلَى
الْأَنْبِيَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى.

وقد تقدّم الكلام على أنواعه في شرح السند فليرجع إليه.

وتنزيلاً: مصدر جار (١) غير الفعل ناب عن إنزالاً لأنه قياس مصدر أنزل
وايثاره عليه للإشارة إلى كيفية إنزاله على النبي صلى الله عليه وآله وهو الجاؤه إليه
تدرجاً لما في التنزيل من الدلالة على التدرج والتكثير (٢) بخلاف الإنزال فإنه أعم من
أن يكون دفعة أو تدرجاً، وذلك لما روي: أنه الله تعالى أنزل القرآن دفعة واحدة
من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فحفظته الحفظة أو كتبه الكتبة في الصحف ثم
نزله منها إلى النبي صلى الله عليه وآله منجماً موزعاً على حسب المصالح وكفاء
الحوادث (٣).

روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله
عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: «شهر رمضان الذي أنزل فيه
القرآن» وإنما أنزل في عشرين سنة بين أوله وآخره؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام،
نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم نزل في طول عشرين
سنة (٤) الحديث.

وفي هذه المعنى من طرق العامة روايات كثيرة والله أعلم (٥)

جعله نوراً: لكشفه ظلمات الشرك والشك وإبانته ما خفي على الناس من

(١) «ألف»: جاء.

(٢) «ألف»: التكثير.

(٣) الدر المنثور: ج ١ ص ١٨٩ وانوار التنزيل: ج ١ ص ١٠١ وتفسير الطبري: ج ٢ ص ٨٥ نقلاً بالمضمون.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٢٨، ح ٦.

لسائه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهائه، وعلم نجا لا يضل من أم قصد ستيه ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته.

الحق، وفرقه بين الحق والباطل وإيصاله إلى المطلوب من الحق كما أن النور الحسي يكشف الظلمات الحسية ويبين ما خفي بسببها ويفصل به بين الأشياء، ويدرك المطلوب.

والمراد بظلم الضلالة: ظلم الكفر والانهمك في الغي، وبظلم الجهالة ظلم المعاصي والشبهات، وجمع الظلم لتعدد فنون الضلال والجهل. وتبع زيد عمراً تبعاً من باب -تعب- وأتبعه إتباعاً مشى خلفه ثم أستعمل في مطلق الاقتداء. وإتباع القرآن: تلاوته والعمل به وفي الحديث: إتبعوا القرآن ولا يتبعنكم، قال ابن الأثير: أي اجعلوه أمامكم ثم اتلوه، وأراد لا تدعوا تلاوته والعمل به فتكونوا قد جعلتموه وراءكم (١). *مرزوقية كوتور علوم سدي* والشفاء: البرء من الداء والمرض، جعله شفاء لزوال الأمراض القلبية به كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائفة الفاسدة. قال تعالى: «قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور» (٢). والإنصات: السكوت للإستماع.

يقال: نصت له ينصت من باب -ضرب- وأنصت إنصاتاً: أي سكت مستمعا.

و«الباء» من قوله: «بفهم التصديق» للملابسة أي أنصت ملتبساً بفهم التصديق.

والفهم: تصوّر المعنى من لفظ المخاطب، وقيل: الفهم: إدراك خفي رقيق فهو أخص من العلم، لأن العلم نفس الإدراك سواء كان جلياً أو خفياً. ولهذا قال

(١) النهاية لابن الأثير: ج ١، ص ١٧٩.

(٢) سورة يونس: الآية ٥٧.

سبحانه في قصة داود وسليمان: «ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً» (١) خصّ الفهم بسليمان وعمّم العلم لداود وسليمان. والتصديق: أن ينسب السامع باختياره الصدق إلى المخبر، والمراد به هنا إعتقاد صدق القرآن والإيمان به، وأل فيه يجوز أن يكون نائبة عن الضمير المضاف إليه، والأصل بفهم تصديقه فحذف المضاف إليه وألّيت أَل منابه كقوله تعالى: «فإنّ الجنة هي المأوى» (٢) أي مأواه هذا عند من أجاز نيابة أَل عن الضمير المضاف إليه وهم الكوفيتون وبعض البصريين، أما عند المانعين فهو على تقدير له أو به كما قدروا له في الآية.

وإضافة الفهم إلى التصديق قيل: بيانية، والصواب إنّها لامية إذ المراد الفهم الملتبس بالتصديق المقارن له فهي بمعنى اللام الدالة على الاختصاص. واستمع له إستماعاً: قصد وتعمّد أن يسمعه.

قال الفيوسي: إستمع لما كان بقصد لآته لا يكون إلّا بالإصغاء وهو الميل، وسمع: يكون بقصد وبدونه (٣).

وأدى أنصت بـ «إلى» التضمين معنى الإصغاء والتوجه ولما كان قبول القابل شرطاً في ظهور الأثر من الفاعل قيّد عليه السلام كونه شفاء بقوله: «لمن أنصت بفهم التصديق إلى إستماعه»، كما قال تعالى: «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلّا خساراً» (٤)، فإن المراد بالظالمين الذين وضعوا التكذيب مقام التصديق والشك موضع الإيقان والإرتياب محل الأطمئنان، فإنّ إستماع القرآن لا يزيدهم إلّا هلاكاً بكفرهم وتكذيبهم وشكهم وارتبابهم وكذلك البدن الذي قد فسدت أخلاطه، وكثرت موادّ أسقامه لا يزيده الغذاء إلّا شراً وفساداً.

(٣) المصباح المنير: ص ٣٩٢.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٢.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

(٢) سورة النازعات: الآية ٤١.

قوله عليه السَّلام: «وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه». القسط: العدل، وحاف يحيف: مال عن الحق، وجار وظلم، ولسان الميزان عذبتة الكائنة في وسط العمود التي يعرف بها التعادل والرجحان، سميت لساناً لشبهها باللسان في الصورة أو لدلالاتها على الاستواء في الوزن وعدمه، كما يدلّ اللسان بالنطق على ما في الضمير وإنما جعل القرآن ميزان قسط موصوفاً بعدم الميل عن الحق لأنّ قدر العباد وقبول أعمالهم إنّما هو بقدر إيمانهم به وإتباعهم إياه فيما أمر به ونهى عنه ودلّهم عليه من الفروض والسنن والأخلاق كما قيل في رسول الله صلّى الله عليه وآله: كان خُلُقُه القرآن، فالمقبول الراجح من الأعمال: ما وافقه، والمرضيّ الحسن الجميل من الأخلاق والأقوال: ما طابق إرشاده وهدايته إليه، والحق الصائب من العقائد: ما أخذ منه، والمردود منها: ما خالف ذلك، وكلّما قرب من ذلك قرب من القبول، وكلّما بعد بعد، لا جرم كان ميزان عدل لا يحيف ولا يميل لسانه فيشبه رجحانه ونقصانه.

قوله عليه السَّلام: «ونور هدى» شبه الهدى بالنور في الدلالة على المطلوب، والتقدير هدى كالنور، ثمّ قدّم المشبه به على المشبه وأضيف إليه كقوله: والريح تعبث بالغصون، وقد جرى ذهب الأصيل على لجين للماء أي أصيل كالذهب على ماء كاللجين. وطفأت النار تطفئ بالهمزة من باب -تعب- طفوءاً (١) على فعول: خمدت، وأطفأتها إطفاء: أخمدها. قال تعالى: «يريدون أن يطفئوا نوراً الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يُنمَّ نوره» (٢). والبرهان: الحجّة، وقيل: بيان الحجّة وإيضاحها (٣) قيل: النون زائدة وقيل أصلية.

(٣) كتاب العين: ج ٤ ص ٤٩.

(١) «ألف»: طفوا.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٢.

قال الحليل: البرهان مشتق من البرهرة (١) وهي الجارية البيضاء (٢).
كما اشتق السلطان من السليط لإضائته، أو من البرهة وهي المدة من الدهر
لشباته.

وقال ابن جتي: برهان عندنا فعلا كقسطاس وليست نونه بزائدة، يدل عليه
قولك: برهنت له على كذا، أي أثبت الدليل عليه وهو قاطع، ومثله دهقان فعلا
من تدهقن وليس في الكلام تفعلن، والقياس في نونيهما أن يكونا زائدين حملاً على
الأكثر لكن السماع ورد بما رغب عن القياس (٣) إنتهى.

وحكى الأزهرى: القولين فقال: في باب الثلاثي النون زائدة، وقال: برهن
فلان مولد والصواب أن يقال أبوه إذا جاء بالبرهان. وقال في باب الرباعي برهن:
إذا أتى بحجته (٤).

واقصر الجوهري على كونها أصلية (٥).
والزمخشري على كونها زائدة (٦).

والمراد بالشاهدين: إما الشاهدون لله بالتوحيد وللأنبياء بالتصديق لأن القرآن
أعظم برهان لهم على ذلك وإما محمد وأهل بيته عليهم السلام لتسميته تعالى لهم
شهداء في قوله: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيداً» (٧).

فعن علي عليه السلام: إن الله تعالى إيانا عنا بقوله: «لتكونوا شهداء على
الناس» فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه (٨).

(٥) الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٧٨.

(٦) أماس البلاغة: ص ٣٧.

(٧) البقرة: الآية ١٤٣.

(٨) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٣٣٤.

(١) «ألف»: البرهرة.

(٢) كتاب العين: ج ٤ ص ٤٩.

(٣) حكاية الأزهرى في تهذيب اللغة: ج ٦ ص ٢٩٥.

(٤) التهذيب في اللغة: ج ٦ ص ٢٩٤.

وفي هذا المعنى أخبار أخر تقدم ذكرها في الروضة الثانية.
وهذا المعنى فسر ابن عباس قوله تعالى: «فاكتبنا مع الشاهدين» (١) قال: أي مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأُمته (٢) لأنهم مخصوصون بأداء الشهادة لقوله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء» (٣) الآية، وعلى هذا فتخصيصهم عليهم السلام بذلك لأنهم أهل الذين يستدلون ببرهانه ودليله ويحتجون بدقيقه وجليله.

وقال بعضهم المراد بالشاهدين كل من شاهده وأنصف من نفسه ولم يكن كغير الشاهد عناداً أو جهلاً.

وقال آخر: المراد بهم الحاضرون ولا يخفى أن ما ذكرنا أولى وأنسب والله أعلم بمقاصد أوليائه.

ولما شبه عليه السلام «البرهان» بالسراج في الإضاءة والإيضاح نفى عنه الطفوء أو الأطفاء على الروايتين، ففي الكلام إستعارة مكنية تخيلية، وتعدية يطفأ بعن لتضمنه معنى الذهاب والمعنى: إن برهان نور هدى القرآن لا يزال واضحاً بينا للشاهدين المحتجين به والمبرهنيين، على مطالبهم الحققة بألفاظه ومعانيه لا يبطل إحتجاجهم به أبداً كما يفيد الفعل المضارع الدال على الإستمرار والله أعلم.

قوله عليه السلام: «وعلم نجاة» إلى آخره. العلم محرّكاً: شيء ينصب في القلوات ليهتدى به.

ونجا من الهلاك ينجو نجاة:خلص، والاسم: النجاء بالمد، وإضافة العلم إلى النجاة من إضافة الشيء إلى سببه لان الضال في القلوات يهتدي بالعلم فينجوبه من الهلكة.

وأما من باب - قتل - : قصده.

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٣. (٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٤٤٨ والدر المنثور: ج ٢ ص ٣٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

والقصد: إستقامة الطريق. قال الزمخشري في قوله تعالى: «وعلى الله قصد السبيل» القصد: مصدر بمعنى الفاعل. يقال: سبيل قصد وقاصد، أي مستقيم، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه (١) إنتهى.

وعلى هذا فإضافته إلى سنته من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، أي من أم سنته القاصدة، أي المستقيمة ولا مبالغ لجعله من باب الإضافة إلى الجنس كالسبيل في قصد السبيل لأن السبيل منها جائز بخلاف سنة القرآن وطريقته، وفي نسخة قصد سنته بفتحين: أي طريقه. يقال فلان على سنن واحد أي طريق واحد. والهلكات: جمع هلكة بفتحين كقصة بمعنى الهلاك.

وإيثار صيغة الجمع للدلالة على أنواع من الهلاك فإن الهلاك كما يطلق على الموت والعدم، يطلق على العذاب والخوف والفقر، وهذه الأنواع الثلاثة هي المقصودة هنا بالهلكات دون المعنى الأول، وفي إضافة الأيدي إلى الهلكات إستعارة مكنية تخيلية، شبه الهلكات بالأعداء فأثبت لها الأيدي تخيلاً، وأسند النبل إليها ترشيحاً.

وتعلق به: إستمسك.

والعروة: ما يتعلق به ويستوثق.

والعصمة: الحبل، وكل ما يعتصم به من عقد وسبب، ومنه: «ولا تُمسكوا بعصم الكوافر» (٢)، والإستعارة فيه ظاهرة ولك جعلها تمثيلية مصرّحه ومرشحه وقد مرّ نظير ذلك غير مرّة.

وحاصل المعنى في الفقرتين إنّ من اهتدى بالقرآن علماً وعملاً لا يضلّ، ومن تمسك واعتصم به نجا من المهالك الدنيوية والأخروية والله سبحانه أعلم.

(١) تفسير الكشاف: ج ٢، ص ٥٩٦.

(٢) سورة المتحنة: الآية ١٠.

اللَّهُمَّ فَإِذَا أَفَدْتَنَا الْمَعُونَةَ عَلَى تِلَاوَتِهِ وَسَهَّلْتَ جَوَاسِيَ أَلْسِنَتِنَا بِحُسْنِ
عِبَارَتِهِ فَأَجْعَلْنَا مِمَّنْ يَزْعَاهُ حَقُّ رِعَايَتِهِ، وَيَدِينُ لَكَ بِأَعْتِقَادِ التَّسْلِيمِ
لِحُكْمِ آيَاتِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى الْإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِهِ وَمُوضَحَاتِ بَيِّنَاتِهِ.

«الفاء» للإشعار بعالية ما قبلها من إعانتته تعالى على ختم كتابه لجعل ما بعدها
تعليلًا للسؤال بأن يجعله ممن يرعاه حق رعايته لأنَّ إذ للتعليل، وهل هي حرف أو
ظرف خلاف وقد تقدم الكلام عليها في نظير هذه العبارة في الروضة الثانية
والثلاثين.

والمعونة: اسم من المعاونة والمظاهرة فهي مفعلة بضم العين، وقيل: ميمها
أصلية من الماعون، ووزنها فعوله، والأول هو المشهور.
وتلوت القرآن تلاوة: قرأته، وأصله من تلاه بمعنى أتبعه.

قال الراغب: التلاوة: تختص بالتباع ككتب الله المنزلة تارة بالقراءة وتارة
بالإرتسام لما فيه من أمر ونهي وترغيب وترهيب، أو ما يتوهم فيه ذلك، وهي أخص
من القراءة، فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة. فقوله تعالى: «وإذا تتلى
عليهم آياتنا»: فهذا بالقراءة. وقوله: «يتلونونه حق تلاوته»: مراد به الإبتاع له
بالعلم والعمل، وإنما استعمل التلاوة في قوله تعالى: «واتبعوا ما تتلوا الشياطين» لما
كان يزعمه الشياطين إن ما يتلونونه من كتب الله تعالى (١) إنتهى.

وسهل الشيء بضم العين سهولة: لان، وسهله تسهيلًا لئنه.
والجواسي: جمع جاسي فاعل من جسا يجسو (٢) من باب -منع- جسا بالضم
إذا يبس وصلب وغلظ، وإضافتها إلى الألسنة من باب إضافة الصفة إلى الموصوف،
أي لينت ما يبس وصلب من ألسنتنا بحسن عبارته، والمراد بجسو الألسن: تلثمها
وعدم إنطلاقها، وبتسهيلها بحسن عبارته: تمرينها وتثقيفها به.

(١) المفردات (للاغب): ص ٧٥.

(٢) «الف»: جسا - يجسو.

قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين: اللسان إذا أكثرت تقلبيه رقّ ولان، وإذا أطلت إسكاته جساً وغلظ (١).

وقال حكيم: إن اللسان إذا أكثر (٢) حركته رقت عذبه.
والمراد بحسن عبارته: حسن بيانه. يقال: عبّر عمّا في نفسه: أي أعرب وبيّن، وهو حسن العبارة: أي البيان، وهي بكسر العين وحكى في المحكم: فتحها وهو غريب (٣).

وقال الراغب: العبارة مختصة بالكلام العابر الهواء من لسان المتكلم إلى سمع السامع (٤).

وفي نسخة: وسهلت حواشي السنتنا، بالشين المعجمة.
الحواشي: جمع حاشية: وهي الجانب من الثوب ونحوه، والمراد بها أطراف الألسنة وحافاتهما، لأن مدار التعبير عليها.
و«الفاء» من قوله: «فاجعلنا» عاطفة على محذوف إن قلنا: بأنّ إذ حرف تعليل، والتقدير لأجل إفادتك المعونة على تلاوته وفقنا فاجعلنا ممّن يرعاه حق رعايته، وسببته إن قلنا بأنّ إذ ظرف، والمعنى إنك أفدتنا معونة تلاوته فيما مضى فبسبب ذلك إجعلنا ممّن يرعاه حق رعايته.

وقول بعض الطلبة إنها زائدة يدفعه أنّ سيبويه لا يرى زيادتها أصلاً (٥).
ورعايته: أرعاه رعيّاً: حفظته. ومنه قوله تعالى: «فما رعوها حقّ رعايتها» (٦) أي ما حافظوا عليها حقّ محافظتها.

والمراد برعاية القرآن حقّ رعايته: القيام بوظائفه من الإيمان به، وتعظيمه وحفظه وتعلّمه وتعليمه والمواظبة على تلاوته بآدابها، والإستماع لقراءته، والعمل

(١) البيان والتبيين: ج ١، ص ٣١. نقلاً بالمعنى.

(٤) المفردات: ص ٣٢٠.

(٢) «ألف»: كثرت.

(٥) مغني اللبيب: ص ٢١٩.

(٣) المحكم لابن سيده: ج ٢ ص ٩٣.

(٦) سورة الحديد: الآية ٢٧.

بأوامره ومستحباته، والوقوف عن مناهيه، والإعتبار بأمثاله وقصصه، والتدبر فيه وفي أسرارهِ إلى غير ذلك ممّا نصّت عليه الأخبار والآثار وأرشدت إليه العلماء الأخبار (١).

ودان بالإسلام ديناً: بالكسر تعبد به (٢)، كتدتين به.
واعتقدت كذا إعتقاداً: أي عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به.

وسلم للدعوى تسليماً: إترف بصحتها.
والمحكم لغة: المتقن، من أحكمت الشيء إحكاماً إذا أتقنته، وسيأتي معناه اصطلاحاً.

وفزعت إليه فزعاً من باب - تعب -: إلتجأت، وهو مفزع ما أي ملجأ.
وأقر بالشيء إقراراً: إترف به. وقال الراغب: الإقرار إثبات الشيء، وهو إما بالقلب أو باللسان أو بهما، والإقرار بالتوحيد وما يجري مجراه، لا يغني باللسان ما لم يُضامه الإقرار بالقلب (٣).

والمتشابه: اسم فاعل من تشابه الشيئان إذا أشبه أحدهما الآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما، ثم قيل: لكل ما لا يهتدي الإنسان إليه متشابهاً إطلاقاً لإسم السبب على المسبب ونظيره المشكل: أي دخل في شكل غيره فلم يتميز ولم يظهر.
ووضع الأمر يوضح من باب وعد ووضوحاً: إنكشف وانجلي كاتضح، ويتعدى بالألف، فيقال: أوضحته فأنا موضح له وهو موضح.

والرواية في الدعاء بالوجهين بمعنى إنها توضح الحق وتكشفه وتبين ما اشتبه من الشبهات، أو بمعنى إن الله سبحانه أوضحها وبيّنها.

والبيّنات: جمع بيّنة وهي الدلالة الواضحة، من بان الشيء بين: أي إتّضح وانكشف. قال تعالى: «أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان» (١) أي آيات واضحة مكشوفات تهدي إلى الحق وتفرّق بينه وبين الباطل وذلك أن الهدى قسمان: جلّي مكشوف وخفيّ مشتبّه فوصفه أولاً بجنس الهداية، ثم قال: إنه من نوع البين الواضح والله أعلم.

تنبيهات

الأول: دلّ القرآن على أنه كلّهُ محكم وذلك قوله تعالى: «كتاب أحكمت آياته» (٢) وعلى أنه بتمامه متشابه، وهو قوله تعالى: «كتاباً متشابهاً مثاني» (٣)، وعلى أن بعضه محكم وبعضه متشابه وذلك قوله تعالى: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات» (٤).

فالمراد بكونه كلّهُ محكماً: كونه كلاماً متقناً حقاً فصحيح الألفاظ صحيح المعاني لا يتطرق إليه نقص ولا إختلاف، وكونه بحيث لا يتمكن أحد من الإتيان بمثله لوثاقه مبانيه وبلاغة معانيه.

وبكونه كلّهُ متشابهاً: كونه يشبه بعضه بعضاً في الحق والصدق والحسن والإعجاز والبراءة من التناقض.

وبكون بعضه محكماً وبعضه متشابهاً: أنّ منه محكماً وهو ماوضح معناه من غير احتمال ولا اشتباه ومنه متشابهاً وهو نقيضه على أحد الأقوال.

وقيل: المحكم: ما يؤمن به ويعمل به ويعتبر به، والمتشابه: ما يؤمن به ولا يعمل به، عن أبي عبد الله عليه السلام (٥) وابن عباس (٦) وعكرمة (٧) وقتادة (٨).

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥. (٢) سورة هود: الآية ١. (٣) سورة الزمر: الآية ٢٣. (٤) سورة آل عمران: الآية ٧. (٥) البرهان في تفسير القرآن: ج ١ ص ٢٧١ ح ٧. (٦) و (٧) و (٨) تفسير الميزان: ج ٣ ص ٣٤.

وقيل المحكم: ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل والمتشابه: ما إستأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال، والحروف المقطعة (١) في أوائل السور (٢).
وقيل: المحكم: ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه: ما احتمل أوجه (٣).

وقيل: المحكم: ما كان معقول المعنى والمتشابه: بخلافه كأعداد الصلوات، واختصاص الصيام برمضان دون شعبان (٤).

وقيل: المحكم: ما تأويله، تنزيله، والمتشابه: ما لا يدري إلا بالتأويل (٥).
وقيل: المحكم: ما استقل بنفسه، والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره (٦).

وقيل: المحكم: ما فيه الحلال والحرام، وما سوى ذلك متشابه يصدق بعضه بعضاً (٧).

وقيل: المحكم: هو الناسخ، والمتشابه: هو المنسوخ (٨).
وعن أبي جعفر عليه السلام: المنسوخات من المتشابهات، والمحكمات من الناسخات (٩).

وقيل: المحكم: ما لم تتكرر ألفاظه، والمتشابه: ما تكررت ألفاظه كقصة موسى،

(١) «ألف»: المقطوعة.

(٢) و (٣) مرآة العقول: ج ٢ ص ٣٣٣. وروح المعاني: ج ٣ ص ٨٢.

(٤) روح المعاني: ج ٣ ص ٨٢.

(٥) الجامع لاحكام القرآن: ج ٤ ص ١١.

(٦) الجامع لاحكام القرآن: ج ٤ ص ١١.

(٧) روح المعاني: ج ٣ ص ٨٢.

(٨) تفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٧ ص ١٨٢.

(٩) البرهان في تفسير القرآن: ج ١ ص ٢٧ ح ١.

وغير ذلك (١).

وقيل: المحكم: ما لم تشبه معانيه، والمتشابه: ما اشتبهت معانيه نحو: «ثم استوى على العرش» (٢)، فإن الإستواء عليه يطلق على الجلوس وعلى الاستيلاء والقهر، وقيل غير ذلك، وحكى بعضهم في المسألة ثلاثين قولاً (٣).

قال الراغب: الآيات عند إعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه ومتشابه من وجه. فالمحكم على الإطلاق: ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى. والمتشابه في الجملة: ثلاثة أضرب:

متشابه من جهة اللفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتهما، فالمتشابه من جهة اللفظ ضربان:

أحدهما: يرجع إلى الألفاظ المفردة وذلك إما من جهة غرابته نحو الأرب ويزقون، وإما من جهة مشاركة اللفظ كاليد والعين.

والثاني: يرجع إلى جملة الكلام المركب وذلك ثلاثة أضرب:

ضرب: لاختصار الكلام، نحو: «فإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء» (٤).

وضرب: لبسط الكلام، نحو: «ليس كمثله شيء» (٥) لأن لو قيل: ليس مثله شيء كان أظهر للسامع.

وضرب: لنظم الكلام، نحو: «أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قميماً» (٦) تقديره أنزل على عبده الكتاب قتيماً ولم يجعل له عوجاً.

(٥) الشورى: الآية ١١.

(٦) الكهف: الآية ٢.

(١) روح المعاني: ج ٣ ص ٨٢.

(٢) الاعراف: الآية ٥٤ ويونس: الآية ٣.

(٣) الجامع لاحكام القرآن: ج ٤ ص ١١.

(٤) النساء: الآية ٣.

والمتشابه من جهة المعنى: أوصاف الله تعالى، وأوصاف القيامة فإن تلك الصفات لا تتصور لنا إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسّه أو لم يكن من جنس ما نحسّه.

والمتشابه من جهة اللفظ والمعنى خمسة أضرب:

الأول: من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو: «اقتلوا المشركين» (١).

والثاني: من جهة الكيفية كالوجوب والندب: «فانكحوا ما طاب لكم من

النساء» (٢)

والثالث: من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو: «فاتقوا الله حق تقاته» (٣).

والرابع: من جهة المكان والأمر التي نزلت فيها نحو: «ليس البر أن تأتوا

البيوت من ظهورها» (٤). «إنما النسئ زيادة في الكفر» (٥) فإن من لا يعرف

عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية.

والخامس: من جهة الشروط التي يصح بها الفعل، أو يفسد ك شروط الصلاة

والنكاح، وهذه الجملة إذا تصورت علم أن كل ما ذكره المفسرون لا يخرج عن هذه

التقاسيم نحو قول من قال: المتشابه (الم) ونحو قول قتادة: المحكم الناسخ والمتشابه

المنسوخ، وقول الأصم: المحكم ما جمع على تأويله والمتشابه ما اختلف فيه، ثم جميع

المتشابهات على ثلاثة أضرب.

ضرب: لاسبيل على الوقوف عليه، كوقت الساعة وخروج الدابة، وكيفية

الدابة، ونحو ذلك.

وضرب: للانسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ العربية والأحكام العقلية.

(١) التوبة: الآية ٥.

(٥) التوبة: الآية ٣٧.

(٢) النساء: الآية ٣.

(٣) آل عمران: الآية ١٠٢.

(٤) البقرة: الآية ١٨٩.

وضرب: متردد بين الأمرين يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم، ويحتمل على من دونهم وهو الضرب المشار إليه بقوله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل» (١) فإذا عرفت هذه الجملة عرفت أن الوقوف على قوله: «وما يعلم تأويله إلا الله» (١) ووصله بقوله: «والراسخون في العلم» (٢) جائزان، وأن لكل واحد منها وجهاً حسب ما دل عليه التفصيل المتقدم (٣) انتهى.

وقال النظام النيسابوري: الآيات ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يتأكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذلك هو المحكم حقاً. وثانيها: التي قامت الدلائل القطعية على امتناع ظواهرها فذلك الذي يحكم فيه بأن مراد الله تعالى فيه غير ظاهرة.

وثالثها: الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى أن الأمر اشتبه فيه ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر، لكن هاهنا عقدة أخرى وهي أن الدليل العقلي مختلف فيه أيضاً بحسب مراتبه كل فريق وتخيله صادقاً في ظنه مادة وصورة، فكل فريق يدعي بمقتضى فكره قد قام على ما يوافق مذهبه، وتؤكد به الظاهر الذي تعلق به فلا خلاص من البين إلا بتأييد سماوي ونور إلهي «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» (٤) انتهى.

الثاني: طعن بعض الملاحدة في جعل بعض القرآن محكماً وبعضه متشابهاً وقال: كيف يليق بالحكيم أن يجعل كتابه المرجوع إليه في دينه الموضوع إلى يوم القيامة بحيث يتمسك به صاحب كل مذهب، فثبت الرؤية يتمسك بقوله: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» (٥) ونافيا يتشبث بقوله: «لا تدركه الأبصار» (٦) ومثبت

(١) و (٢) آل عمران: الآية ٧.

(٥) القيامة: الآية ٢٢-٢٣.

(٣) المفردات: ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٦) الأنعام: الآية ١٠٣.

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص ٢٩٩ و ٣٠٠.

الجهة يحتج بقوله: «يخافون ربهم من فوقهم» (١)، والثاني لما يبرهن بقوله: «ليس كمثل شيء» (٢)، فكلّ منهم يستمى الآيات الموافقة لمذهبه بحكمة والمخالفة له متشابهة، وربما آل الأمر في ترجيح بعضها على بعض إلى وجوه ضعيفة وتراجع خفية، وهذا لا يليق بالحكمة مع أنه لو جعله كله واضحاً جلياً ظاهراً خالصاً عن المتشابهة نقياً كان أقرب إلى حصول الغرض.

وأجاب الزمخشري: بأنه لو كان كل القرآن محكماً لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به ولما في المتشابهة من الإبتلاء والتمييز (٣) بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمّة ونيل الدرجات عند الله ولأنّ المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا إختلاف إذا مارأى ما يتناقض في ظاهره وأهمته طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابهة المحكم إزداد طمأنينة إلى معتقده وقوة في إيقانه (٤) إنتهى.

قال النيسابوري: وهاهنا سبب أقوى وهو أنّ القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطبائع العامة تنبؤ في الأغلب عن إدراك الحقائق فمن سمع منه في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه ظنّ أنّ هذا عدم ونفي ووقع في التعطيل فكان الأصلح أن يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ماتوهموه وتخيلوه مخلوطاً بما يدلّ على الحق الصريح.

فالأول: وهو الذي يخاطب به في أول الأمر من باب المتشابهات.

(٣) «الف»: التميز.

(٤) تفسير الكشاف: ج ١، ص ٣٣٨.

(١) النحل: الآية ٥٠.

(٢) الشورى: الآية ١١.

والثاني: وهو الذي يكشف لهم آخر الحال من قبيل المحكمات (١) إنتهى .
وأنا أقول وهاهنا سبب أقوى من ذلك أيضاً وهو أن في القرآن المجيد من الأسرار الإلهية والمعارف الربانية ما لا يحتمله كل عقل ولا ينشرح له كل صدر، فلو كان القرآن كله محكما ظاهراً لضل كثير من العقول وزاغ كثير من القلوب ولكن جعل بعضه محكما وهو ما تشترك العقول على تفاوت مراتبها في احتماله وتتفق القلوب على قبوله وبعضه متشابهاً موكولاً علمه إلى أهله، وهم أهل الذكر المأمور بسؤالهم في قوله تعالى: «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» (٢) ليبينوا للناس معناه ويوضحوا لهم مقاصده على مقادير عقولهم وحسب مقاماتهم وتفاوت مراتبهم فيرشدون إلى كل مقام أهله ويخفونه عن غير أهله إذ كانوا أطباء النفوس وكما أن الطبيب يرى أن بعض الأدوية ترياق وشفاء وذلك الدواء بعينه لشخص آخر سمّ وهلاك كذلك كتاب الله تعالى والموضحون لمقاصده من الأنبياء والأوصياء يرون أن بعض الأسرار الإلهية شفاء لبعض الصدور فيلقونها إليهم وربما كان تلك الأسرار بأعيانها لغير أهلها سبباً لضلالهم وكفرهم إذا ألقيت إليهم ولذلك قال صلى الله عليه وآله «أمرت أن أكلم الناس على قدر عقولهم» (٣) وهذا أقوى الأسباب في جعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابهاً والله أعلم.

الثالث: في قوله عليه السلام: «ويفرع إلى الإقرار بمتشابهه» تلميح إلى قوله تعالى: «فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمناً به كل من عند ربنا» (٤)، فغرضه عليه السلام أن يجعله من الراسخين في العلم الذين يقولون آمناً به أي بمتشابهه وهو معنى الإقرار به.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٢٣ ح ١٥.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧.

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص ٢٩٩.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٣.

وتعبيره بالفزع إلى الإقرار: أي الالتجاء (١) به إشعار بأن التشابه لما كان محتملاً لوجوه كثيرة بعضها من العلوم الخفية وبعضها يؤدي إلى الكفر أو البدعة أو التناقض لم يكن للخلاص من الوقوع في محذور الشبهة سبيل إلا الفزع إلى الإقرار والإيمان به على ما أراد من تلك الوجوه وغيرها.

قال بعضهم: الراسخون في العلم: هم الذين علموا بالدلالة (٢) القطعية، إن الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا أن القرآن كلام الله تعالى وأنه لا يتكلم بالباطل والعبث، فإذا سمعوا آية ودلت الدلائل القاطعة على أنه لا يجوز أن يكون ظاهرها مراد الله تعالى بل المراد منها (٣) غير ذلك الظاهر فوضعوا تعيين ذلك المراد إلى علمه تعالى، وقطعوا بأن ذلك المعنى أي شيء كان فهو الحق والصواب، ولم يزعمهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد عن الإيمان بالله والجزم بصحة القرآن، ولم يكن ذلك شبهة لهم في الطعن في كلام الله تعالى (٤) وفي خطبة أمير المؤمنين عليه السلام المعروفة بخطبة الأشباح وأعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملتها ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله إعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمي تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً فاقصر على ذلك (٥) إنتهى.

فان قلت قد ورد في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله (٦). وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام (٧).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٧ ص ١٩١

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٢ ص ٣٣١.

(٦) و (٧) الكافي: ج ١، ص ٢١٣، ح ١ و ٣.

(١) «ألف»: التجاء.

(٢) «ألف»: بالدلائل.

(٣) «ألف»: مراده منه.

وفي خبر آخر: رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم قد علمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله (١). فكيف يكون الراسخون هم الذين أقرّوا بجملة ما جهلوا تفسيره ولم يعلموا تأويله.

قلت: الرسوخ ليس مرتبة واحدة هي تقليد ظواهر الشريعة واعتقاد حقيقتها فقط بل تقليدها مرتبة أولى من مراتب الرسوخ، ومن وراءها مراتب غير متناهية بحسب مراتب السلوك وقوة السالكين كما نصّ عليه بعض المحققين من أصحابنا. فالراسخون: الذين أشار إليهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه هم الواقفون في المرتبة الأولى وهم الذين اقتصروا على ما وقفهم الشريعة عليه على سبيل الجملة (٢). والراسخون في قول الصادق عليه السلام: «نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله» هم الواصلون إلى أقصى مراتب الرسوخ (٣) كما دلّ عليه ما في الخبر الآخر رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين (٤)، ووقع الإنكار على من ادعى هذه المرتبة في قول أمير المؤمنين عليه السلام من خطبة أخرى «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً» (٥).

ومن هنا يظهر سرّ جواز الوجهين في تلاوة الآية من الوقوف على قوله تعالى: «وما يعلم تأويله إلا الله» (٦) ووصله بقوله: «والراسخون في العلم» (٧) فإن وقفت كان المراد بالراسخين جميع الراسخين على مراتبهم، وإن وصلت كان المراد بهم العالمين بتأويله، فيكون قوله: «يقولون» على الأول خبراً وعلى الثاني استثناءً موضحاً لحال الراسخين أو حالاً منهم يتضمّن المدح لهم بالتصديق به مع العلم بتأويله والله أعلم.

(١) الكافي: ج ١، ص ٢١٣، ح ٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٢، ص ٣٣٥.

(٥) نهج البلاغة: ص ٢٠١، الخطب ١٤٤.

(٦) و (٧) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٣) و (٤) الكافي: ج ١، ص ٢١٣، ح ١ و ٢.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُجَمَّلاً وَأَهْمَّتَهُ
عِلْمَ عَجَائِبِهِ مَكْمَلاً، وَوَرَّثْتَنَا عِلْمَهُ مَفْسِراً، وَفَضَّلْتَنَا عَلَى مَنْ جَهِلَ عِلْمَهُ
وَقَوَّيْتَنَا عَلَيْهِ لَتَرْفَعَنَا فَوْقَ مَنْ لَمْ يُطِيقْ حَمْلَهُ.

أَجَمَلْتُ الشَّيْءَ إِجْمَالاً: جَمَعْتَهُ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ فَهُوَ مُجْمَلٌ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْحِسَابِ
الَّذِي لَمْ يَفْصَلْ وَالْكَلَامِ الَّذِي لَمْ يَبَيِّنْ تَفْصِيلَهُ مُجْمَلٌ.
قَالَ الرَّاعِبُ: وَحَقِيقَةُ الْمُجْمَلِ: هُوَ الْمُشْتَمِلُ عَلَى جُمْلَةِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ غَيْرِ مُلَخَّصَةٍ
أَيَّ غَيْرِ مُبَيَّنَّةٍ (١).

قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى إِنْزَالِهِ تَعَالَى الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ مُجَمَّلاً: إِنَّهُ لَمْ يَبَيِّنْ لَهُ أَسْرَارَهُ
وَعَجَائِبَهُ الْمُسْتَنْبِطَةَ مِنْهُ حَالِ إِنْزَالِهِ بَلْ أَوْخَاهُ إِلَيْهِ مُجَمَّلاً ثُمَّ أَهْمَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ عِلْمَهُ
بِالتَّامِّ كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْفَقْرَةُ الثَّانِيَّةُ.
وَقِيلَ: إِجْمَالُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا إِلَيْهِ لِيَكُونَ هُوَ الَّذِي يَفْصَلُهُ
وَيَبَيِّنُهُ.

وَالْأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «مُجَمَّلاً» أَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى جُمْلَةِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْ
الْأَسْرَارِ وَالْأَحْكَامِ غَيْرِ مُبَيَّنَّةٍ وَلَا مَشْرُوحَةٍ فِيهِ بِحَيْثُ يَعْلَمُهَا كُلُّ أَحَدٍ كَمَا وَرَدَ فِي
الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْتَلِفُ فِيهِ إِثْنَانٌ إِلَّا وَلَهُ
أَصْلٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلَكِنْ لَا يَبْلُغُهُ عَقُولُ الرِّجَالِ (٢).
وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ تَبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى وَاللَّهُ مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئاً
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ عَبْدٌ يَقُولُ: لَوْ كَانَ هَذَا أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا وَقَدْ
أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِيهِ (٣)، وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا الْمَعْنَى وَبَيْنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ: أَنَّ عِلْمَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا أَجْمَلَ فِيهِ لَمْ
يَكُنْ بَعْدَ عَدَمِ الْعِلْمِ بِهِ، بَلْ عِلْمُهُ بِهِ بِالتَّامِّ مِنْ نَفْسِ عِلْمِهِ بِهِ مُجَمَّلاً، فَإِنَّ النَّفُوسَ

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٨١ ح ٩.

(١) المفردات: ص ٩٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ١٠٠ ح ٧١.

القدسية إذا علمت الجمل فقد علمت تفسيرها وذلك كما إذا نظرت إلى زيد فقد أبصرت كله إجمالاً وأبصرت أجزاءه وتفصيله جميعاً عند إبصار كله، بل إبصار الكل والأجزاء إبصار واحد وإنما يتفاوت بالإعتبار.

والفرق بينه وبين المعنى الثاني: أن إجماله بالنسبة إليه أيضاً (١) عليه السلام لأشتماله على جملة الأحكام والأسرار التي أودعها سبحانه فيه، غير أنه عليه السلام أظم علم ذلك كله مفصلاً من علمه به مجملاً بخلاف غيره والله أعلم.

والإلهام: إلقاء الله تعالى الشيء في النفس بطريق الفيض.

وعجائب القرآن: نكته ولطائفه المندرجة في الأسلوب، والمباني وأسراره ودقائقه المطوية في المقصود، والمعاني التي بعضها فوق بعض.

وقيل: هي ما أودع فيه من أنواع العلوم التي إذا أدركها العقل تعجب.

ومكماً: أي بكماله، من كمل الشيء إذا تمت أجزاؤه وكملت محاسنه.

والوراثه: إنتقال الشيء إليك عن غيرك من غير عقد ولا مايجري مجراه،

وخص ذلك بالمنتقل عن الميت ويقال له: ميراث، وارث وراث وأصلها ورث

ووراث بالواو، والفعل ورث يرث بكسرهما كوثق يثق، يقال: ورث مال أبيه، ثم

قيل: ورث أباه مالاً ويعتدى بالهمزة والتضعيف فيقال: أورثه أبوه مالاً وورثه

تورثاً، وهما قرء قوله تعالى: «تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً» (٢).

ولما كان علم القرآن منتقلاً إلى الأوصياء عن النبي صلى الله عليه وآله عبر

عليه السلام عن جعله منتهياً إليهم وصائراً لهم بالتورث إستعارة لأن الإرث لغة

وشرعاً لا يطلق إلا على المنتقل من المال ولا يستعمل في غيره إلا على طريق المجاز.

وفي عبارة الدعاء تلميح إلى قوله تعالى في فاطر: «والذي أوحينا إليك من

الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخير بصير» ثم أورثنا الكتاب

(١) هكذا في الاصل، والصحيح إليه عليه السلام أيضاً.

(٢) سورة مريم: الآية ٦٣.

الذين اصطفينا من عبادنا» (١).

قال أمين الإسلام: عن الباقر والصادق عليهما السلام، أنهما قالاهما «هي لنا خاصة وإيانا عني» وهو أقرب الأقوال في الآية لأنهم أحق الناس بوصف الإصطفاء والاجتباء وإيراث علم الأنبياء إذ هم المتعبدون بحفظ القرآن وبيان حقائقه والعارفون بحلاله ودقائقه (٢) إنتهى.

وفي رواية عن الصادق عليه السلام نحن الذين اصطفانا الله عز وجل، وأورثنا هذا الكتاب الذي فيه تبيان كل شيء (٣).

وعن الرضا عليه السلام في تفسير الآية: أراد العترة الطاهرة (٤).

وفسرت الشيء فسرّاً من باب -ضرب-: يَبْتِئُهُ وأوضحته، والتثقيل للمبالغة، والمراد به هنا ما يعم التأويل قطعاً وقد اختلف العلماء في التفسير والتأويل.

فقال أبو عبيدة والمبرد. وطائفة: هما بمعنى (٥).

وأنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري فقال: قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتمدوا إليه (٦).

وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير: يستعمل فيها وفي غيرها (٧).

(١) فاطر: الآية ٣٠ و٣١.

(٢) مجمع البيان: ج ٧ و ٨، ص ٤٠٨.

(٣) نور الثقلين: ج ٤ ص ٣٦١.

(٤) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٢٩ (في الفرق بين العترة والأمة).

(٥) روح المعاني: ج ١ ص ٤. ومجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ١٣.

(٦) لم نقف على قوله.

(٧) روح المعاني: ج ١ ص ٤ نقلاً عن الراغب.

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى معنى واحد منها بما يظهر من الأدلة (١).

وقال الما تريدي: التفسير: القطع على إن المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله إنه عني باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه (٢).

والتأويل: ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع والشهادة على الله سبحانه. وقال أبو طالب الشعلبي: التفسير: بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً كتفسير الصراط بالطريق والصيِّب بالمطر.

والتأويل: تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ» (٣) تفسيره إنه من الرصد. يقال: رصدته أي رقبته. والمرصاد: مفعال منه وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والإستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة.

وقال الإصهباني في تفسيره: أعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتأويل أكثره في الجمل والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة أو في وجيز يتبين بشرح نحو: «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» أو في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها كقوله: «إِنَّمَا النِّسْيُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ».

(٣) الفجر: الآية ١٤.

(١) لاحظ تفسير الطبري: ج ٢ ص ٢٧، ط الاميري، مصر.

(٢) روح المعاني: ج ١ ص ٤ - ٥ نقلاً عنه على سبيل الإيجاز.

وأما التأويل فإنه يستعمل تارة عامًّا وتارة خاصًّا نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق وتارة في جحود الباري خاصة، والايان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى وأما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل في الجدة والوحدة والوجود (١).

وقال غيره: التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية (٢).
وقال قوم: ما وقع مبينًا في كتاب ومعينًا في صحيح السنة سمي تفسيراً لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لأحد أن يعرض (٣) له باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه.

والتأويل ما استنبطه العلماء العاملون بمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم.
وقال الطبرسي: التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر (٤).
وقال الزركشي: التفسير: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه عليه السلام وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه (٥).

وقال بعضهم: التفسير: علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكّيها أو مدنيّتها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصّها وعامّها ومطلقها ومقيدها وحلالها وحرامها ووعدّها ووعيدّها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها.

تنبيهان

الأول: تواترت الأخبار عن العترة الزاكية وأجمعت الأصحاب من الفرقة

(١) تفسير الاصبهاني: لا يوجد لدينا كتابه.

(٤) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ١٣.

(٢) روح المعاني: ج ١ ص ٥.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ج ١ ص ١٣.

(٣) «ألف»: يتعرض.

الناجية أَنَّ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه والأوصياء من أبنائه علموا جميع ما في القرآن علماً قطعياً بتأييد إلهي وإلهام رباني وتعليم نبوي وقد طابق العقل في ذلك النقل وذلك أَنَّ الإمام إذا لم يعلم جميع القرآن لزم إهمال الخلق وبطلان الشرع وانقطاع الشريعة، وكلّ ذلك باطل بحكم العقل والنقل، ومن الأخبار في هذا المعنى ما ورد من طريق العامة: عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً يخطب وهو يقول: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار؟ أم في سهل أم في جبل» (١). وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء: عن ابن مسعود، قال: إنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف وما منها حرف إلا وله ظهر وبطن وإن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن (٢).

وأخرج أيضاً من طريق أبي بكر بن عياش، عن نصير (٣) بن سليمان الأحمسي، عن أبيه، عن علي عليه السلام قال: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت إنَّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤلاً» (٤). وأما الروايات في ذلك من طريق الخاصة فأكثر من أن تحصى.

منها: ما رواه ثقة الإسلام بسند حسن، عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادعى أحد من الناس إنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب وما جمعه وحفظه كما نزل الله إلا علي بن أبي طالب والائمة من بعده صلوات الله عليهم (٥).

(١) الغدير: ج ٦، ص ١٩٣.

(٢) حلية الأولياء: ج ١ ص ٦٥.

(٣) «ألف»: نص.

(٤) حلية الأولياء: ج ١ ص ٦٧ - ٦٨. والمناقب لابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٤٣.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٢٢٨ ح ١.

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إن في القرآن علم ماضى وعلم مايتأتى إلى يوم القيامة، أو حكم ما بينكم وبين ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتهموني عنه لعلمتكم (١).

وعن أبي جعفر عليه السلام إنه قال: ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء (٢).

وعنه عليه السلام: إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن (٣).

وعن عبد الأعلى بن أعين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: والله إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي فيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر ما كان وما هو كائن، قال الله عز وجل: «فيه تبيان كل شيء» (٤).

وقال بعض المحققين: قوله عليه السلام: «كأنه في كفي» تنبيه على أن علمه بما في الكتاب علم شهودي بسيط واحد بالذات متعلق بالجميع، كما أن رؤية مافي الكف رؤية واحدة متعلقة بجميع أجزائه، والتعدد إنما هو بحسب الاعتبار.

وقوله: «فيه خبر السماء»: يعني من أحوال الأفلاك وحركاتها وأحوال الملائكة ودرجاتها وحركات الكواكب ومداراتها ومنافع تلك الحركات وتأثيراتها إلى غير ذلك من الأمور الكائنة في العلويات والمنافع المتعلقة بالفلكيات (٥).

وقوله: «وخبر الأرض» يعني من جوهرها وانتهائها ومافي جوفها وأرجائها وما

(١) نهج السعادة: ج ٣ ص ١٠١.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٢٢٨، ح ٢.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٢٢٩، ح ٣.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٢٢٩، ح ٤. هذا ولكن في القرآن سورة النحل: الآية ٩١. «ونزلنا عليك

الكتاب تبيانا لكل شيء فهذا التفسير يحتمل أن يكون من تصحيف النساخ والرواة كما يحتمل أن يكون نقلًا بالمعنى، أو أنه في قراءتهم عليهم السلام كان كذلك.

(٥) مرآة العقول: ج ٣ ص ٣٣.

في تحتها وأهوائها وما فيها من المعدنيات وما تحت الفلك من البسائط والمركبات التي تتحير في إدراك نبذ منها عقول البشر ويتحسرون بلوغ أدنى مراتبها طائر النظر.

وقوله: «خبر ما كان وما هو كائن» أي من أخبار السابقين وأحوال اللاحقين كلياتها وجزئياتها، وأحوال الجنة ومقاماتها، وتفاوت مراتبها ودرجاتها، وأخبار المثاب فيها بالإنقياد والطاعة، والمأجور فيها بالعبادة والزهادة، وأحوال النار ودرجاتها، وأحوال مراتب العقوبة ومصيباتها، وتفاوت مراتب البرزخ في النور والظلمة، وتفاوت أحوال الخلق فيه بالراحة والشدة كل ذلك بدليل قوله تعالى: «فيه تبيان كل شيء» (١) أي كشفه وإيضاحه فلا سبيل إلى إنكاره والله أعلم.

الثاني: ذهب جماعة من أصحابنا وغيرهم إلى أنه لا يجوز أن يتجاوز أحد المسموع في تفسير القرآن، ولا يسوغ تفسيره إلا بالآثار الصحيحة والنصوص الصريحة كما دل على ذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله، وعن الأئمة القائمين مقامه.

قال بعض المتأخرين من أصحابنا: قد تظافت الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام بالمنع من تفسير القرآن والكلام على ظواهره واستنباط الأحكام النظرية منها للرعية بل علم ذلك كله خاص بالأئمة عليهم السلام، وهم المخاطبون بالقرآن لا غيرهم والرعية مأمورون بالرجوع إليهم في ذلك وطلبه منهم ولذلك ترى مفسري أصحابنا المتقدمين لم يتجاوزوا النص كأبي حمزة الثمالي وعلي بن إبراهيم والعياشي وغيرهم، وأما من تأخر عنهم كالشيخ الطوسي والطبرسي فأنهم نقلوا في تفاسيرهم ما صحت عندهم من كلام الأئمة عليهم السلام وما لم يكن عندهم فيه شيء نقلوا ما وصل إليهم فيه من أقوال المفسرين من العامة بطريق الحكاية من غير ترجيح ولا رد وبيتوا اللغات والإعراب لا غير، لأن علم القرآن ومعرفة تنزيله وتأويله

(١) قد عرفت آنفاً بأن في المصحف سورة النحل: الآية ٨٩ «تبياناً لكل شيء».

وظاهره وباطنه ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه بيّنه الله لرسوله وبيّنه الرسول لأمر المؤمنين وأولاده عليهم السّلام وخصهم به دون غيرهم، وأمر الرعيّة بسؤالهم فإن ورد عنهم فيه شيء فذلك وإلا فالسلامة في السكوت ومن تكلم فيه من أصحابنا بغير ماورد فعن غفلة عمّا ورد فيه من المنع.

فان قلت: من تكلم فيه من أصحابنا لم يذكر ذلك على سبيل الجزم وإنما ذكره بطريق الإحتمال والظن الراجح.

قلت: هذا هو القول بغير علم وهو منهي عنه بنص الكتاب فان قلت إذا منعت من ذلك فكيف تصنع بالآيات التي ظاهرها الجبر والتشبيه وغير ذلك.

قلت: كل ما في القرآن من التشابهات الموافقة لظاهرها لما دلّ البرهان على استحالة فقد ورد تأويلها وبيان المراد منها في السنة المطهرة على أحسن وجه وأكمله فلا داعي إلى تأويلها من عند النفساء، والاختيار الدالة على ماقلناه كثيرة فمن ذلك ما رواه الخاصة والعامة من قول النبي صلى الله عليه وآله «من فسر القرآن برأيه فقد كفر» (١).

وروى الطبرسي في مجمع البيان: عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار» (٢).

وروي في الكافي عن أبي جعفر عليه السّلام قال: ما علمتم فقولوا وما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم، إن الرجل لينتزع الآية من القرآن يخبر فيها أبعد ما بين السماء والأرض (٣).

وفي روضة الكافي عن زيد الشحام، قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السّلام فقال: يا قتادة إنك فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، فقال

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج ١ ص ١٩ ح ١٣.

(٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٩٠٣.

(٣) الكافي: ج ١، ص ١٤٢، ح ٤.

أبوجعفر عليه السلام: بلغني إنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم، فقال أبوجعفر عليه السلام: فإن كنت تفسر بعلم فأنت أنت وإن كنت إنما فسترت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلك، وإن كنت أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلك، ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به (١)، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة والأخبار في هذا المعنى كثيرة إنتهى ملخصاً.

وقال أمين الإسلام الطبرسي قدس روحه (٢) في مجمع البيان روت العامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال: من فسر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ، قالوا: وكره جماعة من التابعين القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيب، وعبيدة السلماني، ونافع، وسالم بن عبد الله وغيرهم، والقول في ذلك إن الله سبحانه نذب إلى الاستنباط وأوضح السبيل إليه ومدح أقواماً عليه فقال «لعلهم الذين يستنبطونه منهم» وذم آخرى على ترك تدبره والإضراب عن التفكير فيه. فقال: «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبهم أقيالها» (٣)، وذكر أن القرآن منزل بلسان العرب فقال: «إنا جعلناه قرآناً عربياً» (٤). وقال النبي صلى الله عليه وآله: «إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط»، فبين أن الكتاب حجة ومعروض عليه وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى فهذا وأمثاله يدل على أن الخبر متروك الظاهر، فيمكن أن يكون معناه إن صح أن من حمل القرآن على رأيه ولم يعمل بشواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه». وروي عن عبد الله بن عباس، إنه قسم وجوه التفسير على أربعة أقسام: تفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العرب بكلامها، وتفسير تعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله

(١) روضة الكافي: ص ٣١١ - ٣١٢، ح ٤٨٥.

(٣) سورة محمد: الآية ٢٤.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٣.

(٢) «ألف»: قدس الله روحه.

عز وجل فأمّا الذي لا يعذر أحد بجهالته: فهو ما يلزم الكافة من الشرائع التي في القرآن، وجل دلائل التوحيد. وأمّا الذي تعرفه العرب بلسانها: فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم. وأمّا الذي تعلمه العلماء: فهو تأويل المتشابه وفروع الأحكام. وأمّا الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل: فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة. وأقول إن الإعراب أجل علوم القرآن فإن إليه يفتقر كل بيان، وهو الذي يفتح من الألفاظ الأغلاق ويستخرج من فحواها الاعلاق، إذ الأغراض كائنة فيها فيكون هو المشير لها والباحث عنها والمشير إليها، وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه، ومقياسه الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع إليه. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «اعربوا القرآن واتمسوا غرائبه» (١). وإذا كان ظاهر الكلام طبقاً لمعناه فكل من عرف العربية والإعراب عرف فحواه ويعلم مراد الله به قطعاً هذا إذا كان اللفظ غير مجمل يحتاج إلى بيان، ولا محتمل لمعنيين أو معان وذلك مثل قوله: «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق» (٢). وقوله: «وإلهكم إله واحد» (٣) وقوله: «ولا يظلم أحد» (٤) وأشبه ذلك، فأمّا ما كان مجعلاً لا ينبي ظاهره عن المراد به مفضلاً مثل قوله سبحانه: «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» (٥) «وآتوا حقه يوم حصاده» (٦)، فإنه يحتاج فيه إلى بيان النبي بوحى من الله تعالى إليه فيبين تفصيل أعيان الصلاة وأعداد الركعات ومقادير النصب في الزكاة وأمثالها كثيرة والشروع في بيان ذلك من غير نص وتوقيف ممنوع منه، ويمكن أن يكون الخبر الذي تقدّم محمولاً عليه وأمّا ما كان محتملاً لأمر كثيرة أو لأمرين ولا يجوز أن يكون الجميع مراداً بل قد دل

(٤) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٥) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٦) سورة الانعام: الآية ١٤١.

(١) شعب الايمان: ج ٢ ص ٥٤١ ح ٢٦٥٢، بالمعنى.

(٢) سورة الاسراء: الآية ٣٣، الانعام: الآية ١٥٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٦٣.

الدليل على أنه لا يجوز أن يكون المراد إلّا واحداً فهو من باب التشابه لإشتباه المراد منه بما ليس بمراد، فيحمل على الوجه الذي يوافق الدليل، وجاز أن يقال: هو المراد، وإن كان اللفظ مشتركاً بين معنيين أو أكثر، ويمكن أن يكون كل واحد من ذلك مراداً فلا ينبغي أن يقدم عليه بحساسة فيقال: إن المراد به كذا قطعاً إلّا بقول نبيّ أو إمام مقطوع على صدقه بل يجوز أن يكون كل واحد مراداً على التفصيل ولا يقطع عليه ولا يقلد أحداً من المفسرين فيه إلّا أن يكون التأويل مجمعاً عليه فيجب إتباعه لاعتقاد الإجماع عليه. فهذه الجملة التي لخصتها أصل يجب أن يرجع إليه ويعود (١) عليه وتعتبر به وجوه التفسير وما اختلف فيه العلماء من نزول القرآن والمعاني والأحكام (٢) إنتهى كلامه، رفع مقامه، وعليه عول جمهور الأصحاب والله أعلم.

قوله عليه السلام: «وَفَضَّلْتَنَا عَلَى مَنْ جَهِلَ عِلْمَهُ» أي جعلت لنا الفضيلة بعلمه على من لم يعلمه سواء خلت نفسه من العلم به أو اعتقده على خلاف ما هو عليه. فالجهل هنا أعم من أن يكون بسيطاً وهو عدم العلم عمّا من شأنه أن يكون معلوماً أو مركباً وهو اعتقاد جازم غير مطابق للواقع.

وقوله عليه السلام: «وَقَوَّيْتَنَا عَلَيْهِ» أي أفضت علينا قوة وجدّاً وعزيمة ربانية نقوى بها على فهم ظاهره وباطنه والاطلاع على سرائره وعجائبه والاضطلاع والعمل والتخلق بما فيه فهو كقوله تعالى «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ» (٣) أي ملتبساً بجدة وعزيمة أفضناها عليك تقوى بها على القيام به ليتحقق فيك ميراث أبيك وميراث آل يعقوب.

والرفع في الأجسام: حقيقة في الحركة والانتقال.

(١) «ألف» يعول.

(٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ١٣ - ١٤.

(٣) سورة مريم: الآية ١٢.

يقال: رفعت الشيء أرفعه رفعاً إذا أعليته عن مقرّه، ثم استعمل في المعاني مجازاً، فقليل: رفعه أي شرفه وأعلى منزلته ومنه: «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» (١).

وأطقت الشيء إطاقة: قدرت عليه فأنا مطيق، والاسم الطاقة مثل الطاعة إسم من أطاع.

وحملته الشيء فحمله: أي كلفته أن يقوم به فقام ومنه قوله تعالى: «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها» (٢) قال الراغب: أي كلفوا أن يتحملوها، أي يقوموا بحقها فلم يحملوها (٣).

فقوله: «لم يطق حمله» أي لم يقدر على القيام بحق القرآن من فهم معناه والعلم بما أودع الله فيه من أسرارهِ وحكمهِ كما روي عن أبي جعفر عليه السلام إنه قال في رسالة: وإنما القرآن أمثال القوم يعلمون دون غيرهم ولقوم يتلونه حق تلاوته، وهم الذين يؤمنون به ويعرفونه فأما غيرهم فما أشد إشكالاً عليهم وأبعده من مذاهب قلوبهم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه ليس شيء أبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن، وفي ذلك تحيّر الخلق أجمعون إلا من شاء الله (٤).

تنبيه

قال السيّد الجليل علي بن طاووس قدس سرّه، قوله عليه السلام: «وورثتنا علمه».

وقوله: «وفضلتنا» ونحو ذلك من الألفاظ ينبغي تبديله بألفاظ تناسب حال الداعي إنتهى.

(٤) بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ١٠٠ ح ٧٢.

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٢.

(٢) سورة الجمعة: الآية ٥.

(٣) المفردات: ص ١٣٢.

اللَّهُمَّ فَمَا جَعَلْتَ قُلُوبَنَا لَهُ حَمَلَةً وَعَرَفْتَنَا بِرَحْمَتِكَ شَرْفَهُ وَفَضْلَهُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ الْخَطِيبِ بِهِ، وَعَلَى آلِهِ الْخَزَّانِ لَهُ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّى لَا يَعَارِضَنَا الشُّكُّ فِي تَصَدِيقِهِ وَلَا يَحْتَلِبُنَا الزَّيْغُ عَنْ قَصْدِ طَرِيقِهِ.

قلت: الأولى تبديل الضمير فقط فيقال في قوله: «وورثتنا علمه» وورثت أوصيائه علمه مفسراً عطفاً على قوله: «إِنَّكَ أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ بِمَجْمَلٍ» ثم إعادة سائر الضمائر إليهم بأن يقال: «وفضلتهم وقويتهم عليه لترفعهم» لما في ذلك من إبقاء المعنى على أصله والله أعلم.

«الكاف»: للتعليل أو للتشبيه كما يتناه في نظير هذه العبارة في أواخر الروضة الحادية والثلاثين.

والحملة بفتح الحاء: جمع حامل وهو جمع مطرد لفاعل وصف لمذكر عاقل كظالم وظلمة وساحر وسحرة.

وجعل قلوبهم حملة للقرآن: عبارة عن إعدادها لحفظه وإلهامها علمه وتدبره والوقوف على حدوده وأحكامه وأمثاله إلى غير ذلك من مدارك خصائصه الخارجة عن طوق غيرهم من البشر.

ويجوز أن يراد بحمل القلوب له مطلق حفظه وتعلمه فيعم غيرهم عليهم السلام. وعرفتهم الأمر تعريفاً: علمته إياه.

والشرف: العلو والفضل والكمال، وتعريفه سبحانه شرف القرآن الكريم وفضله على نوعين:

الأول: ما يشترك في معرفته كل أحد ووصفه له بنعوت الشرف والفضل والكمال كنعته بالشرف في قوله: «والقرآن ذي الذكر» (١): أي الشرف.

وبالإعجاز في قوله تعالى: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (١).

ونعته بالبركة في قوله: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب» (٢) «وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون» (٣).

ونعته بالمجد والعزة والعظمة والكرم والحكمة في قوله: «بل هو قرآن مجيد» (٤) «إنه لكتاب عزيز» (٥) «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم» (٦) «إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون» (٧) «تلك آيات الكتاب الحكيم» (٨) إلى غير ذلك من كونه هدى ورحمة وشفاء وموعظة وحقاً وصدقاً وبلاغاً وفضلاً ومبيناً وبصائر وبياناً وعدلاً وأحسن الحديث وكل ذلك تعريف لشرفه وفضله يستوي في معرفته كل سامع له.

الثاني: ما يختص به من اطلعه سبحانه على حقائقه ودقائقه (٩) وأسراره وعجائبه وغرائبه وتفاصيل ما أودع فيه من العلوم والأحكام وما كان وما هو كائن وما يكون إلى يوم القيامة كما قال تعالى: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» (١٠) فإن من اطلع على ذلك عرف شرف القرآن وفضله وصدق أن الله سبحانه عرفه ذلك وهذا يختص به خاصة الله من خلقه وهم الرسول وأهل بيته القائمون مقامه عليهم السلام.

والخطيب: فعيل بمعنى فاعل من خطب يخطب من باب - قتل -.
خطبة بالضم: إذا تكلم بكلام يتضمن (١١) ترغيب الجمهور في فعل الخير وتنفيرهم عن الشر وصناعته.

- | | |
|------------------------------|--|
| (١) سورة الأسراء: الآية ٨٨. | (٦) سورة الحجر: الآية ٨٧. |
| (٢) سورة ص: الآية ٢٩. | (٧) سورة الواقعة: الآية ٧٧-٧٩. |
| (٣) سورة الأنبياء: الآية ٥٠. | (٨) سورة يونس: الآية ١. (٩) «ألف»: وقائعه. |
| (٤) سورة البروج: ٢١. | (١٠) سورة الأنعام: الآية ٣٨. |
| (٥) سورة فصلت: الآية ٤١. | (١١) صاحب الشروح على الجمل، شرح الجزولية. |

والخطابة بالكسر: كالتجارة والخطابة.

قال ابن عصفور: وفعالة بالكسر تنقاس في الصنائع، وأما الخطابة بالفتح فهو مصدر خطب بالضم خطابة كفصح فصاحة، فمن توهم إنها بالمعنى الأول بالفتح فقد أخطأ (١).

وعرف أرباب العقول الخطابة بأنه قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة ممن يعتقد فيه الجمهور لأمر سماوي أو زهد أو علم أو رياضة إلى غير ذلك من الصفات المحمودة، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معادهم ومعاشهم كما يفعله الخطباء والوعاظ.

إذا عرفت ذلك ظهر لك حسن تعبيره عليه السلام بقوله: «الخطيب به». إذ كان الغرض من خطاب الخلق به هدايتهم إلى مصالحهم الدنيوية والأخروية وإلا فالقرآن ليس مقصوداً على الخطابة بل هو مشتمل على أنواع القياس من البرهاني والخطابي والجدلي وإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى: «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» (٢). فالحكمة: هي البرهان. والموعظة الحسنة: هي الخطابة وجادلهم بالتي هي أحسن: أي بالمشهورات المحمودة التي يعترف بها الجميع أو أكثرهم هو الجدلي.

قوله عليه السلام: «وآلِه الخزان» (٣)، الخزان: جمع خازن، من خزنت الشيء خزناً من باب - قتل - إذا حفظته في الخزانة، ثم عبر به عن كل حفظ كحفظ السر ونحوه.

والمراد بآله الخزان له: أوصيائه الائمة عليهم السلام لأنهم الحافظون له لفظاً ومعنى كما رواه ثقة الإسلام بسنده عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام

(٣) «ألف»: الخزان له.

(١) «ألف» يضمن.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

يقول: ما ادّعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله عز وجل إلا علي بن أبي طالب والائمة من بعده صلوات الله عليهم (١).

وعنه أيضاً عليه السلام أنه قال: ما يستطيع أحد أن يدّعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء عليهم السلام (٢).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

قوله (٣) عليه السلام: «ممن يعترف بأنه من عندك» الإعراف: الإقرار، وأصله إظهار معرفة ما يقرب به.

ومن عندك: أي منزل من عندك فتعلقه كون خاص، وقول أبي حيان: أن الخاص لا يحذف (٤).

وهم لا تفاقهم على جواز حذف الخبر: كونه من عندك
و«حتى» تعليلية.

وعارضه الشك: بمعنى إعترضه، أي عرض له فنبهه من اليقين، وأصله من قولهم: «سرت فعرض لي في الطريق عارض من جبل أو بناء أو نحو ذلك» أي مانع يمنعني من المضي.

وفي نسخة حتى لا يعترضنا، والشك هنا خلاف اليقين وهو التردد بين شيئين سواء استوى طرفاه أو رجح أحدهما على الآخر فيشمل الظن.

قال تعالى: «فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك» (٥) قال المفسرون: أي غير مستيقن وهو يعم الحاليتين.

(١) لا يوجد لدينا كتابه.

(٥) يونس: الآية ٩٤.

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٢٨ ح ١.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٢٢٨، ح ٢.

(٣) «ألف» وقوله.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ واجعلنا ممن يعتصم بحبله ويأوي من
المتشابهات إلى حرز معقله، ويسكن في ظل جناحه ويهتدي بضوء صباحه
ويقتدي بتلج أسفاره ويستصبح بمصباحه ولا يلتمس الهدى في غيره.

وصدقته تصديقاً: نسبته إلى الصدق، وقلت له: صدقت. ويحتمل أن يراد
بتصديقه: التصديق به على الحذف والإيصال، أي الإذعان به والقبول له.
وخلجه خلجاً من باب -قتل- واختلجه إختلاجاً: جنبه وانتزعه، ومنه:
«الخليج» للنهر الذي يقطع من النهر الأعظم إلى موضع آخر.
وفي الحديث: «ليردن على الحوض أقوام ثم ليختلجن دوني» أي يجتذبون
ويقتطعون (١).

والزيف: الميل عن الاستقامة. وقصد الطريق: إستقامته، وطريق قصد أي قاصد بمعنى مستقيم فقصد طريقه،
إما بمعنى إستقامة طريقه أو طريقه المستقيم من باب إضافة الصفة إلى الموصوف والله
أعلم.

الإعتصام بالشيء: التمسك به.

والحبل: العهد والميثاق مستعار من الحبل المعروف لما في العهد، والميثاق من
ثبات الوصلة بين المتعاهدين والمتوائقين.

قال الزمخشري: قولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلاً لإستظهاره به
ووثوقه بحمايته بامثال (٢) المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن إنقطاعه وأن
يكون الحبل إستعارة لعهد، والاعتصام إستعارة لوثوقه أو ترشيحاً لإستعارة الحبل
بما يناسبه. (٣) إنتهى.

(٣) تفسير الكشاف: ج ١، ص ٣٩٤.

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٥٩.

(٢) «ألف» بامتسالك.

والمعنى على الأول أعني التمثيل أي تشبيه الحالة بالحالة من غير اعتبار مجاز في المفردات.

واجعلنا ممتن يستعين به: أي بالقرآن، وعلى الثاني وهو اعتبار مجاز المفردات اجعلنا ممتن يتمسك بعهدته، والمراد به عهد الله وميثاقه المذكور فيه كقوله تعالى: «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلّا الحق» (١). قال المفسرون: أي ميثاق الله المذكور في كتابه وهو أن لا يقولوا على الله إلّا الحق.

فعهدته تعالى في القرآن هو ما كلف به عباده من الأوامر والنواهي والعمل به وال لزوم لطريقته والأخذ بأحكامه.

وأوي إلى كذا يأوي من باب -ضرب- أويأ على فعول: انضمت إليه والتجأ ومنه: سأوي إلى جبل يعصمني من الماء» (٢)، أي ألتجأ، والمتشابهات: الأمور التي تشابهت والتبست، فلم يتميز الحق فيها من الباطل، ولا داعي لتخصيصها بمتشابهات القرآن.

والحرز: الموضع الحصين الذي يحفظ فيه.

والمعقل: كمسجد: الملجأ جبلاً كان أو حصناً.

وسكن المكان وفيه: إستوطنه.

والظل: النية الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس مطلقاً.

وقيل: مخصوص بما كان منه إلى الزوال وما بعده هو النية.

والجناح: الجانب مأخوذ من جناح الطائر. يقال: أنا في ظل جناح فلان، أي

في ذراه وستره وحايته.

والضوء: النور وعرف بأنه كيفية تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سائر

(١) سورة الاعراف: الآية ١٦٩.

(٢) سورة هود: الآية ٤٣.

المبصرات، وفرق الحكماء بينها فخصوا الضوء بما يكون للشيء من ذاته كما للشمس، والتور بما يكون له من غيره كما للقمر، ولما كان هذا الفرق من تدقيقات الحكماء وكان الشائع في لغة العرب إطلاق كل منها على الآخر وإجرائها مجرى واحد أطلق عليه السلام الضوء على النور لأن ضوء الصبح إنما هو من ضياء الشمس قطعاً كما تقدم بيانه في الروضة السادسة.

واقترن به: فعل مثل فعله تأسيّاً، والمراد به هنا الاستدلال، أي يستدلّ بتبليج أسفاره.

أطلق الإقتداء على الاستدلال لأنه لازم له من باب إطلاق اللازم على الملزوم. وبلغ الصبح بلوجاً: من باب -فعل- وتبلغ وابتلع أضواء وأشرق وأسفر الصبح إسفاراً وضح وأنكشف. وقال الراغب: الإسفار يختص باللون نحو: «والصبح إذا أسفر»، أي أشرق لونه (١).

والمصباح: السراج، واستصباحت به: أسرجته. وهذه الفقرات كلها إستعارات أمّا تمثيلية على تشبيه الحالة بالحالة والمفردات على حقائقها من غير اعتبار مجاز فيها، أو مصرحة مرشحة باعتبار مجاز مفرداتها كما ذكرناه في الفقرة الأولى، واعتبر في كلّ لفظ ما يناسب إستعارته له من صفات القرآن ولاخفاء به.

والتمست الشيء: طلبته.

و«غير» هنا على أصلها من كونها صفة مفيدة لمغايرة مجرورها لموصوفها بالذات، أي في كتاب غيره مشتمل على غير ما شتمل هو عليه ومرشد إلى غير ما أرشد إليه كقوله تعالى: «قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو

اللَّهُمَّ وكما نصبت به محمداً علماً للدلالة عليك وأنهجت بآله سُبُلَ
الرضا إليك ، فصلّ على محمد وآله واجعل القرآن وسيلةً لنا إلى أشرفِ
منازلِ الكرامةِ وسُلماً نَعْرُجُ فيه الى محلِّ السَّلامَةِ وسبباً نُجْزِي به النجاةَ
في عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ وذريعةً نَقْدِمُ بها على نعيمِ دارِ الْمُقَامَةِ.

بذله» (١).

وقال بعضهم: طلب الهدى في غيره إنما يكون لظن أن غيره حقّ أو أحقّ
وكلاهما كفر وضلال، ولذلك جاء في الحديث النبوي من ابتغى الهدى في غيره
أضله الله. أخرج الترمذي (٢) والدارمي (٣) وغيرهما من طريق الحرث الأعور رضي
الله عنه عن عليّ عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «
ستكون فتن، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم
وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه
الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو
الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشعب منه
العلماء ولا يخلق من كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق ومن عمل به
أُجر ومن حكم به عدل ومن دعى إليه هدى الى صراط مستقيم».

«الكاف» للتعليل أو التشبيه كما مر غير مرة.

ونصبت العلم ونحوه نصباً من باب -ضرب-: أفته.

و«الباء» في «به» للسببية، أو للملابسة، أو للاستعانة.

والعلم بالتحريك: العلامة والراية والمنار الذي ينصب في الطريق ليهتدى به.

ودلّ على الشيء وإليه من باب -قتل- دلالة بكسر الدال وفتحها: أرشد إليه

(١) سورة يونس: الآية ١٥.

(٢) سنن الترمذي: ج ٥ ص ١٧٢.

(٣) سنن الدارمي: ج ٢ ص ٤٣٥ مع اختلاف يسير في العبارة.

وهدي إلى معرفته فالمراد بالدلالة عليه سبحانه الدلالة على معرفته من كونه إلهاً ورباً وصانعاً والتصديق بوجوده وتوحيده وتنزيهه عن الشريك والمثل إلى غير ذلك من المعارف الإلهية والصفات الربانية التي دلّ عليها الكتاب والسنة.

وفي معنى هذه الفقرة من الدعاء قول أمير المؤمنين عليه السلام من خطبته (١) «فبعث محمداً صلى الله عليه وآله بقرآن قد بيّنه وأحكمه ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه وليقرّوا به بعد أن جحدوه وليثبتوه بعد أن أنكروه» (٢).

ونهجت الطريق، وأنهجت: أو ضحّته وأبنته، ونهج الطريق وأنهج أيضاً: وضح واستبان، يستعملان لازمين ومتعديين.

والمراد بآله: أوصيائه من عترته الذين أوضح بهم سبل رضاه الموصلة إليه إذ كانوا عليهم السلام هم المعدين لأذهان الخلق لقبول أنوار الله، والمرشدين لنفوسهم إلى سبيل رضاء الله وهي الطريق الموصلة إليه تعالى التي تطابقت على الهداية إليها السنة الأنبياء والأوصياء.

وفي هذا المعنى عن الصادق عليه السلام (إن الله أوضح باثمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه وأبلغ بهم عن سبيل منهاجه وضح بهم من باطن ينابيع علمه فمن عرف من أمة محمد صلى الله عليه وآله وأحبّ حقّ إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه وعلم فضل طلاوة إسلامه) (٣).

والوسيلة: ما يتقرب به إلى الشيء ومنه قوله تعالى: «وابتغوا إليه الوسيلة» (٤). وأشرف منازل الكرامة: أرفعها وأعلاها من الشرف بمعنى المكان العالي. ومنازل الكرامة: ما أعده سبحانه في دار القرار لأوليائه الأبرار من المراتب والمنازل العلية من القصور المشيدة والغرف المبنية كما قال تعالى: «لكن الذين اتقوا

(١) «ألف» من خطبة له.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢٠٣ ح ٢.

(٣) نهج البلاغة: خطبة ١٤٧ ص ٢٠٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ٣٥.

ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار» (١).
 والسَّلَم: ما يتوصل به إلى الأمكنة العالية فيرجى به السلامة ثم جعل اسماً لكل ما يتوصل به إلى شيء رفيع كالسبب.
 وعرج يعرج عروجاً من باب - قعد -: ذهب في صعود.
 ومحل السلامة: هو الجنة لأنها محل الخلوص من الآفات والمكاره ولذلك ستيت دار السلام.

قال الراغب: والسلامة الحقيقية ليست إلا في الجنة لأن فيها بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعزاً بلا ذل وصحة بلا سقم، ولذلك قال تعالى: «ادخلوها بسلام آمين» (٢).

والسبب: كل ما يتوصل به إلى شيء وأصله الحبل الذي يصعد به النخل ونحوه.

وعرصة الدار: ساحتها، وهي البقعة الواسعة التي ليست فيها بناء.
 وقال الثعالبي في فقه اللغة: كل بقعة ليس فيها بناء فهي عرصة (٣).
 والقيامة: عبارة عن قيام الناس من قبورهم المذكور في قوله تعالى: «يوم يقوم الناس لرب العالمين» (٤) وأصلها ما يكون من الإنسان من القيام دفعة واحدة، أدخل فيها الهاء تنبيهاً على وقوعها دفعة واحدة، وإضافة العرصة إليها كإضافة الدار إلى الندوة في قولهم دار الندوة للمكان المعروف بمكة لأنهم كانوا يندون بها أي يجتمعون ومن توهم أن الإضافة كعرصة الدار فقد أغرب.
 والذريعة: الوسيلة.

وقدم الرجل على أهله يقدم من باب - تعب - قدوماً: ورد عليهم من سفر ونحوه.

(٣) فقه اللغة: ص ٤.

(٤) سورة المطففين: الآية ٦.

(١) سورة الزمر: الآية ٢٠.

(٢) سورة الحجر: الآية ٤٦.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ واحطُطْ بِالْقُرْآنِ عَنَّا ثِقْلَ الْأَوْزَارِ، وَهَبْ لَنَا حُسْنَ شَمَائِلِ الْأَبْرَارِ، واقْفُ بِنَا آثَارَ الَّذِينَ قَامُوا لَكَ بِهَ آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ حَتَّى تَطْهِّرَنَا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ بِتَطْهِيرِهِ وَتَقْفُو بِنَا آثَارَ الَّذِينَ اسْتَضَاءُوا بِنُورِهِ، وَلَمْ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ عَنِ الْعَمَلِ فَيَقْطَعَهُمْ بِخُدْعِ غُرُورِهِ.

والنعيم: النعمة الوافرة: وهي الحالة الحسنة وطيب العيش.
ودار المقامة: أي دار الإقامة: وهي الجنة، سُميت بذلك لأنه لا إنتقال عنها أبداً.

قال تعالى: «الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ» (١).

الخط: إنزال الشيء من علوه، ومنه قوله تعالى: «وَقُولُوا حِطَّةٌ» (٢) أي حطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا.

والثَّقل بالكسر: الحمل الثقيل، وجمعه أثقال، ومنه قوله تعالى: «وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ» (٣).

والأوزار: جمع وزر بالكسر وهو الإثم، شبه الأوزار بالحمل الثقيل ثم قدم المشبه به على المشبه وأضافه إليه كما في لجين الماء أي ماء كاللجين، وما وقع لبعضهم من جعل الثقل مصدراً مخففاً من ثقل كعنب لأنه الأصل لا يناسبه الخط إلا بتأويل يرجع إلى ما ذكرناه وهو تطويل من غير طائل.

والشَّمائل: جمع شمال بالكسر وهو الخلق.

يقال: هو كريم الشَّمائل: أي الأخلاق، وما ذلك من شمالي أي من خلقي.
والأبرار: جمع بر بالفتح وهو التقي أو الصادق أو المتوسّع في طاعة الله تعالى

(١) سورة فاطر: الآية ٣٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٥٨، والأعراف: الآية ١٦١.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٣.

بالعبادة، وهو خلاف الفاجر أيضاً.
وقفوت أثره قفواً من باب - قال - تبعته، لأنك تتبع قفاه وقفوت به أثره: إتبعته إياه، فالباء للتعدية.

والآثار: جمع أثر بفتحيتين: وهو الطريق المستدل (١) على من تقدم وأصله من أثر المشي في الأرض، ومنه قوله تعالى: «فهم على آثارهم يهرعون» (٢) أي يسرعون. وقام بالأمر: جد فيه واجتهد.

وآناء الليل: ساعاته، جمع إنى بالكسر والقصر وآناء بالفتح والمدة. وأطراف النهار: أي طرفيه، ومجيئه بلفظ الجمع للمبالغة، وأمن الالتباس أو لأن أقل الجمع إثنان وأراد طرفي كل نهار لأن النهار جنس أو أجزاء النهار، لأن كل جزء كالطرف له، وإنما قدمت آناء الليل على أطراف النهار هنا. وفي قوله تعالى: «ومن آناء الليل فستبح وأطراف النهار» (٣) تنبيهاً على زيادة الإهتمام بشأن العبادة بالليل، لأن الليل وقت السكون والراحة وهدوء الأصوات، فالقيام بالعبادة فيه أشق على النفس وأدخل في الإخلاص، وأقرب من المحافظة على الخشوع والإخبات، والكلام إما إستعارة تمثيلية أن جعل المشبه به فيه صورة منتزعة من إتباع شخص آثار قوم تقدموه يمشي خلفهم ويسلك طرقهم، والمشبه صورة منتزعة من تصوير حاله كحالهم في القيام بما قاموا به وتوقيفه (٤) للعمل كأعمالهم، أو إستعارة مكنية تخيلية إن قصد فيه إلى تشبيه القائمين بالقرآن، والمجتهدين في تلاوته، والعمل به بقوم تقدموه في المسير وجعل إثبات الآثار لها تنبيهاً على ذلك وهو التخييل وذكر القفو ترشيح.

والدنس بفتحيتين: الوسخ، من دنس الثوب يدنس دنساً من باب - تعب - إذا

(٣) سورة طه: الآية ١٣٠.

(٤) «ألف»: توقيفه.

(١) «ألف» المستدل به.

(٢) سورة الصافات: الآية ٧٠.

أَبْسَخَ فَهُوَ دَنَسٌ، اسْتَعِيرَ لِلإِثْمِ لَتَلَوَّثَ النَّفْسُ وَدَرَنَهَا بِهِ.

وَطَهَّرَهُ تَطْهِيراً: نَقَّاهُ مِنَ الدَّنَسِ وَالنَّجَسِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا مَحْوُ الذَّنْبِ وَالتَّجَاوُزُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِهِ لَتَرْشِيحِ إِسْتِعَارَةِ الدَّنَسِ لِلإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ.

و«الباء» من قوله: «بِتَطْهِيرِهِ» لِلْسَّبِيَّةِ، وَالضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ وَإِضَافَةُ التَّطْهِيرِ إِلَيْهِ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْفَاعِلِ وَإِسْنَادُ التَّطْهِيرِ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ أَوَّلًا بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمَفِيزُ لِقُوَّةِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلنَّقَاءِ مِنَ الدَّنَسِ، وَإِلَى الْقُرْآنِ ثَانِيًا بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ سَبَبٌ لَهُ.

وَالِإِسْتِضَاءَةُ بِنُورِ الْقُرْآنِ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِهْتِدَاءِ بِهِدَاةٍ، وَالْأَخْذُ بِأَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَيُرْشِدُ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» (١).

وَاللَّهُو: مَا يَشْغُلُ الْإِنْسَانَ عَمَّا يَعْنِيهِ وَبِهِ.

قَالَ الطَّرطُوشِي: وَأَصْلُ اللَّهِو: التَّرْوِيجُ عَنِ النَّفْسِ بِمَا لَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ (٢).

يَقُولُ أَهْلُ نَجْدٍ: لَهَوْتُ عَنْهُ أَهْوَاهِيًّا وَالْأَصْلُ فَعُولٌ مِنْ بَابِ -قَعَدَ-، وَأَهْلُ الْعَالِيَةِ لَهَيْتُ عَنْهُ إِلَهِيٍّ مِنْ بَابِ -تَعَبَ- وَأَلْهَانِي الشَّيْءُ عَنْ كَذَا: شَغَلَنِي عَمَّا هُوَ أَهْمٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «لَا تَلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» (٣).

وَمَعْنَى لَمْ يَلْهِمَهُمُ الْأَمَلَ عَنِ الْعَمَلِ: أَيِ لَمْ يَشْغَلْهُمْ التَّوَقُّعُ لَطُولِ الْأَعْمَارِ، وَبُلُوغِ الْأَوْطَارِ عَنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْقِيَامِ بِوُظَائِفِ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ.

وَقَطَعْتَ زَيْدًا عَنْ حَقِّهِ وَاقْتَطَعْتَهُ: مَنَعْتَهُ مِنْهُ، وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ الْإِقْطَاعُ فِي أَخْذِ

بَعْضِ الشَّيْءِ.

يُقَالُ: إِقْطَعَ طَائِفَةً مِنَ الشَّيْءِ: أَيِ أَخَذَهَا مِنْهُ وَاقْتَطَعَ الذَّنْبَ الشَّاةَ مِنَ الْغَنَمِ: أَيِ أَخَذَهَا مِنْ جَمَلَةِ الْغَنَمِ وَذَهَبَ بِهَا، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى مَجْرَدِ الْإِصَابَةِ بِالْمَكْرُوهِ وَالْأَهْلَاكِ

(٣) سورة النور: الآية ٣٧.

(١) سورة الأسراء: الآية ٩.

(٢) المصباح المنير: ص ٧٦٨ نقلاً عنه.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ لَنَا فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي مُؤْنِسَةً
وَمِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ وَخَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ حَارِساً وَلَا أَقْدَامِنَا عَنْ نَقِيلِهَا

من القتل ونحوه، ومنه حديث فخشنا أن يقتطع دوننا (١).

قال النووي: أي يصاب بمكروه من عدوه (٢).

وحديث: لو شئنا لأقتطعناهم (٣): أي فتكنا بهم وقتلناهم، وإرادة هذا المعنى
هنا أنسب وأوضح من معنى القطع بمعنى الحبس والمنع لتضمين الهاء الأمل له،
فيكون المراد باقتطاع الأمل لهم: إصابته لهم بالمكروه وإهلاكه لهم بخدع غروره
حيث ألهاهم عن العمل وشغلهم عما به نجاتهم من المهالك والتأسيس خير من
التأكيد.

والخدع: جمع خدعه بالضم: وهي ما يخدع به الإنسان مثل اللعبة بالضم لما
يلعب به.

وخدعه خدعاً من باب -منع-: أنزله وصرفه عما هو بصدده بأمر يديه على
خلاف ما يخفيه.

وغرته الدنيا غروراً من باب -قعد-: خدعه (٤) بزينتها وغرور الأمل: إختداعه
للإنسان بتوقع الأمور المحبوبة الدنيوية الموجب لملاحظتها المستلزمة لأعراض النفس
عن أحوال الآخرة ونسيانها، وبذلك يكون الهلاك الأبدي والشقاء سرمدي نعوذ
بالله منه، وقد أسلفنا في الرياض السابقة من بيان مضار الأمل ما أغنى عن
الإعادة.

الأنس بالضم: خلاف الوحشة والنفور وهو اسم من أنس إنساً من باب -علم-
وفي لغة من باب -ضرب-: أي سكن قلبه واطمأن ولم ينفر.
وأنسه إيناساً: أزال وحشته فهو مؤنس والتخصيص بظلم الليل لحصول الوحشة

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ٨٢.

(٤) «ألف»: خدعته.

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ٨٢.

(٢) شرح صحيح مسلم (للنوي): ج ١ ص ٢٣٥.

الى المعاصي حايساً، ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفةٍ مُحْرِساً،
ولجوارحنا عن إقتراف الآثام زاجراً، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح
الاعتبارِ ناشراً، حتى توصل إلى قلوبنا فهم عجائبه، وزواجر أمثاله، التي
صُعِّقَت الجبالُ الرواسي على صلابتها عن إحتماله.

بها، ولهذا قيل: إذا جاء الليل إستأنس كلٌ وحشي واستوحش كلٌ إنسي.
والنزغات: جمع نزغة فعلة من النزغ وهو شبيه النخس والشیطان ينزغ الإنسان
كأنه ينخسه ويبعثه وحمله على ما لا ينبغي. قال تعالى: «وإما ينزغتك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم» (١).
والخطرات: جمع خطرة. قال في الأساس: خطر ذلك ببالي وعلى ببالي وله
خطرات وخواطر: وهي ما يتحرك في القلب من رأى أو معنى إنتهى (٢).
والوساوس: جمع وسوسة وهي الخطرة الرديئة من الخطرات الداعية إلى المعاصي
فإضافة الخطرات إليها من باب -خاتم حديد- وإضافة الوساوس إلى الشيطان من
باب -إضافة الفعل إلى الفاعل- لإلقائه الدواعي الرديئة في القلب. قال تعالى:
«فوسوس إليه الشيطان» (٣). وقال «الذي يوسوس في صدور الناس» (٤) أي يلقي
الخواطر الرديئة في صدورهم.

وحرسه يحرسه من باب -قتل-: حفظه فهو حارس والاسم الحراسة بالكسر.
والأقدام: جمع قدم وهو العضو الذي يقدمه صاحبه للوطىء به على الأرض.
ونقل الشيء: تحويله من موضع إلى موضع، والفعل من باب كسب (٥)
وإضافة النقل إلى ضمير الأقدام من باب إضافة الفعل إلى آلتها المتصلة ونسبته إليها
كأنها هي الفاعلة له، وحذف المفعول للعلم به، أي عن نقلها إيانا إلى المعاصي،

(٤) سورة الناس: الآية ٥.

(٥) «ألف»: كتب.

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠٠.

(٢) اساس البلاغة: ١٦٨.

(٣) سورة طه: الآية ١٢٠.

كما قال الشاعر:

لعمرك ما حدثت نفسي بريبة ولا نقلتني نحو فاحشة رجلي
فأسند الثقل إلى الرجل إسناد الفعل إلى فاعله وجعل نفسه المنقول.
وما وقع في كثير من التراجم من أن الثقل مصدر نقل لازماً بمعنى الانتقال لا
أصل له في اللغة، إذ لم يسمع نقل إلا متعدياً.

والحبس: المنع من الإنبعاث، حبسه يحبسه حبساً من باب -ضرب- فهو
حابس.

والألسنة: جمع لسان، قال الفيومي: اللسان: العضو يذكرو ويؤنث، فن ذكر:
جمعه على السنة، ومن أنث: جمع على السن (١).
قال أبو حاتم: والتذكير أكثر وهو في القرآن كله مذكر (٢).

وخاض في الأمر خوضاً: دخل فيه وأصله من خاض الرجل الماء خوضاً: إذا
مشى فيه، ثم استعير في الأمور، وأكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يذم الدخول فيه.
وقوله عليه السلام: «(في الباطل)»: أي في الحديث الباطل بقرينة الألسنة.

والآفة: عرض يفسد ما يصيبه، وهي العاهة ومن للإبتداء متعلق بقوله:
«مخرساً»، وما بعد غير زائدة غير كافة للعمل والتقيد بذلك للإحتراس عن احتمال
المكروه وهو أن يكون الإخراس عن آفة تصيب الألسنة فتمنعها الكلام كقوله
تعالى: «واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء» (٣) احتراساً عن
البرص.

وخرس خرساً من باب -فرح-: إنعقد لسانه عن الكلام فهو أخرس، وأخرسه
الله فهو مخرس وقيده بعضهم بكونه خلقاً.
والجوارح: أعضاء الإنسان التي يكتسب بها.

واقترف الإثم: إجتزحه واكتسبه.
 وزجره زجراً من باب - قتل -: منعه.
 وطواه طيًّا من باب - رمى -: خلاف نشره، وأصل الطي والنشر في الثوب ونحوه
 ثم استعمل في المعاني مجازاً.
 ومن: بيانية.
 وتصفح الأمر: نظرفه.
 والإعتبار: الإلتعاض ومنه قوله تعالى: «فاعتبروا يا أولي الأبصار» (١) والعبرة
 بالكسر: اسم منه، قال الخليل: العبرة: الإعتبار بما مضى (٢)، أي الإلتعاض
 والتذكر (٣).
 و«حتى»: تعليلية متعلقة بالجعل.
 والضمير في توصل خطاب الله تعالى.
 وعجائب القرآن: اللطائف المعجبة من أنواع العلوم وفنون الحكم المودعة فيه.
 وفي الحديث النبوي «لا تنقضي عجائبه» (٤) وذلك أنه كلما تأمله الإنسان
 إستخرج منه بفكره من بدائع الحكم ودقائق المعاني ما لم يكن عنده من قبل.
 و«زواجر أمثاله»: أي أمثاله الزواجر، أي المانعة عن إرتكاب المآثم واتّباع
 الأهواء.

والأمثال: جمع مثل بفتحيتين وهو في الأصل بمعنى المثل والنظير. يقال: مثل
 ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه، ثم أطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه
 بمورده، وحيث لم يكن ذلك إلا قولاً بديعاً فيه غرابة صيرته جديراً بالتفسير في البلاد
 وخليقاً بالقبول عند كل حاضر وباد استعير لكل حال أو صفة أو قصة لها شأن

(١) سورة الحشر: الآية ٢.

(٣) المصباح المنير: ص ٥٣٢.

(٢) كتاب العين: ج ٢ ص ١٢٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ١٨٢ ح ١٨.

عجيب وخطر غريب من غير أن يُلاحظ بينها وبين شيء آخر تشبيهه.
ومنه قول عز وجل: «ولله المثل الأعلى» (١) أي الوصف الذي له شأن عظيم
وخطر جليل.

وقوله تعالى: «مثل الجنة التي وعد المتقون» (٢) أي قصتها العجيبة. فالمراد
بأمثال القرآن ما اشتمل عليه من ذكر الأحوال، والصفات الغريبة، والأخبار
والقصص العجيبة التي كأنها أمثال في غرابتها. قال تعالى: «ولقد ضربنا للناس في
هذا القرآن من كل مثل» (٣) قال جار الله: أي وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في
غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة البيان (٤).
وقال بعضهم: سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالاً لانتصاب صورها
في العقول، مشتقة من المثل الذي هو الانتصاب.
وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: أمثال القرآن لها فوائد فانعموا النظر
وتفكروا في معانيها ولا تمروا بها (٥).

قال بعض العلماء: ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير
والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة
المحسوس، فإن الأمثال تصوّر المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبتت في الذهن
لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الحقي بالجلّي
والغائب بالشاهد.

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم وعلى
الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر وتحقيره وعلى تحقيق أمر أو إبطاله.

(٤) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ٤٨٨.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٦٠٠.

(١) سورة النحل: الآية ٦٠.

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٥.

(٣) سورة الزمر: الآية ٢٧.

قال تعالى: «وضربنا لكم الأمثال» (١) فامتّن علينا بذلك لما تضمنته (٢) من الفوائد إنتهى.

ولما كانت الأمثال لا يدرك حسن مبانيها ولطف معانيها وكيفية إرتباطها بالمقصود وطريق دلالتها على المطلوب إلّا العلماء الذين ينقلون بنور بصيرتهم وضياء سريرتهم من ظاهره إلى باطنه ومن محسوسه إلى معقوله. قال تعالى: «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلّا العالمون» (٣)، ولذلك وقع في الدعاء سؤال فهمها عطفاً على سؤال فهم عجائبه.

قال بعضهم: من أعظم علم القرآن علم أمثاله والناس في غفلة عنه لإشتغالهم بالأمثال وإغفالهم للمثالات، والمثل بلا مثل كالفرس بلا لجام والثاقة بلا زمام. وقد عدّه الشافعي (٤) ممّا يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: ثم معرفة ماضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته المبيّنة لاجتناب معصيته.

قال تعالى «ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون» (٥) أي يتعظون.

قوله عليه السلام: «التي ضعفت الجبال الرّواسي على صلابتها عن احتمالها». الموصول في محل خفض نعت لعجائبه، وزواجر أمثاله وأفراده للتأويل بالجماعة، والضمير في احتمالها للعجائب والزواجر المذكورة وتذكيره لإجرائه مجرى ذلك كأنه قيل: عن احتمال ذلك ونظيره قوله تعالى: «وأتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً» (٦).

قال الزمخشري وغيره الضمير في «منه» للصدقات وهو جار مجرى اسم الإشارة كأنه قيل فإن طبن لكم عن شيء من ذلك فأنه قد يشاربه إلى متعدّد، كما قال

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤٥.

(٤) الشافعي.

(٢) «ألف»: تضمنته.

(٥) سورة الزمر: الآية ٢٧.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

(٦) سورة النساء: الآية ٤.

تعالى: «قل أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ» (١) بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب (٢) مارواه أبو عبيدة قال: قلت لرؤبة بن العجاج لما أنشد: فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق إن أردت الخطوط فقل: كأنها، وإن أردت السواد والبلق فقل: كأنها، فقال: أردت كأن ذلك ويلك (٣)

وقال الرضي: قد يشار بها للواحد إلى الإثنين كقوله تعالى: «عوان بين ذلك»، وإلى الجمع كقوله تعالى: «كل ذلك كان سيئه» بتأويل المثني والمجموع بما ذكر (٤) إنتهى.

والرواسي: الثوابت، من رسا الشيء يرورسوا أي ثبت فهو راس، وجبال راسية وراسيات ورواس.

وعلى صلابتها: أي مع صلابتها نحو: «وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ» (٥) والصلابة: مصدر صلب الشيء بالضم، أي اشتد وقوى فهو صلب بالضم.

والإحتمال: إفتعال بمعنى الحمل. يقال: إحتملته إحتمالاً بمعنى حملته حملاً. وفي الدعاء تلميح إلى قوله تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله» (٦).

والغرض: التمثيل لعظم شأن القرآن المجيد وقوة تأثير ما انطوى عليه من المواعظ والقوارع بحيث لو كلفت الجبال الراسية الثابتة مع غاية صلابتها بتفهمها له وتكليفها بما فيه بعد إعطائها القوى المدركة لضعفت وعجزت عن القيام بذلك وإحتماله ولرأيت خاشعة متذلة لعظمة الله متصدعة متشققة من خشية الله، وفيه

(٤) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٤.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٦) سورة الحشر: الآية ٢١.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥.

(٢) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٤٧٠.

(٣) تفسير الكشاف: ج ١ ص ١٤٩.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَدِّمْ بِالْقُرْآنِ صَلَاحَ ظَاهِرِنَا وَأَحْجُبْ بِهِ
خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ عَنْ صِحَّةِ ضَمَائِرِنَا، وَأَغْسِلْ بِهِ دَرْنَ قُلُوبِنَا، وَعَلِّقْ
أَوْزَارَنَا وَاجْمَعْ بِهِ مَنْتَشِرَ أُمُورِنَا وَارْوِ بِهِ فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ظَمًا
هُوَ أَجْرُنَا وَاكْسِنَا بِهِ حُلَّ الْأَمَانِ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ فِي نَشُورِنَا.

توبيخ للإنسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره لما فيه والله
أعلم.

دام الشيء يدوم دوماً ودواماً وديمومةً: ثبت، ويعتدى بالهمزة فيقال: أدامه:
أي ثبت بالقرآن صلاح ظاهرنَا، وقد يطلق الدوام على إمتداد الزمان على الشيء
ومنه: أدام الله عزك .

والصلاح: الخير والصواب.

والظاهر: خلاف الباطن، وهو ما ظهر للبصر والبصيرة ولم يخف أمره.

وحجبه حجباً من باب -قتل-: منعه من الوصول.

والصحة: ذهاب المرض والبراءة من كل عيب.

والضمائر: جمع ضمير على التشبيه بسريره وسرائره وإلا فباب -فعل- إذا كان

اسماً لمذكراً أن يجمع جمع رغيغ وأرغفة ورغفان.

وضمير الإنسان: قلبه وباطنه، وقيل هو ما ينطوي عليه القلب ويدق الوقوف

عليه، وتسمى القوة التي تحفظ ذلك ضميراً.

وصحة الضمائر: عبارة عن خلوصها من سوء العقائد، وسلامتها من مرض

الشكوك والارتباب.

وغسلت الشيء غسلاً من باب -ضرب-: أسلت عليه الماء فأزلت درنه،

والأسم الغسل بالضم، وبعضهم جعل المضموم والمفتوح بمعنى وعزاه إلى سيبويه.

وقال ابن القوطية: الغسل بالضم تمام الطهارة، وهو اسم من الإغتسال.

والدرن بفتحيتين: الوسخ. درن الثوب درناً من باب -تعب- فهو درن: مثل

وسخ وسخا فهو وسخ زنة، ومعنى، أستعيرها لما في القلوب من الغفلة والقسوة ونحو ذلك والغسل ترشيح.

والعلائق: جمع علاقة بالفتح وهي القدر الذي يتمسك به في الخصومة والعقوبة ونحو ذلك، يقال: ما أبقى له في هذا الأمر علة بالضم، وعلاقة بالفتح: أي شيئاً يتعلق به.

والمعنى: إغسل به عتاً ما يتعلق به في إثبات أوزارنا والمواخذة عليها. ونشرت الشيء فانتشر: فرقته فتفرق، وانتشروا في الأرض: تفرقوا وانتشار الأمور: عبارة عن عدم انتظامها وانتساقها.

وروى من الماء رتاً من باب -علم-: يشرب منه حتى زال ظمأؤه فهو رتّان، والمرأة رتاً كفضبان وغضباً، والجمع في المذكر والمؤنث رواء، ككتاب ويعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أرويته ورؤيته فارتوى منه. والموقف: كمسجد محل الوقوف.

وعرضت الشيء عرضاً من باب -ضرب-: أظهرته وأبرزته ومنه عرض الأمير الجند إذا أمرهم عليه ونظر إليهم ليعرفهم. قال تعالى: «وحشرناهم فلم يغادر منهم أحداً وعرضوا على ربك صفاً» (١).

قال الزمخشري: شُبّهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان (٢). والظماً: كالعطش وزناً ومعنى وفعلها من باب -تعب-، وقيل: هو شدة العطش.

والهاجر: جمع هاجرة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحرّ، أو عند زوال الشمس مع الظهر، أو من عند زوالها إلى العصر لأنّ الناس يستكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا من شدة الحرّ.

(١) سورة الكهف: الآية ٤٧ و ٤٨.

(٢) تفسير الكشاف: ج ٢، ص ٧٢٦.

وقال الراغب: وهي الساعة التي يمتنع فيها من السير للحرّ كأنّها هجرت الناس أو هجرت لذلك (١).

وقال بعضهم: الهاجرة: نصف النهار في القيظ خاصّة، وإضافة الظمّ إليها مجاز عقليّ لكونها ظرفاً له كمكر الليل والنهار.

وكسوته ثوباً، أكسوه: ألبسته إياه، والكسوة بالضمّ والكسر: اللباس. والخلل: جمع حلّة بالضمّ، وهي إزار ورداء، لا تسمّى حلّة حتّى تكون ثوبين من جنس واحد وهي إستعارة مصرّحة بتحقيّة.

شبه عليه السّلام ما يدركه الإنسان من سكون النفس وإطمئنان القلب عند حصول الأمان بالحلّة من حيث أنّه يشمل ويلازمه كأنّه محيط به إحاطة الحلّة بلباسها، وذكر الكسوة ترشيح، ويحتمل الحمل على التخييل أيضاً بأن يجعل من الأمان أمر وهمي يشمل الإنسان ويحيط به شيئاً بالحلّة والترشيح بحاله.

والفزع بفتحين: إنقباض ونفار يعرف الإنسان من الشيء الخفيف وهو من جنس الجزع، وقيل: هو الخوف الشديد.

والأكبر: أي الأعظم وفيه تلميح إلى قوله تعالى «لا يحزنهم الفزع الأكبر» (٢)، قيل: هو الخوف والفزع من دخول النار وعذابها.

وقيل: هو النفخة الأخيرة لقوله تعالى: «ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض» (٣).

وعن الحسن: هو الإنصراف إلى النار (٤) فانه لا فزع أكبر ممّا إذا شاهدوا النار. وقيل: هو حين تطبق النار على أهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة.

وقيل: حين يذبح الموت على صورة كيش أملح وينادى يا أهل الجنة خلود ولا

(١) المفردات: ص ٥٣٧.

(٢) سورة النمل: الآية ٨٧.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٣.

(٤) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ١٣٧.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْبُرْ بِالْقُرْآنِ خِلَّتَنَا مِنْ عَدَمِ الْإِمْلَاقِ،
وُسُقْ إِلَيْنَا بِهِ رَغَدَ الْعَيْشِ وَخَصَّبْ سَعَةَ الْأَرْزَاقِ، وَجَنِّبْنَا بِهِ الضَّرَائِبَ
الْمَذْمُومَةَ وَمَدَانِي الْأَخْلَاقِ، وَاعْصِمْنَا بِهِ مِنْ هَوَاةِ الْكُفْرِ وَدَوَاعِي التَّفَاقُ،
حَتَّى يَكُونَ لَنَا فِي الْقِيَامَةِ إِلَى رِضْوَانِكَ وَجَنَانِكَ قَائِدًا، وَلَنَا فِي الدُّنْيَا عَنْ
سُخْطِكَ وَتَعَدِّي حَدُودِكَ ذَائِدًا، وَلِمَا عِنْدَكَ بِتَحْلِيلِ حَلَالِهِ وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ
شَاهِدًا.

موت، ويا أهل النار خلود ولا موت فعند ذلك يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار
في النار.

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ثلاثة على
كشبان من مسك لا يخزنهم الفرع الأكبر، ولا يكثر ثوب بالحساب رجل قرأ القرآن
محتسباً ثم أم به قوماً محتسباً ورجل أذن محتسباً ومملوك أدى حق الله عز وجل وحق
مولاه (١).

والنشور: مصدر نشر الميت نشوراً من باب - قعد - أي عاش بعد الموت وهو أيضاً
مصدر. نشر الله الميت نشوراً: أي أحياه فهو لازم ومتعدو ويتعدى بالهمزة أيضاً فيقال:
أنشره الله، وهما قرأ العشرة في قوله تعالى: «إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ» (٢) وقرأ أبو حية،
وشعيب بن أبي حمزة، نشره بغير همزة (٣).

الجبر: إصلاح الشيء بضرب من القهر والإكراه.
يقال: جبرته جبراً من باب - قتل - فأنجبر، ثم قد يستعمل الجبر تارة في مجرد
الإصلاح كعبارة الدعاء، وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يا جابر كل كسيراً ويا
مسهلاً كل عسير» (٤).

(١) مجمع البيان: ج ٧ و ٨ ص ٦٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠ ص ٤٣٦.

(٣) سورة عبس: الآية ٢٢.

(٤) مصباح الكفعمي: ص ٢٦٢، من دعاء المشلول.

وتارة في مجرد القهر والأكراه، ومنه: لاجبر ولا تفويض (١).

والخلّة بالفتح: الحاجة والفقر من الخلل بفتحيتين، وهو الفرجة بين الشيتين.
والعدم بالتحريك وبالضم وبضميتين: فقدان الشيء، وغلب على فقدان المال
عدمه عدماً من باب -تعب-. وقيل: هو بالتحريك مصدر، وبالضم اسم. وأعدم
بالألف: افتقر فهو معدوم وعديم.

والإملاق: الفقر وأصله الإنفاق، والإخراج. يقال: أملك الرجل إذا أنفق ماله
حتى افتقر، وأملك الدهر ماله: أذهبه وأخرجه من يده.

وساق الله إليه خيراً: أرسله إليه وأصله من سوق الماشية.
ورغد عيشه بالضم رغداً ككرم كرماً، ورغد رغداً كسمع سمعاً: إتسع وطاب
وهو في رغد من العيش، أي رزق واسع طيب.

والعيش: الحياة المختصة بالحيوان ويطلق على المعيشة وهي مايعاش به وهو
المراد هنا.

والخصب بالكسر: النماء والبركة وهو خلاف الجذب. والسعة خلاف الضيق
يوصف بها الحال كما يوصف بها المكان ومنه «لينفق ذو سعة من سعته».

وجنبت الرجل الشرّ جنوباً من باب -قعد-: أبعدته عنه ومنه: «واجنبي وبني
أن نعبد الأصنام» (٢).

وجنبته إياه تجنبياً بالثقل للمبالغة.

والضرائب: جمع ضريبة، وهي السجّية والطبيعة من قولهم ضرب فلان على
الكرم، أي طبع عليه ومداني الاخلاق: خلاف معاليها، جمع مدناة بفتح الميم، وهي
مفعلة من دنا يدنو دناوة ودناية، أي حقروضعف فهو دنّي أي حقير خسيس، قيل:
وأصله الهمزة يقال: دنا يدناً بفتحيتين ودنؤ يدنؤ مثل قرب يقرب فهو دنّي على فعيل

كله مهموز أي لؤم فعله وخبث ثم خفف في لغة من غير همز فقل: دنا يدنودناؤه. وفرق بعضهم بين المخفف والمهموز، فجعل المخفف للخسيس الحقير، والمهموز للثيم الخبيث.

ومعنى مداني الأخلاق: ما يكسب الخساسة والحقارة منها كما أن معالي الأخلاق وهي جمع معلاة بفتح الميم ما يكسب الشرف والرفعة منها من علا في المكارم يعلى من باب - تعب - علاء بالفتح والمدة.

وفي نسخة ابن إدريس: مدام الأخلاق: جمع مذمة بالفتح، وهي مفعلة من الذم خلاف المدح. يقال: البخل مذمة، أي مما يذم عليه.

والهوة بالضم: الحفرة وقيل: الوهدة العميقة، وهي الأرض المنخفضة شبه الكفر بطريق ذاهوة يسقط فيها من سلكه ودل على ذلك بإثبات الهوة له فهي إستعارة مكنية تخيلية.

ودواعي النفاق: الأمور الداعية إليه من دعاه إلى الشيء أي حثه على قصده. والنفاق: إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب وقد مر الكلام عليه مبسوطاً.

وقاد الرجل البعير قوداً من باب - قال - جرّه خلفه فهو قائد. قال الخليل: القود: أن يكون الرجل أمام الدابة آخذاً بقيادها وهو خلاف السوق (١).

وحدود الله: شرائعه وأحكامه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها وتعتيها قال تعالى: «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين» (٢).

(١) كتاب العين: ج ٥ ص ١٩٦. مع تقديم وتأخير، والمصباح المنير: ص ٧١٢ نقلاً عنه.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَوِّنْ بِالْقُرْآنِ عِنْدَ الْمَوْتِ عَلَى أَنْفُسِنَا
كُتْرَبِ السِّيَاقِ، وَجُهِدْ الْأَتْنِ وَتَرَادُفَ الْحِشَارِجِ إِذَا بَلَغَتِ النَّفُوسُ التَّرَاقِي

وذاذه عن الأمر يذوده ذوداً من باب - قال - منعه ودفعه فهو ذائد وأصله من ذاد
الراعي إبله عن الماء أي منعها وطردها عن أن ترده.

ولما عندك : أي لما هو في حكمك ، من قولهم : هذا عندي أفضل من هذا : أي
في حكمي ومنه قوله تعالى : «إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ» (١) أي في حكمك .
والمراد بتحليل حلاله : إعتقاد حل ما بين الله فيه إنه حلال وهو كل شيء
لا يعاقب عليه باستعماله .

وبتحريم حرامه : إعتقاد حرمة ما بين الله فيه أنه حرام وهو كل ما يأثم بفعله
مستعمله ويعاقب عليه أي وحتى يكون القرآن لأجل ما ثبت عندك ووجب في
حكمك من التكليف باتباعه والعمل بأحكامه شاهداً لنا بتحليلنا حلاله وتحريمنا
حرامه وما قيل : من أن المعنى .

وحتى يكون القرآن شاهداً لتحليل ما ثبت عندك أنه حلال وتحريم ما ثبت
عندك أنه حرام ، فيكون الضمير في حلاله وحرامه عائداً إلى ما الموصولة والغرض
كون القرآن مبيّناً للحل والحرمة اللتين حكم الله بهما في الواقع فلا يخفى بعده وعدم
مناسبته لما قبله على أنه من باب تحصيل الحاصل .

وقول بعضهم : أي لما عندك من جزيل الثواب لا يناسبه قوله شاهداً والله أعلم
بمقاصد أوليائه .

وفي نسخة : ولنا عندك والمعنى عليها واضح .

هان الأمر يهون هوناً من باب - قال - : سهل ولان وهوته عليه تهويناً : سهله .
وعند الموت : أي عند حضوره .

والكرب : مصدر كرب ، الأمر يكره كرباً من باب - قتل - : شق عليه .

وقيلَ مَنْ راقٍ، وتَجَلَّى مَلَكُ الموتِ لِقَبْضِهَا من حجبِ الغُيوبِ وژمَهاها عن قوسِ المنايا بأشْهُمِ وحشةِ الفراقِ، ودافَ لها من دُعاْفِ الموتِ كأساً مسمومةَ المذاقِ، ودنا متناً إلى الآخرةِ رَحيلَ وانطلاقِ، وصارتِ الأعمالُ قلائدَ في الأعناقِ وكانت القبورُ هي المأوى إلى ميقاتِ يومِ التلاقِ.

وساق المريض سوقاً وسياقاً من باب - قام - : شرع (١) في نزع الروح .
وجهدته الأمر والمرض جهداً من باب - منع - : بلغ منه المشقة ، ومنه جهد البلاء .
وأن المريض يئن بالكسر أنيناً : تأوه وصوت من شدة الألم .
والترادف : التتابع ، يقال ترادف القوم : أي تتابعوا ، وأصله من الرديف ، وهو الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة ثم أطلق على مطلق التتابع ، فقليل لكل شيء تبع شيئاً : هو رديفه ، وردفه .
والحشارج : جمع حشرجة ، وهي الصوت الذي يردده المريض في حلقه عند الموت .

وفي القاموس : الحشرجة : الغرغرة عند الموت وتردد النفس (٢) .
والتراقى : جمع ترقوة وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر تترقى إليها النفس عند الموت ، وإليها يترقى النفس والبخار من الجوف وهناك تقع الحشرجة .
قال ذو الرمة :

وربَّ عَظيمةٍ دامت عنهم وقد بلغت نفوسهم التراقي (٣)
قال الزمخشري : التراقي : العظام المكتنفة لشفرة النحر عن يمين وشمال (٤)
إنتهى .

والمراد بالنفس التي تبلغ التراقي : الروح الحيوانية ، وهي الجوهر المجرد البخاري

(٣) مجمع البيان : ج ٩ - ١٠ ، ص ٤٠٠ .

(٤) تفسير الكشاف : ج ٤ ، ص ٦٦٣ .

(١) «ألف» : سرع .

(٢) القاموس المحيط : ج ١ ، ص ١٨٣ .

اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية ومنبعه تجويف القلب -
الجسماني وتنتشر بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن وبواسطة تتعلق
النفس الناطقة التي هي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان بالبدن حتى قالوا إنها
مركب لها.

قال بعض المفسرين: (١) ومن لطف الله بالعباد أن أمر قابض الأرواح
بالابتداء في نزعها من أصابع الرجلين ثم تصعد شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى الصدر
ثم تنتهي إلى الحلق ليتمكن العبد في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على الله تعالى
والوصية والتوبة ما لم يعاين والاستحلال وذكر الله سبحانه فتخرج روحه وهو رطب
اللسان بذكر الله تعالى فيرجى بذلك حسن خاتمته رزقنا الله ذلك بمئه وكرمه.
قوله عليه السلام: «وقيل من راق»: يجوز أن يكون من الرقية. يقال: رقا يرقه
من باب -رمى- رُقياً بالضم إذا عُوْذَ بالله، والاسم الرقيا على فعلى والمرأة رقية،
فالقائل هم بعض أصحاب الميت وأقاربه والإستفهام إمّا على أصله لأن العادة
جارية بطلب الطبيب، والراقي وقت ما يشتد المرض وإمّا بمعنى الإنكار أي من الذي
يقدر أن يرقى هذا الإنسان المشرف على الموت.

وجوز أن يكون اشتقاقه من الرقي بمعنى الصعود. يقال: رقى يرقى من باب
-تعب- رُقياً بالضم على فعول. قال تعالى: «ولن نؤمن لرقيتك» (٢)؛ فالقائل بعض
الملائكة يعني أتيكم يرقى بروح هذا المحتضر ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب.
وعن ابن عباس: إن الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت:
من يرقى بروح (٣) هذا الكافر (٤).

(١) بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٦.

(٢) سورة الاسراء: الآية ٩٣.

(٣) «ألف»: روح.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٣٠ ص ٢٣١. وفيه: من يرقى بهذا الكافر.

وقال الكلبي: يحضر العبد عند الموت سبعة أملاك من الملائكة العذاب مع ملك الموت فإذا بلغت نفس العبد التراقي نظر بعضهم إلى بعض أيهم يعرج بروحه إلى السماء (١).

والفقرة من الدعاء إقتباس من قوله تعالى في القيامة: «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ لَهَا مِمَّن رَاقِي» (٢) ولا يضّر التغيير اليسير كما مرّ بيانه في الرياض السابقة. وتجلّى: أي ظهر وبان ومنه جلوت العروس إذا أبرزتها وأظهرتها. وملك الموت: عبارة عن الروح المتولي لإفاضته صورة العدم على أعضاء هذا البدن وحال مفارقة النفس له.

والحجب: جمع حجاب وهو السّتر، شبه الغيوب بالأمّاكن المستورة فأثبت لها الحجب على طريقة الإستعارة المكنية التخيلية. والغيوب: جمع غيب، وهو في الأصل مصدر غاب الشيء يغيب غيباً من باب -باع- إذا استتر عن العين، ثم استعمل فيما غاب عن العلم والعقل، وفيما غاب عن الذكر أيضاً.

ولما كان ملك الموت غائباً عن أكثر الناس بجميع هذه المعاني جاء به بلفظ الجمع، وقد تواترت الأخبار بأنّ الميت يرى ملك الموت عياناً ويخاطبه عند كشف الغطاء ويستسئ وقت المعاينة (٣).

وفي رواية: إنه يسأل المؤمن هل أخذت فكاك رقبتك وأمان برائتك وتمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟ فيقول: نعم، فيقول: وما ذاك؟ فيقول: ولاية عليّ بن أبي طالب، فيقول: صدقت، ثم يؤمنه ويبشّره بما يسره،

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٣٠ ص ٢٣١ مع اختلاف يسير.

(٢) سورة القيامة: الآية ٢٧.

(٣) راجع الكافي: ج ٣، ص ١٢٨ - ١٣٧ - باب ما يعاين المؤمن والكافر، وباب اخراج روح المؤمن

ويسأل الكافر كما سئل المؤمن فيقول: لا فيبشره بسخط الله وعذابه والنار (١).
وحكى أبو جعفر الحنيطي قال: حضرت موت عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس الإصبهاني وكان من الثقات المعمرين فقال وهو محتضر ونحن جلوس عنده: هذا ملك الموت قد جاء فقال بالفارسية: أقبض روحي كما تقبض روح رجل يقول تسعين سنة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وكان عمره ثمانياً وتسعين سنة.

و «عن» من قوله: «عن قوس المنايا»، للمجاززة أي مجاوزة مدخولها عما قبلها، لأن الرامي يجاوز السهم عن القوس.
وقال ابن مالك: هي في رميت عن القوس للإستعانة لأنهم يقولون، أيضاً رميت بالقوس حكاهما الفراء وفيه رد على الحريري في إنكاره أن يقال ذلك إلا إذا كانت القوس هي الرمية، وحكى أيضاً رميت على القوس (٢).

وفي شرح اللباب يجوز رميت بالقوس بالنظر إلى أن القوس جعلت آلة للرمي ومستعاناً به فيه، ورميت على القوس بالنظر إلى يد الرامي التي إعتمدت على القوس في الرمي، ورميت عن القوس بالنظر إلى السهم، وإضافة القوس إلى المنايا من باب إضافة المشبه به إلى المشبه، كذلك إضافة الأسهم إلى وحشة الفراق شبه ملك الموت بالرامي على الإستعارة بالكناية فأثبت له قوساً وأسهماً على التخيل، ولما كانت المنايا وهي جمع منيته بمعنى الموت سبباً لحصول الوحشة في النفوس شبهها بالقوس التي هي آلة للرمي وسبب لحصول السهم في الغرض ولما كانت الوحشة حاصلة عن الموت واقعة في النفوس وقوع الأسهم من الهدف متألماً بها شبهها بالأسهم ثم قدم المشبه به في الموضعين وأضافه إلى المشبه كلجين الماء، وإنما

(١) الكافي: ج ٣ ص ١٣١ - ١٣٢، ح ٤.

(٢) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك: ص ١٤٦.

أفرد القوس وجمع الأسهم لأن الرامي في الغالب لا يرمي إلا عن قوس واحدة وأسهم متعدّد.

ووحشة الفراق: هي وحشة فراق الدنيا ونعيمها.

ودفت الدواء أدوفه دوفاً بالذال المهملة: إذا بللته بماء وخلطته فهو مدوف.

والذعاف: بالذال المعجمة المضمومة على وزن غراب السّم أو سم ساعة.

والكأس بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها: القدح مملوءاً من الشراب ولا تسمى

كأساً إلا وفيها الشراب وهي مؤنثة.

المسمومة: اسم مفعول من سُمّت الطعام سمّاً من باب -قتل- إذا جعلت فيها

السّم.

والمذاق: مصدر ميمي بمعنى الذوق وهو إدراك طعم الشيء بواسطة الرطوبة

المنبثة بالعصب المفروش على عضل اللسان.

يقال: ذقته أذوقه ذوقاً ذوقاناً وذواقاً ومذاقاً: إذا عرفته بتلك الوسطة، والكلام

إما استعارة تمثيلية أو مكنية تخيلية مرشحة، وإيقاع الذوق على الكأس مجاز عقلي

لكونها ظرفاً للمذوق.

ودنا يدنودنوا: قرب (١).

والرحيل: مصدر رحل عن البلد إذا سار عنه.

والإنطلاق: الذهاب يقال: أطلقته فانطلق إذا خليت عنه فذهب محلي.

والقلائد: جمع قلادة، وهي ما يعلق في العنق، شبه الأعمال بها للزومها أربابها

لزوم القلائد للأعناق، وفيه تلميح إلى قوله تعالى في بني إسرائيل: «وكلّ إنسان

ألزمنه طائفة في عنقه» (٢).

قال الطبرسي: معناه: وألزمنا كلّ إنسان عمله من خير أو شرّ في عنقه، عن

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي حُلُولِ دَارِ الْبَلَى وَطَوْلِ
الْمُقَامَةِ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى، وَاجْعَلِ الْقَبُورَ بَعْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا خَيْرَ مَنَازِلِنَا
وَافْسَحْ لَنَا بِرَحْمَتِكَ فِي ضَيْقِ مَلَا حِدِنَا، وَلَا تَفْضَحْنَا فِي حَاضِرِ الْقِيَامَةِ
بِمُوقِفَاتِ آثَامِنَا وَارْحَمْ بِالْقُرْآنِ فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ذَلِكَ مَقَامِنَا

ابن عباس، ومجاهد يريد جعلناه كالطوق في عنقه لا يفارقه (١).

وقال صاحب الكشف: طائر - عمله، وعن ابن عيينة: هو من قولك: طار له
سهم إذا خرج يعنى الزمناء ما طار إليه من عمله والمعنى: إنَّ عمله لازم له لزوم
القلادة، أو الغل لا ينفك عنه. ومنه مثل العرب: تقلدها طوق الحمامة، وقولهم:
الموت في الرقاب وهذا ربة في رقبته. عن الحسن: يا بن آدم بسطت لك صحيفة إذا
بُعثت قلدها في عنقك (٢) إنتهى.

والمأوى: اسم للمكان الذي يأوي إليه من أوى إلى منزله يأوي من باب
-ضرب- أوىاً على فعول أي نزل به وأقام فيه.

ويوم التلاق: يوم القيامة. قال تعالى «لينذريوم التلاق» (٣)، قيل: لأنه يلتقي
فيه أهل السماء والأرض.

وقيل: يلتقي فيه الأولون والآخرون والخصم والمخصوم، والظالم والمظلوم.

وقيل: يلتقي الخلق والخالق.

وقيل: تلتقي الأرواح والأجساد والله أعلم.

بارك الله له في الشيء: جعل فيه الخير.

قال الراغب: البركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء وال مبارك: ما فيه ذلك الخير

ومنه قوله تعالى: «أنزلي منزلاً مباركاً» أي حيث يوجد الخير الإلهي (٤) إنتهى.

(٣) سورة غافر: الآية ١٥.

(٤) المفردات: ص ٤٤.

(١) مجمع البيان: ج ٥ - ٦ ص ٤٠٤.

(٢) تفسير الكشف: ج ٢ ص ٦٥٢.

وثبتت به عند اضطراب جسر جهنم يوم المجاز عليها زلزل أقدامنا ونور به قبل البعث سدق قبورنا ونجنا به من كل كرب يوم القيامة، وشدائد أهوال يوم الطاقة وبيض وجوهنا يوم تسود وجوه الظلمة في يوم الحسرة والندامة، واجعل لنا في صدور المؤمنين وداً ولا تجعل الحياة علينا نكداً.

والحلول في المكان: النزول به وأصله من حل الأحمال عند النزول ثم جرد استعماله للنزول، فقل: حلّ حلولاً وأحلّه غيره.

والبلى بالكسر والقصر: مصدر بلى الميت يبلى من باب - تعب - بلى وبلاء بالفتح والمدة إذا أفنت الأرض جسده، فالمراد بدار البلى القبر، وإنما سأل عليه السلام البركة في حلوله لما تواترت به الأخبار وانعقد عليه الإجماع من ثبوت نعم القبر وعذابه فسأل عليه السلام أن يجعل له الخير في حلوله ليفوز بنعيمه ويحيره من عذابه. وفي الحديث المشهور «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» (١) نعوذ بالله منها.

والمقامة بالضم: مصدر بمعنى الإقامة.

والأطباق: جمع طبق بفتح تين كسبب وأسباب، وهو في الأصل الشيء الذي يكون على مقدار الشيء مطبقاً له من جميع جوانبه كالغطاء له، ومنه يقال: أطبقوا على الأمر بالألف: إذا اجتمعوا عليه متوافقين غير متخالفين، ثم أستمحل في الشيء الذي يكون فوق الآخرة تارة، وفيها يوافق غيره أخرى. فاطباق الثرى: ما كان بعضها فوق بعض.

والثرى: قيل: هو التراب مطلقاً، وقيل: التراب الندي فإن لم يكن ندياً فهو التراب.

قال بعضهم: كأن طول الإقامة بين أطباق الثرى إشارة إلى مراتب

الإستحالات.

قوله عليه السلام: «واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا» قال بعض الأصحاب: يحتمل أن يكون المراد خير منازلنا في الدنيا قبل المفارقة وبعدها، أو خير المنازل بالنسبة إلى قبور أخرى تتفاوت بالنعيم والعذاب، أو خيرها باعتبار عدم الانتقال إلى جهنم من غير تفصيل إنتهى.

قلت: وأظهر من ذلك كله أن يكون المراد خير منازلنا بعد فراق الدنيا إلى وقت دخول الجنة.

فقد ورد في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إنَّ القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجاه فإياه يسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه (١).

والله أعلم بمقاصد أوليائه.

والفسحة بالضم: السعة، وفسح له في المكان فسحاً من باب -منع- وسع وفرج.

والضيق بالكسر: اسم من ضاق الشيء ضيقاً من باب -سار-: خلاف إتسع.

وفي القاموس: الضيق بالفتح: ماضاق عنه صدرك، وبالكسر: يكون فيما يتسع ويضيق كالدار والثوب (٢).

والملاحد: جمع ملحد بمعنى اللحد وهو الشق يكون في جانب القبر. وحاضر القيامة: إمّا بمعنى الجمع الكثير الذين يحضرون يوم القيامة من قوهم: «للحيّ العظيم والقبيلة الكبيرة» حاضر.

قال الجوهرى: الحاضر: الحيّ العظيم. يقال حاضر طي وهو جمع، كما يقال

سامر للسَّجَّار وحاج للحجاج (١).

وقال الزمخشري: في الفائق: الحاضر: الحي إذا حضر، والدار التي بها مجتمعهم ومنه حديث أسامة: «وإنهم قد أحاطوا ليلاً بحاضر» (٢).

فعم، أي ضخم جم، وإما بمعنى المكان المحضور يوم القيامة. قال الخطابي: ربما جعلوا الحاضر اسماً للمكان المحضور فيقولون: نزلنا حاضر بني فلان فهو فاعل بمعنى مفعول (٣).

قال ابن الأثير: ومنه الحديث: «هجرة الحاضر» أي المكان المحضور (٤). وقد تكرّر في الحديث وما وقع لبعض المترجمين من أن معنى حاضر: القيامة يوم القيامة الحاضر الذي لا يخفى فعبر عنه بالحاضر لظهوره وعدم خفائه، أو الحضور الخلاق فيه فلا يخفى سقوطه.

والمقام: بالفتح يكون مصدراً، واسم مكان القيام وزمانه، وكذلك المقام بالضم يكون مصدراً بمعنى الإقامة واسم مكانها وزمانها. وقد وردت الرواية فيه بالوجهين، وإضافة الذلّ إلى المقام مجاز عقلي.

وثبت الشيء ثبوتاً من باب -قعد-: استقرّ ويعدّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أثبتته وثبته.

والأضطراب: إفتعال من الضرب، ومعناه كثرة الذهاب في الجهات، وعدم الاستقرار في جهة، وهو من الضرب في الأرض، وهو الذهاب فيها، وسمي الذهاب في الأرض ضرباً لضربها بالأرجل.

والجسر بكسر الجيم وفتحها: ما يعبر عليه، مبثياً كان أو غير مبني، وجسر جهنم: هو الصراط الممدود على متن جهنم، وهو طريق المؤمنين إلى الجنة، وقد

(١) الصحاح: ج ٢، ص ٦٣٢.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ج ١ ص ١٨٨.

(٣) و (٤) النهاية لابن الأثير: ج ١، ص ٣٩٩.

تواترت الأخبار بأنه يُمدّ يوم القيامة على متن جهنم جسر أوله في الموقف وآخره على باب الجنة يجوزه من أخلص لله فيدخل الجنة، ومن عصاه سقط عن جنبه إلى النار (١)، وورد في وصفه إنه أدق من الشعر وأحد من السيف وإن المؤمن يجوزه كالبرق الخاطف (٢).

وأما إضطرابه الذي دلّ عليه متن الدعاء فقد ورد في بعض الأخبار أن الصراط يتزلزل ويرتعد بأهله حتى تكاد مفاصلهم ينحل بعضها من بعض والخلائق يتساقطون منه في النار كالذرف لا ينجو إلا من رحم الله (٣) وعلى هذا فلا داعي إلى حمل إضافة الإضطراب إلى الجسر على المجاز لأن المضطرب إنما هو أهله لا هو كما وقع لبعض المترجمين فإن الأصل في الكلام الحقيقة دون المجاز والله أعلم.

وزلل الأقدام: زلقها واسترسلها من غير قصد وإيقاع التثبيت عليه دون الأقدام مجاز في الإثبات من قبيل الإيقاع على السبب نحو: «ولا تطيعوا أمر المسرفين» (٤).

تنبيه

قال بعض العلماء: أعلم أن الصراط الموعود به في القرآن الكريم حق يجب الإيمان به وإن اختلف الناس في حقيقته وظاهر الشريعة، والذي عليه جمهور المسلمين ومن أثبت المعاد الجسماني يقتضي أنه جسم في غاية الدقة والحدة ممدود على جهنم وهو طريق إلى الجنة يجوزه إليها من أطاع الله ويسقط عنه إلى النار من عصاه.

وأما الحكماء فقالوا بحقيقته لكنهم قالوا حقيقته هو الوسط الحقيقي بين الأخلاق المتضادة كالسخاوة بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن، والإقتصاد بين

(١) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٦٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٦٤.

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٥١.

الإسراف والتقتير، والتواضع بين التكبر والمهانة، والعدالة بين الظلم والإنظلام، فالأوساط بين هذه الأخلاق المتضادة هي الأخلاق المحمودة، ولكل واحد منها طرفا تفريط وإفراط هما مذمومان، وكل واحد منها هو غاية البعد بين طرفيه، وليس من طرف الزيادة ولا من طرف النقصان.

قالوا: وتحقيق ذلك إن كمال الإنسان في التشبه بالملائكة وهم منفكون عن هذه الأوصاف المتضادة وليس في إمكان الإنسان الأنفكاك عنها بالكلية فغايته التباعد عنها إلى الوسط تباعداً يشبه الانفكاك عنها، فالسخي كأنه لا بخيل ولا مبذر. فالصراط المستقيم: هو الوسط الحق الذي لا ميل له إلى أحد الجانبين ولا عرض له وهو أدق من الشعر، ولذلك قال تعالى «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل» (١) (٢) والله أعلم.

والسدف: جمع سدفة بالضم، وهي الظلمة، ومنه حديث «وكشفت عنه سدف الرّيب» أي ظلمها (٣).

والكرب: الغم والحزن، يأخذ بالنفس، وكربه الأمر كرباً من باب -قتل- أيضاً: شقّ عليه.

والأهوال: جمع هول وهو الفزع والخوف، من هالني الأمر هولاً من باب -قال- أفرعني فهو هائل.

والطامة: القيامة، من طمّ الأمر طمّاً من باب -قتل- أي علا وغلب لأنها تطمّ على سائر الطامات، أي تعلوها وتغلبها ومن ذلك يقال: «ما من طامة إلا وفوقها طامة» (٤).

(١) سورة النساء: الآية ١٢٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير: ج ٢ ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٣٥٥.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ١٣٩.

والقيامة فوق كل طامة، ولذلك وصفها تعالى بالكبرى فقال: «فاذا جاءته الطامة الكبرى» (١) أي العظمى.

وقيل: هي النفخة الثانية.

وقيل: هي الساعة التي يساق فيها الخلائق إلى محشرهم.

وقيل: هي الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار.

وبياض الوجوه وسوادها: كنايةتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيها.

وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه وإشراق البشرة، وأهل الباطل بضد

ذلك. قال تعالى: «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه» (٢)، وقد تقدم الكلام عليه.

ويوم الحسرة: هو يوم القيامة لتحسّر جميع الناس فيه وتأسّفهم، أما المسيّ فعلى إساءته، وأما المحسن فعلى عدم إزياده من الإحسان.

وقيل: إنما يتحسّر من يستحق العقاب وأما المؤمن فلا يتحسّر، وفيه تلميح إلى

قوله تعالى «وانذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر» (٣) أي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار.

وروى علي بن إبراهيم قال: حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولّاد

الحناط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن قوله تعالى: «وانذرهم يوم

الحسرة»، قال: ينادي مناد من عند الله وذلك بعد ما صار أهل الجنة في الجنة،

وأهل النار في النار هل تعرفون الموت في صورة من الصور؟ فيقولون: لا فيؤتى بالموت

في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم ينادون جميعاً أشرفوا وانظروا إلى

الموت فيشرفون ثم يأمر الله به فيذبح، ثم قال: يا أهل الجنة خلود فلا موت أبداً ويا

أهل النار خلود فلا موت أبداً، وهو قول الله تعالى: «وانذرهم يوم الحسرة إذ قضي

(٣) سورة مريم: الآية ٣٩.

(١) سورة النازعات: الآية ٣٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٦.

الأمر وهم في غفلة» أي قضي على أهل الجنة الخلود فيها وعلى أهل النار الخلود فيها» (١).

وفي رواية أخرى: فيفرح أهل الجنة فرحاً لو كان أحد يومئذ ميتاً لما توافرحوا ويشق أهل النار شهقة لو كان أحد يومئذ ميتاً لما توافرحوا حزناً (٢).
والندامة: التحسر من تغير رأي على أمر فائت.

وقيل: هي كراهة الإنسان شيئاً فعله وتمنيه أنه لم يكن فعله.
وسمي يوم القيامة بيوم الندامة، لندامة أهل الضلال به قال تعالى: «وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون» (٣).

والود تثليث الواو: المحبة يقال: وددته أودّه من باب -تعب-: أي أحببته والاسم المؤدّة، ولما كانت المحبة تقتضي اللطاف والإكرام سأل عليه السلام أن يجعل له وداً في صدور المؤمنين والغرض سؤال خلق داعية إكرامه في صدورهم.

وفيه تلميح إلى قوله تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً» (٤).

قال المفسرون: أي سيحدث لهم في القلوب مؤدّة من غير ما سبب من الأسباب المعهودة كقراءة أو اصطناع معروف كما يقذف في قلوب أعدائهم الرعب وذلك إما في الدنيا لكون المؤمنين بمقوتين بين الكفرة فوعدهم الله المؤدّة عند الناس وإما يوم القيامة بأن يحبهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم. وعن ابن عباس: يعني يحبهم الله ويحبهم إلى خلقه (٥).

(١) تفسير علي بن إبراهيم: ج ٢ ص ٥٠ - ٥١.

(٢) مجمع البيان: ج ٥ ص ٦٥. فيه «لما توافرجا».

(٣) سورة يونس: الآية ٥٤.

(٤) سورة مريم: الآية ٩٦.

(٥) تفسير الكشاف: ج ٣، ص ٤٧.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا بَلَغَ رِسَالَتَكَ، وَصَدِّعْ بِأَمْرِكَ، وَنَصِّعْ لِعِبَادِكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَبِيَّنَا صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقْرَبَ النَّبِيِّينَ مِنْكَ مَجْلِسًا، وَأَمَكَنَّهُمْ مِنْكَ شَفَاعَةً، وَأَجَلَّهُمْ عِنْدَكَ قَدْرًا وَأَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ جَاهًا.

وعن قتادة: ما أقبل العبد إلى الله عز وجل إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه (١).
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله «إذا أحب الله عبداً يقول لجبرئيل قد أحببت فلاناً فأحبه فيحبه جبرئيل عليه السلام ثم ينادي في أهل السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له المحبة والقبول في الأرض (٢).
وفي تفسير أبي حمزة الثمالي: حدثني أبو جعفر الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً فقالها علي عليه السلام فنزلت هذه الآية (٣).
ونكد العيش نكداً: من باب -تعب- فهو نكد ونكد كجبل وكتف: إشتد وتعر وقل، ومنه: «ناقة نكداء» إذا كانت قليلة الدر صعبة الحلب، وعطاء منكود نزر قليل، ورجل نكد وأنكد شؤم عسره.

«الكاف» للتعليل، أو للتشبيه كما مرّ مراراً، ونظيرها قوله تعالى: «واذكروه كما هداكم» (٤).

وصدع بالأمر: جهر به. من قولهم: «صدع بالحجة» إذا تكلم بها جهاراً. وفيه تلميح إلى قوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين» (٥) أي بالأمر أو بما تؤمر به (٦).

(١) و (٢) تفسير الكشاف: ج ٣، ص ٤٧. وايضاً مجمع البيان: ج ٥ - ٦، ص ٥٣٣.

(٣) مجمع البيان: ج ٥ - ٦ ص ٥٣٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٨.

(٥) سورة الحجر: الآية ٩٤.

(٦) معاني القرآن: ج ٢ ص ٩٣.

قال الفراء: أراد: أظهر دينك (١).

يقال: صدع بالحق إذا أظهره وتكلم به جهاراً، وصدع بالحجة أي تكلم بها وأظهرها إظهاراً تاماً كأنه شقّ باطنها وكشف عن جليتها بحيث لا تلتبس بعد ذلك أصلاً.

وقال أهل البيان: هو مستعار من صدع الزجاجاة وهي إستعارة محسوس لمعقول فإنّ الصدع المستعار وهو كسر الزجاجاة محسوس، والتبليغ المستعار له معقول، والجامع التأثير وهو أبلغ من بلغ وإن كان بمعناه لأنّ تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ، فقد لا يؤثر التبليغ والصدع يؤثر جزماً.

والنصح: تحري الإنسان فعلاً أو قولاً فيه صلاح صاحبه.

يقال: نصح له ينصح من باب -منع- نصحاً بالضم ونصيحة هذه اللفظة الفصيحة وعليها عبارة الدعاء. وقوله تعالى: «ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم» (٢) وفي لغة يعدي بنفسه فيقال: نصحته.

وقال الراغب: نصحت لكم من قولهم: نصحت له الود، أي أخلصته (٣). وإضافة النبيّ إلى ضمير المتكلم مع غيره تعظيم لشأن المضاف إليه وتشريف له.

والمراد بالقرب في قوله عليه السّلام: «أقرب النبيين منك مجلساً»: قرب المنزلة والرتبة لا القرب المكاني لتنزهه تعالى عن ذلك، ولما كان صلى الله عليه وآله أشرف النبيين وسيد المرسلين دعا له عليه السّلام بأن يجعله يوم القيامة أقربهم منه تعالى منزلة إظهاراً لشرفه وكرامته لديه سبحانه على رؤوس الخلائق حيث يجتمع الأولون والآخرون ليشهد ذلك الخلائق أجمعون.

(٣) المفردات: ص ٤٩٤.

(١) الجامع لأحكام القرآن: ج ١١ ص ٦١.

(٢) سورة هود: الآية ٣٤.

ومكّن فلان عند السلطان مكانه: وزن ضخم ضخامة، عظم عنده وارتفع فهو مكين وهو أمكن من غيره.

و«من» في قوله: «منك» في الفقرة الأولى: للإنتهاء على قول الكوفيين وابن مالك لقولهم قريت منك مثل قولك قريت إليك (١)، وفي الفقرة الثانية: بمعنى «عند» لمساواتها قولك أمكن عندك وموافقة من لعند.

قال أبو عبيدة في قوله تعالى: «لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً» (٢) أي عنده (٣)، وتأولها الجمهور على البذل أي بذل طاعة الله أو بذل رحمة الله وهذا التأويل لا يصح هنا.

وجلّ يجلّ من باب -ضرب- جلالة: عظم فهو جليل. وقدر الشيء بالسكون: مبلغه ثم استعمل في الحرمة والوقار والتعظيم. يقال: ما لفلان عندي قدر: أي حرمة ووقار ومنه: «ما قدروا الله حقّ قدره» (٤) أي ما عظموه حقّ تعظيمه.

ووجه بالضمّ وجاهة فهو وجيه: إذا كان له حظ ورتبة وحرمة، قال العباس بن مرداس:

وقال بنّي عاد هلكتم فجهازوا خياركم أهل الوجاهة والمجد (٥)
والجاه: القدر والمنزلة والخطوة عند الناس.

قال الراغب: قال بعضهم: الجاه مقلوب عن الوجه، لكن الوجه يقال في العضو والخطوة، والجاه لا يقال إلا في الخطوة (٦).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٦.

(١) خزنة الأدب: ج ٣ ص ٣٣٢.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ١ ص ٨٧.

(٤) سورة الانعام: الآية ٩١.

(٥) أساس البلاغة: ص ٦٦٧.

(٦) المفردات: ص ٥١٤.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَشَرِّفْ بَنِيَّاهُ وَعَظِّمْ بَرَهَانَهُ، وَثَقِّلْ مِيزَانَهُ،
وَتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ، وَقَرِّبْ وَسِيلَتَهُ، وَبَيِّضْ وَجْهَهُ، وَأَتِّمْ نَوْرَهُ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ،
وَأَحْيِنَا عَلَى سُنَّتِهِ وَتَوْفَّقْنَا عَلَى مِلَّتِهِ، وَخُذْ بِنَا مِنْهَا جَهً، وَاسْلُكْ بِنَا سَبِيلَهُ
وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَاحْشُرْنَا فِي زِمْرَتِهِ وَأُورِدْنَا حَوْضَهُ، وَاسْقِنَا بِكَأْسِهِ.

الشرف بفتح الحين: علو المنزلة والمكان العالي. وشرفه الله تشريفا: أعلاه.
والبنيان: البناء وكلاهما مصدران ويستعملان بمعنى المبني.
قال الزمخشري في الأساس: بنى بيتاً أحسن بناء وبنيان وهذا بناء حسن
وبنيان حسن «كأنهم بنیان مرصوص» سمي المبني بالمصدر (١) إنتهى.
وفي معنى هذه الفقرة قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة علم فيها الناس
الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله: «اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ» (٢).
قال الشيخ كمال الدين ميثم البحراني «قدس سره»: يحتمل أن يريد
«ببنائه» ماشيته من الدين فيكون، إعلاؤه المطلوب هو إتمام دينه وإظهاره بعده
على الأديان كلها، ويحتمل أن يريد به ماشيته من ملكات الخير واستحقاقه من
مراتب الجنة وقصورها (٣) إنتهى.
والإحتمالان جاريان في عبارة الدعاء، ويحتمل وجهاً ثالثاً: وهو أن يكون
المراد ببنيان مابناه من الشرف والذكر والمكارم.
قال في القاموس: وتكون البناية في الشرف (٤).
وفي الأساس بنى مكرمة وأبتناها وهو من بناء المكارم. قال:
بناء مكارم وأساءة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء (٥)
إنتهى.

(١) الأساس المحيط: ج ٤، ص ٣٠٥.

(١) أساس البلاغة: ص ٥١.

(٥) أساس البلاغة: ص ٥٢.

(٢) نهج البلاغة: ص ١٠١ الخطب ٧٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٢ ص ٢٠٢.

والبرهان: الدليل والحجة، وتعظيمه عبارة عن إعلائه وإظهاره، وقهر الخصم به وإذهان (١) العقول والأفهام له.

وتثقل الميزان: كناية عن ترجيح الحسنات وتكثير الخيرات قال تعالى: «فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية» (٢).

قال بعضهم: الوزن عبارة عن القدر والخطر فكان المعنى: فأما من عظم قدره عند الله لكثرة حسناته فهو في معيشة (٣) يرضاها (٤).

وتقبل شفاعته: أي إقبلها، وإنما عدل إلى صيغة التفعّل لكونها مشعرة بحسب أصل الوضع بالتكلف، وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل فكان المراد بها في حقّه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثرته.

والوسيلة: ما يتوسّل به إلى الشيء برغبة. قال الراغب: وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة (٥) إنتهى.

وتقريبها: عبارة عن قبولها وكمال الرضا بها.

وتبييض الوجه: كناية عن إبتائه من الكرامة والفضيلة ما يسرّ به فيظهر لذلك بهجة المسرة في وجهه.

قال بعضهم: لما كان البياض أفضل لون عندهم عبر عن الفضل والكرم بالبياض حتى قيل لمن لم يتدنّس بمعاب هو أبيض الوجه (٦).

وقوله تعالى: «يوم تبيّض وجوه» (٧) عبارة عن المسرة واسودادها عن الغم، وعلى نحو ذلك قوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة» (٨) و«وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة» (٩).

(١) «ألف»: أذعان. (٥) المفردات: ص ٥٢٤. (٩) سورة عبس: الآية ٣٨ و٣٩.

(٢) القارعة: الآية ٦ و٧. (٦) خزنة الأدب: ج ٥ ص ٢٨٣.

(٣) «ألف»: عيشة. (٧) آل عمران: الآية ١٠٦.

(٤) تهذيب اللغة: ج ١٣ ص ٢٥٦. (٨) القيامة: الآية ٢٢.

ونوره صلى الله عليه وآله إماما النور الذي بعث به أي الدين.
وإتمامه: إنتشاره في قلوب العالمين، وإماما النور الذي في جوهر ذاته، وإتمامه:
زيادة كماله.

ورفع درجته: عبارة عن إعطائه كمال الرفعة وتشريفه بالفضيلة الثامة.
وسنته صلى الله عليه وآله: طريقته التي كان عليها وسبيله التي دعا إليها وهي
الموصلة إلى ثواب الله تعالى وجواره.

وملته: دينه، غير أن الملة لا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها
ولا تضاف إلا إلى النبي الذي تسند إليه نحو: «اتبعوا ملة إبراهيم» (١)، ولا تكاد
توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد أمة النبي، فلا يقال ملة الله ولا ملتي ولا ملة زيد
كما يقال: دين الله وديني ودين زيد، وأصل الأخذ التناول وإمساك الشيء باليد،
يقال: أخذ الخطام وأخذ بالخطام أي أمسكه ثم استعمل في مطلق الإستيلاء على
الشيء وما تضمن معناه فيقال: خذبنا طريق القوم أي سربنا طريقهم لما في السير
بالشيء من الإستيلاء عليه.

وفي الحديث: «فيؤخذ بهم ذات الشمال» فأقول رب أصحابي وأصحابي أي
يسار بهم (٢).

والمناهج: الطريق الواضح: أي سربنا منهاجه ولما كان غرضه عليه السلام
بالسؤال إفاضة قوة جاذبة قاهرة له على سلوك منهاجه صلى الله عليه وآله أثر التعبير
بالأخذ الذي لا يكون إلا بطريق الاستيلاء والقهر.

وسلكت بزيد الطريق: ذهبت به فيه.

والسبيل: الطريق الذي فيه سهولة يذكر ويؤنث والمراد بسبيله صلى الله عليه وآله

(١) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٢) الاعتقادات للصدوق: باب الاعتقاد في الخوض ص ٨٥ بضميمة كتاب الحادي عشر.

وآله: السبيل المشار إليها بقوله تعالى: «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» (١) أي هذه السبيل التي هي الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالإخلاص سبيلي وطريقتي وسيرتي.

وقوله: «ادعوا إلى الله» تفسير لسبيله.

واجعلنا من أهل طاعته أي من المتقادين لأحكامه الممثلين لأوامره.

والحشر: إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم منه.

وقيل: جمعهم من كل ناحية للخروج حشرهم حشراً من باب -قتل- ومن باب -ضرب- لغة وبالأولى قرأ السبعة.

والزُّمرة بالضم: الجماعة من الناس واشتقاقها من الزمر وهو الصوت إذ الجماعة لا تخلو عنه.

وورد البعير وغيره الماء يركده ووروداً بـلغة ووافاه ويعدى بالهمزة فيقال: «أوردته إيراداً».

والحوض: مجتمع الماء، وحوضه صلى الله عليه وآله: هو الذي يرده خيار أمته يوم القيامة.

قال بعض أصحابنا: قد ثبت أن له صلى الله عليه وآله حوضاً في الآخرة من طرق الخاصة والعامة رواه مسلم عن سبعة عشر صحابياً (٢) ورواه غيره عن عشرة منهم غيرهم.

قال عياض: الإيمان به واجب والتصديق به من الإيمان (٣) إنتهى.

وقال القرطبي: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به، أن الله تعالى قد خص نبيه محمداً صلى الله عليه وآله بالحوض المصروح باسمه وصفاته وشرابه في

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٢) صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٧٩٢ باب اثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته ح ٢٥ الى ٤٥.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج ٢ ص ٢ و ٣.

الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل مجموعها العلم القطعي إذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وآله من الصحابة نيف على الثلاثين منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرها بقية ذلك كما صحّ نقله واشتهرت روايته (١). وقال القرطبي أيضاً: ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط وذهب آخرون إلى العكس والصحيح: أن للنبي صلى الله عليه وآله حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط والآخر داخل الجنة وكلّ منهما يسمى كوثرًا (٢).

وتعقبه ابن حجر: بأن الكوثر: نهر داخل الجنة وماؤه يصبّ في الحوض ويطلق على الحوض كوثرًا لكونه يمدّ منه إنتهى (٣). قلت: ومما ورد من طرقنا في وصف الحوض: ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سرّه أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدنيها ربي ويتمسك بقضيب غرسه ربي بيده فليتوال عليّ بن أبي طالب وأوصيائه من بعده فإنهم لا يدخلونكم في باب ضلال ولا يخرجونكم من باب هدى فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم وإنّي سألت ربي أن لا يفرق بينهم وبين الكتاب حتى يردا عليّ الحوض هكذا وضّم بين إصبعيه، وعرضه ما بين صنعاء إلى أيلة فيه قدحان ذهب وفضّة عدد النجوم (٤) إنتهى.

وصنعاء ممدودة: قصبة معروفة من بلاد اليمن وأيلة بفتح الهمزة وسكون الياء المشاة من تحت مدينة معروفة نصف ما بين مكة ومصر وقيل: هي جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع (٥).

(١) فتح الباري: ج ١١ ص ٤٦٧. نقلًا عن القرطبي.
(٢) فتح الباري: ج ١١ ص ٤٦٦ نقلًا عن القرطبي في كتابه التذكرة. (٥) مرآة العقول: ج ٢ ص ٤٢٤.
(٣) فتح الباري: ج ١١ ص ٤٦٦.

وصلِّ اللهم على محمد وآله صلاةً تبلغه بها أفضل ما يأمل من خيرك
وفضلك وكرامتك إنك ذو رحمة واسعة وفصل كريم. اللهم اجزه بما بلغ
من رسالاتك وأدى من آياتك، ونصح لعبادك، وجاهد في سبيلك، أفضل
ما جزيت أحداً من ملائكتك المقربين، وأنبيائك المرسلين المصطفين
والسلام عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورحمة الله وبركاته.

وروى ثقة الإسلام أيضاً في كتاب الروضة في وصية الله تعالى لميسى
عليه السلام حيث قال في وصف محمد صلى الله عليه وآله: له الكوثر والمقام الأكبر
في جنات عدن يعيش أكرم معاش ويقبض شهيداً له حوض أكبر من بكة إلى مطلع
الشمس من رحيق مختوم فيه آنية مثل نجوم السماء وأكواب مثل مدر الأرض عذب
فيه من كل شراب وطعم كل ثمار الجنة من شرب منه شربة لم يظمأ أبداً (١).
قال بعض الأصحاب: لا بد من حمل التحديد في هذا الخبر على المقدار في الطول
للجمع بينه وبين الحديث السابق المصرح فيه بتحديد العرض وإلا وقع الاختلاف
بينهما اللهم إلا أن يقال: المقصود منها هو الكناية عن السعة لا على التقدير المحقق
إنتهى.

والضمير في قوله عليه السلام: «واسقنا بكأسه» يحتمل عوده إلى الحوض
إشارة إلى الأقداح والآنية والأكواب التي فيه، ويحتمل عوده إلى النبي صلى الله
عليه وآله وإضافتها إليه باعتبار أنه الساقى بها أو باعتبار أن السقي بها إنما يكون بإذنه
عليه السلام.

قال الراغب: صلوات الله على العباد في التحقيق تزكية لهم أي تنمية بالخيرات
والبركات وهي من الملائكة والناس الدعاء والإستغفار (٢).
وأملته أمله من باب - طلب -: رجوته فأنا آمل وهو مأمول على فاعل ومفعول.

وأملته تأميلاً: مبالغة وتكثير وهو أكثر استعمالاً من المخفف حتى أنكر بعضهم التخفيف وكأنه لم يسمع قول كعب: أرجو وأمل يدنو (١) مودتها، وقوله أيضاً: وقال كل خليل كنت آمله والخير ما يختار ويرغب فيه، وخيره تعالى خير مطلق أي مرغوب فيه على كل حال وعند كل أحد.

والفضل: العطاء الذي لا يلزم المعطي وعليه قوله تعالى: «واسئلوا الله من فضله» (٢).

والكرامة: اسم من أكرمه إكراماً إذا فعل به ما يوجب تعظيمه وتوقيره.

وجملة: «إِنَّكَ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ»: مستأنفة وهي تعليل لما قبلها وتحريك لسلسلة الإجابة وهو إقتباس من قوله تعالى: «فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ» (٣) أي لا تضيق عن شيء كما قال تعالى: «ورحمتي وسعت كل شيء» (٤).

وفضل كريم: أي خطير كبير وافر كثير لا يخاف عليه فناء ولا نقصان، والعرب تصف كل نفيس مستحسن بكونه كريماً.

قال الواحدي: الكرم اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن في بابه (٥)، فالله تعالى كريم لأنه محمود في كل ما يحتاج إليه، والقرآن كريم لأنه يوجد فيه بيان كل شيء: «أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» (٦) هونعيم الجنة المقرون بالدوام واللذة.

والباء من قوله: «بِمَا بَلَغَ» للمقابلة، وهي الداخلة على الأعواض نحو: إشتريته بألف وكافأت إحسانه بضعف.

وقوله تعالى: «ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون» (٧) ويجوز أن تكون للسببية أي بسبب تبليغ ما بلغ من رسالاتك «وما»: على التقديرين موصولة. و«من»: بيان لها.

(١) «ألف»: وآمل أن يدنو. (٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

(٢) المفردات: ص ٣٨٢. (٥) التفسير الكبير الرازي: ج ١٥ ص ١٢٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤٧. (٦) سورة مباء: الآية ٤. (٧) سورة النحل: الآية ٣٢.

وبلغ الرسالة تبليغاً: أنهاها وأداها إلى الرسول إليه بها.
والرسالة بالكسر: قد تكون اسم مصدر بمعنى التوجيه وقد تكون بمعنى القول
المتحمل وهو المراد هنا.

وأدى من آياتك : أي وبها أوصله منها، من أدى الأمانة تأدية إذا أوصلها إلى
أهلها، والاسم الأداء بالمد.

والآيات: جمع آية إما بمعنى الآية من القرآن ومعنى تأديتها ظاهر، وإما بمعنى
العلامة أي علامات ربوبيتك ووحدانيتك فتكون تأديتها عبارة عن تنبيه الخلق
عليها وإرشادهم إليها وقد أسلفنا الكلام على بيانها (١) في شرح السند فليرجع إليه.
ونصحه عليه السلام للعباد هو تحريته وقصده لما فيه صلاحهم قولاً وفعلاً.

والجهاد والمجاهدة: إستفراغ الوسع في مدافعة العدو وهو يكون باليد واللسان.
قال عليه السلام: «جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم». وسيله تعالى
ما يوصل إلى رضاه وثوابه.

والملائكة المقربون: قيل هم الذين قرّبهم الله سبحانه ورفع منازلهم على غيرهم
من خلقه، وقيل: هم الكروبيّون الذين حول العرش وقيل: هم أعلى من
الكروبيّين رتبة.

وقال الحكماء: هم الذوات المقدسة عن الجسميّة والجهة وعن حاجتها إلى
القيام بها.

والنبيّ: من أوحى إليه بملك، أو ألهم في قلبه، أو نُبِّه بالرؤيا الصالحة.
فالرسول أفضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة وقد تقدّم الكلام على
ذلك مبسوطاً.

وإصطفاء الله سبحانه للأنبياء والمرسلين يعود إلى إفاضة الكمال النبوي عليهم

بحسب ما وهبته لهم العناية الإلهية من القبول والاستعداد.
والطيب من الإنسان من تعزى من دنس الجهل والفسق وقبائح الأعمال
وتحلّى بالعلم والإيمان ومحاسن الأفعال.
والطاهر: من طهر من نجاسة الميلاد، وتنزّه عن درن المعاصي والفساد.
ورحمة الله تعالى: أنعامه وأفضاله.

وبركاته: خيراته النامية المتكاثرة التي لا تحصى ولا تحصر. وفيه: إقتباس من
قول الملائكة في سورة هود: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت» (١).
روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بقوم فسلم عليهم فقالوا: وعليك السلام
ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه فقال عليه السلام: لا تجاوزوا بنا ما قالت
الملائكة لأبينا إبراهيم عليه السلام: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد
مجيد (٢) والله أعلم.

هذا آخر الروضة الثانية والاربعين من رياض السالكين وقد وفق الله سبحانه
بمنه وكرمه، لا تمامها، وحسن ختامها ضحوة يوم الأربعاء لاثنتي عشرة خلون من
صفر سنة أربع ومائة وألف ولله الحمد كثيرا، والصلاة على نبيه وآله الذين أذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

(١) سورة هود: الآية ٧٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٥ - ٦ ص ١٨٠.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الروضة الثالثة والأربعون
مركز تحقيقات كميونير علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا نَظَرَ إِلَى هَذَا

أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمَطِيعُ الدَّائِبُ السَّارِعُ الْمُرْتَدُّ فِي مَنَازِلِ الْقَدِيرِ الْمَصْرِفِ
فِي فَلَكِ التَّنْذِيرِ أَمْنُكَ بِمَنْ تَوَكَّلْتُ الظُّلْمَ وَأَوْضَحَ بِكَ الْبُهْمَ
جَعَلْتَ آيَةً مِنْ آيَاتِ مُلْكِهِ وَعَلَامَةً مِنْ عَلَامَاتِ سُلْطَانِهِ أَمْتَهُ
بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ وَالطُّلُوعِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَنَارَةِ وَالْكَسُوفِ فِي
كُلِّ ذَلِكَ أَنْتَ لَهُ مُطِيعٌ وَإِلَى إِرَادَتِهِ سَرِيعٌ سُبْحَانَهُ مَا أَنْجَبَ مَا
دَبَّرَ فِي أَمْرِهِ وَالْطَّفَ مَا صَنَعَ فِي شَأْنِكَ جَعَلْتَ مِفْتَاحَ شَهْرِ
حَادِثٍ لِأَمْرِ حَادِثٍ فَاسْأَلُ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكَ وَخَالِقِي وَخَالِقَكَ
وَمُقَدِّرِي وَمُقَدِّرَكَ وَمُصَوِّرِي وَمُصَوِّرَكَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ
وَالِهِ وَأَنْ يَجْعَلَكَ هِلَالَ بَرَكَةٍ لَا تَنْحَطُّهَا إِلَّا بِأَيَّامٍ وَطَهَارَةٍ لَا تُلْغِيهَا
إِلَّا بِأَيَّامٍ هِلَالٍ آمِنٍ مِنَ الْآفَاتِ وَسَلَامَةٍ مِنَ الشَّيْثَانِ هِلَالٍ سَعْدٍ
لَا تَحْزَنُ فِيهِ وَبَيْنَ لَانْكَدَمَةٍ وَلَيْسَرٍ لَا يَمَازِجُهُ عُسْرٌ وَخَيْرٌ لَا
يَسُوُّهُ شَرٌّ هِلَالٍ آمِنٍ وَإِيمَانٍ وَرِعَةٍ وَإِحْسَانٍ وَسَلَامَةٍ وَإِسْلَامٍ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَرْضِهِ مَنْ طَلَعَ عَلَيْهِ وَأَزْكَى
مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ وَأَسْعَدَ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ وَوَفَّقْنَا فِيهِ لِلنُّوْبَةِ وَاعْظِمْنَا

فِيهِ مِنَ الْحَوْبَةِ وَاحْفَظْنَا مِنْ مُبَاسَرَةِ مَعْصِيَتِكَ وَأَوْزِعْنَا فِيهِ شُكْرَ
نِعْمَتِكَ وَالْإِسْنَافِ مِنْ جُحْنِ الْعَارِيَةِ وَأَثْمِمْ عَلَيْنَا بِإِسْتِكْمَالِ طَاعَتِكَ
فِيهِ الْمِثْلَةَ إِنَّكَ الْمَنَّانُ الْحَمِيدُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی



بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله الذي اطلع في افق السماء أهلة الشهور، وجعلها مواقيت للناس والحج
على مرّ الدهور والصلاة والسلام على نبيّه الذي هوفي جهات الأنبياء غرة ولأعين
الناظرين إلى هلال جبينه الشريف قرّة وعلى أهل بيته شمس الخلافة وبدور
الولاية وأقمار الإمامة ونجوم الهداية.

وبعد: فهذه الروضة الثالثة والأربعون من رياض السالّكين تتضمّن شرح
الدعاء الثالث والأربعين من صحيفة سيد العابدين سلام الله عليه وعلى آبائه وأبنائه
الهادين.

أملاء راجي فضل ربّه السني علي صدرالدين بن أحمد نظام الدين الحسيني
الحسيني أطلع الله هلال أمله في مطالع النجاح بدرأ وشرح له بالإيمان والأمان
صدرأ.

(١) «ألف»: وبه ثقتي.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

شرح الدعاء الثالث والأربعين

وكان من دعائه عليه السلام إذا نظر إلى الهلال.

الهلال: غرة القمر أو لليلتين أو إلى ثلاث أو إلى سبع، وليلتين من آخر الشهر ست وعشرين وسبع وفي غير ذلك قمر كذا في القاموس (١).
وقال الفارابي في ديوان الأدب وتبعه الجوهري في الصحاح، الهلال: لثلاث ليال من أول الشهر ثم هو قمر بعد ذلك (٢).
وقال الأزهري: يسمّى لليلتين من أول الشهر هلالاً، وفي ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين أيضاً هلالاً وما بين ذلك يسمّى قرأ (٣).
وقال بعضهم: الصحيح إنه مخصوص بأول يوم فإن خفي في الثاني وفي ما عدا ذلك يسمّى قرأ، فلو غطاه سحب أو نحوه فلم يظهر إلا بعد ذلك فهو قرولا يدعى هلالاً.

واختاره أبو حيان في الإرشاف (٤).

وقال العلامة الطبرسي «قلّس سرّه» في مجمع البيان قال بعضهم: يسمّى

(٣) تهذيب اللغة: ج ٥ ص ٣٦٦.

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٧٠.

(٤) لا يوجد لدينا كتابه.

(٢) ديوان الأدب: ج ٣ ص ٩٣، الصحاح: ج ٥ ص ١٨٥١.

هلالاً لليلتين من الشهر ثم لا يسمّى هلالاً إلى أن يعود في الشهر الثاني، وقال آخرون: يسمّى هلالاً ثلاث ليالٍ ثم يسمّى قرأً، وقال آخرون: يسمّى هلالاً حتى يتحجّر، وتحجّره أن يستدير بخط دقيق وهذا قول الأصمعي وقال بعضهم: يسمّى هلالاً حتى يهر ضوءه سواد الليل ثم يقال قر وهذا يكون في الليلة السابعة (١) إنتهى.

قال شيخنا البهائي طاب ثراه: لا يخفى أنّ قوله وهذا يكون في الليلة السابعة يخالف بظاهرة قول صاحب القاموس أو إلى سبع، ووجه التوفيق بينهما غير خفي (٢) إنتهى.

يريد أنّ وجه التوفيق بحمل عدم دخول ما بعد إلى من كلام صاحب القاموس في حكم ما قبلها.

قالوا: واشتقاق الهلال من الإهلال وهو رفع الصوت لرفع الناس أصواتهم بالتكبير، أو بذكره عند رؤيته، ومنه الإهلال في الذبيحة: وهو رفع الصوت بالتسمية، وأهل المحرم بالإحرام: رفع صوته بالتلبية وأهل المولد واستهل: إذا رفع صوته بالبكاء عند الولادة وكلّ من رفع صوته فقد أهلّ إهلالاً واستهلّ إستهلالاً بالبناء للفاعل فيها، وأهلّ الهلال بالبناء للمفعول وللفاعل أيضاً، ومنهم من يمنعه، واستهلّ بالبناء للمفعول، ومنهم من يجيز بناءه للفاعل.

وهلّ: من باب -ضرب- لغة أيضاً حكاها الثقة إذا ظهر، وأهللنا الهلال واستهللناه رفعنا الصوت برؤيته وجمعه أهلة، وأهاليل قيل. وإنما سمي بعد الهلال قرأً لأنه يقر ضوء الكواكب أي يغطيها، وقيل: سمي قرأً لبياضه، والآخر: الأبيض، ويتعلّق بالمقام مسائل لا بأس بالتعرّض لها.

الأولى: الدعاء عند رؤية الهلال سنة مأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله

وأوصيائه المعصومين عليهم السّلام، ولا ريب في إستحبابه بإجماع المسلمين.
وانفرد ابن أبي عقيل رحمه الله بالقول بوجوب قراءة هذا الدعاء عند رؤية هلال
شهر رمضان وهو: «الحمد لله الذي خلّقني وخلقك وقدر منازلك وجعلك مواقيت
للناس، اللَّهُمَّ أَهْلَهُ عَلَيْنَا إِهْلَالاً مَبَارَكاً، اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ عَلَيْنَا بِالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ
وَالْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تَحَبُّ وَتَرْضَى (١)».

قال شيخنا البهائي طاب ثراه: قول ابن أبي عقيل بوجوب ذلك لانعلم له فيه
موافقاً وكأنه وجد الأمر بهذا الدعاء في بعض الروايات فحمله على الوجوب كما هو
مقرّر في علم الأصول ولم يلتفت إلى تفرّده بين الأصحاب بهذا الحكم، وربّما حمل
قوله بالوجوب على إرادة تأكيد الإستحباب صوّناً له عن مخالفة الجمهور (٢).
وقال العلامة الحلّي قدس سرّه في المختلف: ولم يوجب أحد من أصحابنا ذلك
فإن كان مراده من الوجوب تأكيد الإستحباب فسلم، وإن أراد المعنى الحقيقي
فممنوع (٣).

الثانية: للدعاء عند رؤية الهلال آداب ينبغي مراعاتها حال قراءة الدعاء منها:
أن يكون قراءة الدعاء في المكان الذي رأى فيه الهلال كما يدلّ على ذلك
مارواه الصدوق رحمه الله في الفقيه (٤)، وشيخ الطائفة في التهذيب (٥) والمصباح عن
أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: إذا رأيت الهلال فلا تبرح وقل: اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ وَفَتْحَهُ وَنُورَهُ وَنَصْرَهُ وَبَرَكَتَهُ وَظَهْرَهُ وَرِزْقَهُ وَأَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِيهِ
وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، اللَّهُمَّ ادْخُلْهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ
وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْبَرَّةِ وَالتَّقْوَى وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تَحَبُّ وَتَرْضَى (٦).
فإنّ قوله عليه السّلام: لا تبرح: أي لا تنزل عن مكانك الذي رأيته فيه، يقال:

(١) مختلف الشيعة: ص ٢٣٦. (٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٠٠ ح ١٨٤٥.

(٢) الرسالة الهلالية للشيخ البهائي: ص ٢. (٥) تهذيب الاحكام: ج ٤ ص ١٩٧ ح ٥٦٤.

(٣) مختلف الشيعة: ص ٢٣٦. (٦) المصباح المتهجد: ص ٤٨٦ مع اختلاف يسير في العبارة.

برج يبرح من باب -تعب- براحاً: زال من مكانه، واحتمال أن المراد لا تؤخر وقل على الفور خلاف الظاهر.

ومنها: أن لا يشير إلى الهلال بيده ولا برأسه ولا بشيء من جوارحه كما تضمنته الرواية عن الصادق عليه السلام: إذا رأيت هلال شهر رمضان فلا تشر إليه ولكن استقبل القبلة وارفع يديك إلى الله عز وجل وخاطب الهلال وقل: ربّي وربك الله رب العالمين اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والمساواة إلى ما تحب وترضى، اللهم بارك لنا في شهرنا هذا وارزقنا عونه وخيره واصرف عنا ضره وشره وبلاءه وفتنته (١).

ولعلّ هذا الحكم مختص بشهر رمضان. وصرّح بعض العامة بكراهيته مطلقاً وعلّله بأنه من أفعال الجاهلية، وأما استقبال القبلة ورفع اليدين فلا خصوصية لهما (٢) بدعاء الهلال مطلقاً بل يعلمان كل دعاء بهي

ومنها: أن يخاطب الهلال بالدعاء كما تضمنته الرواية المذكورة، ولعلّ المراد مخاطبته بما يتعلّق به من الألفاظ نحو قوله عليه السلام: «ربّي وربك الله» وغير ذلك ممّا اشتملت عليه الأدعية المأثورة لرؤية الهلال كما كثر ألفاظ هذا الدعاء الذي نحن بصدد شرحه، ولا منافاة بين استقبال القبلة ومخاطبة الهلال في البلاد التي لا يمكن فيها استقبالها معاً لأنّ مخاطبة الهلال لا يستلزم استقباله إذ قد يخاطب الإنسان من استدبره، ويمكن القول باستقبال الداعي الهلال حال قراءة ما يتعلّق بخطابه من فصول الدعاء واستقبال القبلة فيما عدا ذلك.

الثالثة: قال شيخنا البهائي طاب ثراه: يمتدّ وقت قراءة الدعاء بامتداد وقت التسمية هلالاً والأولى عدم تأخيرها عن الليلة الأولى عملاً بالمتيقّن المتفق عليه لغة

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٠٠ ح ٢٨٤٦.

(٢) «ألف»: لها.

قال صلوات الله وسلامه عليه: أيها الخلق المطيع، الذائب السريع،
المرتد في منازل التقدير المتصرف في فلك التدبير.

وعرفاً فإن لم يتيسر فعن الليلة الثانية لقول أكثر أهل اللغة: بالامتداد إليها، فإن
فانت فعن الثالثة لقول كثير منهم: بأنها آخر لياليه، وأما إطلاق الهلال عليه إلى
السابعة فكأنه مجاز من قبل إطلاقه عليه في الليلة السادسة والعشرين والسابعة
والعشرين (١).

فلو نذر قراءة دعاء الهلال وغيره عند رؤيته وقلنا بالمجازية فيما فوق الثلاث لم
تجب عليه القراءة برؤيته فيما فوقها حملاً للمطلق على الحقيقة، وهل تشرع؟ الظاهر
نعم إن رآه في تتمّة السبع رعاية لجانب الاحتياط، أما فيما فوقها فلا لأنها تشرع،
ولو رآه يوم الثلاثين فلا وجوب على الظاهر لعدم تسميته حينئذ هلالاً، وما في
حسنة حماد بن عثمان عن الصادق عليه السلام، من إطلاق اسم الهلال عليه قبل
الغروب لعله مجاز إذ الأصل عدم النقل (٢) انتهى.

أي: اسم مبهم يتوصل به إلى نداء مافيه أهل لاستكراهم إجتماع آتي
تعريف صورة، وإن كان في إحديهما من الفائدة مالميس في الأخرى ففصلوا بينها
باسم مبهم يحتاج إلى ما يزيل إبهامه ليكون المنادى في الظاهر ذلك المبهم، وفي
الحقيقة ذلك المخصص الذي يزيل الإبهام ويعين الماهية، والتزموا بعدها هاء التنبيه
تنبيهاً على أن المنادى الحقيقي هو ما بعدها وإن كان في الظاهر تابعاً لها، ولذلك
إلتزم رفعه لأنه المقصود بالنداء، والمنادى المفرد لا ينصب.

قال أبوحيان في الارتشاف: التابع لأي في النداء وصف، وقيل: عطف
بيان، قال ابن السيد: وهو الظاهر (٣) انتهى.

وفي شرح الخلاصة لبدر الدين بن مالك إنه إن كان مشتقاً فهو نعت نحوياً أيها

(٣) لا يوجد لدينا كتابه.

(٢) الرسالة الهلالية: ص ٤.

(١) الرسالة الهلالية: ص ٢.

الفاضل وإلا فهو عطف بيان نحو يا أيها الرجل .
فإن قلت قد نقل صاحب القاموس جواز النصب في تابع أي، فقال: وأجيز
نصب صفة أي فتقول يا أيها الرجل أقبل (١)، فكيف ادّعت إلزام الرفع فيه؟
قلت: جواز النصب قول قال به المازني (٢) ولم يلتفت إليه أحد.
قال الزجاج: ولم يتقدمه أحد إلى ذلك ولا تابعه عليه أحد وهو مخالف لكلام
العرب (٣).

والخلق: في الأصل مصدر بمعنى التقدير وإبداع الشيء من غير أصل ولا
إحتذاء، ثم استعمل بمعنى المخلوق كاللفظ بمعنى الملفوظ.
ودأب في عمله دأباً من باب منع-، ودأباً بفتحيتين ودؤباً على فاعول بالضم:
جَدَّ واجتهد وتعب فهو دائب.
وقيل: الدؤب: (٤) دوام العمل على حالة مستمرة مطردة أخذاً من الدأب بمعنى
العادة المستمرة دائماً على حالة. قال تعالى: «وسخر لكم الشمس والقمر
دائبين» (٥)، أي مستمرين في سيرهما وإنارتها وسائر منافعها وخواصها على عادة
مطرودة دائمة.

والسرعة ضد البطؤ، يقال سرع سرعاً فهو سريع على وزن صغر صغراً فهو صغير،
وأسرع إنسراعاً فهو مسرع، وفرق سيويه بين سبرع وأسرع فقال: أسرع: طلب ذلك
من نفسه وتكلفه كأنه أسرع المشي أي عجله وأما سرع فكانتها غريزة (٦).
وعرف الحكماء السرعة بأنها كيفية قائمة بالحركة بها تقطع المسافة المساوية
لمسافة أخرى في زمان أقصر من زمانها أو مسافة أطول في الزمان المساوي أو الأقصر

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٠٢.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٣٣.

(٦) لم نعر عليه.

(٢) خزنة الأدب: ج ١ ص ١٥٠.

(٣) خزنة الأدب: ج ٢ ص ١٥٠.

(٤) «ألف»: الدوب.

والسرعة والبطؤ في شيء واحد بالذات وهو كيفية واحدة قابلة للشدة والضعف، وإنما يختلفان بالإضافة العارضة لهما، فما هو سرعة بالقياس إلى شيء هو بعينه بطؤ بالقياس إلى آخر، ووصفه عليه السّلام القمر بالسرعة إشارة إلى سرعة حركته العرضية التي تكون بتوسط فلك تدويره فإنه أسرع من سائر الكواكب حركة بهذا الاعتبار، أما الثوابت فظاهر لكون حركتها من أبطأ الحركات حتى أنّ القدماء لم يدركوها فقليل: إنها تتمّ الدورة في ثلاثين ألف سنة، وقيل: في ستة وثلاثين ألف سنة، وأما السيارات فلأنّ زحل يتمّ الدورة في ثلاثين سنة، والمشتري في اثنتي عشرة سنة، والمريخ في سنة وعشرة أشهر ونصف شهر، وكلاً من الشمس والزهرة وعطارد في قريب سنة، وأما القمر فيتمّ الدورة في نحو من ثمانية وعشرين يوماً فكان أسرعها حركة، وأما حركته الذاتية وإن قال: بها جم غفير من أساطين الحكماء حيث أثبتوا لجميع الكواكب حركة ذاتية تدور بها على أنفسها فهي على تقدير ثبوتها غير محسوسة ولا معروفة، فحمل وصف القمر بالسرعة على هذه الحركة بعيد، نعم لا يبعد حمله على حركته المحسوسة على أنها ذاتية له كما ذهب إليه بعضهم من جواز كون بعض حركات السيارات في أفلاكها من قبيل حركة السابح في الماء، ويؤيده ظاهر قوله تعالى: «والشمس والقمر كلٌّ في فلكٍ يسبحون» (١)، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «المرتدّد في منازل التقدير» يقال: تردّدت إلى فلان: أي رجعت إليه مرة بعد أخرى وتردّدت في الطريق إذا سرت فيها مرة بعد أخرى.

والمراد بمنازل التقدير: منازل القمر التي قدرت له أي جعلت له على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسب ما اقتضته الحكمة وهي المشار إليها بقوله تعالى: «والقمر قدرناه منازلٍ حتى عاد كالعرجون القديم» (١) وقوله تعالى: «هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نورا وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب» (٣)،

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٣. (٢) سورة يس: الآية ٣٩. (٣) سورة يونس: الآية ٥.

أي قدرنا مسيره منازل، أو قدرناه دا منازل وكذلك قوله: «وقدره منازل» (١). قال العلامة النيسابوري: ومنزل القمر هي المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون وهي: الشرطان والبطين والثريا والدبران والمقعة (٢) والذراع والنثرة والطرف والجهة والزبرة والصرفة والعوا والسماك والغفر والزبانا والإكليل والقلب والشوالة والنعام والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود وسعد الأخبية، والفرع المقدم، والفرع المؤخر، والرشاء، وهي كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فيرى القمر كل ليلة نازلاً بقرب واحد منها وذلك إنهم قسموا دور الفلك وهو اثنا عشر برجاً على ثمانية وعشرين منزلاً أيام دور القمر فأصاب كل برج منزلان وثلث، فسموا كل منزل بالعلامة التي وقعت وقت التسمية بخدائه (٣) إنتهى.

والمراد بتردد القمر في هذه المنازل تكرر سيره فيها بحركته الخاصة به، ففي على معناها الأصلي من الظرفية ولا داعي إلى جعلها بمعنى إلى لعود القمر إليها في الشهر اللاحق بعد قطعه إياها في السابق، كما وقع في الحديقة الهلالية فان التردد إنما يعدى بإلى إذا كان المتردد إليه هو المقصود بالتردد كما يقال: ترددت إلى مجالس العلم وترددت إلى فلان، وأما منازل السفر والمراحل والمسافات فإنها ترددت فيها لا ترددت إليها كما يشهد به موارد الاستعمال.

تنبيه

ليس سير القمر في هذه المنازل على وتيرة واحدة بل قد يسرع تارة ويبطئ أخرى، فإذا أسرع فربما تخطا منزلاً في الوسط وإذا أبطأ فقد يبقى ليلتين في منزل

(٢) «ألف»: والمقعة.

(١) سورة يونس: الآية ٥.

(٣) تفسير النيسابوري: ج ٢ ص ٢٨٧ تفسير رغائب القرآن وغرائب الفرقان: ج ٢ ص ٢٨٧.

واحد وقد يرى في بعض الليالي بين منزلتين، فما وقع في الكشف (١) وتفسيري القاضى (٢) والعمادي من أنه ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه (٣) ليس كذلك .

قوله عليه السلام: «المتصرف في فلك التدبير». الفلك بفتحيتين: مدار النجوم، سمي بذلك تشبيها بفلكة المغزل لدورانه.

قال جلدنا العلامة السيد غياث الدين منصور «قدس سره»: المستفاد من أرباب الأرصاد الروحانيات والنبوات والأنبياء وأعظم الحكماء إن الأفلاك تسعة لا غير وهي منحصرة في سبع سماوات وكروسي وعرش (٤).

وقال الشيخ الجليل ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة: الشرع والبرهان تطابقا على أن الأفلاك تسعة بعضها فوق بعض فمنها سبع سماوات ثم الكرسي والعرش بعبارة الناموس الإلهي، قالوا: وهي أجسام كرويات متسعات مجوفات مركبة بعضها في جوف بعض وأكثرها يشتمل على الكواكب وهي أجرام نورانية مستديرة مصمتة مركوزة في أجرام الأفلاك ، فأول الأفلاك مما يلينا ليس فيه من الكواكب إلا القمر، ويسمى فلك القمر (٥).

والسما الدنيا وهو محيط بالهواء من جميع الجهات كإحاطة قشر البيضة ببياضها، والأرض في جوف الهواء كمنحة البيضة في بياضها، ومن وراء فلك القمر فلك عطارد وليس فيه من الكواكب غيره، ومن وراء فلك عطارد فلك الزهرة وليس فيه من الكواكب غيرها، ومن وراء فلك الزهرة فلك الشمس وليس فيه غيرها، ومن وراء فلك الشمس فلك المريخ وليس فيه غيره، ومن وراء فلك المريخ

(٤) لم نعر عليه.

(١) تفسير الكشف: ج ٤ ص ١٦.

(٢) انوار التنزيل واسرار التأويل: ج ٢ ص ٢٨١. (٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ١ ص ١٥٠.

(٣) تفسير أبي السعود: ج ٧ ص ١٦٧.

فلك زحل وليس فيه غيره، وهذه السبعة الكواكب يقال لها السيارة ومن وراء فلك زحل فلك الكواكب الثابتة وهو يشتمل على ماسوى السبعة المذكورة من الكواكب ويسمى فلك البروج، وفلك الثوابت لكونه مكاناً لها ولتسميتهم كواكبه بالثوابت إما لبطؤ حركتها فلا تحس، وإما لثبات أوضاع بعضها من بعض فإننا نجد دائماً وضعاً (١) معيناً ثابتاً بين النسر الطائر والنسر الواقع ويسمى في الشرع بالكروسي، ومن ورائه الفلك المحيط لإحاطته بجميع الأفلاك ويسمى فلك الأفلاك، والفلك الأعظم والفلك الأطلس لأنه غير مكوكب إما لخلوه من الكواكب أو لعدم إدراكنا لما فيه منها إن كان وهو المسمى بالعرش المجيد في لسان الشرع، وهذا الفلك دائم الدوران كالدولاب يدور من المشرق إلى المغرب فوق الأرض ومن المغرب إلى المشرق تحت الأرض في كل يوم وليلة دورة واحدة ويدير سائر الأفلاك والكواكب معه كما قال عز اسمه «وكل في فلك يسبحون» (٢)، وسائر الأفلاك يدور كل منها بحركته المختصة به من المغرب إلى المشرق فوق الأرض، ومن المشرق إلى المغرب تحت الأرض بدليل إن الهلال يُرى في الليلة الأولى في مكان وفي الثانية ينتقل إلى مكان آخر أخذاً إلى جهة الشرق وهكذا إلى آخر الشهر حتى يتم بفلكه الدورة وهي أن يعود إلى النقطة التي كان عليها أولاً فكان لكل فلك من الأفلاك الثمانية دورتان ذاتية وهي التي من المغرب إلى المشرق وقسرية وهي التي من المشرق إلى المغرب وشبهوا ذلك بنملة على رحي، فالرحى تسعى إلى جهة اليمين مثلاً والنملة إلى جهة اليسار فللنملة حركتان ذاتية وقسرية وإنما سُميت هذه الحركة العظمى قسرية لأنها تقسّر الأفلاك وتدور بها إلى غير جهة حركتها الذاتية عكساً، وهذه الحركة هي التي ترى بها الشمس كل يوم في شروق وغروب وإلا ففلكها لا يتم الدورة إلا في قريب من سنة كما تقدّم.

(١) «ألف»: وصفاً.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٣.

إذا عرفت ذلك فالمراد بفلك التدبير في عبارة الدعاء فلك القمر الذي هو أول الأفلاك ممّا يلينا وأقربها من عالم العناصر، وإنّا عبر عنه بفلك التدبير إمّا لتدبير بعض مصالح عالم الكون والفساد به كما ذكره بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: «فالمدبرات أمراً» (١)، إنّ المراد بها الأفلاك يقع فيها أمر الله فيجري بها القضاء (٢) فتكون الإضافة فيه من باب إضافة الفاعل إلى الفعل، وأمّا لأنّ ملائكة سماء الدنيا يدبّرون أمر العالم السفلي فيه أو إنّ كلا من السيارات السبع تدبّر في فلكها أمراً هي مسخرة له بأمر خالقها ومبدعها كما ذكره جماعة من المفسرين في قوله تعالى: «فالمدبرات أمراً»، فالإضافة فيه من قبيل إضافة الظرف إلى المظروف كقولهم: مجلس الحكم ودار القضاء أي الفلك الذي هو مكان التدبير ومحلّه.

قال الحكماء: ولما كان القمر وفلكه أقرب الكواكب والأفلاك إلى العالم السفلي كان القمر هو متولي تدبير عالم الكون والفساد، ولا يبعد أن يكون المراد بفلك التدبير الفلك الذي يدبّره الفلك بنفسه نظراً إلى ما ذهب إليه طائفة من أنّ كل فلك جسد لكوكبه وهو المدبر لجميع ما فيه بالمشية الإلهية كما أنّ النفس تدبّر الجسد.

قال جدنا العلامة السيد غياث الدين منصور قدّس سرّه العزيز: الذي يستفاد ممّا أفاده القدماء من الحكماء أنّ كل فلك كلّ شخص واحد فكلّ من الكليات التي للسيارات السبع شخص له قلب هو كوكبه، وأعضاء هي أفلاكه الجزئية، وبّدن هو الفلك الكلّي، والنفس الفلكية تتعلّق أولاً بالقلب الذي هو الكوكب (٣) ثمّ بغيره من الأعضاء وهذا كالشخص الإنساني فإنّ نفسه أولاً تتعلّق بروحه الحيواني الذي في القلب، ثمّ بسائر أعضائه والإرادة النفسية في الكوكب (٤)

(٣) و (٤) «ألف»: الكواكب.

(١) سورة النازعات: الآية ٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠، ص ٤٣٠.

فالنفس بالإرادة الكوكبية تحرك البدن وسائر الأعضاء على ما شاء وأراد كما أن كل إنسان وحيوان يحرك بدنه وأعضائه على ما أراد إنتهى .
وعلى هذا فاثبات التصرف للقمر في الفلك ظاهر .
وقال بعض المتأخرين: المراد بتصرفه في فلك التدبير دورانه فيه شبه تدبيره تعالى بالفلك وعبر عن دوران القمر على وفق التدبير بتصرفه في الفلك إنتهى وهو كما تراه .

تنبيه

قال العلامة البهائي قدس الله سره: خطابه عليه السلام للقمر وندائه له ووصفه إياه بالطاعة والجلد والتعب والتردد في المنازل والتصرف في الفلك ربما يعطي بظاهره كونه ذا حياة وإدراك ولا يستبعد في ذلك نظراً إلى قدرة الله تعالى إلا أنه لم يثبت بدليل عقلي قاطع يشفي العليل، أو نقلي ساطع لا يقبل التأويل، نعم أمثال هذه الظواهر ربما أشعر به، وقد يستند في ذلك بظاهر قوله تعالى: «والشمس والقمر كل في فلك يسبحون» (١)، فإن الواو والنون لا يستعمل حقيقة لغير العقلاء، وقد أطبق الطبيعيون على أن الأفلاك بأجمعها حية ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها وأكثرهم على أن غرضها من حركاتها نيل التشبه بجنابه والتقرب إليه جل شأنه، وبعضهم على أن حركاتها لورود الشوارق القدسية عليها آناً فآناً، فهي من قبيل هزة الطرب والرقص الحاصل من شدة السرور والفرح، وذهب جم غفير منهم إلى أنه لاميت في شيء من الكواكب أيضاً حتى أثبتوا لكل واحد منها نفساً على حده تحركه حركة مستديرة على نفسه وابن سينا مال في الشفاء إلى هذا القول، ورجحه وحكم به في النقط السادس من الإشارات، ولو قال: به قائل لم يكن مجازفاً، وكلام

ابن سينا وأمثاله وإن لم يكن حجة يركن إليها الديانيون في أمثال هذه المطالب إلا أنه يصلح للتأييد ولم يرد في الشريعة المطهرة على الصادع بها وآله أفضل الصلوات واكمل التسليمات ما ينافي ذلك القول، ولا قام دليل عقلي على بطلانه وإذا جاز أن يكون لمثل البعوضة والنملة فمادونها حياة فأى مانع من أن يكون لتلك الأجرام الشريفة أيضاً حياة.

وقد ذهب جماعة إلى أن لجميع الأشياء نفوساً مجردة ونطقاً وجعلوا قوله تعالى: «وإن من شيء إلا يسبح بحمده» محمولاً على ظاهره، وليس غيرضنا من هذا الكلام ترجيح القول بحياة الأفلاك بل كسر سورة إستبعاد المصرين على إنكاره ورده وتسكين صولة المشتعين على من قال به أو جوزه والله الهادي إنتهى كلامه رفع مقامه (١).

وقد يتعقب ذلك بما ذكره السيد المرتضى عليه السلام الهدى «قدس سره» في بعض مسائله ونقشه: أقوى شيء في نفي كون الفلك وما فيه من شمس وقمر وكواكب (٢) أحياء السمع والإجماع، فإنه لاخلاف بين المسلمين في إرتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب، وأنها مسخرة مدبرة مصرفة، وذلك معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرورة (٣) إنتهى.

وذكر نحو ذلك في ملحقات الغرر والذرر أيضاً، وللبحث في دعوى الإجماع والعلم بذلك من الشريعة ضرورة مجال، وعلى القول بذلك: فخطاب القمر ونداؤه ووصفه بما ذكر تنزيل له منزلة العالم لاعتبار مناسب وهو في كلام البلغاء غير قليل والله أعلم.

(١) الرسالة الهلالية: ص ٨.

(٢) «ألف»: كوكب.

(٣) أمالي المرتضى: ج ٢ ص ٣٨٥.

آمنتُ بمن نور بك الظلم، وأوضح بك البهم، وجعلك آيةً من آيات ملكه، وعلامةً من علامات سلطانه، وامتهنك بالزيادة والتقصان، والطلوع والأفول، والإل نارة والكسوف، في كل ذلك أنت له مطيع، وإلى إرادته سريع.

المراد بالإيمان هنا: إذعان النفس على سبيل التصديق، وهو معناه اللغوي، وقد تقدم الكلام على ذكر الاختلاف في حقيقة الإيمان وتحقيق الحق فيه فيما سبق. والنور: كيفية تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سائر المبصرات، فهو عرض قائم بالجسم ويرادفها الضوء لغة وفرق بينها الحكماء بأن تلك الكيفية إن كانت للشيء من ذاته فهي الضوء كما للشمس، وإن كانت له من غيره فهي النور كما للقمر وعليه جرى قوله تعالى: «جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً» (١).

والظلم: جمع ظلمة وهي عدم الضوء عما من شأنه أن يكون مضيئاً، فالتقابل بين النور والظلمة تقابل العدم والملكة، ومنهم من زعم أن الضوء أجسام شفاة منفصلة عن المضيئ متصلة بالمستضيئ، وزعم بعضهم أن الظلمة كيفية وجودية مانعة من الإبصار، والأول أصح وهو الذي عليه الجمهور.

و«الباء» من قوله: «نور بك الظلم» للسببية أو للآلة ومعنى تنوير الظلم به على قول الجمهور من كون النور عرضاً جعلها متصفة بالنور كما تقول بيضت الشيء وسودته أي صيرته متصفاً بالبياض والسود، وعلى القول بأنه جسم جعلها ذات نور كما تقول لبنته وتمرته أي صيرته ذالبن وتمر، وعلى القول بأن الظلمة كيفية وجودية إعدام الظلم وإحداث الضوء في محالها، ثم المراد بالظلم المنورة على القولين الأولين إما الأهوية المظلمة بناء على ما هو الحق من تكيف الهواء بالنور واستضاءته به، وأما الأجسام المظلمة سوى الهواء لا حقيقة الظلم التي هي عدم النور فإن العدم لا يتصف بالنور.

واللام في الظلم: للإستغراق العرفي، أي الظلم المتعارف، وتنويرها بالقمر نحو جمع الأمير الصاغة أي صاغة بلده أو مملكته، ويجوز أن تكون للعهد الخارجي. واليهيم: جمع بهمة بالضم كظلمة وظلم، وهي ما يصعب إدراكه على الحاسة إن كان محسوساً وعلى الفهم إن كان معقولاً. والآية: العلامة الظاهرة.

وملكه وسلطانه تعالى: عبارة عن إستيلائه القاهر وغلبته التامة، وقدرته على التصرف الكلّي في الأمور العامة بالأمر والنهي، والتكثير في آية وعلامة إماما للتعظيم أو للتوعية كما قالوه في قوله تعالى: «وعلى أبصارهم غشاوة» (١)، واحتمال التحقير ينبؤ عنه المقام ويتجافى عنه مساق الكلام. والإمتنان: إفتعال من المهن، يقال: مهن مهناً من بابي - قتل - و - تفع - : خدم غيره فهو ماهن، والمهنة بالفتح أنخص من المهن مثل الضربة والضرب، وقيل: المهنة بالكسر لغة، وأنكرها الأصمعي وقال: الكلام الفتح، وامتهنته إمتناناً إستخدمته وامتهنته أيضاً إبتذلته أي إستعملته في الخدمة.

والمراد بالزيادة والنقصان: زيادة نور القمر ونقصانه بحسب ما يظهر للحس من المستنير بنور الشمس من جرمه في الأشكال الهلالية والبدرية لا أن الزيادة والنقصان حاصلان له في الواقع وبحسب نفس الأمر لأن الأزيد من نصفه منير دائماً كما بين في محله.

قال شيخنا البهائي: وربما تراءى لبعض الأفهام من ظاهر قوله عليه السلام: «وامتهنك بالزيادة والنقصان»، إن زيادة نور القمر ونقصانه المحسوسين واقعان بحسب الحقيقة وحاصلان في نفس الأمر كما هو معتقد كثير من الناس، وهذا وإن كان ممكناً نظراً إلى قدرة الله تعالى على أن يحدث في جرمه أول الشهر شيئاً يسيراً

من النور ويزيده على التدرج إلى أن يصير بدرأ ثم يسليه عنه شيئاً فشيئاً إلى المحاق
إلا أن حل كلامه عليه السلام على ماهو المتفق عليه بين أساطين علماء الهيئة الذين
إقتبسوا هذا العلم من أصحاب الوحي سلام الله عليهم كشيث وإدريس
عليهما السلام أليق وأولى (١) إنتهى ملخصاً.

إيضاح

قال علماء الهيئة: القمر جرم كروي مظلم في نفسه كثيف صقيل كالمرآة يقبل
الضوء لكثافته وينعكس عنه لصقالاته، فنوره (٢) مستفاد من الشمس بمحاذاته لها
كالمرآة المصقولة إذا حاذتها الشمس، ولما كانت الشمس أعظم منه كما بين في
مقادير الأجرام من أن الشمس ستة آلاف وستمئة وأربعة وأربعون مثلاً للقمر
ونصف بالتقريب كان الأكثر من نصفه مستتيراً بضوئها دائماً، والأقل من نصفه
مظلماً دائماً لما بينته صاحب كتاب جرمي النيرين من أنه إذا قيل: الضوء كرة صغرى
من كرة عظمى كان المضي منها أعظم من نصفها فاذا سامت القمر الشمس
وقارنها كان نصفه المستتير بضياؤها مقابلاً لها ونصفه المظلم ممّا يلينا فلا نرى نوره،
وهذه الحالة تسمى بالمحاق، فإذا بعد عنها بقدر مسيره اليومي وهو اثنتا عشرة درجة
أو أقل أو أكثر بحسب اختلاف أوضاع المساكن كما ذكره أصحاب الزيجات ترى
من وجهه المستتير هلالاً ويزداد نوره كل يوم إلى أن يحصل في المقابلة فنراه تامّ النور
ويسمى حينئذٍ بدرأ، وإذا انصرف عن المقابلة انتقص نوره على تلك النسبة إلى أن
يعود المحاق عند الاجتماع (٣)، وبيان ذلك بأكثر من هذا يؤخذ من محله.

(١) الرسالة الهلالية: ص ١٢.

(٢) «ألف»: فنوره ابدأ مستفاد.

(٣) أي جرمي النيرين.

تنبيه

لا يقال يرد على عبارة الدعاء أنَّ الإمتهان للقمر إنما يكون بحصول نقصان نوره وأما حصول زيادة النور فلا إمتهان به، ألا ترى أنَّ الطبيعيين قالوا: أنَّ القمر إذا كسته الشمس ضوءها وجعلته شبيهاً لها في الضوء والتمام كان كالرجل الذي يرفعه الملك ويشرفه ويعلي قدره ومنزلته وإذا إرتجعت منه ضوءها وأعادته إلى حاله من الكمودة والظلمة كان كالوزير العظيم القدر يحط عن شرفه ورئاسته ويصير إلى الذل والهوان، فالإمتهان إنما هو بالنقصان لا بالزيادة.

لأننا نقول: الإمتهان يكون بمجموع الزيادة والنقصان باعتبار تغييره من حال إلى حال، وعدم بقائه على شكل واحد على أنَّ تسخيرته لأن يتحرك على النهج الخاص الذي لا يزيد به المنير منه في كل ليلة إلا شيئاً يسيراً لا يستطيع أن يتخطاه ولا يقدر على أن يتعداه إمتهاناً له.

قيل: ويمكن أن يكون المراد بالزيادة والنقصان: تفاوت أجزائه في النور وهو بعيد.

وطلوع الكوكب: ظهوره فوق الأفق من تحت شعاع الشمس وأفوله: غروبه تحته.

وكسفت الشمس من باب -ضرب- كسوفاً وكذلك القمر قاله ابن فارس والأزهري، وقال ابن القوطية أيضاً كسف القمر والشمس والوجه: تغيرت (١). وقال تغلب: أجود الكلام خسف القمر، وكسفت الشمس (٢). وقال بعضهم: إذا ذهب بعض النور فهو الكسوف وإذا ذهب كله فهو الخسوف.

وقال النووي في تهذيب اللغات: يقال: خسف القمر وخسفت الشمس، وكسف وكسفت وانخسف وانخسفت وانكسف وانكسفت وخسفا وكسفا كلهما لغات صحيحة (١) إنتهى.

قال في الحديقة الهلالية: فإن صح ما قيل: إن الأحسن خسف القمر وكسفت الشمس فلعله عليه السلام أراد بالكسوف زوال الضوء المشترك بين الشمس والقمر لا المختص بالقمر وهو الخسوف ليكون خلاف الأحسن إنما هو اطلاق الكسوف على الخسوف لأعلى الأمر الشامل له ولغيره، ولا يخفى إن إمتحان القمر حاصل بسبب كسف الشمس أيضاً فإنه هو الساتر لها، ولما كان شمول الكسوف للخسوف أشهر من العكس إختاره عليه السلام (٢) إنتهى. وفيه نظر يظهر مما سنذكره في التنبيه الآتي.

مركز تحقيق كويت علوم إسلامي

إيضاح

قال علماء الهيئة: خسوف القمر وكسوفه هو عدم إنارته ما يلينا من كرة البخار في الوقت الذي من شأنه أن يضيئ فيه لوقوعه في ظل الأرض لمقاطرتها النيران أعني كونها معها (٣) في قطر واحد من أقطار العالم تحقيقاً أو تقريباً وكونها جسماً كثيفاً حاجباً لنور الشمس، ولهذا لا يقع عليه أو على بعضه حينئذ شيء من شعاعها وقوعاً أولياً فيظلم لكونه غير مضيئ من ذاته كما تقدم وهو خسوفه وكسوفه، وأما كسوف الشمس فهو عدم إضاءتها ما يلينا من كرة البخار في الوقت الذي من شأنها أن تضيئ فيه لتوسط القمر بينها وبين البصر أعني وقوعه على الخط الخارج من البصر إليها وحجب نورها عن الأبصار لكثافته وقطعه السموت (٤) المستقيمة التي بين البصر والشمس وهو كسوفها، هذا مجمل ما قالوه وتفصيله يؤخذ من مظانه.

(٣) «ألف»: معها في قطر.

(١) تهذيب الأسماء واللغات: القسم الثاني، ج ١ ص ٩٠.

(٤) «ألف»: السموات.

(٢) الحديقة الهلالية: ص ٩.

سُبْحَانَهُ مَا أَعْجَبَ مَا دَبَّرَ فِي أَمْرِكَ، وَالْطَفَ مَا صَنَعَ فِي شَأْنِكَ، جَعَلَكَ

تنبيه

وجه إمتحان القمر بالإنارة ما ذكرناه في توجيه إمتحانه بزيادة النور. وقال العلامة البهائي «قدس سرّه»: ويمكن أن يوجه إمتحانه بالإنارة بوجه آخر وهو أن يراد بها إعطاؤه النور للمغير كوجه الأرض مثلاً لا إتصافه هو بالنور، فإنَّ الإنارة والاضاءة كما جاء في اللغة لازمين فقد جاءا متعدّين وحينئذٍ ينبغي أن يراد بالكسوف كسفه للشمس لتتمَّ المقابلة ويصير المعنى إمتحانك بأن تفيض النور على الغير تارة وتسلبه عنه أخرى (١) إنتهى.

قلت: في قوله ينبغي أن يُراد بالكسوف كسفه للشمس نظر فإنَّ كسف وإن ورد متعدّياً كما ورد لازماً إلا أن الكسوف مصدر لازم لا المتعدي ومصدر المتعدي إنّما هو الكسف لا الكسوف كما نصّ عليه الفيومي في المصباح حيث قال: كسفت الشمس من باب -ضرب- كسوفاً وكذلك القمر، وكسفها الله كسفاً من باب -ضرب- أيضاً، والمصدر فارق (٢). فجعل الكسوف على هذا مصدراً متعدّياً غير صحيح فينبغي أن يراد بالإنارة إتصافه بالنور، لا إنارته غيره لتتمَّ المقابلة فلا يتّجه الوجه الذي ذكره فيتعيّن التوجيه الأول فقط والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «في كلّ ذلك أنت له مطيع وإلى إرادته سريع»: تقرير لإنقياده وطاعته للمشيئة والإرادة الإلهية، وإيثار الجملة الإسميّة للأشعار بدوام الطاعة واستمرار سرعة الإنقياد وتقديم الظرف في الفقرتين للإهتمام ورعاية التقفية.

سبحان: قيل اسم مصدر كعثمان، وقيل: مصدر كغفران بمعنى التنزيه، وقد استوفينا الكلام عليه في الروضة الثالثة.

قال بعض الأعلام: التنزيه المستفاد من سبحان الله ثلاثة أنواع:

(١) الرسالة الهلالية: ص ١٣ - ١٤.

(٢) المصباح المنير: ص ٧٣٢.

مفتاح شهر، حادث لأمر حادث، فأستل الله ربّي وربك، وخالقي
وخالقك، ومقدري ومقدرك، ومصوري ومصورك، أن يصلي علي محمد
وآل محمد وأن يجعلك هلال بركة لا تمحقها الأيام، وطهارة لا تدنسها
الآثام، هلال أمن من الآفات وسلامة من السيئات، هلال سعيد لا نحس
فيه، ويمن لانكد معه، ويسر لا يمازجه عسر، وخير لا يشوبه شر، هلال أمن
وإيمان، ونعمة وإحسان وسلامة وإسلام.

تنزيه الذات عن نقص الإمكان الذي هو منبع السوء، وتنزيه الصفات عن
وصمة الحدوث بل عن كونها مغايرة للذات المقدسة وزائدة عليها، وتنزيه الأفعال
عن القبح والعبث وكونها جالبة إليه نفعاً أو دافعة عنه ضرراً كأفعال العباد (١) إنتهى.
والقصد به هنا: التعجب، من عجب صنعه تعالى وإفادته التعجب مربيانه في
الروضة الثالثة عشرة.

مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية

وما أعجب: صيغة تعجب وقد أجمعوا على أن ما فيها إسم لأن في أعجب ضميراً
يعود عليها، والضمير لا يعود إلا على الأسماء وعلى أنها مبتدأ لأنها مجردة عن العوامل
اللفظية للإسناد إليها، وماروي عن الكسائي من أنها لا موضع لها من الإعراب (٢)،
فشاذ لا يقدح في الإجماع، ثم قال سيبويه وجهور البصريين: هي نكرة تامة (٣) بمعنى
شيء وابتداء بها لتضمنتها معنى التعجب وما بعدها خبر فوضعه رفع.
وقال الأخفش: هي معرفة ناقصة بمعنى الذي وما بعدها صلة لها فلا محل له، أو
نكرة ناقصة بمعنى شيء وما بعدها صفة لها فحلّه رفع وعليها فالخبر محذوف وجوباً
أي الذي أو شيء صير (٤).

«مادبر في أمرك»، عجباً شيء عظيم، ورد بأن فيه إلزام حذف الخبر دون

(١) تفسير القرآن لصدر الدين: ص ١٢١-١٣٠. (٣) شرح ابن عقيل: ج ٢ ص ١٤٨.

(٢) نقله محمد محي الدين في حاشيته على أوضح المسالك: ج ٣ ص ٢٥١. (٤) مغني اللبيب: ص ٣٩٢.

شيء يسد مسده ولا نظير له.

وقال الفراء وابن السراج وابن درستويه: ما: استفهامية وما بعدها الخبر (١) ونقله ابن مالك في شرح التسهيل (٢) عن الكوفيين وهو موافق لقولهم باسمية أفعل فإن الإستفهام المشوب بالتعجب لا يليه إلا الأسماء نحو «ما أصحاب اليمين» وأما أفعل فقال البصريون والكسائي وهشام هو فعل للزومه مع ياء المتكلم نون الوقاية نحو ما أفقرني إلى رحمة الله ففتحته بناءً كالفتحة في زيد ضرب عمرأ، وما بعده مفعول به، وقال سائر الكوفيين: هو اسم لقول العرب: ما أحسينه وما أميلحه، والتصغير من خصائص الأسماء وأجيب بأنه شاذ، وعلى القول بالاسمية ففتحته إعراب كالفتحة في زيد عندك وذلك لأن مخالفة الخبر للمبتدأ مقتض عندهم نصبه وأفعل إنما هو في المعنى وصف للمتعجب منه لا ضمير ما، والمتعجب منه عندهم مشبه بالمفعول به ولأن ناصبه وصف قاصر فاشبه قولك زيد حسن الوجه بالنصب.

وما من قوله «ما دبّر» موصولة العائد محذوف والتقدير مادبّره في أمرك، ودبّرت الأمر تدبيراً: فعلته عن فكرة وروية وهو هنا مستعار لتقديره سبحانه على حسب إرادته لتنزهه تعالى عن الفكرة والرؤية.

قال العلامة الطبرسي في قوله تعالى: «يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض» (٣)، أي يدبّر الأمور كلها ويقدرها على حسب إرادته فيما بين السماء والأرض (٤). واللفظ هنا: عبارة عن دقة ما في شأنه من المصالح والحكم التي لا تدركها العقول والأفهام.

والأمر والشأن مترادفان وقد يراد بالأمر الإبداع.

قال الراغب: الأمر لفظ عام للأفعال والأقوال كلها، وعلى ذلك قوله تعالى:

(١) شرح الكافية في النحو ج ٢ ص ٣١٠.

(٣) السجدة: الآية ٥.

(٢) لم نتحققه.

(٤) مجمع البيان: ج ٧ - ٨ ص ٣٢٦.

«إليه يرجع الأمر كله» ويقال: للإبداع أمر، نحو: (ألا له الخلق والأمر)، وعلى ذلك حمل الحكماء قوله تعالى: «قل الروح من أمر ربي» أي هو من إبداعه ويختص ذلك بالله دون الخلائق (١) إنتهى.

وجمله على هذا المعنى هنا صحيح فيكون من باب الإضافة الى المفعول. قوله عليه السلام: «جعلك مفتاح شهر حادث» فصل الجملة عما قبلها للاختلاف إنشاء وخبراً مع كون السابقة لا محل لها من الإعراب. والشهر: العدد المعروف من الأيام ما بين الهلالين قيل: هو معرب، وقيل: عربي مأخوذ من الشهرة وهي الظهور والانتشار، وقيل: الشهر: الهلال، وقيل: القمر، سمي به لشهرته ووضوحه، ثم سميّت الأيام به وجمعه شهور وأشهر، شبه الشهر بالبيت المقفل ثم طوى ذكر المشبه به على طريق الاستعارة بالكناية، وأثبت له المفتاح على طريق الاستعارة التخيلية، وفي تشبيه الهلال بالمفتاح من اللطف ما لا يخفى.

وحدث الشيء حدوثاً من باب -قعد- تجدد وجوده فهو حادث. و«اللام» من قوله: «لأمر حادث» تعليلية متعلقة بحادث السابق أي إن حدوث ذلك الشهر لأجل إمضاء أمر حادث متجدد ويجوز تعلّقها بجعل وتنكير أمر للإيهام وعدم التعيين أي أمر منهم علينا حاله لانعلمه. و«الفاء» في «فاسأل الله» للدلالة على ترتّب (٢) السؤال على ما قبلها، أي بسبب كون ذلك الأمر الحادث مبهماً «اسأل الله أن يجعلك هلال بركة وأمن وسلامة» ونحو ذلك ولا مانع من جعلها فصيحة، أي إذا كان الأمر كذلك فسأل الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتعيين المبدع المسخر له بالذات أثر تعيينه بالصفات وللإشعار بتعليل الحكم فإن سؤال جعله هلال بركة وطهارة وأمن

(١) المفردات: ص ٢٤ مع التقديم والتأخير.

(٢) «ألف»: ترتيب.

وسلامة إلى غير ذلك من قضية الألوهية وإرادة الوصف بما بعده إذ المضمير لا يوصف خلافاً للكسائي وإضافة الرب إلى ياء المتكلم حقيقة من قبيل كرم البلد لانتفاء عامل النصب لأنه صفة مشبهة وهي لا تشتق إلا من لازم أو من متعد بعد نقله إليه فلا إشكال في وصف المعرفة به.

وأما خالق فبمعنى الماضي فليست إضافته لفظية غير موجبة تعرفه ليشكل وصف المعرفة به وتسميتهم المضاف إليه حينئذ مفعولاً إنَّها هو من حيث المعنى لا من حيث الإعراب حتى يلزم كون الإضافة لفظية، ألا ترى إنَّك تقول في ضارب عبده أمس إنَّه مضاف إلى المفعول على معنى انه كذلك معنى لا إنَّه منصوب محلاً. والبركة: الزيادة، والنماء في الخير.

ومحقه محققاً من باب - نفع - نقصه وأذهب منه البركة، وقيل: هو ذهاب الشيء كله حتى لا يرى له أثر ومنه: «يُمحق الله الرِّبَا» (١) وأُمحق الهلال لثلاث ليال من آخر الشهر لا يكاد يرى لحفائه، والاسم المحاق بالضم والكسر لغة.

والطهارة: النقاء والنزاهة من الدنس والنجس ويندرج فيها هنا نزاهة الجوارح عن الأفعال المستقبحة واللسان عن الأقوال المستهجنة والنفس عن الأخلاق والأدناس الجسمانية والغواشي الظلمانية بل النزاهة عن كل ما يشغل عن الإقبال على الحق كائناً ما كان فإنَّ كل ذلك ممَّا يعد دنساً عند أهل الله تعالى.

والدنس: الوسخ، وتدنيس الآثام للطهارة القلبية ظاهر فإنَّ كل معصية يرتكبها فاعلها يحصل منها ظلمة في القلب كما يحصل من نفس المتنفس في المرأة ظلمة فيها فإذا تراكمت ظلمات الآثام على القلب صارت ريناً وطبعاً فيه كما تصير الأنفاس والأبخرة المتراكمة على جرم المرأة صدهاً فيه، وإسناد المحق إلى الأثام والتدنيس إلى الآثام مجاز عقلي، والملابسة في الأول زمانية وفي الثاني سببية.

والأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف من لقاء مكروه.
وسعد يسعده من باب - تعب - سعداً خلاف شقي والاسم منه السعادة.
قال الراغب: وهي معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير وتضاده
الشقاوة (١).

والنحس ضد السعد أيضاً.

واليمن: البركة وحصول الخير.

والنكد: تعثر المطلوب وشدة العيش.

واليسر بضميتين وبسكون السين: السهولة، يقال يسر الأمر يسراً من باب
- تعب - ويسر يسراً من باب - قرب - أي سهل فهو يسير ويضاده العسر، وقيل في قوله
تعالى: «فإن مع العسر يسراً» (٢) أي مع الفقر غنى وقيل: مع الشدة رخاء.
وشابه شوباً من باب - قال - خلطه مثل شوب اللبن بالماء.

والنعمة: ما قصد به الإفضال والنفع، وقد تفسر بالحالة الحسنة وحملها على كل
من المعنيين هنا صحيح.

والإحسان يقال: على وجهين، أحدهما الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى
فلان: أي أنعم عليه.

والثاني: إحسان في فعله وذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً، ومنه
قوله عليه السلام: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (٣)
وإرادة هذا المعنى هنا أحسن من الأول، وهو المعنى المتداول على ألسنة أصحاب
القلوب، وينبغي حينئذ أن يراد بالإيمان والإسلام في قوله عليه السلام: «هلال أمن
وإيمان وسلامة وإسلام» المرتبتان المعروفتان بعين اليقين وحق اليقين على مامر

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٣٨٧.

(١) المفردات: ص ٢٣٢.

(٢) سورة الانشراح: الآية ٥.

شرحه في الرياض السابقة، وقد طلب عليه السَّلام الأَمْن مرتين، مرّة مقيدةً بكونه من الآفات ومرّة مطلقاً، وكذلك طلب السلامة مرّة مقيدةً بكونها من السيئات وأخرى مطلقة.

قال العلامة البهائي: يمكن أن يُراد بالسلامة المطلقة سلامة القلب عن التعلق بغير الحق تعالى، وأما الأَمْن المطلق فلعلّ المراد به طمأنينة النفس بحصول راحة الأُنس وسكينة الوثوق، فإنّ السالك مادام في سيره إلى الحق يكون مضطرباً خائفاً لخوف العاقبة وما يعرض في أثناء السير من العوارض العاتقة عن الوصول فإذا هب نسيم العناية الأزليّة وارتفعت الحجب الحائلة (١) للطمأنينة، واندكت جبال التعينات الرسميّة تنور القلب بنور العيان، وحصلت الراحة والاطمئنان، وزال الخوف وظهرت تباشير الأَمْن والأمان، وهذان المقامان اللذان هما مقاما الأَمْن والسلامة من مقامات أصحاب النهايات لأَمْن أحوال أرباب الهدايات. ولعلّ السعد الذي لانحس فيه، واليمن الذي لانكد معه، واليسر الذي لا يمازجه عسر، والخير الذي لا يشوبه شرّ، من لوازم هذين المقامين (٢) إنتهى ملخصاً وفي المقام مسائل. ذكرها العلامة المذكور في الحديقة الهلالية لأبأس بأيرادها هنا:

الأولى: إنّ خطابه عليه السَّلام في الدعاء بعضه متوجّه إلى الهلال، ومختصّ به كقوله عليه السَّلام: «جعلك مفتاح شهر حادث، وأن يجعلك هلال بركة وهلال أَمْن وهلال سعد»، وبعضه موجّه إلى جرم القمر كقوله عليه السَّلام: «وامتحنك بالزيادة والنقصان والإثارة والكسوف» فإنّ الهلال وإن حصل له الزيادة لكن لا يحصل له النقصان. والكسوف لا يكون للهلال، وقوله: «المرتدّ في منازل التقدير» ويمكن أن يكون متوجّهاً إلى جرم القمر أيضاً لا الهلال لأنّ الجمع المضاف يفيد العموم، والهلال وإن كان يقطعها بأجمعها أيضاً إلّا أنّ الظاهر إن مراده

عليه السلام قطعه لها في كل شهر، ثم لا إستبعاد في أن يكون بعض تلك الفقر مقصوداً بها بعض الجرم اعني الهلال وبعضها مقصوداً بها كله ولا مانع من جعل المقصود بكل الفقر كل الجرم بناء على أن يراد من الهلال جرم القمر في الليالي الثلاث الأولى لا المقدار الذي يرى منه مضيئاً فيها كما أن البدر هو جرم القمر ليلة الرابع عشر لا المقدار المرئي منه فيها، وهذا وإن كان لا يخلو من بعد إلا أنه يصير به الخطاب جارياً على وتيرة واحدة كما هو ظاهر.

الثانية: جعله عليه السلام مدخول «ما» التعجبية فعلاً دالاً على التعجب بجوهره ينبئ عن شدة تعجبه من حال القمر وما دبره الله سبحانه فيه، وفي أفلاكه بلطائف صنعه وحكمته، وهكذا كل من هو أشد إطلاعاً على دقائق الحكم المودعة في مصنوعات الله سبحانه فهو أشد تعجباً وأكثر إستعظاماً، ومعلوم أن ما بلغ إليه علمه عليه السلام من عجائب صنعه جل وعلا ودقائق حكمته في خلق القمر ونضد أفلاكه وربط ما ربطه به من مصالح العالم السفلى وغير ذلك فوق ما بلغ إليه أصحاب الأرصاد ومن يحذو حذوهم من الحكماء الراسخين بأضعاف مضاعفة مع أن الذي إطلع عليه هؤلاء من أحواله وكيفية أفلاكه وما عرفوه مما يرتبط به من أمور هذا العلم (١) أمور كثيرة يحار فيها ذو اللب السليم قائلاً: «ربنا ما خلقت هذا باطلاً» وتلك الأمور ثلاثة أنواع:

الأول: ما يتعلق بكيفية أفلاكه وعدّها ونضدها وما يلزم من حركاتها من الخسوف والكسوف، واختلاف التشكلات وتشابه حركة حامله حول مركز العالم لاحول مركزه ومحاذاة قطر تدويره نقطة سوى مركز العالم إلى غير ذلك مما هو مشروح في كتب الهيئة.

الثاني: ما يرتبط بنوره من التغيرات في بعض الأجسام العنصرية كزيادة

(١) «الف»: العالم.

الرطوبات في الأبدان بزيادته ونقصانها بنقصانه، وحصول البحار من للأمراض وزيادة مياه البحار والبناء مع زيادة بنية في كل يوم من النصف الأول من الشهر ثم أخذها في النقصان يوماً فيوماً في النصف الأخير منه وزيادة أدمغة الحيوانات وألبانها بزيادة النور ونقصانها بنقصانه وكذلك زيادة البقول والثمار نمواً ونضجاً عند زيادة نوره حتى أن المزاولين لها يسمعون صوتاً من القشاة والقرع والبطيخ عند تمعده وقت زيادة النور، وكأبلاء نور القمر الكتان وصبغه بعض الثمار إلى غير ذلك من الأمور التي تشهد بها التجربة، قالوا وإنما اختص القمر بزيادة ما يبط به من أمثال هذه الأمور بين سائر الكواكب لأنه أقرب إلى عالم العناصر منها، ولأنه مع قربهِ أسرع حركة فيمتزج نوره بأنوار جميع الكواكب ونوره أقوى من نورها فيشاركها شركة غالب عليها فيما يبط بنورها من المصالح بإذن خالقها ومبدعها جل شأنه.

الثالث: ما يتعلق به من السعادة والتجاسة وما يرتبط به من الأمور التي هو علامة على حصولها في هذا العالم كما ذكره الديان من المنجمين، ووردت ببعضه الشريعة المطهرة كما رواه الشيخ عماد الإسلام محمد بن يعقوب الكليني قدس الله روحه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال: «من سافر أو تزوج والقمر في العقرب لم ير الحسن» وكما رواه أيضاً عن الكاظم عليه السلام: «من تزوج في محاق الشهر فليسلم لسقط الولد»، وكما رواه شيخ الطائفة في كتاب التهذيب عن الباقر عليه السلام: «أن النبي صلى الله عليه وآله بات ليلة عند بعض نسائه فانكسف القمر في تلك الليلة فلم يكن منه فيها شيء فقالت له زوجته: يا رسول الله بأبي أنت وأمي كل هذا البغض، فقال لها: ويحك هذا الحادث في السماء فكرهت أن أتلدذ»، وفي آخر الحديث ما يدل على أن التجماع في تلك الليلة إن رزق من جماعة ولداً وقد سمع بهذا الحديث لا يرى ما يجب (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، واجعلنا من أرضى مَنْ طَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَزَكَّى مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ، وَأَسْعَدَ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ، وَوَقَّفَنَا فِيهِ لِلتَّوْبَةِ، وَاعْصِمْنَا فِيهِ مِنَ الْحَوْبَةِ، وَاحْفَظْنَا مِنْ مَبَاشِرَةِ مَعْصِيَتِكَ، وَأَوْزِعْنَا فِيهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَأَلْبِسْنَا فِيهِ جُزْنَ الْعَافِيَةِ، وَأَتِمِّمْ عَلَيْنَا بِاسْتِكْمَالِ طَاعَتِكَ فِيهِ الْمُنَّةَ، إِنَّكَ الْمَتَّانُ الْحَمِيدُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

الثالثة: ينبغي لنا إذا قلنا قوله عليه السلام «هلال آمن من الآفات» أن يقصد بالآفات البدنية والنفسية من الكبر والحسد والغل والغرور والحرص وحب المال والجاه وأمثال ذلك من دواعي النفس وحفظها ومشتياتها البهيمية والسبعية فإن طلب الأمن من هذه الآفات التي هي بمنزلة الكلاب العاويات والحيات الضاريات الموجبة للهلاك الحقيقي والشقاء السرمدى أهم وألحق وأولى (٥)

أرضى: اسم تفضيل يجوز أن يكون للفاعل على ما هو القياس في بنائه، ويجوز أن يكون للمفعول كأشهر وألوم فإنه قياس عند سيبويه (١) وهو كثير في كلامهم وقد تقدّم له نظائر في الأدعية السابقة واستوفينا الكلام عليه هناك.

وطلع الشيء طلوعاً من باب -قعد- بدا من علو، والمراد بطلوعه ظهوره للحس والعيان كما هو الظاهر، ويمكن أن يراد به خروجه من الشعاع من قولهم: طلعت المرأة من خبائها أي خرجت، ثم المراد إقاما طلوعه الخاص في هذه الليلة وإقاما طلوعه في الزمان الماضي مطلقاً، ومثله قوله عليه السلام: «وأزكى من نظر إليه».

والزكاء بالفتح والمد: الصلاح، يقال: زكى الرجل يزكو إذا صلح. وتعبد الرجل لله: تنسك وتذلّل، وعرفوا العبادة بأنها فعل إختياري مباين للشهوات البدنية تصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى طاعة للشرعة. ووقفه الله لطاعته توفيقاً: هداه وأرشده وسدّده.

والتوبة: الرجوع إلى الله تعالى بحلّ عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بحقوق الربّ وقد مرّ الكلام عليها مستوفى في شرح دعائها.

وعصمه الله من المكروه يعصمه من باب -ضرب- حفظه ووقاه، والاسم منه العصمة بالكسر وهي في الإصطلاح لطف يفعلُه الله بالمكلف بحيث لا يكون معه داع إلى فعل المعصية مع قدرته عليها، وإرادة هذا المعنى هنا لا يساعد عليها تعدية الفعل بمن إذ لم يعهد تعديتها بها مراداً بها هذا المعنى.

والخوية بالفتح: الخطيئة والإثم من حاب حوباً من باب -قال- إذا اكتسب الإثم.

وباشر الأمر مباشرة: وليه بنفسه وحقيقتها الصاق البشرة بالبشرة، ثم كثر حتى استعمل في مطلق مزاوله الإنسان الأمر بنفسه وهي هنا عبارة عن إقرار المعصية.

وأوزعه الله الشكر: ألهمه، وقيل أولعه به، من الوزوع بمعنى الولوع بالشئ.

والجنن: جمع جنة بالضم وهي الستر من جنه يجنّه من باب -قتل- أي ستره.

والعافية: رفع الله عن العبد ما يضره وتستعمل في دفع المضرات البدنية والنفسية معاً، وقد سبق الكلام عليها مستوفى في الروضة الثالثة والعشرين، وإضافة الجنن إليها من قبيل لجين الماء أي العافية التي هي كالجنن ولك جعلها إستعارة بالكناية مع الترشيح.

وأتم الله عليه المنّة: أكملها، من تمّ الشئ يتم بالكسر: أي كملت أجزاؤه، واستكملت الشئ بمعنى أكملته أي أتممته.

والمنّة: النعمة الثقيلة ومنه: «لقد مَنَّ الله على المؤمنين» (١).

تنبيهات

الأول: (٢) المروي في أكثر النسخ من الصحيفة الشريفة فتح الدال من

«أسعد» ووقع في بعضها كسرهما وهو الظاهر، ووجه النصب أنه بتقدير: «واجعلنا أسعد من تعبّد لك فيه» فيكون من باب عطف جملة على جملة، أو هو معطوف على محلّ من أرضى كقوله:

فإن لم تجد من دون عدنان والبدأ ودون معدّ فلتزعك العواذل (١)
ولك جعله معطوفاً على المفعول الثاني الذي هو متعلق الظرف في الحقيقة لأنّ مفعولي الجعل بمعنى التصيير أصلهما مبتدأ وخبر، فتعلّق الظرف في الحقيقة الكون المقدّر العامل فيه فالتقدير؛ واجعلنا كائنين من أرضى من طلع عليه، والنكته في سؤال جعله أسعد من تعبّد دون جعله من جملة الأسعدين لحرصه على كثرة العبادة وقبولها لإستلزام الأسعديّة ذلك والله أعلم.

الثاني (٢): قال العلامة البهائي قدس الله روحه في الحديقة الهلالية: الضمائر الراجعة إليه سبحانه من أول هذا الدعاء إلى هنا بأجمعها ضمائر غيبة ثمّ أنه عدل عن ذلك الأسلوب وجعلها من هنا إلى آخر الدعاء ضمائر خطاب، ففي كلامه عليه السلام إلتفات من الغيبة إلى الخطاب، ولا يخفى أنّ بعض اللطائف والنكت التي أوردها المفسّرون فيما يختص بالإلتفات في سورة الفاتحة يمكن جريانه هنا (٣) إنتهى.

قلت: من يشترط في الإلتفات كون المخاطب في الحالين واحداً يمنع كون ما وقع في الدعاء من باب الإلتفات لأنّ المخاطب أولاً الهلال والكلام جارٍ معه والمخاطب ثانياً هو الله سبحانه فالمخاطب غيران.

قال صدر الأفاضل: في صرام السقط: إنّ من شرط الإلتفات أن يكون المخاطب بالكلام في الحالين واحداً كقوله تعالى: «إياك نعبد وإياك نستعين» فإنّ

(٣) الرسالة الهلالية: ص ٢٤.

(١) مغني اللبيب: ص ٦١٦.

(٢) «ألف»: الثانية.

ماقبل هذا الكلام وإن لم يخاطب به الله من حيث الظاهر فهو بمنزلة المخاطب به لأن ذلك يجري من العبد مع الله لا مع غيره بخلاف قول جرير:

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح
أغثنى يا فداك أبي وأمي بسبب منك إنك ذو إرتياح
فإنه ليس من الالتفات في شيء لأن المخاطب بالبيت الأول إمرأته وبالبيت الثاني هو الخليفة (١) إنتهى .

لكن تعريف الجمهور للالتفات بأنه التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة التي هي التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها يقتضي إنه الالتفات كما ذكره العلامة المذكور وعلى هذا ففي الدعاء إلتفاتان: أحدهما: من الغيبة إلى الخطاب: وهو الالتفات المذكور.

والثاني: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وهو إعادة ضمائر الغيبة إلى الهلال بعد خطابه في قوله عليه السّلام: طلع عليه ونظر إليه إلى آخر الدعاء، والنكته فيه أنه لما خاطب ربه جلّ وعلا غاب عنه غيره فلم يبق له حضور على عادة الإنسان إنه إذا لقي من يحبّ غاب عن قبله سواء فذكر الهلال بضمير الغيبة ولم يلتفت إليه حتى أتم الدعاء والله أعلم.

الثالث: قال العلامة المذكور في الحديقة الهلالية أيضاً: الضمائر المجرورة في قوله عليه السّلام «وأسعد من تعبد لك فيه» إلى آخره راجعة إلى الهلال بمعنى الشّهر وليس كذلك المرفوع في طلع عليه والمجروور في نظر إليه ففي الكلام إستخدام من قبيل قول البحتري:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هم شتّوه بين جوانحي وضلوعي
ولعلّه لا يقدح في تحقّق الإستخدام كون إطلاق الهلال على الشّهر مجازاً لتصريح

(١) ديوان جرير: ص ٧٧، ط، دارصادر، وشرح ديوان جرير: ص ٧٤، ط، دارالكتب.

بعض المحققين من أهل الفن بعدم الفرق بين كون المعنيين حقيقيين أو مجازيين أو مختلفين وإن قصره بعضهم على الحقيقيين على أن كون الإطلاق المذكور مجازاً محل كلام (١) انتهى.

هذا آخر الروضة الثالثة والأربعين من رياض السالكين وقد وفق الله سبحانه لاتمامها وانتساق مسك ختامها صبيحة يوم الاثنين لثلاث عشرة بقين من شهر ربيع الأول من سنة خمس ومائة وألف. والله الحمد.



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي

فهرس الموضوعات

الروضة الثانية والثلاثون

- ٥ نصّ الدعاء الثاني والثلاثين: في الاعتراف بالذنب
- ١٠ خطبة وديباجة الروضة الثانية والثلاثين
- ١١ في بيان صلاة الليل، وعدد ركعاتها ووقتها
- ١٣ في بيان معنى الملك المتأبد
- ١٤ في بيان معنى الخلود
- ١٥ في بيان معنى الأزل
- ١٧ في معنى قوله تعالى: «كلّ يوم هو في شأن»
- ١٨ في بيان وصف سلطانه تعالى بالامتناع بلا جنود ولا أعوان
- ١٩ في بيان معنى بعض من ظروف الزمان: كالدهر والزمن والأعوام وغيرها
- ٢٠ في بيان أنّ الأزمان والأعوام والأيام من جملة مخلوقاته تعالى
- ٢١ تبصرة: في بيان «الواجب بالذات ممتنع العدم دائماً»
- ٢٢ تحقيق في معنى الأوليّة والآخريّة
- ٢٣ في معنى قوله عليه السلام: «ولا يبلغ أدنى ما استأثرت...»
- ٢٦ في بيان معنى الكبرياء
- ٢٦ في بيان معنى الوهم وتنزيهه تعالى عن الأوهام
- ٢٨ تحقيق كلامي في قوله عليه السلام: «كذلك أنت الأول في أوليتك»

- ٣٠ في اعراب قوله عليه السلام: «كذلك أنت الله، الأول في أوليتك»
- ٣٠ بحث قرآني وروائي في معنى «العمل»
- ٣٣ تنبيه: في أنواع درجات أعمال العباد
- ٣٦ تحقيق في معنى قوله عليه السلام: «خرجت من يدي أسباب الوصلات»
- ٣٧ في بيان معنى قوله عليه السلام: «وتقطعت عني عصم الآمال»
- ٣٨ في معنى العصمة والعصم
- ٣٨ في بيان معنى قوله عليه السلام: «إلا ما أنا معتصم به من عفوك»
- ٣٩ في الفرق بين على وعند
- ٣٩ بيان معنى قوله عليه السلام: «ولن يضيق عليك عفو من عبدك»
- ٤٠ في حكم «لن» التأبيدية
- ٤٠ تحقيق في حالات «إن» الشرطية وحكمها في قوله عليه السلام: «وإن أساء»
- ٤٢ في بيان معنى الإساءة والعتولغة
- ٤٢ في تفسير قوله تعالى: «وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم»
- ٤٤ في معنى قوله عليه السلام: «فاعفوني»
- ٤٤ في بيان معنى الخفايا والخبر
- ٤٥ في بيان معنى الغيب
- ٤٦ تحقيق لغوي للاستحواذ في قوله تعالى: «ألم نستحوذ عليكم»
- ٤٦ في معنى الغواية
- ٤٨ في بيان معنى يوم الدين لغة وعرفاً
- ٤٨ أساليب القرآن الكريم في استنظار ابليس
- ٤٩ تنبيهات:
- ٤٩ الأول: أن إنظار ابليس وامهاله كان إجابة لدعائه
- الثاني: أن الإمهال وقع حسب السؤال الى يوم الدين وقيل بالأيام
- الثالثة: يوم القيامة
- ٥٠

- الثالث: قول الأشاعرة بأن إنظار إبليس دليل على أن الله تعالى لا يجب عليه رعاية مصالح العبد دنيأً وآخرةً، وجواب المعتزلة
- ٥١ في بيان معنى قوله عليه السلام: «فأوقعني وقد هربت»
- ٥٢ في معنى الموبقة والمردية
- ٥٣ قول الزمخشري في الفائق في معنى قارف الذنب
- ٥٤ في معنى السعي لغةً، والسخط اصطلاحاً
- ٥٤ بيان في معنى الغدر وحمله على معنى الحيلة
- ٥٥ في بيان معنى قوله عليه السلام: «وتلقاني بكلمة كفره» وفيه بحث قرآني
- ٥٦ قول لابن أبي الحديد في نهج البلاغة
- ٥٧ تنبيه: في قوله عليه السلام: «واستوجبت بسوء معي سخطتك»
- ٥٧ قول العلامة الطبرسي في وعد الشيطان لتابعيه في القرآن الكريم
- ٥٨ في بيان معنى قوله عليه السلام: «فأصحرني لغضبك فريداً»
- ٥٨ في معنى قوله عليه السلام: «وأخرجني إلى فناء نعمتك طريداً»
- ٥٩ في بيان معنى قوله عليه السلام: «لا شفيع يشفع لي إليك»
- ٥٩ في معنى الحجب والملاذ
- ٦٠ في بيان قوله عليه السلام: «فلا يضيقن»
- ٦١ في بيان قوله عليه السلام: «ولا أكن»
- ٦١ في بيان قوله عليه السلام: «أخيب عبادك التائبين ولا أقنط وفودك الآملين»
- ٦٣ في بيان قوله عليه السلام: «واغفر لي إنك خير الغافرين»
- ٦٣ في بيان معنى الخطاء
- ٦٤ في بيان معنى الخاطر
- ٦٥ في بيان معنى التهجد
- ٦٦ في بيان قوله عليه السلام: «نهاراً»
- ٦٦ في بيان قوله عليه السلام: «ولا تثني علي بإحيائها سنة»
- ٦٨

- ٦٩ في بيان قوله عليه السلام: «حاشا فروضك التي من ضيعها هلك»
- ٧١ في بيان قوله عليه السلام: «أتوسل اليك بفضل نافلة»
- ٧٣ في بيان قوله عليه السلام: «إلى حرمايت انتهكتها»
- ٧٤ في بيان قوله عليه السلام: «كانت عافيتك لي من فضائحها»
- ٧٤ في بيان معنى الاستحياء
- ٧٥ في بيان معنى التلقي
- ٧٥ في بيان معنى الخشوع - بحث لغوي
- ٧٦ بيان للرضي في معنى «بين»
- ٧٦ بحث في بيان اجتماع الرغبة والرغبة، والخوف والرجاء
- ٧٧ في بيان معنى قوله عليه السلام: «وأنت أولى من رجاء»
- ٧٨ أقوال في اصطلاح «إذ»
- ٧٩ في بيان معنى تغمده
- ٨٠ في بيان معنى قوله عليه السلام: «فأجزني»
- ٨٠ في بيان معنى الأشهاد
- ٨١ في بيان معنى المقرّبين والشهداء والصالحين
- ٨٢ في بيان معنى قوله عليه السلام: «من جار كنت أكاثمه سيئاتي»
- ٨٣ في بيان قوله عليه السلام: «وأنت أولى من وثق به وأعطى من رغب اليه»
- ٨٤ في بيان معنى الحذر والصلب
- ٨٥ في معنى التضائق لغة
- ٨٦ في بيان قوله عليه السلام: «إلى رحم ضيقة»
- ٨٧ في بيان معنى قوله عليه السلام: «تصرفني حالاً عن حال»
- ٨٨ في بيان معنى قوله عليه السلام: «حتى انتهيت بي إلى تمام الصورة»
- ٨٨ في تفسير قوله تعالى: «طبقاً عن طبق»
- ٨٩ في بيان معنى الجوارح

- ٨٩ في معنى قوله عليه السلام: «نطفة ثم علقه»
- تنبيه: بحث قرآني وروائي في قوله عليه السلام: «كما نعت في كتابك
- ٩١ نطفة ثم علقه»
- ٩٢ بيان في معنى السلالة
- ٩٣ بيان في قوله تعالى: «ثم خلقنا النطفة علقه...» وتبيان دقائقها
- ٩٦ تقرير للشريف الرضي في «الفاء» من قوله تعالى: «فكسونا»
- ٩٧ في بيان معنى «القرار»
- ٩٧ بيان في أقسام دم الطمث في الحامل
- ٩٩ في بيان معنى «اللطيف»
- ١٠٠ في بيان معنى قوله عليه السلام: «لا أعدم برك ولا يطئ بي حسن صنيعك»
- ١٠٢ في بيان قوله عليه السلام: «قد ملك الشيطان عناني»
- ١٠٢ في بيان معنى المجاورة
- ١٠٣ في بيان معنى الملكة
- ١٠٣ في بيان معنى التضرع إلى الله
- ١٠٤ في بيان معنى الإلهام
- ١٠٤ في بيان معنى قوله عليه السلام: «واقنعني بتقديرك»
- ١٠٦ بيان للعلامة الطبرسي في قوله تعالى: «وارزقنا وأنت خير الرازقين»
- ١٠٧ بيان في معنى النار والإضاءة
- ١٠٨ في معنى قوله عليه السلام: «ومن نار نورها ظلمة»
- ١٠٩ تحقيق روائي في قوله عليه السلام: «وهيئنا ألين وبعيدها قريب»
- ١١٠ بيان في معنى الأكل حقيقة
- ١١١ بيان في معنى الرميم
- ١١٢ بيان في معنى النكال والوبال
- ١١٣ تنبيه: في ذكر النار ومعنى العقارب

- ١١٤ بيان في معنى قوله عليه السلام: «الصالحات بأنبيائها»
 ١١٥ بيان في معنى قوله عليه السلام: «يقطع أمعاء وأفئدة سكانها»
 ١١٦ في معنى قوله عليه السلام: «واستهديك لما باعد منها وأخر عنها»
 ١١٧ بيان في معنى قوله تعالى: «وإن منكم إلاّ واردها...»
 ١١٩ بيان معنى العثرة والكربة
 ١١٩ تحقيق لغوي في «إذا» وأنواعها وحالاتها
 ١٢٠ في بيان معنى قوله عليه السلام: «ماختلف الليل والنهار»
 ١٢١ في معنى قوله عليه السلام: «لا ينقطع مددها...»
 ١٢٢ بيان معنى قوله عليه السلام «صلى الله عليه حتى يرضى»

الروضة الثالثة والثلاثون

- ١٢٤ نص الدعاء الثالث والثلاثين: في الاستخارة
 ١٢٥ خطبة وديباجة الروضة الثالثة والثلاثين
 ١٢٦ بيان في أصل الاستخارة
 ١٢٨ مقدمة: في استحباب الاستخارة عند العامة والخاصة
 ١٢٩ بيان مسائل في آداب الاستخارة والمستخير
 ١٣٠ في بيان أنواع الاستخارة
 ١٣١ بيان في أوقات الاستخارة وكيفيةها
 ١٣٧ الاستخارة بذات الرقاع وكيفيةها
 ١٤٠ الاستخارة بالسبحة وكيفيةها ووجوهها
 ١٤٢ تنمة: في الأدعية الماثورة في الاستخارة
 ١٤٥ بيان في معنى القضاء - لغة -
 ١٤٥ في بيان معنى الخيرة، وهما لغتان بمعنى واحد
 ١٤٦ بيان في معنى الارتباب والريب

- ١٤٩ بيان في معنى المحو والإماتة
- ١٤٩ بيان في معنى قوله عليه السلام: «وأيتدنا بيقين المخلصين»
- ١٥٠ في معنى قوله عليه السلام: «ولا تسمنا عجز المعرفة»
- ١٥١ في بيان معنى قوله عليه السلام: «فنغمط قدرك ، ونكره موضع رضاك»
- ١٥٢ في معنى قوله عليه السلام: «ونجبح إلى التي هي أبعد من حسن العاقبة»
- ١٥٣ بيان في معنى العاقبة والعافية
- ١٥٤ تحقيق حول علم الله تعالى وعلم البشر

الروضة الرابعة والثلاثون

- ١٥٨ نصّ الدعاء الرابع والثلاثين: إذا ابتلي أو رأى مبتلىً بفضيحة بذنب
- ١٥٩ خطبة وديباجة الروضة الرابعة والثلاثين
- ١٦٠ بيان في معنى البلاء والإبتلاء
- ١٦١ في معنى الفضيحة والذنب
- ١٦٢ في بيان معنى قوله عليه السلام: «ومعافاتك بعد خبرك»
- ١٦٣ في معنى قوله عليه السلام: «فكلنا قد اقترف العائبة فلم تشهره»
- ١٦٤ تفصيل في قوله عليه السلام: «كم نهى لك قد أتيناه»
- ١٦٧ في معنى قوله عليه السلام: «وقفنا عليه فتعديناه»
- ١٦٧ في بيان معنى المطلع عليها
- ١٦٨ في معنى قوله عليه السلام: «كانت عافيتك لنا حجاباً»
- ١٦٨ تفسير الزمخشري لقوله تعالى: «فأعينوني بقوة...»
- ١٦٩ في معنى العورة
- ١٦٩ في معنى الزجر
- ١٧٠ في معنى السعي
- ١٧١ في معنى الرغبة إلى الله

- ١٧٢ بيان في معنى الخيرة والعثرة والصفوة
 ١٧٣ في بيان معنى قوله عليه السلام: «كما أمرت»
 ١٧٣ بيان في من هم أولي الأمر في قوله تعالى: «وأطيعوا الرسول وأولي الأمر»

الروضة الخامسة والثلاثون

- ١٧٧ نص الدعاء الخامس والثلاثين: في الرضا إذا نظر إلى أصحاب الدنيا
 ١٧٨ خطبة وديباجة الروضة الخامسة والثلاثين
 ١٧٩ في معنى الرضا والنظر، لغة
 ١٨٠ في معنى الدنيا وأسمائها وأصحابها
 ١٨١ في معنى القسمة والمعاش
 ١٨١ بيان في معنى العدل
 ١٨٢ بحث مفصل في معنى قوله عليه السلام: «وأخذ على جميع خلقه بالفضل»
 ١٨٤ بيان في معنى الفتنة واستعمالاتها
 ١٨٥ بيان في معنى الغمط
 ١٨٦ في معنى مواقع الحكم
 ١٨٧ في بيان معنى الشكر
 ١٨٨ في تفصيل معنى قوله عليه السلام: «واعصمني من أن أضنّ بذي عدم خسارة»
 ١٨٩ تحقيق في معنى قوله عليه السلام: «فإن الشريف من شرفته طاعتك»
 ١٩١ بيان في معنى المتعة والسرح
 ١٩١ في معنى الأبد
 ١٩٢ بحث كلامي في معنى قوله عليه السلام: «إنك الواحد الأحد»
 ١٩٣ في بيان معنى الصمد
 ١٩٤ بيان مفصل لقوله عليه السلام: «لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد»

الروضة السادسة والثلاثون

- ١٩٩ نصّ الدعاء السادس والثلاثين: اذا نظر الى السحاب والبرق، وسمع صوت الرعد
- ٢٠٠ خطبة وديباجة الروضة السادسة والثلاثين
- ٢٠١ في بيان معنى السحاب والبرق والرعد
- ٢٠٢ في بيان معنى العون
- ٢٠٣ في بيان معنى قوله عليه السلام: «يبتدران»
- ٢٠٤ في معنى الاحسان والنفع
- ٢٠٤ في بيان المراد بالنقمة
- ٢٠٥ في بيان قوله عليه السلام: «فلا تمطرنا بهما مطر السوء»
- ٢٠٦ في معنى قوله عليه السلام: «ولا تلبسنا لها لباس البلاء»
- ٢٠٧ في معنى البركة
- ٢٠٨ في معنى الآفة والعاهة
- ٢٠٨ في بيان معنى السخطة
- ٢٠٨ في معنى الميل
- ٢٠٩ في معنى السقيا، وبيان في معنى الوحر
- ٢١٠ في بيان معنى قوله عليه السلام: «فان الغني من أغنيت»
- ٢١١ في بيان معنى الوقاية
- ٢١٢ بيان في معنى قوله عليه السلام: «ما عند أحدٍ دونك دفاع»
- ٢١٣ في معنى قوله عليه السلام: «تحكم بما شئت على من شئت»
- ٢١٤ بحث لغوي وكلامي في معنى المشيئة والارادة
- ٢١٥ بحث في معنى الحمد
- ٢١٥ بيان في معنى المئان
- ٢١٦ بيان في بعض من صفات الله تعالى

٢١٧ في معنى الطول

الروضة السابعة والثلاثون

٢٢١ نصّ الدعاء السابع والثلاثين: اذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر

٢٢٤ خطبة وديباجة الروضة السابعة والثلاثين

٢٢٥ في معنى الاعتراف وأوجهه

٢٢٥ مقدمة: في الشكر، ومعانيه اللغوية والعرفية، وأركانه

٢٢٧ كلام لبعض العارفين حول الشكر

٢٢٩ فائدة: في قوله عليه السلام: «أحداً» وضروب استعمالاتها

٢٣٠ في بيان معنى قوله عليه السلام: «إلاّ حصل عليه من إحسانك ما يلزمه شكراً»

٢٣١ بيان في معنى قوله عليه السلام: «فأشكر عبادك»

٢٣٣ في تفسير قوله تعالى: «واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم»

٢٣٤ في تفسير قوله صلى الله عليه وآله لربه تعالى: «قلت فك رهاني وثقل ميزاني»

٢٣٧ بيان في قوله عليه السلام: «لا يجب لأحد أن تغفر له باستحقاقه»

٢٣٩ في معنى الاثابة

٢٤٠ في معنى ملك الأمر

٢٤٠ في معنى الاستطاعة

٢٤٣ في معنى قوله عليه السلام: «وأعددت ثوابهم قبل أن يفيضوا في طاعتك»

٢٤٤ في معنى العفو

٢٤٥ في بيان الاعتراف ومعانيه

٢٤٦ في بيان معنى قوله عليه السلام: «وكلّ مقرّ على نفسه بالتقصير عمّا استوجبت»

٢٤٦ في معنى قوله عليه السلام: «فلولا أن الشيطان يختدعهم»

٢٤٧ في قوله عليه السلام: «ولولا أنه صوّر لهم الباطل»

٢٤٨ في معنى «طريقه تعالى»

- ٢٤٨ تبصرة: في أن أصل الضلال والعمى والجهل من الشيطان
- ٢٤٩ في معنى الغواية وأوجه تأثيرها في نفوس الناس
- ٢٤٩ في معنى قوله عليه السلام: «فسبحانك ما أبيض كرمك»
- ٢٥٠ في معنى قوله عليه السلام: «تشكر للمطيع ما أنت توليت»
- ٢٥٠ في معنى قوله عليه السلام: «أعطيت كلاً منها»
- ٢٥١ في معنى المكافأة
- ٢٥١ في معنى قوله عليه السلام: «لو كافأت المطيع...»
- ٢٥٣ بيان في معنى قوله عليه السلام: «ولكنك بكرمك جازيته»
- ٢٥٤ في معنى قوله عليه السلام: «وعلى القرية بالغاية المديدة»
- تبصرة: في توضيح قول أبي عبد الله عليه السلام: «إنما خلد أهل النار
- ٢٥٥ في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا...»
- ٢٥٦ في بيان قوله تعالى: «خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها»
- ٢٥٦ في معنى القصاص
- ٢٥٧ في معنى المناقشة والآلات التي تسبب باستعمالها المغفرة
- ٢٥٧ في معنى الكدح
- ٢٥٨ في معنى قوله تعالى: «كل امرئ بما كسب رهين»
- ٢٥٩ في بيان قوله عليه السلام: «فتى كان يستحق من ثوابك شيئاً، لا متى»
- ٢٦٠ في معنى قوله عليه السلام: «هذا يا إلهي حال من أطاعك»
- ٢٦٢ في معنى الانابة
- ٢٦٢ في معنى قوله عليه السلام: «ولقد كان يستحق»
- ٢٦٣ في قوله عليه السلام: «وكل ما أعددت...»
- في معنى قوله عليه السلام: «فمن أكرم منك يا إلهي ومن أشقى ممن هلك
- ٢٦٤ عليك، لا من»
- ٢٦٤ في معنى قوله «تباركت»

- ٢٦٥ في المراد بالعدل: المساواة في المكافأة
 ٢٦٥ في قول أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ»
 ٢٦٦ في قوله عليه السلام: «لا يخشى جورك على من عصاك»
 ٢٦٦ في معنى الأمل
 ٢٦٧ بحث مفصل في معنى الهداية والهدى

الروضة الثامنة والثلاثون

- نص الدعاء الثامن والثلاثين: في الاعتذار من تبعات العباد ومن التقصير في
 ٢٧٣ حقوقهم، وفي فكك رقبتك من النار
 ٢٧٤ خطبة وديباجة الروضة الثامنة والثلاثين
 ٢٧٥ بيان في معنى الاعتذار
 ٢٧٦ بيان في معنى التبعات
 ٢٧٦ في معنى قوله تعالى: «فَكَ رَقِبَةً»
 ٢٧٧ بيان في معنى قوله عليه السلام: «اعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره»
 ٢٧٨ في معنى قوله عليه السلام: «ومن معروف أسدي إليّ فلم أشكره»
 ٢٨٤ بيان مفصل في معنى قوله عليه السلام: «ومن مسيء اعتذر إليّ فلم أعذره»
 ٢٩٠ في معنى قوله عليه السلام: «ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره»
 ٢٩١ بيان في معنى قوله عليه السلام: «ومن كل إثم عرض لي فلم أهجره»
 ٢٩٢ في معنى المعاشرة والتوقير
 ٢٩٣ في معنى الندامة
 ٢٩٣ في معنى «بين اليمين»
 ٢٩٤ في معنى الزلة
 ٢٩٥ بيان في معنى قوله عليه السلام: «يا محبّ التّوايين»

الروضة التاسعة والثلاثون

- ٢٩٩ نصّ الدعاء التاسع والثلاثين: في طلب العفو والرحمة
- ٣٠٢ خطبة وديباجة الروضة التاسعة والثلاثين
- ٣٠٣ بيان في معنى العفو والرحمة
- ٣٠٤ في معنى كسر الشهوة
- ٣٠٥ في معنى زويت الشيء
- ٣٠٥ في معنى المأثم والأذى
- ٣٠٦ في معنى الاسلام وضروبه
- ٣٠٧ في معنى الحظر والظلامة
- ٣٠٨ المراد من قوله عليه السلام: «اغفر له ما أَلَمَ به مِنِّي»
- ٣٠٨ في معنى قوله عليه السلام: «عَمَّا أَدْبَر به عَنِّي»
- ٣٠٩ في معنى قوله عليه السلام: «ولا تكشفه عَمَّا اكْتَسَب بي»
- ٣١٠ في معنى التبرّع والتصدق
- ٣١١ في معنى التقرب إلى الله
- ٣١١ المراد من قوله عليه السلام: «حتى يسعد كلّ منا بفضلِكَ»
- ٣١٢ في معنى قوله تعالى: «لا تخاف دركاً ولا تخشى»
- ٣١٣ في معنى قوله عليه السلام: «بي أو بسبي ظلم ففته بحقه»
- ٣١٣ بيان في معنى السبق
- ٣١٤ في معنى الوجد
- ٣١٥ بيان في ظلم العباد ومحظوراته
- ٣١٦ في معنى الاستقلال بالشيء
- ٣١٦ في قوله عليه السلام: «والآ تَغْمَدَنِي»
- ٣١٧ بيان في معنى النقص

- ٣١٧ المراد من «بهضة الحمل بهضاً»
- ٣١٨ بيان في معنى قوله عليه السلام: «استوهبك يا إلهي من نفسي»
تنبيهان:
- ٣١٩ الأول: في قوله عليه السلام: «لم تخلقها لتمتع بها من سوء»
- ٣٢٠ الثاني: في قوله عليه السلام: «ولكن أنشأتها إثباتاً لقدرتك على مثلها»
- ٣٢١ بيان: في الرغبة إلى الله تعالى في طلب المعونة
- ٣٢١ في معنى فدحه الأمر فدحاً
- ٣٢٢ في معنى التوكيل والاصر
- ٣٢٣ بيان في معنى المسيئين والخاطئين
- ٣٢٣ في معنى الصرع
- ٣٢٤ في معنى الورطات
- ٣٢٥ في معنى الطليق والعتيق
- ٣٢٦ بحث في الخوف والرجاء وأقسامهما
- ٣٣٠ في معنى الحجج
- ٣٣٠ تنبيه: في اعترافه عليه السلام بين الخوف والرجاء
- ٣٣٣ بيان في معنى «الصدِّيقون»
- ٣٣٣ في معنى قوله عليه السلام: «لأنك الرب العظيم»
- ٣٣٤ بيان في المراد من ذكر الله تعالى
- ٣٣٥ في بيان المراد «بأسمائه تعالى»

الروضة الأربعون

- ٣٣٩ نص الدعاء الأربعين: إذا نعي إليه ميّت أو ذكّر الموت
- ٣٤٠ خطبة وديباجة الروضة الأربعين
- ٣٤١ بيان في معنى نعي الميت

- ٣٤٢ فائدة: في معاني الموت مجازاً
- ٣٤٣ بيان في معنى صدق العمل
- ٣٤٤ في معنى الغرور والشروع
- ٣٤٥ من وصيته صلى الله عليه وآله لأبي ذر
- ٣٤٦ بيان في معنى طول الأمل وأسبابه
- ٣٤٨ بيان في معنى الغب
- ٣٤٩ في معنى قوله عليه السلام: «واجعل لنا»
- ٣٥٠ في معنى المأنس والمألّف
- ٣٥٠ تبصرة: في معنى الموت
- ٣٥٢ بيان في مراتب الموجودات
- ٣٥٤ تنمة: في ضروب الناس في محبة الموت
- ٣٥٦ بيان في معنى الضيافة
- ٣٥٦ في معنى الحزري
- ٣٥٧ بيان في المراد بالاهتداء
- ٣٥٨ في معنى الضلال
- ٣٥٩ بيان في معنى قوله عليه السلام: «ياضامن جزاء المحسنين ومستصلح عمل المفسدين»

الروضة الحادية والأربعون

- ٣٦٣ نصّ الدعاء الحادي والأربعون: في طلب السر والوقاية
- ٣٦٤ خطبة وديباجة الروضة الحادية والأربعين
- ٣٦٥ بيان في معنى السر والوقاية
- ٣٦٦ في المراد من «المهاد»
- ٣٦٦ بيان في معنى «المشارع»

- ٣٦٧ في معنى «سُمِّته ذَلاً»
- ٣٦٧ في معنى المنع والصرف
- ٣٦٨ في معنى قوله عليه: «ولا تكشف مستوري»
- ٣٦٩ بيان في معنى الميزان والانصاف
- ٣٦٩ تبصرة: في ذكر الوزن والميزان يوم القيامة
- ٣٧٢ بيان في معنى قوله عليه السلام: «ولا تعلن على عيون الملاء خبري»
- ٣٧٤ بيان في معنى قوله عليه السلام: «واخف عنهم ما يكون نشره عليّ عاراً»
- ٣٧٥ بيان في معنى الشرف والدرجة والرضوان
- ٣٧٦ في معنى قوله عليه السلام: «بغفرانك»
- ٣٧٧ بيان في معنى قوله عليه السلام: «وانضممني في أصحاب اليمين»
- ٣٧٨ بيان في معنى قوله عليه السلام: «ووجهني في مسالك الآمنين»
- ٣٧٩ في معنى العمارة وعمارة مجالس الصالحين

الروضة الثانية والأربعون

- ٣٨٣ نصّ الدعاء الثاني والأربعين: عند ختم القرآن
- ٣٨٨ خطبة وديباجة الروضة الثانية والأربعين
- ٣٨٩ بيان في معنى «القرآن»
- ٣٩١ بيان في الإجماع على بطلان الزيادة أو النقصان في القرآن
- ٣٩٣ بيان في القراءات السبع
- ٣٩٥ في ثواب قراءة القرآن وختمه
- ٣٩٨ في الدعاء قبل قراءة القرآن وعند ختمه
- ٤٠٠ في فضل القراءة في المصحف
- ٤٠١ في استحباب التوسط في القراءة بين الانخفات والجهر
- ٤٠١ في استحباب البكاء عند قراءة القرآن، والتباكى لمن لا يقدر عليه

- ٤٠٢ في فضل الترتيل في قراءة القرآن، وحسن الصنوت
- ٤٠٤ في معنى قوله عليه السلام: «وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر»
- ٤٠٥ تتمّة: في كراهة كتابة القرآن بماء الذهب
- ٤٠٥ بيان في معنى نزول الكتاب
- ٤٠٦ في معنى قوله عليه السلام: «نوراً»
- ٤٠٧ في معنى المهيمن
- ٤٠٩ بيان في قصص الحديث وأحسنه
- ٤١٠ في معنى الفرقان
- ٤١٠ في معنى التفصيل
- ٤١١ في التبيين وأوجهه
- ٤١٢ في معنى الوحي وأنواعه
- ٤١٣ في المراد بظلم الظلالة
- ٤١٣ في معنى الشفاء
- ٤١٤ بيان في معنى التصديق
- ٤١٥ في معنى قوله عليه السلام: «وميزان قسط لا يحيف عن الحقّ لسانه»
- ٤١٥ بيان في معنى البرهان
- ٤١٦ في المراد بالشاهدين
- ٤١٧ في معنى قوله عليه السلام: «وعلم نجاة»
- ٤١٨ في معنى القصد
- ٤١٨ في معنى الايثار
- ٤١٩ في معنى المعونة
- ٤١٩ في معنى الجواسي
- ٤٢٠ في المراد بحسن عبارته



- ٤٢٠ في معنى الحواشي
٤٢١ في معنى الإقرار
٤٢١ في معنى المتشابه
٤٢٢ في معنى البيانات
تنبيهات:

- ٤٢٢ الأول: في دلالة القرآن على أنه كله محكم
٤٢٦ الثاني: في طعن بعض الملاحدة في أن بعض القرآن محكماً وبعضه متشابهاً
٤٢٨ الثالث: في قوله عليه السلام: «ويفرع إلى الإقرار بمتشابهه»
٤٢٩ في معنى «الراسخون في العلم»
٤٣١ بيان في معنى المجمل
٤٣٢ في معنى عجائب القرآن
٤٣٢ بيان في معنى الوراثة
٤٣٤ بيان في معنى التأويل والتفسير
تنبيهان:

- الأول: تواتر الأخبار وإجماع الصحابة على أن أمير المؤمنين وأبناءه (ع) علموا جميع ما في القرآن علماً قطعياً بتأييد إلهي
٤٣٥ الثاني: في قول جماعة من الأصحاب وغيرهم بعدم تجاوز المسموع في تفسير القرآن
٤٣٨ في معنى قوله عليه السلام: «وفضلتنا على من جهل علمه»
٤٤٢ في معنى قوله عليه السلام: «وقويتنا عليه»
٤٤٢ في معنى قوله عليه السلام: «لم يطق حمله»
٤٤٣ تنبيه: في معنى قوله عليه السلام: «وورثتنا علمه» وقوله: «وفضلتنا»
٤٤٣ في معنى «حملة القرآن»
٤٤٤ في نوعي شرف وفضل القرآن
٤٤٤ بيان في معنى الخطيب والخطبة والخطابة
٤٤٥

- ٤٤٦ في معنى قوله عليه السلام: «وآله الخزان»
- ٤٤٧ في معنى قوله عليه السلام: «ممن يعترف بأنه من عندك»
- ٤٤٨ في بيان بعض المفردات من قوله عليه السلام: «واجعلنا ممن يعتصم بحبله...»
- ٤٥٠ بيان في بعض الاستعارات التمثيلية والمصرحة
- ٤٥١ في معنى العلامة والدلالة
- ٤٥٢ في معنى الوسيلة
- ٤٥٣ في معنى محل السلامة
- ٤٥٣ في معنى القيامة
- ٤٥٤ في معنى دار المقامة
- ٤٥٤ في معنى الأوزار
- ٤٥٥ في معنى آناء الليل وأطراف النهار
- ٤٥٦ في معنى الطهارة والتطهير
- ٤٥٧ في معنى الخدعة والغرور
- ٤٥٨ بيان في معنى النزغات، الخطرات والوسواس
- ٤٥٨ في معنى نقل الأقدام
- ٤٥٩ في معنى الآفة
- ٤٦٠ في معنى عجائب القرآن
- ٤٦٠ في معنى الأمثال
- في معنى قوله عليه السلام: «التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتمالها»
- ٤٦٢
- ٤٦٣ في معنى الدوام
- ٤٦٤ في معنى الضمائر
- ٤٦٥ في معنى العلائق
- ٤٦٥ في معنى المهاجر



مركز تحقيقات كمبيوتر علوم اسلامی

- ٤٦٦ في معنى الحلل
- ٤٦٦ بيان في معنى الفزع الأكبر
- ٤٦٧ في معنى النشور
- ٤٦٨ في معنى الضرائب
- ٤٦٩ في معنى مداني الأخلاق ومذاقمها
- ٤٦٩ في معنى حدود الله
- ٤٧٠ في معنى تحليل حلاله وتحريم حرامه
- ٤٧١ في معنى الترادف
- ٤٧١ في معنى التراقي
- ٤٧٢ في بيان معنى «وقيل من راق»
- ٤٧٣ في معنى ملك الموت
- ٤٧٣ بيان في معنى الحجب والغيوب
- ٤٧٤ في بيان قوله عليه السلام: «عن قوس المنايا»
- ٤٧٥ في معنى «الكأس المسمومة»
- ٤٧٦ بيان في معنى القلائد
- ٤٧٦ في معنى يوم التلاق
- ٤٧٧ بيان في معنى الأطباق
- ٤٧٨ بيان في معنى قوله عليه السلام: «واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا»
- ٤٧٩ في معنى المقام
- ٤٧٩ في معنى الاضطراب
- ٤٨٠ تنبيه: في أن الصراط الموعود به في القرآن حق يجب الإيمان به
- ٤٨١ بيان في معنى الكرب - الأهوال - الطامة
- ٤٨٢ بيان في معنى بياض الوجوه وسوادها يوم الحسرة
- ٤٨٤ في معنى نكد العيش

- ٤٨٤ في معنى الصدع بالأمر
- ٤٨٥ في معنى النصح
- ٤٨٥ في معنى قوله عليه السلام: «أقرب النبيين منك مجلساً»
- ٤٨٦ في معنى القدر والجاه
- ٤٨٧ في معنى البنيان والأساس
- ٤٨٨ في قبول الشفاعة، والوسيلة
- ٤٨٩ في معنى الملة، والمنهاج
- ٤٩٠ في معنى الحشر
- ٤٩٠ في معنى الخوض
- ٤٩٢ في معنى قوله عليه السلام: «واسقنا من كأسه»
- ٤٩٣ في معنى الكرامة والكرم
- ٤٩٤ في معنى الآيات
- ٤٩٤ في معنى النبي
- ٤٩٥ في معنى البركات



الروضة الثالثة والأربعون

- ٤٩٩ نص الدعاء الثالث والأربعين: إذا نظر إلى الهلال
- ٥٠٢ خطبة وديباجة الروضة الثالثة والأربعين
- ٥٠٣ بيان في معنى الهلال
- ٥٠٨ في معنى الخلق المطيع الدائب
- ٥٠٨ بيان في معنى السرعة
- ٥٠٩ بيان في معنى قوله عليه السلام: «المرتدد في منازل التقدير»
- ٥١٠ تنبيه: في أن سير القمر في منازل ليس على وتيرة واحدة
- ٥١١ بيان في معنى قوله عليه السلام: «المتصرف في فلك التدبير»

- ٥١٣ في تفسير قوله تعالى: «فالمدبرات أمراً»
- ٥١٤ تنبيه: في خطابه عليه السلام للقمر وندائه له ووصفه إتياء بالطاعة
- ٥١٦ في بيان المراد بالآيمان
- ٥١٧ في معنى الملك والسلطان
- ٥١٧ في المراد بالزيادة والنقصان
- ٥١٨ إيضاح: في قول علماء الهيئة بأن القمر جرم كروي مظلم في نفسه
- ٥١٩ تنبيه: في عدم إرادة القول على عبارة الدعاء بأن الامتحان للقمر من نقصان نوره
- ٥١٩ في معنى الطلوع والأفول والكسوف
- ٥٢٠ إيضاح: قول علماء الهيئة بأن خسوف القمر وكسوفه هو عدم إنارته مايلينا
- ٥٢١ تنبيه: في توجيه امتحان القمر في الإنارة امتحانه بزيادة النور
- ٥٢١ في معنى قوله عليه السلام: «في كل ذلك أنت له مطيع...»
- ٥٢١ في معنى التنزيه وأنواعه
- ٥٢٢ في معنى القصد للتعجب
- ٥٢٣ في معنى قوله عليه السلام: «مادبر في أمرك»
- ٥٢٤ في معنى قوله عليه السلام: «جعلك مفتاح شهر حادث»
- ٥٢٥ في معنى الحق
- ٥٢٥ في معنى الطهارة والدنس
- ٥٢٦ في معنى اليسر
- ٥٢٦ في أوجه الإحسان
- ٥٣٠ في معنى التعبد
- ٥٣١ في معنى العصمة اصطلاحاً
- ٥٣١ في معنى العافية والمئة
- تنبيهات:
- ٥٣١ الأول: في المروي في فتح الدال من «أسعد»

الثاني: في أن الضمائر الراجعة إليه سبحانه وتعالى من أول هذا الدعاء

٥٣٢ إلى هنا ضمائر غيبية

الثالث: في أن الضمائر المجرورة في قوله عليه السلام: «وأسعد...»

٥٣٣ راجعة إلى الهلال، بمعنى الشهر



مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس فواتح الجمل من أدعية الصحيفة الدعاء الثاني والثلاثون

الصفحة	فواتح الأدعية
١٢	اللهم يا ذا المُلْك المتأبّد بالخلود والسلطان...
٢١	عزّ سلطانك عزّاً لا حدّ له بأوليّة، بمركبة تحتك في يوم ربي
٢٢	ملكك علّوا، سقطت الاشياء دون بلوغ أمدّه...
٢٥	ضلّت فيك الصفات، وتفسّخت دونك النعوت...
٢٦	كبرياتك لطائف الأوهام، كذلك أنت الله...
٣٠	وأنا العبد الضعيف عملاً، الجسم أملاً،...
٣٨	قلّ عندي ما اعتدّ به من طاعتك،...
٤٤	اللهم وقد أشرف على خفايا الأعمال علمك،...
٤٦	وقد استحوذ عليّ عدوك الذي استنظرك لغوايتي...
٥٣	حتّى إذا قارفت معصيتك،...
٥٤	قتل عني عذار غدره، وتلقاني بكلمة كفره،...
٦٠	فهذا مقام العائذ بك، ومحلّ المعترف لك،...
٦١	فضلك، ولا يقصرنّ دوني عفوك،...
٦٤	اللهم إنك أمرتني فتركت، ونهيتني فركبت،...

- ٦٥ ... ولا أستشهد على صيامي نهاراً، ...
- ٦٦ ... تثني عليّ بإحيائها سنّة حاشا ...
- ٧١ ... ولست أتوسّل اليك بفضل نافلة مع كثير ما أغفلت ...
- ٧٤ ... وهذا مقام من استحيى لنفسه منك ...
- ٧٥ ... واقفاً بين الرغبة اليك والرغبة منك ...
- ٧٨ ... اللهم وإذ سترتني بعفوك ، وتغمّدني بفضلك ...
- ٧٩ ... والصالحين، من جار كنت أكاثمه سيئاتي، ...
- ٨٤ ... اللهم وأنت حدرتني ماءً مهيناً من صلب ستضائق العظام، ...
- ٩٦ ... حتى إذا احتجبت إلى رزقك ولم أستغن عن غياث ...
- ٩٨ ... ولو تكلني يارب في تلك الحالات إلى حولي، ...
- ٩٩ ... إلى غايقي هذه، لأعدم برك ، ولا يبطئ بي حسن ...
- ١٠٣ ... وأتضرّع إليك في أن تسهل لي رزقي سبيلاً، ...
- ١٠٤ ... فصلّ على محمد وآله، وسهل عليّ رزقي ، ...
- ١٠٦ ... اللهم إني أعوذ بك من نار تغلّظت بها على من عصاك ...
- ١١٠ ... ومن نار ياكل بعضها بعض، ويصول بعضها على بعض، ...
- ١١٢ ... ومن نار لا تبقّي عليّ من تضرّع إليها، ...
- ١١٣ ... وأعوذ بك من عقاربها الفاغرة أفواهها، وحيّاتها ...
- ١١٤ ... وشرابها الذي يقطع أمعاء وأفئدة سكّانها، ...
- ١١٨ ... اللهم صلّ على محمد وآله، وأجرني منها بفضل رحمتك، ...
- ١١٩ ... اللهم صلّ على محمد وآله إذا ذكر الأبرار، ...
- ١٢٠ ... عددها، صلاة تشحن الهواء، ...

الدعاء الثالث والثلاثون

- ١٤٥ ... اللهم إني أستخيرك بعلمك، ...

- ١٤٦ فأزح عني ريب الارتباب، وأيدنا بيقين المخلصين، ...
 ١٥٣ حبب إلينا ما نكره من قضائك، ...
 ١٥٥ واختم لنا بالتي هي أحمد عاقبة، ...

الدعاء الرابع والثلاثون

- ١٦١ اللهم لك الحمد على سترك بعد علمك، ...
 ١٦٤ كم نهي لك قد أتينا، وأمر قد وقفنا عليه ...
 ١٦٩ فاجعل ماسترت من العورة، وأخفيت من الدخيلة، ...
 ١٧٢ وصل على خيرتك - اللهم - من خلقك ...

الدعاء الخامس والثلاثون

- ١٨٠ الحمد لله بحكم الله، شهدت أن الله قسّم معائش ...
 ١٨٤ اللهم صل على محمد وآله ولا تفتني بما أعطيتهم ...
 ١٨٥ اللهم صل على محمد وآله، وطيب بقضائك نفسي، ...
 ١٨٦ بمواقع حكمك صدري، وهب لي الثقة، ...
 ١٨٧ واجعل شكري لك على ما زويت عني أوفر من شكري ...
 ١٨٨ واعصمني من أن أظن بذي عدم خسارة، ...
 ١٩١ فصل على محمد وآله، ومتعنا بثروة لا تنفد، ...

الدعاء السادس والثلاثون

- ٢٠٢ اللهم إن هذين آيتان من آياتك، وهذين عونان ...
 ٢٠٦ اللهم صل على محمد وآله، وأنزل علينا نفع هذه السحاب ...
 ٢٠٧ اللهم وإن كنت بعثتها نقمة، وأرسلتها سخطة، ...
 ٢٠٨ غضبك ونبتل إليك في سؤال عفوك، ...

- ٢٠٩ اللهم اذهب محل بلادنا بسقياك ، ...
 ٢١١ ما عند أحد دونك دفاع ، ولا بأحد عن سطوتك امتناع ، ...
 ٢١٤ فلك الحمد على ما وقيتنا من البلاء ، ...
 ٢١٥ إنك المتان بجسيم المن ، الوهاب العظيم ...

الدعاء السابع والثلاثون

- ٢٢٨ اللهم إن أحد لا يبلغ من شكرك غاية إلا حصل عليه ...
 ٢٣٧ لا يجب لأحد أن تغفر له باستحقاقه ، ...
 ٢٣٨ تشكر سير ما شكرته ، وتثيب على قليل ما تطاع فيه ، ...
 ٢٤٢ بل ملكت يا إلهي أمرهم قبل أن يملكوا عبادتك ...
 ٢٤٣ ثوابهم قبل أن يفيضوا في طاعتك ، ...
 ٢٤٤ فكل البرية معترفة بأنك غير ظالم لمن عاقبت ، ...
 ٢٤٩ فسبحانك ما أبين كرمك في معاملة من أطاعك ...
 ٢٥١ ولو كافأت المطيع على ما أنت توليته ، ...
 ٢٥٥ ثم لم تسمه القصاص فيما أكل من رزقك الذي تقوى به ...
 ٢٥٦ باستعمالها الى مغفرتك ، ولو فعلت ذلك به لذهب ...
 ٢٦٠ فأما العاصي أمرك ، والمواقع نهيك ...
 ٢٦١ يستبدل بحاله في معصيتك حال الإنابة ...
 ٢٦٤ فتباركت أن توصف إلا بالاحسان وكرمت أن ...
 ٢٦٥ أرضاك . فصل على محمد وآل محمد ، وهب لي أملي ، ...

الدعاء الثامن والثلاثون

- ٢٧٧ اللهم إنني أعتذر اليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره ...
 ٢٩٢ أعتذر اليك يا إلهي منهم ، ومن نظائره من اعتذار ندامية ...

ندامتني على ما وقعت فيه من الزلات ... ٢٩٣

الدعاء التاسع والثلاثون

- ٣٠٤ اللهم صل على محمد وآل محمد، واكسر شهوتي عن كل محرم ...
 ٣٠٦ اللهم وأيما عبد نال مني ما حظرت عليه، ...
 ٣٠٩ واجعل ما سمحت به من العفو عنهم، ...
 ٣١٠ وعوّضني من عفوي عنهم عفوك، ...
 ٣١٢ اللهم وأيما عبد من عبيدك أدركه مني ذرّك، ...
 ٣١٥ ثم قني ما يوجب له حكمك، ...
 ٣١٧ اللهم إني أستوهبك يا إلهي ما لا ينقصك بذله، ...
 ٣٢١ وأستحملك من ذنوبي ما قد بهظني حمله، ...
 ٣٢٣ فصل على محمد وآله، واجعلني أسوة من قد أنظته ...
 ٣٢٥ أنك إن تفعل ذلك يا إلهي تفعله بمن لا يحسد استحقاقه ...
 ٣٣٢ فأما أنت يا إلهي فأهل أن لا يغتر بك الصديقون، ...
 ٣٣٣ تعالى ذكرك عن المذكورين، وتقدّست أسماؤك ...

الدعاء الأربعون

- ٣٤٢ اللهم صل على محمد وآله واكفنا طول الأمل ...
 ٣٤٣ العمل حتى لا نؤمل استتمام ساعة بعد ساعة، ...
 ٣٤٧ وانصب الموت بين أيدينا نصباً، ...
 ٣٤٨ لنا من صالح الأعمال عملاً نستبطي معه المصير إليك، ...
 ٣٥٥ فاذا أوردته علينا، وأنزلت بنا فأسعدنا به زائراً، ...
 ٣٥٧ أمتنا مهتدين غير ضالين، طائعين غير مستكرهين، ...

الدعاء الواحد والأربعون

- ٣٦٦ اللهم صلّ على محمد وآله، وافرّشني مهّاد كرامتك ...
 ٣٦٧ ولا تسمني بالردّ عنك، ولا تحرمني بالخبيّة منك، ...
 ٣٦٨ ولا تحمل على ميزان الإنصاف عملي، ولا تعلن على عيون الملأ ...
 ٣٧٥ شرف درجتي برضوانك، وأكمل كرامتي بغفرانك، ...

الدعاء الثاني والأربعون

- ٤٠٥ اللهم إنك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً، ...
 ٤١٢ وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه ...
 ٤١٣ لسانه ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه وعلم نجاه ...
 ٤٣١ اللهم إنك أنزلته على نبيّك محمد صلى الله عليه وآله مجملاً وألهمته علم ...
 ٤٤٤ اللهم فكما جعلت قلوبنا له حمله، وعرفتنا برحمتك شرفه ...
 ٤٤٨.. اللهم صلّ على محمد وآله واجعلنا ممّن يعتصم بحبله ويأوي من التشابهات ...
 ٤٥١ اللهم وكما نصبت به محمداً علماً للدلالة عليك، وأنجيت بآله سبل الرضا ...
 ٤٥٤ اللهم صلّ على محمد وآله واحطط بالقرآن عثاً ثقل الأوزار، وهب لنا ...
 ٤٥٧ اللهم صلّ على محمد وآله واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنساً ...
 ٤٥٨ الى المعاصي حابساً ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة مخرساً ...
 ٤٦٤ اللهم صلّ على محمد وآله وأدم بالقرآن صلاح ظاهرنّا واحجب به خطراته ...
 ٤٦٧ اللهم صلّ على محمد وآله واجبر بالقرآن خلّتنا من عدم الإملاق ...
 ٤٧٠ اللهم صلّ على محمد وآله وهون بالقرآن عند الموت على أنفسنا ...
 ٤٧١ وقيل من راقٍ وتجلّى ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب ...
 ٤٧٦ اللهم صلّ على محمد وآله وبارك لنا في حلول دار البلى وطول المقامة ...
 ٤٧٧ وثبت به عند اضطراب جسر جهنم يوم المجاز عليها زلل أقدامنا ...

- ٤٨٤ اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما بلغ رسالتك وصديع ...
 ٤٨٧ اللهم صل على محمد وآله وشرف بنيانه وعظم برهانه وثقل ...
 ٤٩٢ وصل اللهم على محمد وآله صلاة تبلغه بها أفضل ما يامل من خيرك ...

الدعاء الثالث والأربعون

- ٥٠٧ أيها الخلق المطيع، الذائب السريع، المتردة في منازل ...
 ٥١٦ آمنتُ بمن نوربك الظلم، وأوضح بك البهم ...
 ٥٢١ سبحانه ما أعجب ما دبر في أمرك، وألطف ما صنع ...
 ٥٢٢ مفتاح شهر حادث لأمر حادث، فأسال الله ربي وربك ...
 ٥٣٠ اللهم صل على محمد وآله، واجعلنا من أرضي من طلع عليه ...



مركز تحقيقات کتب ویراث علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس الآيات

(٢) سورة البقرة

الصفحة

رقم الآية



٥١٦	وعلى أبصارهم غشاوة	٧
٢٩٥	اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى	١٦
٢٤١	أو كصيبٍ من السماء	١٩
٤٠	ولن تفعلوا	٢٤
٨٧	وكُلا منها رغداً	٣٥
١٨٨	الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم	٤٦
٣٦٧	يسومونكم سوء العذاب	٤٩
٣٥٧	واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون	٥٣
٤٥٤	وقولوا حظاً	٥٨
٢٤٠	اضرب بعصاك الحجر فانفجرت	٦٠
٢٦٢	أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير	٦١
٣٨	فقليلاً ما يؤمنون	٨٨
٣٥٢	قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصةً من	٩٤

١٧٠	وسعى في خرابها	١١٤
١٦١	واذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات	١٢٤
٣٠٦	إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين	١٣١
٤١٧	وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء	١٤٣
٤١٦	وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ...	١٤٣
٣٥٨	أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون	١٥٧
١١٢	خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب	١٦٢
٤٤١	ولا يظلم ربك أحداً	١٦٣
٣٥٨	أولو كان آبائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون	١٧٠
٤٦٣ و ٣٢٢	وأتى المال على حبه	١٧٧
٢٠٧	ولكم في القصص حياة	١٧٩
٢١٤	يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر	١٨٥
٤٢٢	أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان	١٨٥
٣٢٢	ولا تحمل علينا إصراً	١٨٦
٤٨٤	واذكروه كما هداكم	١٩٨
٢٩٥	فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات	٢٠٩
١٥٤	وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا	٢١٦
٢٩٥	إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين	٢٢٢
٧٣	تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك	٢٢٩
٣٧٥	والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين	٢٣٣
٣٧٢	الم تر إلى الملاء من بني إسرائيل	٢٤٦
٣٥٨	لا إكراه في الدين	٢٥٦
١٤٦	بلى ولكن ليطمئن قلبي	٢٦٠
٣٧٤	إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها ...	٢٧١

٥٢٤	٢٧٦	يمحق الله الربا
٤٧	٢٨٠	فنظرة الى "ميسرة"

(٣) سورة آل عمران

٤٣٠	٧	وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم
٤٢٢	٧	هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم
	٧	فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه
		منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله
		إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل
٤٢٨		من عند ربنا
٢٦١	٧	هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
٤٦٣	١٥	قل أوتيتكم بخير من ذلكم تتكفرون
٣٠٦	١٩	إن الدين عند الله الاسلام
٢٠٦	٣٧	نبأتا حسناً
٢٦٣	٣٧	كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً
	٥٩	إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال
٢٨٧		له كن فيكون
٣٥٩	٨٣	وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً
٣٢٥	١٠٣	فأصبحتم بنعمته إخواناً
٤٨٨	١٠٦	يوم تبيض وجوه
٤٨٢	١٠٦	يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
	١١٨	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خيالا
		ودوا ما عنكم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ٢١٣

١٦٣	والله خير بما تعملون	١٥٣
٢٣٩	فأثابكم غمّاً بغمّ	١٥٣
٢١٥-٥٣٠	لقد منّ الله على المؤمنين	١٦٤

(٤) سورة النساء

	وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه	٤
٤٦٢	نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً	
٢١١	غنياً فليستعفف	٦
	ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً	١٤
٤٦٩	فيها وله عذاب مهين	
٣٦٨	ولا يكتُمون الله حديثاً	٤٢
	يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول	٥٩
١٧٣	وأولي الأمر منكم	
	أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين	٦٩
٣٣٢	والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً	
٣١٠	ودية مسلّمة الى أهله إلا أن يصدقوا	٩٢
٣١٤	ومن يكسب خطيئةً أو إثماً	١١٢
٤٨٩	اتبعوا ملّة إبراهيم	١٢٥
	ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا	١٢٩
٤٨١	تميلوا كلّ الميل	
١٨١	ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء	١٢٩
	لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة	١٧٢
٨١	المقربون	

١٧٤	وأُنزلنا اليكم نوراً مبيناً	٤٠٦
١٧٥	فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة	
	منه وفضلٍ	٢٦١

(٥) سورة المائدة

٢	ولا تعاونوا على الإثم والعدوان	٣١٦
٣٥	وابتغوا اليه الوسيلة	٤٥٢
٤٥	فمن تصدق به فهو كفارة له	٣١٠
٤٨	وأُنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من	
	الكتاب ومهيماً عليه	٤٠٨
٦١	وقد دخلوا بالكفر	١٦٣
٨٥	فأثابهم الله بما قالوا جناب	٢٣٩
٩٧	جعل الله الكعبة البيت الحرام	٢٩
١١٠	أيدتك بروح القدس	١٩١
١١٤	وارزقنا وأنت خير الرازقين	١٠٦

(٦) سورة الانعام

٣٨	ما فرطنا في الكتاب من شيء	٤٤٥
٥٦	قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين	٣٥٧
٥٩	وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو	٣٥٧
٩١	وما قدرُوا الله حقَّ قدره	٤٨٦ و ٢٣٦ و ١٥١
٩٢	وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه	٢٩٣
٩٤	وتركتم ما خولناكم	١٨٧
٩٧	هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها	٣٥٧
١٠١	أتى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة	١٩٤

١٢٢	أومن كان ميتاً فأحييناه	٣٤٢
١٣٨	وقالوا هذه أنعام وحرث حجر	٣٠٧
١٤١	وآتوا حقه يوم حصاده	٤٤١
١٤٧	فقل ربكم ذو رحمة واسعة	٤٩٣
١٤٩	فلله الحجة البالغة	٣٣٠
١٥١	ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق	٤٤١

(٧) سورة الأعراف

٨	والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون	٣٧
٨	فأولئك هم المفلحون	٣٧١
١٦-١٤	قال انظرنى الى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال فيها أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم	٤٨
١٦	فبها أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم	٢٤٨
٢٦	قد أنزلنا عليكم لباساً	٢٠٦
٣٤	لا يستأخرون ساعة	٣٤٤
٥٧	أقلت سحاباً ثقالاً	٣١٦
٩٩	أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون	٧٧
١٥٦	ورحمتي وسعت كل شيء	٤٩٣
١٦١	وقولوا حطة	٤٥٤
١٦٩	ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق	٤٤٩
١٨٣	وأملئ لهم إن كيدي متين	٢٥٠
٢٠٠	وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم	٤٥٨

(٨) سورة الانفال

٣٧٠ و ٣٧٤	٣٢	إن كان هذا هو الحق من عندك
-----------	----	----------------------------

(٩) سورة التوبة

	٣٢	يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله
٤١٥		إلا أن يتم نوره
٤٣٤	٣٧	إنما النسي زيادة في الكفر
٣١٦	٤٠	إلا تنصروه فقد نصره الله
١٠٦	٧٣	يأيتها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم
٣٤٣	١٠٢	خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً
	١٠٢	وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً
٣٢٩		عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم
٣١٠	١٠٣	خذ من أموالهم صدقة
٣٥٩	١٢٠	إن الله لا يضيع أجر المحسنين

(١٠) سورة يونس

٤٤٥	١	تلك آيات الكتاب الحكيم
	٥	هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا
٥٠٩		عدد السنين والحساب
٥١٠	٥	وقدره منازل
٥١٦	٥	جعل الشمس ضياء والقمر نوراً
٤٥١	١٥	قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله
٤٨٣	٥٤	وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون

٤١٣	قد جاء تكلم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور	٥٧
٣٦٠	إن الله لا يصلح عمل المفسدين	٨١
٤٤٧	فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك	٩٤
٣٥٨	فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه	١٠٨

(١١) سورة هود

٤٢٢	كتاب أحكمت آياته	١
٤١٠	كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير	١
٣٠	ليبلوكم أيكم أحسن عملاً	٧
٤٨٥	ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم	٣٤
٤٤٩	سأوي إلى جبل يعصمني من الماء	٤٣
٤٩٥	رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت	٧٣
٣١١	وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها	١٠٨
١٧٣	فاستقم كما أمرت	١١٢
٢٤٠	إليه يرجع الأمر كله	١٢٣

(١٢) سورة يوسف

٤٠٩	نحن نقص عليك أحسن القصص	٣
١٧	وفوق كل ذي علم عليم	٧٦
١٨٠	وسئل القرية	٨٢
٧٧	إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون	٨٧
٢١٦	وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن	١٠٠
٣٧٨ و ٣٠٦	توفني مسلماً وألحقني بالصالحين	١٠١
٤٩٠ و ٢٦٠	قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني	١٠٨

(١٣) سورة الرعد

٤٢٥ و ٣٢٢ و ٣٢٨	وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم	٦
٢٠٤	هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً	١٢
٢٠٤	ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء	١٣
٩٠	والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم	٢٤ و ٢٣
٤٦١	مثل الجنة التي وعد المتقون	٣٥

(١٤) سورة ابراهيم

٢٣٢	واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم	٧
٣٤٢	ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت	١٧
٥٦	إني كفرت بما أشركتمون من قبل	٢٢
٥٠٧	وسخر لكم الشمس والقمر ذابين	٣٣
٢٣٥	إن الإنسان لظلوم كفار	٣٤
٢٦٣	وآتاكم من كل ما سألتموه	٣٤
٢٣٥	وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها	٣٤
٤٦٨	واجنبني وبنتي أن نعبد الأصنام	٣٥
٤٦٢	وضربنا لكم الأمثال	٤٥

(١٥) سورة الحجر

٣٤٥	ربما يؤذ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا	٣ و ٢
	ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون	
	قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من	٤٠-٣٦
	المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني	
	لأزينن لهم في الأرض ولا أعوينهم أجمعين إلا عبادك	

٤٨	منهم المخلصين	
٣٧٨	ان المتقين في جنات وعيون....	٤٥-٤٦
٤٥٣	ادخلوها بسلام آمنين	٤٦
٣٣	ومن يقنط من رحمة ربه الآ....	٥٦
٤٤٥	ولقد آتيناك سبعاً من....	٨٧
٤٨٤	فاصدع بما تؤمر واعرض....	٩٤

(١٦) سورة النمل

٢٣٥	إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ	١٨
٤٩٣	ادخلوا الجنة بما كنتم....	٣٢
٣٠٥	إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ	٣٧
٢١٢	وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ	٥٣
٤٦١	وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى	٦٠
٣٤٤	لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً	٦١
٤١١	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ	٨٩
٤٣٨	تَبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ	٨٩
٦٤	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ....	٩٠
٤٤٦	أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ....	١٢٥

(١٧) سورة الإسراء

٦٨	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا	١
٤٥٦	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ	٩
١٤٩	وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ	١٢
٤١١	وَكُلَّ شَيْءٍ فَفَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً	١٢

١٣	وكلّ إنسان أُلزمناه طائرهُ في عنقه	٤٧٥
٣١	إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا	٦٨
٣٣	وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ	٤٤١
٦٧	وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ	٢٤٥
٧٢	وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ....	٣٥٥
٧٣	وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ	١٨٤
٧٩	وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَجُدْ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ....	١٠
٨٢	وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ....	٤١٤
١٠٩	وَيَخْرُونَ لِلأُذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا	٤٠١
١١٠	وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا	٤٠١
٨٨	قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ...	٤٤٥

سورة الكهف (١٨)

١٦	وَإِذْ اعْتَظَمْتُمُوهُمْ وَامْعَدُونِ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ	٧٨
٢٨	وَلَا تَطْعُ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا	١٧١
٤٨ و ٤٧	وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرْضُوا....	٤٦٥
٤٩	أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ	٤٤١

سورة مريم (١٩)

١٢	يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ	٤٤٢
٢٧	لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا	١٦٦
٣٩	وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ	٤٨٢
٤١	إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا	٣٣٢
٥٩	فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ	٧٠

٤٣٢	٦٣	تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً
٣٤٢	٦٦	أثذا مامت لسوف أخرج حياً
١١٧	٧٢ و ٧١	وإن منكم إلا واردها كان على ربك ...
٤٨٣	٩٦	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات

(٢٠) سورة طه

٤٠١	١٤	إنني أنا الله
٤٥٩	٢٢	واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من
٢٦٨	٥٠	أعطي كل شيء خلقه ثم هدى
٣١٢	٧٧	لا تخاف دركاً ولا تخشى
٣٥٨	٨٢	وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل
٢٩٤	٩٠	وأطيعوا أمري
٢٠٣	٩٠	فاتبعوني وأطيعوا أمري
٤٥٨	١٢٠	فوسوس إليه الشيطان
٤٥٥	١٣٠	ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار

(٢١) سورة الأنبياء

٥٠٨	٣٣	والشمس والقمر كل في فلك
٥١١	٣٣	كل في فلك يسبحون
١٨٤ و ١٦٠	٣٥	ونبلوكم بالشر والخير فتنة
٣٧٠	٤٧	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا ...
٤٤٥	٥٠	وهذا ذكر مبارك أنزلناه فهل أنتم له منكرون
٣٧٣	٦١	فأتوا به على أعين الناس
٤١٤	٧٩	ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً
١١٧	١٠١	إن الذين سبقتم لهم مآ الحسنى أولئك

(٢٢) سورة الحج

٢٠٨	١٧	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ....
١١٦	٢٠ و ١٩	يَصُبُّ مِنْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمَ ۖ يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي....
٧٦	٣٥ و ٣٤	وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۖ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ....
٢١٢	٣٨	إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا
٤٠	٧٣	لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً
٤٤٥	٨٨	قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ...

(٢٣) سورة المؤمنون

٩١	٢ و ٣ و ١٤	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۖ ثُمَّ...
٦٠	٨٨	وَهُوَ يَجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ
٣٧٠	١٠٣	وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي...

(٢٤) سورة النور

١٨٣	٢	وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ
١٨٢	١٠	وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
٢٥٠	١١	وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ
١٦٤	٣٥	وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
٤٥٦	٣٧	لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ

(٢٥) سورة الفرقان

١٠٤	٢٧	يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً
٢٣٠	٣٣	وَلَا يَأْتُونَكَ بِمِثْلِ إِلَّا جُنُودًا بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ....
٢٠٥	٤٠	أَمْطَرْتُ مَطَرًا سَوِيًّا

١٢٠	وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً	٦٢
١٠٥	إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك	٧٠

(٢٦) سورة الشعراء

٤٨٠ و ٢٩٤	ولا تطيعوا أمر المسرفين	١٥١
٤٠٦	نزل به الروح الأمين	١٩٣

(٢٧) سورة النمل

٥٦	ولّى مدبراً	١٠
٤٠٤	وتفقد الطير فقال ما لي لأرى الهدد	٢٠
٢١١	قال الذي عنده علم من الكتاب	٤٠
٣١٥	ردف لكم	٧٢
٣٤٢	إنك لا تسمع الموتى	٨٠
٣٠٦	إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون	٨١
٤٦٦	ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن ...	٨٧

(٢٨) سورة القصص

١١٨	ولما ورد ماء مدين	٢٣
٣١٤	فإن أتممت عشراً فمن عندك	٢٧

(٢٩) سورة العنكبوت

٤٥٤	وليحملن أثقالهن وأثقالاً مع أثقالهن	١٣
٤٦٢	وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا	٤٣
١١٠	يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين	٥٤
٢٦٨	والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا	٦٩

(٣٠) سورة الروم

٢١٥	وله الحمد في السماوات والأرض	١٨
٢٠٢	ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً	٢٤
٢٤٦	وله من في السماوات والأرض كل له قانتون	٢٦
٢٥	وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه	٢٧

(٣١) سورة لقمان

١٦	ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة	٢٨
----	-----------------------------------	----

(٣٢) سورة السجدة

٥٢٢	يدبر الأمر من السماء إلى الأرض	٥
٢١٧	الذي أحسن كل شيء خلقه	٧
٨٤	ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين	٨
٢٦٨	وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا	٢٤

(٣٣) سورة الأحزاب

١٩٣	لستن كأحد من النساء	٣٢
١٧٣ و ١٤٨	إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل	٣٣

(٣٤) سورة سبأ

٤٥	لا يعزب عنه مثقال ذرة	٣
٤٩٣	أولئك لهم مغفرة ورزق كريم	٤
٢٦٧	لعلي هدى أوفي ضلال مبين	٢٤
٢٩٤	إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد	٤٦

٤٦ إِنَّمَا أُعْظِكُمْ بِوَاحِدَةٍ ١٦٩

(٣٥) سورة فاطر

١٥ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ٢١٠

٣١ و٣٠ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ.... ٤٣٣

٣٢ فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ.... ٣٦

٣٤-٣٠ «إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ» «إِنْ رَبَّنَا.... ٢٣٨

٣٥ و٣٤ لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ.... ٣٥٥

٣٥ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ.... ٤٥٤

٣٦ لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا ١٠١

(٣٦) سورة يس

٣٩ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ.... ٥٠٨

(٣٧) سورة الصافات

٧٠ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يَهْرَعُونَ ٤٥٥

١٥٨ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِصْبًا ١٩٥

(٣٨) سورة ص

١ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ٣٣٤-٤٤٤

٢٩ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ... ٤٤٥

٧٥ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ٢٤٩

٨٣-٧٩ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمٍ.... ٤٩

٨٣ و٨٢ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ.... ٢٤٨

(٣٩) سورة الزمر

٢٥٦	٦	خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها
٤٥٣	٢٠	لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها
٤٠٩	٢٣	الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً
٤٢٢	٢٣	كتاباً متشابهاً مثاني
٤٦١	٢٧	ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
٤٦٢	٢٧	ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل....
٣٤١	٣٠	إنك ميت وأنهم ميتون
٣٤٢	٤٢	الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
١٦	٦٧	والسماوات مطويات بيمينه

(٤٠) سورة غافر

٣٦٥	٩	وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ...
١٤٩	١١	ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين
٢٠٦	١٣	يُنزل لكم من السماء رزقاً
٤٧٦	١٥	لينذريوم التلاق
٢١٤	٣١	وما الله يريد ظلماً للعباد
٢٥	٥٧	لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس

(٤١) سورة فصلت

٤١٠	٣	كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون
٤٤٥	٤١	إنه لكتاب عزيز

(٤٢) سورة الشورى

٨٩	٢	كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك
----	---	-----------------------------------

١١	وليس كمثله شيء	١٩٤
٢٣	ومن يقترب حسنة نزدله فيها حسناً إن الله غفور شكور	٢٣٨

(٤٣) سورة الزخرف

٣	إنا جعلناه قرآناً عربياً	٤٤
٣٢	نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا	١٨٢
٣٢	نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا...	١٠٥
٤٤	وإنه لذكر لك ولقومك	٣٣٤

(٤٤) سورة الدخان

٣٣	أتى لهم الذكرى	٢٥٩
----	----------------	-----

(٤٥) سورة الجاثية

٢٠	بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يؤمنون	١٠
----	------------------------------------	----

(٤٧) سورة محمد

٤	فإما متاً بعد وإما فداء	٢٦٨
١٥	وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم	١١٦
١٧	والذين اهتدوا زادهم هدى	٢٦٨ و ٢٦٧
٢٤	أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	٤٤٠

(٤٨) سورة الفتح

٦	عليهم دائرة السوء	٦٥
١٠	ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه....	٣٢٢

(٤٩) سورة الحجرات

٩	فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى....	٣٥٠
---	-----------------------------------	-----

٣٠٦	قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا	١٤
٢٤١	يؤمنون عليك أن أسلموا قل	١٧

(٥٠) سورة ق

٣٤٢	وأحيينا به بلدة ميتاً	١١
٣٦٨	فكشفنا عنك غطاءك	٢٢
٣٦٧	يوم يسمعون الصيحة	٤٢

(٥١) سورة الذاريات

١٠	كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار....	١٨ و ١٧
٣٢١	وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم	٢١ و ٢٠
١٠٤	فنعم الماهدون	٤٨

(٥٣) سورة النجم

٣٠٩	وما ينطق عن الهوى	٣
-----	-------------------	---

(٥٤) سورة القمر

١٧٠	ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مُرْدَجَرٌ	٤
٩٩	فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر	٤٥

(٥٥) سورة الرحمن

١٧	كل يوم هو في شأن	٢٩
٢٤٦	يسئله من في السموات والأرض	٢٩

(٥٦) سورة الواقعة

٣٧٧	وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة	١٠-٦
٨١	والسابقون السابقون أولئك المقربون	١١ و ١٠

٤٤٥	٧٩	إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ....
		(٥٧) سورة الحديد
٤٢٠	٢٧	فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا
		(٥٨) سورة المجادلة
٢٤٩	٢٢	أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ....
		(٥٩) سورة الحشر
٤٦٠	٢	فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ
٢٨٥	٩	يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
٣٧٨	٢٠	أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ
٤٦٣	٢١	لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ....
		(٦٠) سورة الممتحنة
٤٧	١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ....
٣٧٤	١	وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ
٤١٨	١٠	وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ
		(٦٢) سورة الجمعة
٤٤٣	٥	مِثْلَ الَّذِينَ حَمَلُوا الصَّوَارِيفَ تَمَيمًا....
٣٥٢	١٦	قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنَّ....
		(٦٧) سورة الملك
٣٤١	٢	خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

(٦٨) سورة القلم	
١٧١	٣٢ إنا إلى ربنا راغبون
(٦٩) سورة الحاقة	
١٩	٢٤ بما أسلفتم في الأيام الخالية
١٩٣	٤٧ من أحده عنه عاجزين
(٧١) سورة نوح	
٣٧٢	٩ ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً
٢٢	٩ والله أنبتكم من الأرض نباتاً
(٧٢) سورة الجن	
٦٠	٢٢ قل إني لن ينجيني من الله أحد ولن أجد من سواي
(٧٣) سورة المزمل	
٤٠٢	٤ ورتل القرآن ترتيلاً
٢٢	٨ وتبطل إليه تبتيلاً
(٧٤) سورة المدثر	
٣٢٢	٣٨ كل نفس بما كسبت رهينة
(٧٥) سورة القيامة	
٢٥٩	٢٠١ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم....
٤٨٨	٢٢ وجوه يومئذ ناضرة
٤٧٣	٢٧ كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق

(٧٦) سورة الانسان

١١ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ٣٦٥ و ٢١١

(٧٧) سورة المرسلات

٢٠ ألم نخلقكم من ماءٍ مهين ٨٤
٣٦ و ٣٥ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم ٢٧٥

(٧٩) سورة النازعات

٣٤ فإذا جاءت الطاقة الكبرى ٤٨٢
٤١ فإن الجنة هي المأوى ٤١٤
٧٩ فالمدية أت أمراً ٥١٢

مرزوق (٨١) سورة عبس

٢٢ إذا شاء أنشره ٤٦٧
٣٨ و ٣٩ وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ٤٨٨

(٨٣) سورة المطففين

٦ يوم يقوم الناس لرب العالمين ٤٥٣

(٨٤) سورة الانشقاق

١٩ لتركن طبقاً عن طبق ٨٨

(٨٥) سورة البروج

٢١ بل هو قرآن مجيد ٤٤٥

(٨٧) سورة الأعلى

٣ والذي قدر فهدى ٢٦٨

	(٨٩) سورة الفجر	
٣٥	يا ليتني قدّمت لحياقي • فيومئذ لا يعذب	٢٤-٢٦
	(٩٠) سورة البلد	
٢٧٦	فك رقية	١٣
	(٩٣) سورة الضحى	
٢١٠	ووجدك عائلاً فأغنى	٨
	(٩٤) سورة الانشراح	
٥٢٥	فإنّ مع العسر يسراً	٥
١٧١	والى ربك فارغب	٨
	(٩٦) سورة العلق	
١٨٠	فليدع ناديه	١٧
	(٩٩) سورة الزلزلة	
٣٦٩	فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره • ومن	٨٧
	(١٠١) سورة القارعة	
٤٨٨	فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة ...	٦
	(١١٢) سورة الإخلاص	
١٩٣ و ٢٨	قل هو الله أحد	١
	(١١٤) سورة الناس	
٤٥٨	الذي يوسوس في صدور الناس	٥

فهرس الأحاديث

حرف الألف

الصفحة	القائل
٤١٣	النبي (ص): اتبعوا القرآن ولا تتبعنكم...
٣١	النبي (ص): أتمكم عقلاً، وأشدكم لله خوفاً...
٣٥	النبي (ص): الأحمق من اتبع نفسه هواها، وتمتى...
٢٩١	النبي (ص): أدنى الكفر أن يسمع الرجل...
٤٨٤	النبي (ص): إذا أحب الله عبد أقول لجبرئيل...
٤٤٠	النبي (ص): إذا جاءكم عني حديث...
١١٧	النبي (ص): إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض...
١٢٨	النبي (ص): إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين...
١١١	النبي (ص): اشتكت النار إلى ربها فقالت: ربّ...
٢٨٢	النبي (ص): أشكر لمن أنعم عليك.
٤٤١	النبي (ص): أعربوا القرآن والتمسوا...
٣٥٨	النبي (ص): الأعمال بالنيّات...
٤٠٣	النبي (ص): اقرأوا القرآن بألحان العرب.
١٢٨	النبي (ص): اللهم خیر لی واختری
٤٢٦	النبي (ص): (في علي عليه السلام): اللهم فقهه في الدين،...

- النبي (ص): أمرت أن أكلم... ٤٢٨
- النبي (ص): إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه... ٢٩٠
- النبي (ص): أنت يارب أسبغت عليّ النعم ٢٣٣
- في الحديث: إن بين يدي الساعة سنين غدارة... ٥٥
- في الحديث: إن البرق سوط من نار... ٢٠١
- في الحديث: إن جهنم سوداء مظلمة... ١٠٨
- في الحديث: إن السابقين هم رسل... ٣٧٧
- في الخبر: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. ١٠٢
- النبي (ص): إن القبر أول منزل من منازل... ٤٧٨
- النبي (ص): إن القرآن ذلول ذو وجوه ٤٤٠
- النبي (ص): إن القرآن نزل على سبعة أحرف... ٣٩٣
- النبي (ص): إن الله عز وجل قسم الخلق قسمين... ٣٧٧
- في الحديث: إن الله يقتص من حسنات الظالم... ٣١٥
- في الحديث: إن من ورطات الأمور... ٣٢٤
- في الحديث: إن النار تأكل أهلها حتى إذا... ١١٣
- النبي (ص): إنه ليس شيء أباعد من قلوب... ٤٤٣
- النبي (ص): أوقد على النار ألف سنة حتى احترت ١٠٨
- النبي (ص): أتيكم أحسن عقلاً، وأورع... ٣٠
- في مناجاة بعضهم (ع) الهي انت تعلم عجزني عن مواقع شكرك... ٢٣٤
- الإمام علي (ع): احذروا يوماً لا يُخاف من الحاكم... ٢٦٦
- الإمام علي (ع): (لابنه محمد بن الحنفية): اقبل من متصل عذره ٢٨٤
- الإمام علي (ع): اعلمتم ان مالكا اذا غضب على النار حطم... ١١١
- الإمام علي (ع): اللهم احملني على عفوك، ولا تحملي... ٢٦٦
- الإمام علي (ع): اللهم أعل على بناء البانين بناءه ٤٨٧

- ٣٩٩ اللهم اني أسألك إِنْجِبَاتِ الْمُحِبِّتَيْنِ ... : أمير المؤمنين (ع)
- ١٤٤ اللهم اني استخيرك خيرة من فوض اليك امره : الإمام علي (ع)
- ١٣١ اللهم إني قد هممت بأمر قد علمته ... : الإمام علي (ع)
- ٣٤٥ إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ : ... : الإمام علي (ع)
- ٤١٦ اِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اَيَانَا عَنِ بَقُولِهِ : «لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ ... : الإمام علي (ع)
- ٢٦٥ اِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ... : الإمام علي (ع)
- ٤٣٧ اِنَّ فِي الْقُرْآنِ عِلْمَ مَا مَضَى ... : الإمام علي (ع)
- ٥٧ اَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ... : الإمام علي (ع)
- ٤٣٠ أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا ... : الإمام علي (ع)
- ٢٨٣ اِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ : الحسين (ع)
- ٣٦٩ (فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) : اِذَا كَانَ ... : الباقر (ع)
- ٧٢ اِنَّ الْعَبْدَ لِيَرْفَعُ مِنْ صَلَاتِهِ نِصْفَهَا اَوْ ثُلُثَهَا : أبو جعفر (ع)
- ٤٣٧ اِنَّ مِنْ عِلْمٍ مَا اَوْتَيْنَا ... : الباقر (ع)
- ٥٢٩ اِنَّ النَّبِيَّ (ص) بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ ... : الباقر (ع)
- ٢٨٨ اَدَّوْا الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا : الصادق (ع)
- ١٣٤ اِذَا أَرَدْتَ الاسْتِخَارَةَ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ فَقُلْ بَعْدَ ... : الصادق (ع)
- ١٣٧ اِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا فَخُذْ سِتْرَ قَاعٍ ... : الصادق (ع)
- ١٣٣ اِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَمْرًا فَلَا يَشَاوِرْ فِيهِ أَحَدًا ... : الصادق (ع)
- ١٣٢ اِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا فَلْيَصِلْ رَكْعَتَيْنِ ... : الصادق (ع)
- ٥٠٦ اِذَا رَأَيْتَ هَلَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ ... : الصادق (ع)
- ١٣٣ اِذَا عَرَضْتَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ حَاجَةً فَلْيَسْتَشِرْ رُبَّهُ ... : الصادق (ع)
- ٣٦٥ اِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَجَلَّى اللَّهُ ... : الصادق (ع)
- ١٣٢ (لَا سِحَاقَ بَنِ عَمَّارٍ) : اِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ : الصادق (ع)
- ١٣٢ اسْتَخِرِ اللَّهَ بِرَحْمَتِهِ ... : الصادق (ع)

- الصادق (ع) (عن تنزيل القرآن): اقرأ كما علمتم ٣٩٤
- الصادق (ع): اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم... ٣٩٤
- الصادق (ع) (في اكرم الخلق): اكثرهم ذكر الله، واعلمهم بطاعته ١٤٧
- الصادق (ع): إن الله أوضح بأئمة الهدى في أهل... ٤٥٢
- الصادق (ع) (عند الفراغ من قراءة القرآن): اللهم اني قرات... ٣٩٩
- الصادق (ع): أمثال القرآن لها فوائد... ٤٦١
- الصادق (ع): إن في إجلال الله تعالى... ٢٩٢
- الصادق (ع): أنزل في القرآن تبيان... ٤٣١
- الصادق (ع): انظر اذا قمت الى الصلاة... ١٣٤
- الصادق (ع): إن القرآن نزل بالحزن... ٤٠١
- الصادق (ع): إنما خلد أهل النار في النار لأن... ٢٥٥
- الصادق (ع) (في الاستخارة): ان يستخير الله الرجل في آخر... ١٣٣
- الصادق (ع): أوحى الله الى موسى عليه السلام... ٢٣٣
- الصادق (ع): إيتانا عنى خاصة، أمر جميع المؤمنين... ١٧٣
- الصادق (ع): أيما عبد أنعم الله عليه بنعمة... ٢٣٢
- الكاظم (ع): أمرك بتقوى الله... ٢٨٥
- الرضا (ع): اذا أردت أمرًا فصل ركعتين... ١٣٣
- أبو الحسن (ع): اقرأوا كما تعلمتم فسيجيئكم... ٣٩٤
- الرضا (ع): اللهم إن خيرتك فيما أمستخيرك فيه... ١٤٣
- حرف الباء
- الإمام علي (ع): بساع سريع نجا، وطالب بطي، ومقصر في النار ٣٦
- الإمام علي (ع) (في تفسير: ورتل القرآن ترتيلاً): بينه تبياناً... ٤٠٢
- الصادق (ع): بسم الله، اللهم إني أشهد أن هذا... ٣٩٨
- الصادق (ع): بل اقرأه، وانظر في المصحف... ٤٠٠

- القائم (ع): بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إني أسألك
حرف التاء ١٤٤
- النبي (ص): تحيضي في علم الله ستة أو سبعة أيام ١١٥
- الإمام علي (ع): التوحيد: أن لا تتوهمه، والعدل: أن لا تثهمه ١٤٧
- الصادق (ع): تقرأ الحمد مرة، والإخلاص ثلاثاً... ١٤٠
- حرف الشاء
- النبي (ص): ثلاثة على كثران من مسك... ٤٦٧
- الصادق (ع): ثلاثة لا يجهل حقهم... ٢٩٢
- الكاظم (ع): ثلاث مهلكات: شخ مطاع، وهوى متبع... ٣٢
- حرف الجيم
- الصادق (ع): الجهر: رفع الصوت عالياً... ٤٠١
- حرف الحاء
- النبي (ص): (في أحب الأعمال): الحال المرتحل... ٣٩٧
- النبي (ص): الحسنة بالحسنة تعدل... ٣٦٥
- الصادق (ع): حق المؤمن على المؤمن المودة له... ٢٧٨
- حرف الدال
- النبي (ص): دع ما يريبك الى ما لا يريبك ١٤٧
- حرف الراء
- الباقر (ع): رجّع بالقرآن صوتك... ٤٠٣
- الصادق (ع): الراسخون في العلم... ٤٢٩
- الصادق (ع): الرجس في هذه الآية هو الشك ١٤٨
- حرف السين
- النبي (ص): ستكون فتن... ٤٥١
- الإمام علي (ع): سبحانه ما أعظم ما نرى من خلقك... ٢٥

- الإمام علي (ع): سبحانه الذي ليس له أول مبتدأ... ٢٩
- الإمام علي (ع): السنة سنتان: سنة في فريضة؛ الأخذ بها هدي... ٦٩
- الصادق (ع): (عن حق المؤمن): سبعون حقاً ٢٨٩
- حرف الصاد
- الصادق (ع): صل ركعتين، واستخر الله... ١٢٩
- حرف الضاد
- في الحديث: ضد القديم يستعمل في قليل الكلام ٤٠٨
- حرف العين
- النبي (ص): (في أفضل الأعمال): عليك بالحال المرتحل... ٣٩٦
- في الحديث: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ١٢٠
- الإمام علي (ع): عباد الله، إن من أحب الله إليه عبداً... ٣٣١
- حرف الفاء
- في الحديث: فيؤخذ بهم ذات الشمال... ٤٨٩
- الإمام علي (ع): فاذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة... ١٨٤
- الإمام علي (ع): فأصبح رجلاً عدوك، وامضي على بصيرتك ٥٨
- الإمام علي (ع): فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخط... ٥٢
- الإمام علي (ع): فإن الشريف من شرفته طاعتك. ١٨٩
- الإمام علي (ع): فبعث محمدًا صلى الله عليه وآله بقرآن... ٤٥٢
- الهادي (ع): فأت المسجد في غير وقت صلاة... ١٣٤
- حرف القاف
- في الحديث: القبر روضة من رياض الجنة ٤٧٧
- النبي (ص): (لعلي عليه السلام): قل: اللهم اجعل لي عندك عهداً ٤٨٤
- النبي (ص): قلت: فك رهاني، وثقل ميزاني ٢٣٤

حرف الكاف

٢٦	الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري،...	حديث قدسي:
٢٢٨	(لرجلي): كيف أصبحت؟...	النبي (ص):
٥٦	الكفر في آية: «أنا براء منكم... كفرنا بكم» البراءة	أهل البيت (ع):
١٣١	كان علي بن الحسين (ع) إذا هم بأمر حرج أو...	أبو جعفر (ع):
٢٤	كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه...	الباقر (ع):
١٣٠	كان أبي إذا أراد الاستخارة...	الصادق (ع):

حرف اللام

٣٢	لا يتكل العاملون بي على أعمالهم التي يعملون...	حديث قدسي:
٢٦	لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت...	النبي (ص):
٤٦٠	لا تنقضي عجائبه،...	النبي (ص):
٤٠٣	لكل شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن.	النبي (ص):
١٩٠	لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد.	النبي (ص):
٢٩٠	للمؤمن على أخيه ثلاثون حقاً	النبي (ص):
٤٥٧	لو شئنا لا قطعناهم...	في الحديث:
٢٦٢	لو علم الله أن عبداً...	في الحديث:
١٠٢	لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم...	في الخبر:
٤٤٨	ليردن علي الحوض أقوام...	في الحديث:
٣١٧	ليس أحد يدخل الجنة بعمله	في الحديث:
٣٥١	ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله	النبي (ص):
٣٣٣	لا تأمنن على خير هذه الأمة	الإمام علي (ع):
٢٠	لا تبليه الليالي والأيام، ولا يغيره الضياء	الإمام علي (ع):
٤٩٥	لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة.	الإمام علي (ع):

- ١٢٩ الامام علي (ع): لما ولا في النبي صلى الله عليه وآله على اليمن
- ٢٣٦ الإمام علي (ع) (في وصف الملائكة): لو عاينوا كُنه ما عليهم ..
- ٧٧ أبو جعفر (ع): ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران ...
- ٣٩٤ الصادق (ع) (لحمّد بن عبد الله): لا يعجبني أن تقرأه في أقلّ
- ٤٠٥ الصادق (ع): لا يعجبني أن يكتب القرآن إلا بالسواد
- ٢٨٣ الصادق (ع): لعن الله قاطعي سبيل المعروف
- ٧٢ الصادق (ع): للصلاة أربعة آلاف حدّ
- ٢٨٨ الصادق (ع) (في حق المسلم على المسلم): له سبع حقوق واجبات
- ٢٩٢ الصادق (ع): ليس مثا من لم يوقر كبيرنا
- ٣١ الصادق (ع) (في تفسير: «ليبلوكم أتيكم أحسن عملاً»): ليس ...
- حرف الميم
- ٣١١ حديث قدسي: ما تقرب إليّ عبد بمثل أداء الفرائض
- ١٢٩ حديث قدسي: من شقاء عبدي أن يعمل الأعمال فلا يستخيرني
- ٤٥١ النبي (ص): من ابتغى الهدى في غير الله ...
- ١٨٩ في الحديث: من استذل مؤمناً، أو احتقره لقلّة ذات يده ...
- ٣٧٠ النبي (ص) (لإقبال شهر رمضان): من أكثر فيه الصلاة عليّ ...
- ٢٨٤ في الحديث: من تنصل إليه أخوه فلم يقبل ...
- ٤٩١ النبي (ص): من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ...
- ١٢٨ النبي (ص): من سعادة ابن آدم استخارته الله
- ٢٩٢ النبي (ص): من عرف فضل كبير لستّه ...
- ٤٤٠ النبي (ص): من فسر القرآن برأيه ...
- ٤٣٩ النبي (ص): من فسر القرآن برأيه فقد كفر
- ٤٣٩ النبي (ص): من قال في القرآن بغير ...
- ٢٨٤ النبي (ص): من لم يقبل من متنصّل ...

- ٢٩١ الإمام علي (ع): من قال في مؤمن ما رأت ...
- ٣٩٦ الحسين (ع): من قرأ آية من كتاب الله ...
- ٤٤٧ الباقر (ع): ما ادعى أحد من الناس أنه ...
- ٤٣٦ الباقر (ع): ما ادعى أحد من الناس أنه جمع ...
- ٤٢٩ الباقر (ع): ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا ...
- ٤٣٧ الباقر (ع): ما يستطيع أحد أن يدعي ...
- ٤٤٧ الباقر (ع): ما يستطيع أحد أن يدعي أن ...
- ٣٩٦ الباقر (ع): من ختم القرآن بمكة من جمعة ...
- ٤٢٣ الباقر (ع): المنسوخات في المشابهات ...
- ١٢٩ الصادق (ع): ما أبالي إذا استخريت على أي طرفي وقعت
- ١٤٣ الصادق (ع): ما استخار الله عبد سبعين مرة بهذه الاستخارة ...
- ٢٨٣ الصادق (ع): ما أقل من شكر المعروف
- ٢٨٩ الصادق (ع): ما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم
- ١٢٥ الصادق (ع): ما حار من استخار
- ٢٨٨ الصادق (ع): ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن
- ٤٣١ الصادق (ع): ما من أمر يختلف فيه اثنان ...
- ٢٧٨ الصادق (ع): ما من مؤمن ينصر أخاه ...
- ٢٨٣ الصادق (ع): من أتى معروف فليكاف به
- ٢٩٢ الصادق (ع): من إجلال الله إجلال المؤمن ذي الشبهة
- ١٤١ الصادق (ع): من أراد أن يستخير الله تعالى فليقرأ الحمد عشر مرات
- ٣٩٥ الصادق (ع): من استمع حرفاً من كتاب الله العزيز ...
- ٢٨٩ الصادق (ع): من حق المؤمن على أخيه أن يشيع ...
- ٢٨٩ الصادق (ع): من حق المؤمن على المؤمن: المودة له في صدره
- ١٢٩ الصادق (ع): من دخل في أمر يغير استخارة ثم ابتلى ...

- ٥٢٩ الصادق (ع): من سافر أو تزوج والقمر...
- ٤٠٠ الصادق (ع): من قرأ في المصحف مُتَّعَ ببصره
- ٥٢٩ الكاظم (ع): من تزوج في محاق الشهر...
- حرف النون
- ٤٣٣ الصادق (ع): نحن الذين اصطفانا الله عز وجل
- ٤٢٩ الصادق (ع): نحن الراسخون...
- ٤١٢ الصادق (ع): نزل القرآن جملة واحدة...
- حرف الهاء
- ٣٤٥ النبي (ص): هذا الإنسان وخط إلى جنبه...
- ١٧٣ النبي (ص): هم خلفائي يا جابر، وائمة المسلمين من بعدي
- ٣٣٤ الإمام علي (ع): (في آخر خطبة له): هذا مقام من أفردك بالتوحيد
- ٤٣٣ الباقر (ع): هي لنا خاصة وإيانا عني
- ٣٥ الصادق (ع): هؤلاء قوم يترجحون في الأمان
- ١٩٢ الصادق (ع): هو الملك الدائم الأبدى في نفاذ...
- ٤٣٣ الصادق (ع): هي لنا خاصة وإيانا عني
- حرف الواو
- ١٨٧ في الحديث القدسي: وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر
- ١١٧ النبي (ص): الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها
- ٣٤٦ الإمام علي (ع): واعلموا، أن الأمل يُسهي العقل،...
- ٤٢٩ الإمام علي (ع): (في خطبة الأشباح): واعلم، أن الراسخين في العلم..
- ٣٥٢ الإمام علي (ع): والله ما فجأني من الموت وارد فكرهته
- ٣٥٢ الإمام علي (ع): والله لا بن أبي طالب أنس بالموت...
- ٤٣٦ الإمام علي (ع): والله ما نزلت آية إلا وقد علمت...
- ٣٤٧ الإمام علي (ع): وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة

- ٢٤٦ الإمام علي (ع): وتالله لو انما ثقت قلوبكم انميائاً...
- ٢١ الإمام علي (ع): والشمس والقمر داثبان، يبليان كل جديد،...
- ١٥ الإمام علي (ع): (في خطبته الطالوتية): ولا كان خلواً عن الملك
- ٢٨٣ زين العابدين (ع): (في حديث الحقوق): وأما حقّ ذي المعروف عليك
- ٤٤٣ الباقر (ع): وإنما القرآن أمثال...
- ٤٣٧ الصادق (ع): والله إني لأعلم كتاب الله...
- ١٤٨ الصادق (ع): والله لانشك في ربنا أبداً.
- ١٣ الجواد (ع): ولا تكلم أحد أبين أضعاف الاستخارة...

حرف الياء

- ٣٤٥ حديث قدسي: يا موسى، لا تطول في الدنيا أملك...
- ٣٤٥ النبي (ص): (لأبي ذر) يا أباذر، إياك والتسوية بأهلك
- ١٢٨ النبي (ص): يا أنس، إذا هممت بأمر فاستخبر ربك
- ٢٨٤ النبي (ص): (لأمير المؤمنين (ع): يا علي، من لم يقبل العذر...
- ٣٧٥ النبي (ص): يُجاء بالعبد يوم القيامة، فتوضع حسناته...
- ١١٦ في الحديث: يقرب الى فيه، فاذا دنا من وجهه شوى وجهه...
- ٤٦٧ الإمام علي (ع): (في دعائه): يا جابر كل كسير، ويا مسهل كل عسير..
- ١٣٦ الإمام علي (ع): يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إني أستخيرك
- ٤٣٩ الباقر (ع): يا قتادة، إنك فقيه أهل البصرة؟...
- ٤٠١ الصادق (ع): (في قراءة القرآن): يا أبا محمد، اقرأ قراءة ما بين القراءتين
- ٢٨٥ الصادق (ع): (في حق المؤمن): يا أبا ن، ادعه لا ترده...
- ٢٨٢ الصادق (ع): (في قوله تعالى: وأنذرهم يوم الحسرة): قال: يناد...
- ٥٠ الصادق (ع): يوم الوقت المعلوم: يوم ينفخ في الصور...
- ٣٢ الكاظم (ع): يا بني، عليك بالجمعة، ولا تخرجن نفسك...
- ١٤٠ القائم (ع): يقرأ الفاتحة عشراً، وأقله ثلاث...